عدد خاص




# أوراق بغداد

اختيار وتحرير

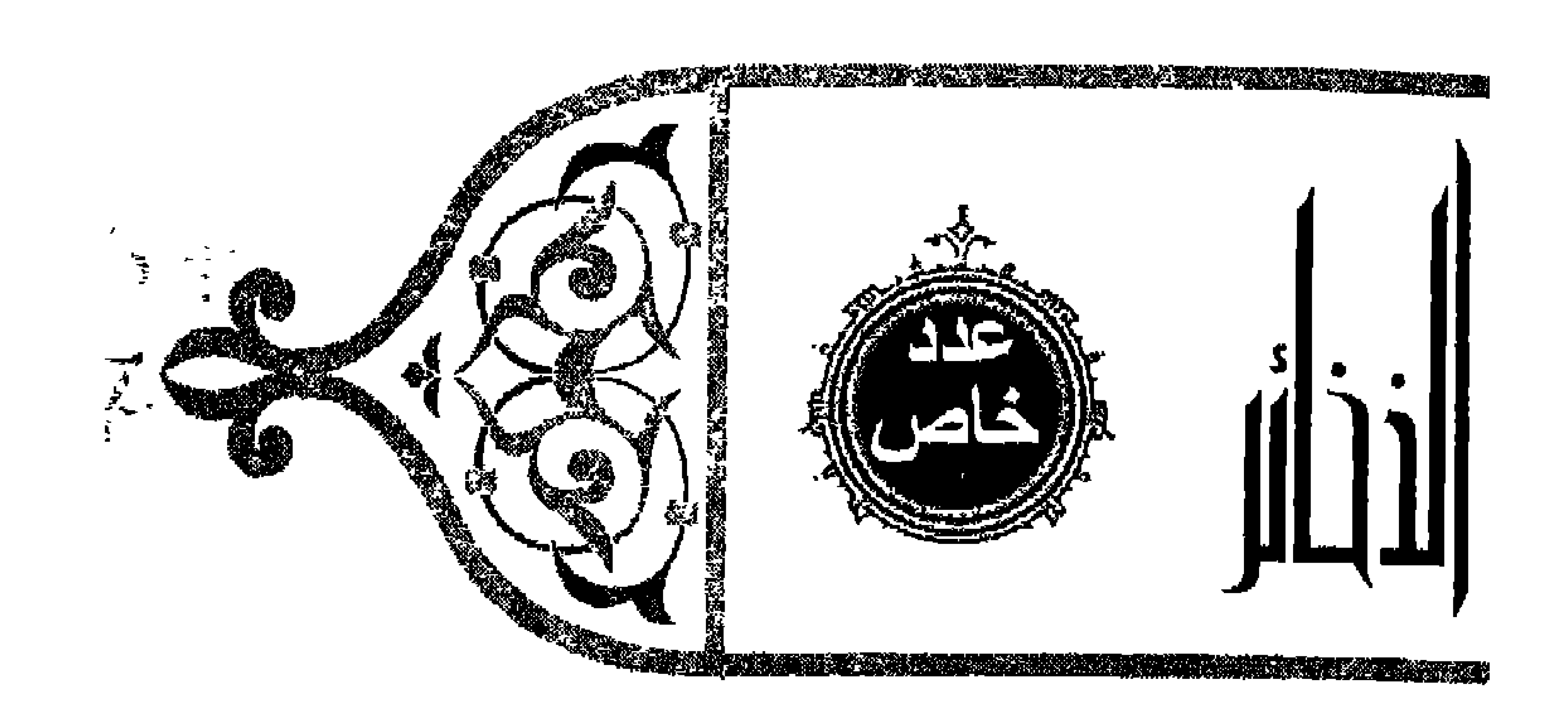
أ.د. عبد الحليم راضي

د. محمود فؤاد

أ. جمال العسكري



الهيئة العامة لقصور الثقافة




# أوراق بغداد

اختيار وتحرير

أ.د. عبد الحليم راضى

د. محمود فؤاد

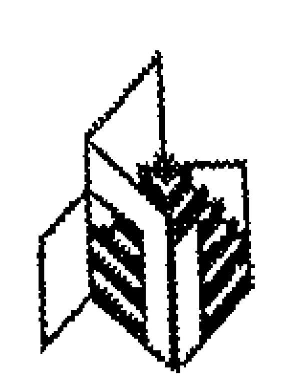
أ. جمال العسكرى

تقديم

أ.د. عبد الحليم راضى



الهيئة العامة لقصور ال



الهيئة العامـة
لقصور الثقافة

سلسلة الذخائر
نصف شهرية

عدد خاص
( النصف الأول من ٢٠٠٣ )

أوراق بغداد

اختيار وتحرير / أ.د. عبد الحكيم راضى
د. محمود فؤاد
أ. جمال العسكرى

تصميم الغلاف للفنان
محمد بغدادى

رقم الإيداع : ٩٢٣١ / ٢٠٠٣

الشركة الدولية للطباعة ٦ أكتوبر
ت : ٨٣٣٨٢٤٠

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى
١٦ أ ش أمين سامى قصر العينى - القاهرة
رقم بريدى ١٢٥٦١

# الذخائر

# تقديم

## بقلم أ.د.عبد الحكيم راضى

**عزيزى القارئ** . . هذه تجربة جديدة عمدت إليها هيئة تحرير الذخائر : سكرتير التحرير ومدير التحرير ورئيس التحرير ، كانت اللجنة العليا للنشر بالهيئة العامة لقصور الثقافة قد أقرت فكرة إصدار أعداد خاصّة فى إطار كلّ سلسلة من السلاسل التى تصدر عنها إذا دعت الظروف إلى ذلك ، تلقّفت هيئةُ تحرير الذخائر ذلك المبدأ ، وكان مما شجعها على ذلك يقينها بأن هذا هو الوقت الذى يستدعى مثل هذه الأعداد الخاصّة .

لم يستغرق التفكير فى طبيعة العدد طويلاً ، بل لم يكن بحاجة إلى تفكير أصلاً ، كان يكفى أن تنظر فى عنوان جريدة ، أو تسمع خبرًا فى الإذاعة أو التليفزيون ، محليًا أو عالميًا . . لتتأكد لكَ خطورة الأمر : إنّ وطنًا عربيًا هو العراق الشقيق يوشك أن يتعرّض للعدوان ، بل إن العدوان بدا أمرًا محتومًا لايمكن تفاديه . . ( كان ذلك عندما بدأ التفكير فى موضوع هذا العدد ، أمّا وأنا أكتب هذه الكلمات الآن فإن العدوان كان قد بدأ فعلاً على العراق - كما قلت - وأصبح ما كنا نحذره أمرًا واقعًا بالفعل ) .

كان القرار هو أنه لابد من عمل شىء . . شىء فى حدود ما تستطيع هذه السلسلة ، وجاء السؤال : ما الذى يمكننا عمله ؟ وانتهى التفكير إلى تقديم هذه الأوراق التى بين يديك . . ما الذى تحويه هذه الأوراق ؟ الجواب : إنها تحوى نوعين من نصوص التراث . . أحدهما **إخبارى** والآخر **إبداعى** . .

القسم الإخبارى عبارة عن نصوص نثرية ، معظمها تاريخى ، وبعضها نصوص وصفيّة ، وتدور كلها حول العراق ومدنه وخاصّة بغداد ، أما القسم الإبداعى فهو عبارة عن قطعة كبيرة من الأشعار التى قيلت فى العراق : معالمه ومدنه ، خاصة بغداد أيضًا .

المحور الرئيسى لجميع النصوص هو ماتعرضت له بغداد من محن وكوارث ، خاصّة كارثة الغزو المغولى وما لحق بغداد من دمار وخراب على أيدى جيوش هولاكو . . تلك الكارثة التى وقعت فى سنة ٦٥٦ هـ . بالإضافة إلى نصّ جرّه التداعى بالتضادّ وهو الخاصّ بهزيمة المغول أمام جيوش مصر بقيادة السلطان المملوكى سيف الدين قطزّ .

سجّل المؤرخون وقائع تلك الكارثة ، على اختلاف فى التفاصيل ، وفى الإيجاز والبسط ، وكذلك فى وجهات النظر .

لقد جُمعت هذه النصوص من مصادر كثيرة أقدمها تاريخ الطبرى (ت ٣١٠هـ) ، وأحدثها تاريخ الخلفاء للسيوطى (ت ٩١١هـ) ، وباستثناء تاريخ الطبرى (ق ٣ ، ٤) والخطيب البغدادى ق ٥ (ت٤٦٣هـ) ، تقع بقية المصادر بين القرن السابع والقرن التاسع على التقريب ، والسبب هو انطلاق هذه الأوراق من محور أساسىّ هو نكبة بغداد على يد المغول ، تلك النكبة التى وقعت فى سنة ٦٥٦ الهجريّة والتى تناولها المؤلفون المعاصرون لها مثل رشيد الدين بن فضل الله الهمذانى (ت ٧١٨هـ) ، وابن الفوطى (ت ٧٧٤هـ) ، أو اللاحقون عليها مثل أبى الفداء (ت ٧٣٢هـ) ، والذهبى (ت ٧٤٨ هـ) ، وابن كثير وغيرهم .

بعض هذه المصادر ليس تاريخيًا بالمعنى الدقيق ، فهناك معجم البلدان لياقوت (ت ٦٢٦هـ) ورحلة ابن بطوطة (ت ٧٧٧هـ) وصبح الأعشى للقلقشندى (ت ٨٢١هـ) وغيرها ، والسبب فى استمداد نصوص بعض هذه المصادر هو أننا لم نقتصر على ذكر وقائع التاريخ ، وإنمـا عمدنا أيضا إلى إيـراد وصف المكان - العراق - وأهم معالمه ومدنه ، وبغداد بصفة خاصة ، وأهم معالم بغداد . . إلخ ، وهنا تصبح الأوليّة لتلك الكتب التى عالجت هذه الأمور دون كتب التاريخ العامة .

أما الأشعار التى يتضمنها القسم الإبداعى ، وقد أطلقنا عليها **ديوان بغداد** فإنها هى الأخرى متنوعة العصور والموضوعات والأماكن ، كثير منها صدر عن نكبة بغداد على يد المغول ، إذْ وصف الشعراء فظائع الغزو المغولى والهول الذى حاق بالمدينة وأهلها . كما وصفوا ماحدث من دمار وإحراق للبصرة فيما عرف بثورة الزّنج على نحو مانجد عند ابن الرومى (ت ٢٨٣هـ) ، وقبل ذلك وصفوا ماحلّ ببغداد سنة ١٩٨ هـ ، فى أثناء الصراع بين الأمين والمأمون وبنفس المنطق ، منطق

التداعى - وإن كان مؤلمًا - جاء حديث الشعراء فى العصر الحديث عن بغداد ، وبالذات عمّا تعرضت له من محن وكوارث .

وكأن التاريخ يعيد نفسه ، ومعه تتكرّر نفس المشاهد الأليمة حيث تقوم (كاميرا) الشاعر بالرصد والتسجيل ، فقد ترك لنا الخريمى ، الشاعر البغدادى قصيدته فيما حلّ ببغداد على يد عساكر المأمون :

**قالُوا ، ولم يلعب الزمان ببغْـ ـداد وتـعـثـرْ بـهـا عَـواثِـرُهـا**

ثم ترك لنا تقى الدين إسماعيل بن أبى اليسر (ت ٦٧٢هـ) قصيدته فى تخريب بغداد بأيدى عساكر المغول عام ٦٥٦هـ ، حيث يقول :

**لسائل الدمع عن بغدادَ أخبارُ  فما وُقوفكَ والأحبابُ قد ساروا**
**يازائرين إلى الزوراء لاتفدوا  فما بذاك الحمى والدار دَيّارُ**

وكذلك ترك سعدى الشيرازى (ت ٦٩١هـ) هو الآخر قصيدة فى رثاء الخليفة المستعصم وذكر واقعة بغداد ، ومطلعها :

**حَبَسْتُ بجفنَىَّ المدامعَ لاتجرى  فلما طغى الماءُ استطالَ على السّكر**
**نسيم صَبا بغدادَ بعد خرابها  تمنّيتُ لو كانت تمرّ على قبرى**

لقد كانت تلك القصائد التى قيلت فى واقعتين لتخريب بغداد ، هى دافعنا إلى إيراد قصيدة الرصافى (نواح دجلة) التى قالها عقب سقوط بغداد فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، ومطلعها :

**هى عـينـى ودمـعـهـا نضّـاخُ  كـلّ حـزن لـمـائـهـا يـمـتـاخُ**
**كيف لا أذرف الدموع وعزّى  بـيـد الـذلّ هـالـك مـجـتـاحُ**

ليس هذا فحسب ، أعنى ليس الأمر مجرّد تكرّر حوادث التاريخ وتشابه مايقال فيها من شعر ، كما هى الحال فى الشعر الذى قيل فى تخريب بغداد مرة بعد أخرى ، وإنما التاريخ نفسه قد يُستدعى ، بمعنى أن الحادثة القديمة قد يُعاد القول فيها من قبل الشعراء اللاحقين على سبيل التمثّل أو الاعتبار ، وإنما يكون ذلك حين تتشابه الظروف ، ويرى الشاعر اللاحق أن بالإمكان أن تلقى الحادثة القديمة - التى تقوم - بيانيًا - بدور المشبه به . . ضوءًا على ماقد يشابهها من أحداث عصره .

وهذا مافعله الرصافى حين كتب قصيدته (هولاكو والمستعصم) ، ومطلعها :

**هو الدهرُ لم يرحم إذا شدَّ فى حرب　　ولم يتّئد إمّا تمخّض بالخطْب**

أما خاتمتها التى تحمل خلاصة الغرض منها وهى انتقاد سلوك الخليفة المستعصم الذى جمع الكنوز على حساب حرمان رعيّته ، فكانت النتيجة تخليهم عنه ومقتله محرومًا على يد المغول ، هذه الخاتمة هى قول الرّصافى - متحدّثا عن المستعصم :

**وقد أثخَنَتْ بغدادَ من بعد قتله　　جروحُ بوارٍ جاء بالحجج الشُّهب**
**وما اندملت تلك الجروحُ وإنما　　ببغدادَ منها اليوم ندْبٌ على ندْب**

هكذا - من وجهة نظر الشاعر - بقيتْ للحادثة القديمة آثارها الماثلة فى اللحظة الحاضرة ، وهى - من واقع السياق - آثار سلبيّة ترتبت على مقدّمة مؤسفة ، الأمر الذى حدا بالشاعر إلى التحذير ، من مقدمات مماثلة .

وربما اختلفت وجهة نظر الشاعر ، أو رؤيته ، فيرى فى القديم ، أو فى بعض حوادثه أو فتراته نموذجًا يُحتذى أو يستحق أن يُطمح إليه ، على نحو ما توحى به قصيدة الجارم :

**بـغـدادُ يـابـلـدَ الـرّشـيـد　　ومـنـارةَ الـمـجـد الـتـلـيـد**

وعلى نحو ما جاء عند شوقى - مفتخرًا بعدد من خلفاء بنى العباس ممن عمرت بهم بغداد :

**دار الشرائع رُوما كلما ذُكِرَتْ　　دارُ السَّلام لها ألْقَتْ يدَ السَّلَم**
**ما ضارعتْها بيانًا عندَ مُلْتَأَم　　ولاحكتْها قضاءً عندَ مُخْتَصَمَ**
**ولا احتوت فى طرازٍ من قياصرها　　على رشيد ومأمون ومعتصمَ**

وكذلك ماجاء عنده مستدعيًا كلاّ من خالد بن الوليد وصلاح الدين - فى سياق مدحه لكمال أتاتُرك :

**الله أكبركم فى الفتح من عجب　　ياخالد الترك جدّد خالد العرب**
**حذوت حرب الصلاحيين فى زمن　　فيه القتال بلا شرع ولا أدب**

هكذا قد يكون للحادثة القديمة ، أو للمَعْلَم القديم ، أو حتى للعمل الأدبى القديم ،

صفة الجذب بقدر مايكون مفعمًا بالدلالة والقدرة على التأثير ، فمقتل أبى مسلم الخراسانى ، ونكبة البرامكة ، ومصرع المتوكّل بأيدى عبيده ، وتخريب البصرة أثناء ثورة الزنوج . ثم تدمير بغداد - كلها - مرة بفعل عساكر المأمون ومرة بفعل جحافل المغول ، ثم هزيمة هؤلاء بسيوف المماليك الذين خرجوا إليهم من مصر ليوقعوا بهم أول هزيمة ويحققوا الانتصار عليهم فى عين جالوت . . . كلّ هذه حوادث تشدّ انتباه المبدع وقد تثيره إلى استدعائها فى أعمال جديدة بصرف النظر عن تاريخ هذه الأعمال ، كما أن معالم ومُدُنًا مثل : إيوان كسرى بالمدائن ، ونهر دجلة وكربلاء والنجف والبصرة وبغداد ، وسُرّ من رأى . . . بوسعها هى الأخرى أن يكون لها نفس الدور ، أعنى إلهام المبدعين بواقعها الوجودى فضلاً عما ارتبطت به من وقائع وأحداث .

وأما الأعمال الأدبيّة ذاتها ، فلاشك أن بائية أبى تمام :

**السيف أصْدَقُ إنباءً من الكتب فى حَدّه الحدّ بين الجدّ واللّعِب**

وسِينيّة البحترى :

**صنت نفسى عمّا يدنّس نفسى وترفعْتُ عن جَدا كلِّ جبس**

ونونيّة ابن زيدون :

**أضحى التنائى بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيب لقيانا تجافينا**

ونوتية أبى البقاء الرندى :

**لكل شىء إذا ماتمّ نقصانُ فلا يُغرّ بطيب العيش إنسانُ**

مثل هذه الأعمال وغيرها تقوم - بفعل الأحداث التى ارتبطت بها - بدور المثير الذى يُلهم الشعراءَ القولَ فيما يجدّ من مناسباتٍ مشابهة .

من هنا كان حرصنا على حشد كلّ ماوصلت إليه أيدينا من الأشعار التى قيلت فى تلك الأحداث أو فى تلك المعالم وكان القصد فى البداية إلى الاقتصار على

ماقاله القدماء ، غير أن المتابعة والرغبة فى التقصّى ، فضلاً عن عامل التّداعى . . كلّ ذلك أفضى بنا إلى إفساح المجال لعدد غير قليل من شعراء النهضة ، أولئك الذين ينتمون ثقافيًا وفنيًا إلى مرحلة الإحياء أو الكلاسيّة الجديدة ، والذين عاصروا موجة المدّ الاستعمارى الغربى على العالم العربى مع محاولات الانتفاض عليه .

وقد استبعدنا الترتيب التاريخىّ للشعر ، كما استبعدنا التصنيف على أساس الغرض ، منتحين الترتيب حسب القافية تسهيلاً للكشف عن النصوص . . وهذا هو سبب اختلاط أسماء الشعراء دون قاعدة سوى ارتباط اسم الشاعر بما لَهُ من شعر . من هنا تتوالى أسماء الشعراء سابقهم ولاحقهم ، فمن القرن الثانى على سبيل المثال : أبو نواس (ت ١٩٨هـ) ، ومنصور النمرى (ت ١٩٣هـ) .

ومن القرن الثالث : أبو العيناء (ت ٢٨٢هـ) ، وابن الرومى (ت ٢٨٣هـ) ، والبحترى (ت ٢٨٤هـ) ، وبعدهم السرىّ الرفاء (ت ٣١٢هـ) .

ومن القرن الرابع الواواء الدمشقى (ت ٣٨٥هـ) ، وبعده الشريف الرضى (ت ٤٠٦هـ) ، ومهيار الديلمى (ت ٤٢٨هـ ) .

ومن القرن الخامس أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩هـ) ، وعلى بن محمد الماوردى (ت ٤٥٠هـ) ، والباخرزى (ت ٤٦٧هـ) . ومن القرن السادس سبط بن التعاويذى (ت ٥٨٣هـ) ، وابن منقذ (ت ٥٨٤هـ) .

ومن القرن السابع ابن عنين (ت ٦٣٠هـ) وتقى الدين بن أبى اليُسر (ت ٦٧٢هـ) وسعدى الشيرازى (ت ٦٩١هـ) .

ومن القرن الثامن صفى الدين الحلى (ت ٧٥٢هـ) .

وكما قلنا فإن هؤلاء مجرد أمثلة ، قمنا - هنا - بترتيبهم زمنيًا لمجرّد الإيضاح وإن كان ورودهم مع النصوص على غير ترتيب .

أما شعراء مطالع النهضة ومواجهة الموجة الاستعماريّة التى استهدفت مشرق الوطن العربى فى أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين فمنهم : جميل صدقى الزهاوى (ت ١٩٣٦م) ، ومعروف الرّصافى (ت ١٩٤٥م) ، وأحمد الكاشف (ت ١٩٤٨م) ، وعلى الجارم (ت ١٩٤٩م) ، وخليل مردم (ت ١٩٥٩م) وغيرهم .

يتراوح حجم النصّ من المختارات بين القصيدة الطويلة ، وربما البالغة الطول

( انظر قصيدة فاجعة بغداد للخُرَيْمى وقصيدة منارة المجد للجارم ) ، والمقطوعة ذات الأبيات المحدودة ، وربما كان منها ما يقتصر على بيت واحد .

أما ماتدور حوله فهو - كما سبق القول - المكان بكلّ معالمه ، والمكان هنا هو العراق ، ومعالمه هى مدنه الكبرى ، خاصة بغداد ، وبعض المواضع المشهورة بها ، ثم بعض المواقع الدينيّة والتاريخية ذات القيمة الخاصّة على امتداد أرض العراق ، وأما موضوع القول ، أو موضوعاته ، فهى وصف هذه المعالم وتصويرها أو التفجّع لها والغضب من أجلها ، والتشوّق إليها وربما انتقادها أو عتاب سكانها .

وإذا كانت أهم المعالم التى دارت حولها هذه النصوص هى بغداد ، تلك التى أطلق عليها مؤسّسُها أبو جعفر المنصور ( دار السّلام) فإنّ أبرز موضوعات هذه النصوص هو بكاء بغداد والتفجّع عليها لما ألَمّ بها أكثر من مرة عبر تاريخها من دمار وتخريب .

هذا عن النصوص الشعريّة ، أو ( **ديوان بغداد** ) كما اتفقنا على تسميته . ونعود إلى مجموعة النصوص التاريخية ، النصوص التى اختيرت فى وصف بغداد والتأريخ لها - خاصّة لمِحَنِها ، لنسأل أنفسنا - كما تساءلْنَا بالنسبة لنصوص الشعر : ما الذى تقوله نصوص التاريخ ؟

عزيزى القارئ . . دعنى أولا أذكرك بقول شوقى فى نهاية سينيته :

**وإذا فاتكَ التفات إلى الـ ماضى فقد غاب عنك وجه التأسّى**

ثم أقول : إن التاريخ ينبئنا - بكل وضوح - بأمور ثلاثة :

**أولها** : إن الاحتكام للقوّة بين الجماعات العرقية وكذلك بين الكيانات الإقليمية والسياسيّة فى معظم حقب التاريخ - إن لم يكن فى جميعها - ( ودعْك من كل صور التزيين أو التزييف أو التلاعب بالألفاظ ، من نوع ما تحدّث عنه السُّفُسْطائيّون قديما وما يمارسه فلاسفة الغزو والاحتلال حديثا . . ) . أقول : إنّ مبدأ القوة هو المبدأ المحتكم إليه أساسًا فى العلاقات بين الكيانات المختلفة عبر التاريخ ، وتقدم الجماعات ذات الطابع العرقى والمذهبىّ أيضا التى تعاقبت السيطرة على بغداد من بريديين وحَمدانيّين وبويْهِيّين وسلاجقة . . الخ ، منتزعة السلطة الفعليّة من يد الخلفاء العباسيين الذين كانوا يزدادون ضعفًا الواحدَ بعد الآخر ، والذين ذاقوا على أيدى حُكّام هذه الجماعات أقسى أنواع الهوان والتنكيل ، حتى إذا جاء هولاكو

الذى استقل ببلاد الفرس وما يليها إلى آسيا الصغرى عن نصيب أخيه قبلاى خان الذى استقل بالصين ومايليها . .

أقول حينما جاء هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ، بوصفه قائدًا لإحدى هذه الجماعات ناشدًا السيطرة على بغداد شأنه شأن ملوك الجماعات التى سبقته فى السيطرة عليها . . كان بإزائه على بغداد آخر خليفة من العباسيين وهو المستعصم ، ولعله كان أضعف أولئك الخلفاء جميعا . . وستحدثك النصوص بما كان من هولاكو وما كان من المستعصم .

**الأمر الثانى – أو لنقل : الدرس الثانى** : هو أن هذه القوى الساعية بطبيعتها إلى السيطرة والغلبة لا تستطيع تحقيق أغراضها إلاّ فى حالة ضعف الطرف المقابل ، والضعف له مظاهر شتّى ، أحدها الضعف العسكرى ، ولكن الأخطر منه هو الضعف الداخلى ، ويتمثّل فى انتفاء الصدق والأمانة والحزم بين أفراد الرعية بعضهم وبعض وبينهم وبين الحاكم . ودعنى أقدم لك هذا النصّ من ( العقد الفريد ) لابن عبد ربه علّه يكون درسًا لبعض من لا يؤمنون بما جاء فيه :

« ذكروا أن ملكا من ملوك العَجَم كان معروفا ببعد الغوْر ويقظة الفطنة وحسن السياسة ، وكان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجّه إليه مَنْ يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يُظهر محاربته ، فيكشف عن ثلاث خصال من حاله ، فكان يقول لعيونه : انظروا هل ترِدُ على الملِك أخبارُ رعيته على حقائقها أم يخدعه عنها المُنْهى [= الناقل] ذلك إليه ؟ وانظروا إلى الغِنَى فى أىّ صنف هو من رعيته ، أفيِمَنْ اشتَدّ أَنَفُهُ [ = عفته ] وقلّ شرهُه [ = طمعه ] أم فيمن قلّ أَنَفُه واشتد طمعُه ؟ وانظروا فى أىّ صنفى رعيّته القوّامُ بأمره ؟ أفيمن نظر ليومه وغده [= البعيد النظر] أم من شغله يومُه عن غده ؟ فإن قيل له : لايخُدَع عن أخبار رعيته ، والغِنى فيمَن قلّ شرهه واشتدّ أنفه ، والقوّام بأمره مَنْ نظر ليومه وغده ؛ قال : اشتغلوا عنه بغيره ، وإن قيل له ، ضدّ ذلك قال . . . اقصدوا له ، فلا حَيْنَ أحينُ من سلامة مع تضييع ، ولاعدوّ أعدى مِنْ أمْنٍ أدّى إلى اغترار » ١/ ١٤٦ ، ١٤٧ .

أرأيت عزيزى القارئ أىّ درس نفيده من التاريخ ؟ النصّ الذى نقلتُه لك هنا ليس من نصوص المجموعة المختارة ، وهو ليس عن بغداد والمستعصم ، لكن مضمونه كأنما يقصدها ، أو لنقل إنه يقصد كلَّ نظام من الحكم تقوم فيه الحواجز –

بفعل بطانة السوء - بين الرعيّة والحاكم ، حيث تزّيف له أخبارهم أو تُساق له مشوَّهة ، فلا يعرف حقيقة مايجرى خارج جدران قصره ، وحيث يتصرّف فى مال الشعب أولئك الجشعون ذوو النفوس الدنيئة الذين يفتقرون إلى الأمانة ، وحيث يمسك بذمام الأمور من ليسوا أهلا لها لعدم كفاءتهم . .

**الضعف العسكرى إذن ليس المظهر الوحيد للضعف** ، فربما كان المظهر الأقل خطورة ، وربما أمكن تعويضه بتماسك المجتمع وسلامته وتلاحمه مع الحاكم الذى يكون قد دأب على الاضطلاع بمسئوليته والتفانى فى إصلاح رعيته .

تقول نصوص التاريخ إن حال بغداد تحت حكم المستعصم - حين وُوجهت بهولاكو كانت على ضد الحال التى صورها النصّ الذى سبق نقله لمجتمع الحاكم الحازم . . ففضلا عن الضعف العسكرى الذى كان كاملاً كان الانفصام بين الخليفة ورعيته ، وكانت الخيانة والكذب على أشدّهما ، إذ كانت هناك بطانة السوء التى يسعى كلّ واحد من أفرادها إلى توجيه الأمور لمصلحته دون إحساس بأى قدر من الولاء للخليفة أو الانتماء إلى الأمّة . وليس أدلّ على ذلك من مسلك الوزير ابن العلقمى فى التآمر على الخليفة ، بل ومسلكه فى الصراع مع بقيّة الحاشية الذين راح كلّ منهم ولاهمّ له إلاّ أن يكيد للآخر ويوقع به إن استطاع ، فكان ماكان من النهاية المأساويّة للخليفة وكذلك للذين خانوه متصورين أن خيانتهم تشفع لهم أو تمسك عليهم حياتهم من بطش الطاغية الجديد .

**أما العبرة الثالثة** التى نخرج بها فهى تلك التى قدّمها أمراءُ المماليك فى مصر فى مواجهتهم للمغول ، وذلك عندما وجّه إليهم هولاكو - كعادته - رسُلَه ونذُرَه وتهديداته ، كانت رسائله دائما مزيجا من الترهيب والترغيب ، الترغيب بتثبيت هذا الحاكم أو غيره على ماهو عليه ، بعد حقن دمه ، إذا هو قدّم فروض الولاء والطاعة ، وقدّم كلّ ما ادّخره من كنوز وثروات ، والترهيب بذكر مايمكنه عمله من الإطاحة به وقتله ، وإزالة ملكه وتخريب مملكته وإبادة شعبه . .

كان على رأس المماليك فى ذلك الوقت السلطان قُطُزّ الذى جمع أمراءه وسألهم الرأى فيما هم مواجَهون به . . وتطرّق النقاشُ إلى استعراض البدائل الممكنة . . لم يكن أمامهم سوى بدائل ثلاثة : النزوح عن الوطن ، والتسليم لهذا الطاغية ، أو القتال . . لقد رأوا أنه لايمكن النزوح عن الوطن ، كما أنه لايمكن

التسليم ، لسبب عملى هو أن جميع الذين سلّموا لهولاكو لم يسلموا من المصير المؤلم ، إذْ ليس للرجل عهد ولاذمّة ، وبالتالى فليس من الممكن الوثوق به ، وهكذا لم يبق إلاّ البديل الثالث وهو المواجهة والخروج للقتال . . وهكذا عزيزى القارئ كان ماكان من خروج المماليك واستبسالهم وانتصارهم على المغول فى موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ التى هُزم المغول فيها لأوّل مرّة .

**عزيزى القارئ** . . كان لسان حال المماليك – وقد جاءتهم نذرُ هولاكو – قول الشاعر :

**ولا أتمنى الشرَّ والشرّ تاركى ولكنْ متى أُحملْ على الشرِّ أركب**

نعم . . فهم لم يبدأوا بطلب الحرب وإنما فُرضت عليهم ، فكان عليهم أن يقبلوا التحدّى ، وكأنما تحقق فى الفريقين : المماليك والمغول كلمةُ على بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسَن عليه السلام : « لاتدعونّ أحدًا إلى المبارزة ، وإنْ دُعيتَ إليها فأجِبْ ، فإنّ الداعى إليها باغ ، والباغِى مصروع » ، ذلك هو المسلك السوىّ . . أن لا تبدأ بالعدوان أو فرض الحَرب ، أما إذا فُرضت عليك فإن الجواب المناسب هو قول المتنبّى :

**عِشْ عزيزا أومُتْ وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود**

وهذان حالان لا ثالث لهما : العيش فى عزة ، أو الموت فى ساحة المعركة .

ليس هذا فحسب ، وإنما أيضا لأن الآجال محدّدة لا يعجّل بها الإقدامُ ولا يؤخّرها الإحجام ، هذا مايقوله المتنبى أيضا :

**يُقتلُ العاجز الجبان وقد يعـ ـجز عن قطع بخنق المولود**
**ويُوَقّى الفتى المخشّ وقد خوْ وَض فى ماء لَبّة الصنديد**

والفتى المخَشّ هو الجرىء المقتحم ، الذى قد ينجو من الحرب ويطول عمره رغم مخاطرته وذلك فى مقابل العاجز الجبان الذى قد يبادره أجله رغم جبنه وتحفظه . لتصبح المعادلةُ هى قول ذلك الشاعر نفسه :

**وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العار أن تكون جبانا**

هكذا نرى – عزيزى القارئ – كيف أن البغى فى الجنس البشرىّ قديم :

**كلـمّا أنبت الزمان قناة ركّب المرءُ فى القناة سنانا**

ولن نعود إلى قابيل وماصنعه بأخيه ، يكفى أن نعود إلى التاريخ الأقرب الذى سجّله الإنسان بنفسه لنتساءل :

ما الذى جاء بالاسكندر المقدونى من بلاده ليغزو الشرق ويحارب فى فارس والهند مكتسحًا كل ماكان فى طريقه ، وما الذى جاء بالرومان كذلك ليحتلّوا بلادًا عديدة بالمشرق ؟ ومن قبل ما الذى جاء من المشرق بالهكسوس ومن بعدهم المغول ؟ ثم ما الذى جاء بعدد من دول أوربّا الأقرب زمنا لتقوم فى بلادنا بنفس الدور الاستيطانى القديم ؟ ومن الذى جاء ليختطف المواطنين من أفريقيا ليتخّذهم عبيدًا يقومون له فى مزارعه ومشروعاته بما يقوم به الحيوان من عمل شاق ؟ ومن الذى جعل من اختطاف العبيد وبيعهم تجارة عالميّة ؟

**عزيزى القارئ** أليس أولئك الذين يتشدّقون اليوم رياءً بمكافحة أسلحة الدمار الشامل هم أول من استخدمها ؟ وكان استخدامهم لها مع سبق الإصرار والترصّد – كما يقول أصحاب القانون – أليست هذه الدول – الكبرى – ذاتها هى التى سمحت لنفسها بتطوير أسلحة التدمير الشامل ومواصلة التجارب عليها كلما شاءت دون اكتراث بكل البنود التى تتضمنها معاهدة منع انتشار أسلحة الدمار الشامل ؟ ألسنا نرى كلّ يوم دولا عديدة تنفلت من هذه المعاهدة ، أو ترفضها كليّة ، ثم تفاجئ العالم بامتلاك هذه الأسلحة دون أن يحاسبها ، أو يتهمها ، أحد ؟

**والأخطر من هذا** أن هذه الدول هى التى صاغت النظام الدولى الجديد ، ولقد صاغوه على أسس تحمل فى طيّاتها الظلم صراحًا والتفرقة واضحةً غير مستترة . أليس هذا النظام هو الذى يقسم العالم إلى دول كبرى لها فى المنظمات الدوليّة حق النقض والمصادرة لأى قرار لايخدم مصالحها ، ودول صغيرة لا تملك إلاّ ترديد الكلمات المثالية التى يحويها القانون ، والتى تضرب بها الدول الكبرى عند اللزوم عرض الحائط ؟

**والأكثر خطورة مما مضى** هو هذا القاموس ، أو هذه المفردات الملتوية ، التى

بثّها ، وتبثّها ، وتتبنّاها هذه المجموعة من ورثة النظام الاحتلالى القديم ، إلى حدّ فقدت فيه الكلمات دلالاتها ، وأصبحت تدل على نقائض معانيها ، وإن كنا نحن بغفلتنا - أو بضعفنا - نردّدها ونجاريهم فى تثبيت هذه الدلالات المشبوهة ؟ وإلاّ فحدثنى عن تلك العبارة التى تتردد فى قرارات المنظمات الدولية (على جميع الأطراف) و(مطالبة جميع الأطراف) و (اتفاق طرفى النزاع) - وكيف أنّ الصيغتين الأولَيين تقدمان كبديلين للنصّ على المعتدِى الفعلى ، حيث يمنع (محاموه) الأقوياء الظلمة أىَّ صياغة تذكره صراحة أو تشير إليه . أما العبارة الثالثة فإنها الأكثر إضحاكا ، لأنها تحتّم اتّفاق الضحيّة مع القاتل ( وبرضا الطرفين ) دون إجبار ، أو تدخّل ، من أحد .

حدثنى ، بربك ، عن النتيجة ، ثم قل لى ، بربك ، لِمَ كانت المنظمات الدوليّة ؟ وإذا كان من الممكن أن يتفق طرفا النزاع - المعتدّى عليه والمعتدِى - ، أى : صاحب الحق ومغتصب الحق . . إذا كان من الممكن اتفاقهما (برضاهما) ودون تدخّل من أحد ، فلم كان النزاع أصلا ؟ وقبل ذلك لم كانت هذه المنظمات التى لا معنى لها إلاّ بوجود مشكلات تتطلب الحل بإيقاف المعتدى وإنصاف المعتدى عليه ؟

وتعبير مضحك آخر هو (راعيا عملية السلام) الذى انشطر - إن جاز التعبير - إلى (راعى عملية السلام) ، وهذا الانشطار مبرّر ؛ لأن أحد الراعيين لايملك كبير تأثير فى الوقت الذى سعى فيه شريكه إلى ابتلاع دوره ، أما المضحك فى الصياغة الأخيرة فهو أن هذا (الراعى) قد تناسى حكاية (السلام) ، وله الحق فى ذلك ؛ لأنه من البداية غير مؤهَّل لهذا الدور ؛ لأنه فاقد لصفة الحياد والعدل التى هى شرط فى الوسيط الحقيقى ، نعم إنه (راع) ولكنْ ليس للسّلام : إنه يرعى تفوق أحد طرفى الخصومة ، ويبارك امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ، ويمنع إدانته أو مطالبته بالتخلى عنها فى المنظمات الدولية . . كما أنه - وحاولْ أن تمسك إحساسك بالاشئمزاز - هو الذى يدمّر ويحرق دولة أخرى سعيًا إلى احتلالها بحجة أرق من ورقة التوت . هى امتلاك هذه الدولة لأسلحة الدمار الشامل ، ولغرض آخر (نبيل) هو (تحرير) شعب هذه الدولة من نظامها الحاكم .

مامعنى (النُّبل) هنا ومامعنى (التحرير) ؟ لنبحث عنه فى القاموس الجديد

للسياسة الدولية - ولدى الاحتلاليّين الجدد خاصة - ولنبحث - بالمناسبة - عن معنى مصطلح (المحميّات الآمنة) الذى أطلقته من قبل على مدن البُوسْنة والهِرْسِكْ ، حينما جرّدوها من أسلحتها لتكون (محميات آمنة) للأمم المتحدة . . ثم . . ثم كانت المذابح المروّعة والمقابر الجماعيّة لسكان تلك المحميّات (الآمنة) . لن أحدثك عن مصطلح (الأرض مقابل السلام) لأنه يكشف أننا ببغاوات أكثر ممّا نحن كائنات عاقلة . يكفى أن تسأل : أرض من ؟ والسلام لمن ؟

لقد عنَّ لى فى بعض اللحظات أن أنحى باللوم على اللغة ، متصورًا أنها هى التى تبيح مثل هذه المفارقات ، ولكنى سرعان ما انتبهت إلى أن اللغةَ بريئة من هذه التهمة ، وأن المذنبين الحقيقيّين هم مستعملو اللغة ، وإلاّ فحدثنى : لم ارتبط مصطلح ( معاداة السامية ) بمعاداة اليهود حتى أصبحت الساميّة مساوية لليهودية ليخرج منها بقيّةُ الساميّين وعلى رأسهم الفلسطينيون الذين ينبغى - وفقا لهذه الدلالة المغلوطة - أن يكونوا فى مقدّمة المعادين للسامية ، أى : المعادين لأنفسهم ؟! أما الذى أجدنى عاجزا عن فهمه فهو مصطلح (الإرهاب) بالمعنى الذى يصرّ عليه الاحتلاليّون الجدد الذين يصفون من يدافع عن وطنه ويقاتل لتحرير أرضه بأنه (إرهابى) .

**والقاسم المشترك بين هؤلاء جميعا هو تناسى المقدمات وتسليط الضّوء على النتائج** ، أعنى أنهم يتناسون حقيقة الاحتلال وحقيقة العمل على ابتلاع أرض الغير ، وحقيقة مساعدة المحتل على تكريس احتلاله لأرض هذا الغير . ثم يقفون عند ردّ فعل الشعوب ، أو انتفاضاتها لتحرير أرضها فيسمون ذلك (إرهابا) .

هذه - **عزيزى القارئ** نماذج من قاموس الاحتلال الجديد ، الاحتلال وليس (الاستعمار) ، فمصطلح (الاستعمار) نفسه مثير للريبة ، إذ معناه : طلب الإعمار ، أو العمل على الإعمار ، وليس كذلك هدف هذه القوى ، فهدفها هو الاحتلال بالقوة العسكرية واستعباد الشعوب والاستيلاء على مصادر ثرواتها ، **هو إذن احتلال وليس استعمارًا** ، وهو استعباد وليس تحريرًا ، ومحاربته حقّ مشروع وليست إرهابا . واللغة تعرف الفروق الدقيقة بين معانى هذه الكلمات ولكنّ مستعمليها هم الذين يقلبون معانيها ، عن وعى وتعمّد .

وهذه وحدها جريمة جديدة ، أعنى اجتهاد هؤلاء الاحتلاليّين فى قلب معانى الكلمات وتشويهها ، حتى صارت اللغةُ - كما يقول مريد البرغوثى - « علبةً للرّياء » أو « لُعبةً فى يدى من يشاء » وليس ذلك من اللّغة ، ولكن من مستعمليها السفسطائيين الجدد ورثة السفسطائيّين القدماء الذين حاربوا ثبات المعنى ، ورفعوا شعار النسبيّة فى كلّ شئ ، هكذا قال أولئك ، وهكذا يقول هؤلاء - فيما أتصوّر:

**فاللغة وعاء مطّاطٌ شفّاف**
**يقبلُ كلّ الأشكالِ ويعكسُ كلَّ الألوان**
**وبُوسْعِك أن تحشو كلّ الألفاظ بما شئتَ من المعنَى . .**
**فالعدل : مساواةٌ فى إيقاع الظّلم وفى عدد القتلَى . .**
**فى سلب الثروات وإحراق الأشجار وإقْفار الأرض . .**
**العدلُ - إن اسْطَعْتَ - عدولٌ عن شرع الرحمن . .**
**والحريّة : أن تختار طريقكَ نحو الموت . .**
**قنبلةً ، أو صاروخًا . . . أو حبّةَ منع الحملْ . .**
**فتكونَ شهيدًا لم تلمسْ قدماه الميدانْ . .**
**والرحمة : أن تعجلَ بالقتل لكى لا يتألم مجروح . .**
**وسلام العالم : أن تمحُوَ كلَّ الأصوات فلا يبقى إلاّ صوتُك . .**
**أنْ تخنقَ تغريد الأطيار . . تجفّفَ كلّ الأنهار . . فلا يسمع صوتُ التيّار .**

هذه - عزيزى القارئ - صورة ساخرة لبعض المعانى الجديدة لمفردات المعجم السياسى العالمى فى الوقت الحاضر ، توضّح إلى أى مدى أصبحوا يضحكون على الشعوب عن طريق الكلمات التى يطلقونها بمعان غير تلك التى تعارف الناس عليها .

ليس هذا فحسب ، وإنما هناك جريمة أخرى أكثر فظاعة ، وهى محاولة فرض هذه المعانى التى جاءوا بها من عند أنفسهم ، والترويج لها لكى ينخدع بها الآخرون ، والأدهى والأمرُّ أن يُفرض هذا تحت اسم (الحريّة) ، ذلك ماصوّره فى سخرية لاذعة معروف الرصافى (ت ١٩٤٥م) فى إحدى قصائده التى أوردناها فى ديوان بغداد التى حملت فى ديوان الرصافى عنوان (الحريّة فى سياسة المستعمرين) ومطلعها :

ياقوم لا تتكلموا إن الكلام محرَّمُ
إن قِيلَ هذا شهدُكم مرٌّ ، فقولوا : عَلْقَمُ
أو قيل إنّ نهاركمْ ليلٌ ، فقولوا : مظلِمُ
أو قِيل إنّ ثِمادكم سَيْلٌ ، فقولوا : مُفعِمُ

هكذا يطلب الغاصبُ المحتلُّ من الشعوب أن توافقه على دعاواه الكاذبة فى تزيين صورته وتحسين صنيعه ، وموافقته على أكاذيبه وترّهاته ، حتى لو كان مايطلبه هو تقسيم بلادهم وتمزيقها ، فالمطلوب منهم - وهذه قمة السخرية - أن يحمدوه ويشكروه على صنيعه ، وأن يفرحوا ويطربوا لهذا الصنيع :

أو قيلَ إن بلادَكُمْ ياقومُ سوفَ تُقَسَّم
فتَحَمّدُوا وتَشكَرُوا وترنَحوا وتَرَنّموا

ذلك هو منتهى الاستخفاف بعقليّة الشعوب ، إذ المطلوب من صاحب الدار أن يشكر لمن اغتصب داره ، كما أن المطلوب من الضحيّة أن تبتسم للجزّار . **لقد نسى هؤلاء أن الذكىّ هو الذى يقدر ذكاء الآخرين ، وأن الغبىّ هو الذى يتصوّر أن الجميع يتمتعون بغبائه .**

وكأننا بالتاريخ يعيد نفسه وإن تغيّرت الوجوه واختلفت المواقع ، نعم ، وإلا فحدثنى عن الفرق بين ادّعاء أمريكا بأن العراق يهدد أمنها بأسلحة الدّمار الشامل - التى لم يثبت وجودها - مع آلاف الأميال التى تفصل بينهما ، وادعاء قائد الأسطول البريطانى فى مياه الاسكندرية فى عام ١٨٨٢م بأن ترميم القلاع المصرّية على أرض الإسكندرية من قبل الجيش العرابى يمثّل تهديدًا للأسطول البريطانى .

وفى رأيى أنه لا فرق من حيث النوع ، ولكن ثمة فرقا من حيث كم الكذب والخداع ، فأمريكا - ومعها ( الببغاء البريطانى ) تؤكّد أن العراق يهدّد العالم بأجمعه !! هكذا !! وأنها جاءت ، ومعها تابعها المشار إليه ، لتنقذ العالم من هذا الشرّ المحدِق ، ثم لتنقذ شعب العراق منه ! ولها الله تلك الكلمات التى تغتصب دلالاتها وتستباح - سفاحًا - على ألسنة الكذبة المحترفين .. لها الله كلمات ( الإنقاذ ) و ( الديمقراطية ) و ( الحرية ) و ( العدل ) و ( المساواة ) ، ناهيك عن ( العوْلمة ) و ( التجارة الحرّة ) ..

قلت إن ثمة فرقا فى كمّ الكذب والخداع بين دعاوى البريطانيين فى سنة ١٨٨٢ ودعاوى الأمريكيين - والبريطانيين - فى سنة ٢٠٠٣ ، هذا صحيح وهو حكم ينسحب على دعاويهما منذ بدأ التمهيد للحرب على العراق ؛ ولكنّ بَدْءَ القتال ودوران آلة الحرب الأمريكية الحديثة قد لفتنى إلى فرق شاسع فى أخلاقيات الحرب بين القديم والحديث ، والقديم هنا يعنى عصر الفروسيّة عند العرب بالذات . . .

فى القديم كان الفارس يبرز للفارس علانيةً ، بل كان ينبِّهه إلى أنه مقبل لقتاله ، وأن عليه أن يأخذ حذره ، وربما توقف أحدهما عن المبارزة إذا سقط السيف من يد الآخر ، ثم لايبدأها من جديد إلاّ بعد أن يتناول الخصم سيفه . فى القديم كان هناك مجال لإظهار الشجاعة والجرأة ومدى قوة القلب والدربة على القتال ، فنسمع افتخار أحدهم بأنه يجالد أعداءه حاسرًا أى غيرَ متحصن بدرع يَحمى صدره أو خوذة تحمى رأسه ، وأنه يخرج إلى أعدائه مُعْلِمًا ، أى معلنا عن نفسه ، واضعا شارة معينة تدل على شخصه حتى يتقدم لمبارزته من يشاء .

فى القديم نعرف أنهم جعلوا للشجاعة والجرأة درجات بحسب مسافة الاقتراب من العدو وفقا للسلاح المستعمل ، كان هناك الترامى بالسهام من بعيد ، وكانت هناك المطاعنة بالرماح من مسافة أقرب ، وكانت هناك المضاربة بالسيوف مباشرة ، وأخيرًا الاعتناق ، وهذه المرتبة الأخيرة هى ذروة الشجاعة ، وعادة تكون عند احتدام القتال ، بعد أن تكون السهام قد فرغت والرماح قد تكسّرت والسيوف قد تثلّمت ، عندها يجىءُ التداعى إلى المنازلة والتحدّى إليها ، والمنازلة أصلها من النزول عن ظهور الخيل ، والدعوة إليها والتحدّى بها له كلمة معروفة هى (نَزَالِ) ، يقول اللغويون إنها ( اسم فعل أمر ) بمعنى : انزلْ ، والمقصود بها عمليا ترك ظهور الخيل والنزول إلى الأرض ، حيث يكون (الاعتناق) ، وأتصوره قريبا من المصارعة . . إذ ماذا بعد نفاد الأسهم وتحطم الرماح وتكسّر السيوف ؟ . لقد كان من مظاهر الشجاعة عندهم التقدّمُ على الآخرين درجةً ، أو مرحلة ، فى الاقتراب من العدو . . وذلك حين يبدأ الفارسُ المطاعنةَ بالرمح بينما الآخرون لايزالون يترامون بالسهام ، ثم حين يضرب بالسيف بينما الآخرون فى دور المطاعنة بالرماح ، ثم حين يعتنق وهم لايزالون فى مرحلة التضارب بالسيوف . .

بهذه الصفات النبيلة - حقا - جاء فخرهم ، وبأضدادها ورد هجاؤهم . وكثيرًا

ما عيّر أحدهم الآخر بأنه قتل عدوّه وهو نائم ، أو وهو بغير سلاح فى يده . فلما جاء الإسلام أضفى على هذه الفروسيّة الشريفة قيما إنسانيّة جديدة ، نجدها فى وصية أبى بكر رضى الله عنه ليزيد بن أبى سفيان حين وجهه على رأس جيش للقتال فى بعض الجهات ، قال له أبو بكر : « **إنى موصيك بعشر : لاتغدر ولا تمثّل ، ولا تقتل هرِمًا ولا امرأة ولا وليدًا ، ولا تعقرنّ شاة ولا بعيرًا إلاّ ماأكلتم ، ولا تحرقنّ نخلا ولا تخربن عامرًا ، ولا تغلّ ، ولا تبخس** » .

كما نجد إشارة إلى بعض هذه المثالّيات فى قول أبى فِراس الحَمْدانى :

**ولا أُصبِح الحىَّ الخُلوف بغارة　　أو الجيشَ مالم تأته قَبْلِىَ النُّذُرُ**

وكذلك فى قول شوقى مادحا الزعيم التركى كمال أتاتُرك :

**حذوت حربَ الصلاحيّين فى زمن　　فيه القتال بلا شرع ولا أدب**

**لم يأت سيفُك فحشاءَ ولا هتكتْ　　قناك من حرمة الرهبان والصُّلُب**

والإشارة إلى (حرب الصلاحيين) نسبة إلى صلاح الدين الأيوبى وماكان من مثله العليا فى الفروسية ونُبله فى معاملة أعدائه ، واحترامه بصفة خاصة لحريّة الدين وأماكن العبادة . . هذه الإشارة لها أهميتها ، ولكن ما أريد التحوّل إليه هو ماذهب إليه شوقى من وصف القتال فى هذا الزمن القريب بأنه أصبح بلا شرع ولا أدب .

**نعم عزيزى القارئ** . . ولكى تتأكد من صدق شوقى فإن بوسعك أن تقارن المثل التى جاءت فى وصية أبى بكر ، وفى كلامِ شوقى ، وفيما حدثتك به عن شرف الفروسيّة فى القديم . . بوسعك أن تقارن كُلَّ ذلك بما يحدث فى القتال هذه الأيّام ، أما عن قيم الفروسيّة والشجاعة فقد انعدمت بعد أن أصبح الجندى يقاتل من وراء حواجز منيعة ، أو داخل حاميات من الحديد فى دبّابة أو مدرّعة أو من على متن طائرة أو بارجة ، فإذا اضطر للخروج والقتال المكشوف – وهو نادرًا مايحدث – رأيته وقد وضع رأسه فى غطاء من المعدن والزجاج ، متخذًا كل الاحتياطات حتى لا يتعرّض لأى خطر حتى ولو كان الغبار فى الهواء .

أما المثل الأخلاقية والشرف فحدّث ولا حرج عن انتهاك كل القيم والأعراف والقوانين والاتفاقات الدولية ، ولأمر ما يعمد كيان معتد إلى قلع الأشجار ،

وتجريف الأرض ، وهدم مراكز العبادة ، وقتل النساء والشيوخ والأطفال . . ولأمر ما يجىء (راعى السلام) - كما يسمونه - فيصف هذا الصنيع البربرى بأنه من أجل السلام ، كما يصف الآمر به بأنه رجل السلام ، أما من يدافع عن أرضه وزرعه وبيته وأهله فقد فاز بوصف (إرهابى) !!

ومن منطلق هذا المعنى لـ ( السلام ) يجئ (راعى السلام) بكل آلة الحرب الحديثة الخسيسة ليلقى فوق العراقيين - شيوخًا ونساء وأطفالا - أضخم قنابل عرفها التاريخ ، والسبب هو الإصرار الخسيس على كسب الحرب بأية طريقة ، وأقول : أية طريقة - بعيدًا عن عدم مشروعية الحرب أصلا - ذلك أنه وقد أخذته الغطرسة بالإثم . . قد راهن على هيبة دولته وهيبته هو شخصيا ، بل وعلى وساوسه التى تزّين له أنه بهذه الحرب ينفذ أمرًا إلهيًا !! ولهذا فلم يعد فى قاموسه سوى كسب رهانه الأثيم بأى ثمن ، حتى ولو كان انعدام الضمير وغياب الشرف .

هنا أعود - عزيزى القارئ - إلى مادة كتابنا ( **أوراق بغداد** ) ، ولعلك تسأل : ولماذا تقديم نصوص التاريخ - تاريخ بغداد وما تعرّضت له من نكبات ؟ وأقول : إن كتابة التاريخ إنما نشأت ، فيما أتصوّر ، حرصًا من الجماعات البشريّة على أن تُثْبِتَ وجودها وتَتَشَبَّثَ بِهُوِّيتِها بتعميق جذورها فى الماضى ، أمّا إعادة نشر هذا التاريخ نفسه فإنما تكون حين تخشى هذه الجماعات على أنفسها من الضّياع ، إنهم يضعون التاريخ أوّلاً - أو يصنعونه - ثم يطلبون إلى التاريخ أن يبقيهم ، وأن يمسكَ عليهم وجودَهم ، وذلك حين يصبح هذا الوجودُ معرّضا للخطر . وذلك هو ماهدفنا إليه . . أن نذكّر بماضى بغداد ، ماضيها الملىء بالكبوات والمحن ، والمفعم فى السياق نفسه بالنهوض واستعادة التوازن ثم الانطلاق من جديد ، فبغداد ليست مدينة عاديّة ، وأرض العراق ليست أرضا عادية ، إنها مليئة بكل مايذكّر بماض عربى وإسلامىّ شامخ مضىء ، رغم تعرّض هذا الماضى - المضىء الشامخ - لجحافل مغول الشرق فى القرن السابع الهجرى ، وتعرضها الآن فى القرن الخامس عشر الهجرى ، الحادى والشعرين الميلادى ، لعاصفة مغول الغرب ، التى يزيد من فظاعتها الترويجُ لها باسم الديمقراطية والحريّة .

**وبعد . . فقد وجدنا أنفسنا أمام هذه المحنة - محنة وطننا العراق - مَسُوقِين إلى جمْع أوراق بغداد ، فهل سيتعيّن علينا فى المستقبل أن نجمع أوراق عاصمة -**

**أو عواصم - عربية أخرى ؟ أرجو أن يكون فيما حدث درسٌ يمنع من تكراره .**

ورحم الله ابنَ زيدون حين قال - وكأنه يحذّرنا :

**إنّا قرأنا الليالي من عَوَاقبها فصار ما يُضحِكُ الأغرارَ يبكينا**

**عبد الحكيم راضى**

# أوراق بغداد

## ( القسم الأول )

## [ حديث الوثائق ]

# من ( تاريخ بغداد ) للخطيب البغدادى

## ذكر تعريب اسم العراق ومعناه وأنَّ حده حد السواد ومنتهاه

أَخْبَرَنَا على بن أَبِى على البَصْرِى قال أَنبَأَنَا إِسْمَاعِيل بن سَعِيد المُعَدَّل قال : قال أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن القَاسِم الأَنْبَارِى [1] قال ابن الأعرابى : إِنَّما سُمِّى العراق عراقًا لأَنَّه سفل عن نجد ، ودنا من البَحْر ، أخذَ من عَراق القربة ، وهو الخرز الذى فى أسفلها .

وقال غيره : العراق معناه فى كلامهم الطير . قالوا : وهو جمع عَرَقة ، والعرقة ضرب من الطير : ويُقال أيضًا : العراق جمع عرق .

وقال قطرب [2] : إِنَّما سُمِّى العراق عراقًا لأَنَّه دنا من البَحْر ، وفيه سباخ وشجر ، يُقال : استعرقت إبلكم إذا أتت ذلكَ الموضع .

أَخْبَرَنَا أَحْمَد بن أَبِى جَعْفَر القطيعى قال : نبَّأنا مُحَمَّد بن العَبَّاس الخَزَّاز قال أَنبَأَنَا أَبُو أَيُّوب سُلَيْمَان بن إِسْحَاق الجلاب قال قال : أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن إِسْحَاق الحَربى : العراق من يَلَدَّ [3] إلى عبَّادان [4] ، وعرضه من العُذَيْب [5] إلى جبل

---

(١) الأنبارى : نسبة إلى الأنبار ، ويحمل هذا الاسم ثلاثة مواضع : بلد على الفرات ، وقرية من قرى جوزجان ، وسكة الأنبار بمرو .

(٢) أبو على محمد بن المستنير النحوى اللغوى البصرى (ت٢٠٦هـ ) مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب ، أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصرة ، وكان حريصا على الاشتغال والتعلم ، وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة ، فقال له : ما أنت إلا قطرب ليل . فبقى هذا اللقب ، وله من التصانيف كتاب « معانى القرآن » فى التفسير وكتاب « الرد على الملحدين فى تشابه القرآن » .

(٣) بلدة بشمال العراق ناحية الموصل .

(٤) عبادان جزيرة مثلثة الشكل تقع فى نهر دجلة تحت البصرة بقرب البحر المالح وبها مشهد لعلى بن أبى طالب . وأول من رابط بها من العرب عباد بن الحصين فنسبت إليه .

(٥) موضع بالكوفة ناحية القادسية

حلوان [1] . وإنَّما سُميت العراق [عراقًا] لأن كل استواء عند نهر أو عند بَحْر عراق ، وإنَّما سمى السواد سوادًا لأنَّهم قَدَموا يفتحون الكوفة ، فلما أبصروا سواد النخل قالوا : ما هذا السواد؟

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن عُمَر بن بُكَيْر المُقْرِئ قال : حَدَّثَنِى أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الأَنْبَارِى قال : نبَّأنا أَبُو عُمَر مُحَمَّد بن أَحْمَد الحُلَيْمى قال : نبَّأنا آدم بن أَبِى إياس عن ابن أَبِى ذئب عن معن بن الوَلِيد عن خَالِد بن معدان عن مُعَاذ بن جبل قال : قال النبى - ﷺ : [اللهم بارك لنا فى صاعنا ومُدّنا وفى شامنا وفى يمننا وفى حجازنا] . قال فقام إليه رجل ، فقال : يا رسول الله ، وفى عراقنا ، فأمسك النبى - ﷺ - فلما كان فى اليوم الثانى قال مثل ذلك ، فقام إليه الرجل . فقال : يا رسول الله ، وفى عراقنا ، فأمسك النبى - ﷺ ، فلما كان فى اليوم الثالث قام إليه الرجل ، فقال : يا رسول الله وفى عراقنا ، فأمسك النبى - ﷺ ، فولّى الرجل وهو يبكى ، فدعاه النبى - ﷺ . فقال : [أَمِنَ العراق أنت؟] . قال نعم : قال : [إن أَبِى إِبْرَاهِيم عليه السَّلاَم همَّ أنْ يدعو عليهم فأوحى الله تعالى إليه لا تفعل ، فإنِّى جعلت خزائن علمى فيهم ، وأسكنت الرحمة قلوبهم] [2] .

أَخْبَرَنَا الحَسَن بن على بن عَبْد الله المُقْرِئ قال : أنبأنا مُحَمَّد بن جَعْفَر التَّمِيمِى الكُوفِى قال أَنْبَأَنَا الجلودى [3] - يعنى أبا أَحْمَد البَصْرِى - قال أنبأنا مُحَمَّد بن زكويه عن ابن عَائِشَة قال : كتب عُمَر بن الخَطَّاب إلى كعب الأحبار [4] : اختر لى

---

(١) فى معجم البلدان « قال أبو زيد أما حلوان فإنها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى أكبر منها ، وأكثر ثمارها التين وهى بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها وربَّما يسقط بها الثلج وأما أعلى جبلها فإن الثلج يسقط به دائما وهى وبئة ردية الماء وكبريتيه ينبت الدفلى على مياهها ، وبها رمان ليس فى الدنيا مثله وتين فى غاية من الجودة » .

(٢) لم يرد هذا الحديث فى كتب الحديث التسعة بمثل هذا النص ، وإنَّما ورد فى مسند المكثرين فى مسند الإمام أحمد حديث بنص : «حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ بِشْرِ بْنِ حَرْبٍ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى مَدِينَتِنَا وَفِى صَاعِنَا وَمُدِّنَا وَيَمَنِنَا وَشَامِنَا ثُمَّ اسْتَقْبَلَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ فَقَالَ مِنْ هَاهُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ مِنْ هَاهُنَا الزَّلاَزِلُ وَالْفِتَنُ» .

(٣) فى لب اللباب للسيوطى «الجلودى : بضمتين ومهملة وقيل بفتح أوله إلى الجلود المعروفة» .

(٤) من علماء بنى إسرائيل أسلم فى زمن عمر ، كان يتحدث بين يدى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، بأشياء من علوم أهل الكتاب ، فيستمع له عمر تأليفا له ، وتعجبًا مما عنده ، مما يوافق كثير منه =

المنازل . قال : فكتب : يا أمير المؤمنين إنه بلغنا أنَّ الأشياء اجتمعت؛ فقال السخاء : أريد اليمن . فقال حسن الخلق : أنا معك ، وقال الجفاء : أريد الحجاز . فقال الفقر : وأنا معك . وقال البأس : أريد الشام . فقام السيف : وأنا معك ، وقال العلم : أريد العراق ، فقال العقل : وأنا معك . وقال الغنى : أريد مصر ، فقال الذل وأنا معك ، فاختر لنفسك . قال : فلما ورد الكتاب على عُمَر . قال : فالعراق إذًا؛ فالعراق إذًا .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن الحُسَيْن القَطَّان قال : أنبأ عَبْد الله بن جَعْفَر النَّحوى قال : حدثنا يَعْقُوب ابن سُفْيَان قال حدثنا قبيصة قال حدثنا سُفْيَان عن الأَعْمَش عن شمر بن عَطِيَّة عن رجل عن عُمَر قال : أهل العراق كنز الإيمان ، وجمجمة العرب [1] ، وهم رمح الله عز وجل يحرزون ثغورهم ويمدون الأمصار .

## ذكر خبر غارة المُسْلِمين على سوق بغداد

قال الشيخ أَبُو بَكْر : كانت بغداد فى أيام مملكة العجم قرية يجتمع فيها رأس كل سنة التجار ، ويقوم بها للفرس سوق عظيمة . فلما توجه المُسْلِمون إلى العراق وفتحوا أول السواد ، ذكر للمثنى بن حارثة الشَّيْبَانِى [2] أمر سوق بغداد .

فأَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رِزْق البَزَّار قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن الحَسَن الصَّوَّاف قال نبَّأنا الحسن بن على القَطَّان قال نبَّأنا إِسْمَاعِيل بن عِيسَى العَطَّار قال أَنْبَأَنَا إسحاق بن بِشْر أَبُو حُذَيْفَة قال : قال ابن إسحاق : وحَدَّثَنِى عُبَيْد الله : أنَّ أهل

---

= الحق الذى ورد به الشرع المطهر ، فاستجاز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأحبار لهذا ، ولما جاء من الأذن فى التحديث عن بنى إسرائيل ، لكن كثيرًا ما يقع مما يرويه غلط كبير ، وخطأ كثير . وقد روى البخارى فى صحيحه ، عن معاوية أنَّه كان يقول فى كعب الأحبار : وإن كنا مع ذلكَ لنبلو عليه الكذب ، أى فيما ينقله ، لا أنَّه يتعمد ذلك ، والله أعلم . ومقامه موجود بحمص ذكره صاحب معجم البلدان .

(١) فى اللسان من حديث عمر بن الخطاب « إيت الكوفة فإنها جمجمة العرب » .

(٢) فى معجم البلدان « وكان أول من غزا أرض العراق من المسلمين المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم الشيبانى ، وكتب إلى أبى بكر رضى الله عنه يهون عليه أمر العراق ، ويعرفه أنَّه قد اختبرهم فلم يجد فيهم منعة ؛ فأرسل إلى خالد بن الوليد بعد فراغه من أهل الردة فأوقع بأهل الحيرة وأطراف العراق فالمثنى كان أول من أغرى المسلمين على غزو الفرس فقال شاعر يذكر ذلكَ وللمثنى بالعال معركة

الحيرة قالوا للمثنى : ألا ندلك على قرية تأتيها تجار مدائن كسرى وتجار السواد ، ويجتمع بها فى كل سنة من أموال الناس مثل خراج العراق ، وهذه أيام سوقهم التى يجتمعون فيها ، فإن أنت قدرت على أنْ تعبر إليهم وهم لا يشعرون أصبت بها مالاً يكون فيه عز للمُسْلِمين وقوة على عدوهم ، وبينها وبين مدائن كسرى عامة يوم . فقال : لهم ، فكيف لى بها؟ فقالوا له : إن أردتها فخذ طريق البر حتى تنتهى إلى الأنبار ، ثم تأخذ رءوس الدهاقين [(١)] فيبعثون معك الأدلاء فتسير سواد ليلة من الأنبار حتى تأتيهم ضحى . قال : فخرج من النُّخيلة ومعه أدلاء أهل الحيرة حتى دخل الأنبار فنزل بصاحبها فتحصن منه ، فأرسل إليه : ما يمنعك من النزول؟ فأرسل إليه إنِّى أخاف ، فأرسل إليه : انزل فإنك آمن على دمك وقريتك وترجع سالمًا إلى حصنك . فتوثق عليه ثم نزل . فقال : إنِّى أريد أنْ تبعث معى دليلا يدلنى على بغداد ، فإنِّى أريد أنْ أعبر منها إلى المدائن . قال : أنا أجىء معك . قال المثنى : لا أريد أنْ تجىء معى ولكن ابعث معى من يَعْرِف الطريق ، ففعل ، وأمر لهم بعلف وطعام وزاد وبعث معهم دليلا ، فأقبل حتى إذا بلغ المنصف . قال له المثنى : كم بيننا وبين هذه القرية؟ قال : أربعة فراسخ أو خمسة وقد بقى عليك ليل . فقال لأصحابه : انزلوا فاقضموا وأطعموا وابعثوا الطلائع فلا يلقون أحدًا إلا حبسوه ، ثم سار بهم فصحبهم فى أسواقهم فوضع فيهم السيف فقتل وأخذ الأموال، وقال لأصحابه : لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ، ومن المتاع ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته ، وهرب الناس وتركوا أمتعتهم وأموالهم وملأ المُسْلِمون أيديهم من الصفراء والبيضاء ، ثم رجع راجعًا حتى نزل بنهر

---

= شاهدها من قبيلة بشر كتيبة أفزعت بوقعتها كسرى وكاد الإيوان ينفطر وشجع المسلمون إذْ حذروا وفى ضروب التجارب العبر سهل نهج السبيل آثاره والأمور تقتفر » .

(١) فى لسان العرب « التدهقن التكيس قال سيبويه سألته يعنى الخليل عن دهقان فقال إن سميته من التدهقن فهو مصروف وقد قال سيبويه إنك إن جعلت دهقانا من الدهق لم تصرفه لأنه فعلان قال الجوهرى إن جعلت النون أصلية من قولهم تدهقن الرجل وله دهقنة موضع كذا صرفته لأنه فعلال و الدهقان و الدهقان التاجر فارسى معرب وهم الدهاقنة و الدهاقين قال :

إذا شئت غنتنى دهاقين قرية وصناجة تجذو على كل منسم »

السيلحين[١] . فقال للمُسْلِمين : أَحمدوا الله الذى سلمكم وغنمكم ، انزلوا فاعلفوا خيلكم من هذا القضب وعلقُوا عليها وأصيبوا من أزوادكم . ثم سار وسمع القوم يهمس بعضهم إلى بعض : إنَّ القوم سراع الآن فى طلبنا . فقال : قبح الله ما تتناجون به أيسر بعضكم إلى بعض أتحسبونهم الآن فى طلبكم ؟ فوالله لو كان الصريخ قد بلغهم الآن إنه لكثير ، ولو كان الصريخ عندهم لدخلهم من رعب غارتنا عليهم إلى جنب مدائنهم ما يشغلهم عن طلبنا ثم جهدوا جهدهم ما أدركونا ، نحن على الجياد العراب وهم على المقاريف [٢] البطاء ، ولو أنهم طلبونا فأدركونا لم نكن نقاتلهم إلا التماس الثواب ورَجَاء النصر ، وعمركم الله ، لقد نصرتم عليهم وهم أكثر منكم وأعز . فأقبلوا ومعهم دليلهم حتى انتهى إلى الأنبار واستقبلهم صاحبها بالكرامة ، فوعده المثنى الإحسان إليه لو قد استقام أمرهم فرجع المثنى إلى عسكره .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : والمثنى هو ابن حارثة بن سَلَمَة بن ضمضم بن سَعِيد بن مرة ابن ذهل بن شَيْبَان بن ثعلبة بن عكان بن صعب بن على بن بَكْر بن وائل وهو أول من حارب الفرس فى أيام أَبِى بَكْر الصديق .

## باب ذكر أحاديث رويت فى الثَّلب لبغداد والطعن على أهليها وبيان فسادها وعللها وشرح أحوال رواتها وناقليها

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم على بن مُحَمَّد بن عِيسَى بن مُوسَى البَزَّار قال أَنْبَأَنَا أَبُو الحَسَن على بن مُحَمَّد بن أَحْمَد المصرى قال حدثنا أَحْمَد بن عَمْرو بن عَبْد الخالق قال حدثنا إِبْرَاهِيم ابن زياد قال حدثنا خَلَف بن تميم قال حدثنا عَمَّار بن سيف قال :

---

(١) فى معجم البلدان « سالحين والعامة تقول صالحين وكلاهما خطأ وإنَّما هو السيلحين قرية ببغداد » .

(٢) فى لسان العرب : « المقرف الذى دانى الهجنة من الفرس وغيره الذى أمه عربية وأبوه ليس كذلك ، لأن الإقراف إنَّما هو من قبل الفحل والهجنة من قبل الأم ، وفى الحديث أنَّه ركب فرسًا لأبى طلحة مقرفا ، وقيل المقرف من الخيل الهجين وهو الذى أمه برذونة وأبوه عربى وقيل بالعكس وقيل هو الذى دانى الهجنة من قبل أبيه وقيل هو الذى دانى الهجنة وقاربها » .

سَمِعْت سُفْيَان الثورى [1] يسأل عاصمًا الأحول عن هذا الحديث فحَدَّثَه عاصم وأنا حاضر عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير . قال : قال رسول الله - ﷺ - : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربُّل والصَّراة ، تجبى إليها خزائن الأرض وجبابرتها ، لهى أسرع ذهابا فى الأرض من الوتد الحديد فى الأرض الرخوة] [2] .

أَخْبَرَنَا أَبُو الحُسَيْن أَحْمَد بن عُمَر بن روح النهروانى [3] قال أَنْبَأَنَا طلحة بن أَحْمَد بن الحَسَن الصُّوفِى قال أنبأ مُحَمَّد بن أَحْمَد بن صفوة قال حدثنا يُوسُف بن سَعِيد قال حدثنا خَلَف بن تميم قال حَدَّثَنِى عَمَّار بن سيف عن عاصم عن أَبِى عُثْمَان . قال : مرَّ جَرِير ابن عَبْد الله بقنطرة الصراة [4] ، فقيل : يا صاحب رسول الله ألا تنزل فتصيب من الغداء . قال : فضرب خاصرة فرسه بسوطه . وقال : سَمِعْت رسول الله - ﷺ - يقول : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربُّل والصراة ،

---

(١) فى الفهرست ج ١ ص ٣١٤ « سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من ولد ثور بن عبد مناة بن الله بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكان يُقال إنه فى بنى ثور ثلاثون رجلًا ليس منهم رجل دون الربيع بن خثيم وهم بالكوفة وليس بالبصرة منهم أحد ومات سفيان الثورى بالبصرة مستترا من السلطان ودفن عشاء وذلكَ فى سنة إحدى وستين ومائة وهو بن أربع وستين سنة وولد سنة سبع وتسعين » .

(٢) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة وطرق متعددة استوفاها السيوطى فى كتاب « اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » . وفى إسناده متروك ومجهول . وقد ذكر ابن قيم الجوزية فى كتابه « المنار المنيف فى ذكر الصحيح والضعيف » أن كل حديث فى مدح بغداد أو ذمها ، والبصرة ، والكوفة ، ومرو ، وعسقلان ، والإسكندرية ، ونصيبين ، وانطاكية فهو كذب » . راجع ص ١٧٣ . وقد استوفى الإمام السيوطى هذه الأحاديث فى كتابه » اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة . كما علق الإمام الشوكانى فى كتابه « الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة » على هذا الحديث قائلًا : «رواه الخطيب وابن عدى والطبرانى عن أنس مرفوعًا ، وفى إسناده متروك ومجهول ، والحديث منكر ، وقال فى الميزان : باطل . وللحديث طرق كثيرة جدًا استوفاها صاحب اللآلئ - يقصد الإمام السيوطى - وفى بعضها تصريح بأنها بغداد » . انتهى نص الشوكانى .

(٣) نسبة إلى نهروان بلد قرب بغداد .

(٤) فى معجم البلدان « الصراة بالفتح قال الفراء يُقال هو الصَّرَى والصِّرَى للماء يطول استنقاعه ، وقال أبو عمرو : إذا طال مكثه وتغير ، وقد صِرى الماء - بالكسر- وهذه نطفة صراة ، وهما نهران ببغداد : الصراة الكبرى والصراة الصغرى ، ولا أعرف أنا إلا واحدة ، وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يُقال لها المحول ، بينها وبين بغداد فرسخ ، ويسقى ضياع بادوريا ، ويتفرع منه أنهار إلى أنْ يصل إلى بغداد » .

يجبى إليها خزائن الأمصار وجبابرتها ، يخسف بها وبمن فيها ، فلهى أسرع ذهابًا فى الأرض من الوتد الحديد فى الأرض الرخوة] .

أَخْبَرَنَا على بن أَبِى على المُعَدَّل والحَسَن بن على الجَوْهَرى قالا : حدثنا على ابن مُحَمَّد ابن أَحْمَد بن لؤلؤ الوَرَّاق قال حدثنا أَبُو عُبَيْد مُحَمَّد بن أَحْمَد بن المؤمل الصَّيْرَفِى قال حدثنا مُحَمَّد بن على بن خَلَف قال حدثنا حُسَيْن الأشقر عن عَمَّار بن سيف الضَّبِّى عن عاصم عن أَبِى عُثْمَان النهدى قال : سَمِعْت جَرِير بن عَبْد الله يقول : قال رسول الله - ﷺ - : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيلة وقطربُل والصراة ، يجبى إليها خراج أهل الدُّنْيَا وجبابرتها ، لهى أسرع انقلابًا بأهلها من الوتد الحديد فى الأرض الرخوة] .

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم عَبْد الملك بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن بِشْران الوَاعِظ قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إسحاق بن نِيْخاب الطِّيبى قال حدثنا بِشْر بن مُوسَى قال حدثنا الحَسَن بن حَمَّاد قال حدثنا إسحاق بن مَنْصُور السَّلولِى عن عَمَّار بن سيف قال : سَمِعْت عاصمًا الأحول وسأله سُفْيَان عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير عن النبى - ﷺ - قال : [تبنى مدينة بين قطربُل والصراة ، ودجلة ودجيل ، يخرج بها جبابرة أهل الأرض يجبى إليهم الخراج ، يخسف الله بها فلهى أسرع ذهابًا فى الأرض من المعول فى الأرض النخرة أو الخورة] .

أَخْبَرَنِى الحَسَن بن على بن عَبْد الله المقرى قال حدثنا إِسْمَاعِيل بن الحَسَن قال حَدَّثَنَا الحُسَيْن بن إِسْمَاعِيل المُحَامِلى [1] قال : حدثنا مُحَمَّد بن إشكاب قال : حدثنا أَبُو غسان مَالِك بن إِسْمَاعِيل قال : حدثنا عَمَّار بن سيف الضَّبِّى عن عاصم الأحول عن أَبِى عُثْمَان النهدى عن جَرِير . قال : كُنَّا معه بقطربُل . فقال : ما هذه؟ قال : قطربُل . قال : فضرب بطن فرسه حتى وقف خارجًا منها . ثم قال : إِنِّى سَمِعْت رسول الله - ﷺ - يقول : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيلة والصراة وقطربُل ، يجبى إليها خزائن الأرض وجبابرتها ، يخسف بأهلها ، فلهى أسرع هويًا فى الأرض من وتد الحديد فى الأرض الرخوة] .

---

(١) نسبة إلى بيع المحامل التى يحمل فيها الناس فى السفر .

قال عَمَّار : سَمِعْته يحدِّثُ به رجلا . قال أَبُو غسان : فقلت له : أبا سُفْيَان؟ فقال : قد أخذَ على أنْ لا أسميه ، ولم يقل لى . قال عَمَّار : فشككت فى بعضه فقومنى فيه وقد حفظت إسناده من عاصم والحديث إلا الشيء .

أَنبَأَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رِزْق قال حدثنا القَاضِى أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن عُمَر بن مُحَمَّد الجعابى قال نبَّأنا عَبْد الله بن مُحَمَّد بن ناجية قال نبَّأنا أَبُو أمية مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا أَحْمَد بن يَعْقُوب المَسْعُودى قال قلت لعَمَّار بن سيف : سَمِعْت هذا الحديث من عاصم؟ قال : رجل ثقة كأنك تسمعه منه - يعنى حديث جَرِير « تبنى مدينة . . . » .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : هذا خلاف الحديث الذى بدأنا به لأن عَمَّارًا ذكر فى تلكَ الرواية أنَّه حضر الثورى يسأل عاصمًا عنه ، وفى هذه الرواية أنكر أنْ يكون سمعه من عاصم ، والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث عن عاصم؛ سيف بن مُحَمَّد ابن أخت سُفْيَان الثورى وهو أخو عَمَّار بن مُحَمَّد ، ومُحَمَّد بن جَابِر اليمامى ، وأَبُو شهاب الحناط . وروى عن سُفْيَان عن عاصم . فأما حديث سيف : فأَخْبَرَنَاه عُبَيْد الله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد الحَرْبِى القزاز قال : حدثنا أَحْمَد بن سَلْمَان الفَقِيه قال حدثنا إِدْرِيس بن عَبْد الكريم قال حدثنا أَبُو إِبْرَاهِيم الترجمانى .

وأَخْبَرَنَا على بن أَبِى على قال أَنْبَأَنَا طلحة بن مُحَمَّد بن جَعْفَر المُعَدِّل قال حدثنا عَبْد الله بن مُحَمَّد بن عَبْد العَزِيز البَغْوى [(1)] وعمر بن إِسْمَاعِيل بن أَبِى غيلان . قالا : حدثنا إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم الترجمانى قال حدثنا سيف بن مُحَمَّد عن عاصم الأحول عن أَبِى عُثْمَان النهدى . قال : كنت مع جَرِير بن عَبْد الله بقطربُّل . فقال : ما اسم هذه القرية ؟ قال قلت : قطربُّل . قال : ثم أومأ إلى الدجيل . قال قلت : دجيل . قال : ثم أومأ إلى دجلة . قال قلت : دجلة . قال : ثم أومأ إلى الصراة . قال قلت : ذاك يسمى الصراة . قال : سَمِعْت رسول الله - ﷺ - يقول : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربُّل والصراة ، يجبى إليها بخزائن الأرض وكنوز الأرض

---

(1) نسبة إلى بغشور بسكون ثانية وضم ثالثه بلد بين هراة ومرو الرّوذ ويُقال لها بغ .

وجبابرتها ، تخسف بأهلها فلهى أسرع ذهابًا فى الأرض من الوتد الحديد فى الأرض الرخوة] . لفظ حديث إِدْرِيس .

وأما حديث مُحَمَّد بن جَابِر : فأخبرنيه أَبُو الحَسَن على بن حمزة بن أَحْمَد المؤذن بجامع البصرة قال نبَّأنا أَبُو القَاسِم عُمَر بن مُحَمَّد بن سيف قال نبَّأنا عُمَر بن الحُسَيْن الحَلَبِى القَاضِى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن سُلَيْمَان لُوَيْن قال نبَّأنا مُحَمَّد بن جَابِر عن عاصم عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير بن عَبْد الله قال : قال رسول الله - ﷺ : [تبنى مدينة بين دجلة والدجيل وقطربُّل والصراة ، يجبى إليها خراج أهل الأرض ، هى أسرع خسفًا من السكة فى الأرض الخوارة] .

وأما حديث أَبِى شهاب فأَخْبَرَنَاه الحَسَن بن أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن على بن مخلد الجَوْهَرى قال نبَّأنا أَحْمَد بن مُوسَى الشطوى [1] قال نبَّأنا الحَسَن بن الرَّبِيع قال نبَّأنا أَبُو شهاب عن عاصم عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير يرفعه . قال : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربُّل والصراة ، لأهلها أسرع هلاكا فى الأرض من السكة الحديد فى الأرض الرخوة] .

وأما حديث سُفْيَان الثورى : فأَخْبَرَنَاه أَبُو القَاسِم إِبْرَاهِيم بن عَبْد الوَاحِد بن الخباب الدلال والحَسَن بن أَبِى بَكْر . قالا : أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن عَبْد الله بن إِبْرَاهِيم الشَّافِعِى قال حدثنا عَبْد الله بن أَحْمَد بن حَنْبَل قال حَدَّثنا يَحْيَى بن مَعِين قال حَدَّثنا يَحْيَى بن أَبِى بكير قال حدثنا عَمَّار بن سيف قال حدثنا سُفْيَان الثورى عن عاصم عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير قال قال رسول الله - ﷺ : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيل والصراة وقطربُّل ، يجتمع فيها خزائن الأرض يخسف بها ، فلهى أسرع ذهابًا فى الأرض من الحديد أو الحديدة فى الأرض الرخوة] .

أَخْبَرَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن غالب أَبُو بَكْر الخَوَارِزْمِى البَرْقَانِى [2] قال أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْر أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم الإِسْمَاعِيلى قال أَخْبَرَنِى الحَسَن بن سُفْيَان وحَدَّثنا عمران ابن موسى . قالا : حدثنا مُحَمَّد بن الحَسَن الأعين أَبُو بَكْر قال حدثنا يَحْيَى بن

---

(١) نسبة إلى « شطا » قرية بأرض مصر .

(٢) فى معجم البلدان « برقان بفتح أوله وبعضهم يقول بكسره من قرى كاث شرقى جيحون على شاطئه بينها وبين الجرجانية مدينة خوارزم يومان » .

مَعِين قال حدثنا يَحْيَى ابن أَبِى بكير عن عَمَّار بن سيف عن سُفْيَان الثورى عن عاصم عن أَبِى عُثْمَان عن جَرير . قال قال رسول الله - ﷺ : [يكون خسف بين دجلة ودجيل وقطربُل والصراة ، بأمراء جبابرة يخسف الله بهم الأرض ، ولهى أسرع بهم هويًا من الوتد اليابس فى الأرض الرطبة] .

أَخْبَرَنَا على بن مُحَمَّد بن عِيسَى بن مُوسَى البَزَّار قال أَنْبَأَنَا على بن مُحَمَّد بن أَحْمَد المصرى قال نبَّأنا أَحْمَد بن عَمْرو بن عَبْد الخالق قال سَمِعْت إِبْرَاهِيم بن سَعِيد الجَوْهَرى يقول نبَّأنا إِسْمَاعِيل بن أَبَان قال نبَّأنا سُفْيَان الثورى عن عاصم الأحول عن أَبِى عُثْمَان بن جَرير عن النبى - ﷺ - بنحوه .

قال أَحْمَد بن عَمْرو : ولا أعلم روى أَبُو عُثْمَان عن جَرِير غير هذا . حَدَّثَنِى الحَسَن بن أَبِى طَالِب قال : نبَّأنا أَبُو بَكْر أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم بن الحَسَن قال : نبَّأنا صَالِح بن أَبِى مُقَاتِل الحَافِظ قال : نبَّأنا مُحَمَّد بن إشكاب قال نبَّأنا عَبْد العَزِيز بن أَبَان قال : نبَّأنا سُفْيَان عن عاصم الأحول عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير بن عَبْد الله قال : قال رسول الله - ﷺ : [تبنى مدينة بين دجلة والدجيل ، لهى أسرع خرابًا من السكة فى الأرض الرخوة] .

أَخْبَرَنِى أَبُو الفَرَج الحُسَيْن بن على الطَّنَاجِيرى [1] قال أَنْبَأَنَا عُمَر بن أَبِى الطَّيِّب الوَرَّاق قال : حدثنا على بن أَحْمَد بن نوح التسترى [2] قال : حدثنا عمران بن عَبْد الرَّحْمَن شاذان قال : حدثنا إِسْمَاعِيل بن نُجَيْح قال : أَنْبَأَنَا سُفْيَان الثورى عن عاصم عن أَبِى عُثْمَان قال : كنت مع جَرِير بالتل والتلول . فقال : أين الدجلة؟ فقلت : هذه . فقال : أين الدجيل؟ فقلت : هذه . فقال : أين قطربُل؟ قال قلت : هذه . فقال لى : النجا النجا ، ارتحل ارتحل ، فإِنِّى سَمِعْت رسول الله - ﷺ - يقول : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربُل والصراة ، يجبى إليها خزائن الأرض ، لهى أشد خرابًا من المرود فى الأرض الرخوة] .

أَخْبَرَنَا الحَسَن بن أَبِى بَكْر قال أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم البَغَوى قال نبَّأنا عُمَر بن إِبْرَاهِيم أَبُو بَكْر الحَافِظ قال حدثنا مُحَمَّد بن عُثْمَان بن مخلد الوَاسِطى

(١) نسبة إلى الطناجير وهى الدسوت .

(٢) نسبة إلى تستر بلد بالأهواز أو إلى التستريين محلة ببغداد .

قال حدثنا أَبُو سُفْيَان عُبَيْد الله بن سُفْيَان الغُدَانى قال نبَّأنا سُفْيَان عن عاصم الأحول عن أَبِى عُثْمَان النهدى عن جَرِير بن عَبْد الله قال سَمِعْت رسول الله - ﷺ - يقول : [تبنى مدينة بين نهر يُقال له دجلة ، ونهر يُقال له دجيل ، ونهر يُقال له الصراة ، يجتمع فيها ملوك أهل الأرض وخزائن أهل الأرض؛ لهى أشد رسوخًا فى الأرض من السكة الحديد] .

أَخْبَرَنِى أَبُو الحُسَيْن مُحَمَّد بن أَبِى على الأَصْبَهَانِى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن إِسْحَاق القَاضِى وعَلِى بن مُحَمَّد بن سَعِيد الأَهْوَازِيَان قالا : نبَّأنا أَبُو الحَسَن أَحْمَد بن الحَسَن القُرَشِى قال نبَّأنا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر بن يُونس قال قلت لعَبْد الرَّزَّاق : أَحَدَّثَك سُفْيَان الثورى هذا الحديث؟ قال : نعم : عن عاصم الأحول عن أَبِى عُثْمَان النهدى . قال : نزل جَرِير بن عَبْد الله البَجَلِى صاحب رسول الله - ﷺ - قطربُّل . فقال : أى نهر هذا؟ قالوا : دجلة ودجيل . قال : ها هنا نهر سوى هذا؟ قالوا : نعم نهر يُقال له الصَّراة أسفل منه بفرسخ . فقال : الرحيل ، الرحيل . سَمِعْت رسول الله - ﷺ - يقول : [تبنى مدينة بين نهرين يُقال لهما دجلة ودجيل والآخر يُقال له الصراة ، يجتمع فيها جبابرة الأرض وملوك الأرض وكنوز الأرض ، لهى بهم أسرع رسوخًا فى الأرض من سكة [1] حديد] .

فقال عَبْد الرَّزَّاق لعمر : من حَدَّثَك هذا عنى؟ فقلت : أَحْمَد بن دَاوُد . قال : نعم ما حَدَّثَت به غيره ولا أحَدِّثُ به غيرك .

أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن على بن يَحْيَى بن جَعْفَر بن عَبْد كويه الإمام بأصبهان قال حدثنا سُلَيْمَان بن أَحْمَد بن أَيُّوب الطبرانى [2] قال حدثنا علان بن عَبْد الصَّمَد الطيالسى قال حدثنا أَحْمَد بن مطهر المصيصى [3] قال حدثنا صَالِح بن بَيَان الثقفى قال الطبرانى : وحَدَّثنَا إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد التسترى الدستوائى قال حدثنا سُلَيْمَان بن الرَّبِيع النهدى قال حدثنا هَمَّام بن مُسْلِم قال حدثنا سُفْيَان عن أَبِى عُبَيْدة وحَدَّثَنِى الحَسَن بن أَبِى طَالِب - واللفظ له - قال حدثنا أَبُو بَكْر أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال حدثنا

---

(١) السكة حديدة تحرث بها الأرض .

(٢) نسبة إلى طبرية مدينة بالأردن .

(٣) نسبة إلى المصيصة مدينة على ساحل البحر .

جَعْفَر بن أَحْمَد بن يَحْيَى المَرْوَزِى المؤذن قال حدثنا سُلَيْمَان بن الرَّبِيع قال حدثنا هَمَّام بن مُسْلِم قال سَمِعْت سُفْيَان قال حدثنا أَبُو عُبَيْدة عن أَنَس بن مَالِك قال : قال رسول الله - ﷺ : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيل ، لهى أسرع ذهابًا فى الأرض من وتد الحديد فى الأرض الرخوة] .

أَبُو عُبَيْدة هو حُمَيْد الطويل : وهذا الإسناد ليس بمحفوظ ، وصَالِح بن بَيَان ضعيف ، وهَمَّام بن مُسْلِم مجهول ، والمحفوظ حديث عاصم الأحول عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير . ونحن ذاكرون ما انتهى إلينا من علله إن شاء الله .

**ذكر علل هذا الحديث :**

أَخْبَرَنَا على بن مُحَمَّد بن عَبْد الله المُعَدَّل إجازة قال نبَّأنا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن الحَسَن ثم أَخْبَرَنَا عُبَيْد الله بن عُمَر الوَاعِظ قراءة قال حدثنا أَبِى قال حدثنا عَبْد الله بن سُلَيْمَان قالا : حدثنا عَبْد الله بن أَحْمَد بن حَنْبَل قال : سئل أَبِى عن حديث جَرِير [تبنى مدينة] فقال : ما حدَّث به إنسان ثقة .

أَخْبَرَنَا الحَسَن بن على الجَوْهَرى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن العَبَّاس الخَزَّاز قال نبَّأنا أَبُو الطَّيِّب مُحَمَّد بن القَاسِم الكوكبى قال حدثنا إِبْرَاهِيم بن عَبْد الله بن الجُنَيْد قال سَمِعْت يَحْيَى بن مَعِين يقول قال لى يَحْيَى بن آدم : حديث عاصم عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير ما رواه أحد إلا عَمَّار بن سيف . ثم قال يَحْيَى بن مَعِين : ومنهم من يرويه عنه عن سُفْيَان عن عاصم ، ومنهم من يرويه عنه عن عاصم ، وليس للحديث أصل .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن غالب الفَقِيه قال سَمِعْت أبا الحَسَن الدَّارقُطْنِى يقول : عَمَّار بن سيف الضَّبِّى كوفى متروك .

أَخْبَرَنَا أَحْمَد بن أَبِى جَعْفَر القطيعى [1] قال حدثنا يُوسُف بن أَحْمَد الصيدلانى بمكة قال حدثنا مُحَمَّد بن عَمْرو العقيلى قال حدثنا على بن عَبْد العَزِيز قال : ذكرت لأَحْمَد - يعنى ابن منيع - حديث عاصم عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير [تبنى مدينة]

---

(١) نسبة إلى قطيعة الربيع ، أو قطيعة عيسى بن على ، أو قطيعة الفقهاء ، أو قطيعة الدقيق محال ببغداد .

ففارقنى ثم رجع إلى فقال : ذهبت إلى أَحْمَد بن حَنْبَل فأخبرته به . فقال لى : يا أبا جَعْفَر ليس لهذا الحديث أصل .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر التَّمِيمِى قال نبَّأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى [1] قال نبَّأنا القَاضِى أَبُو بَكْر مُحَمَّد ابن خَلَف بن حَيَّان وَكِيع – وذكر حديث عَمَّار بن سيف – فقال : قال المُخَرِّمِى [2] – يعنى مُحَمَّد بن عَبْد الله – سَمِعْت : يَحْيَى بن مَعِين يقول : ما أصاب عَمَّار هذا الحديث إلا على ظهر كتاب [3] .

أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْد الله أَحْمَد بن مُحَمَّد الكَاتِب قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن حُمَيْد المُخَرِّمِى قال نبَّأنا على بن الحُسَيْن بن حَيَّان قال : وجدت فى كتاب أَبِى بخط يده قال أَبُو زَكَرِيَّا – يعنى يَحْيَى بن مَعِين : عَبْد العَزِيز بن أَبَان كذاب خبيث ، قلت له : بأى شىء استدللت على كذبه؟ قال : حَدَّثَ عن سُفْيَان عن عاصم عن أَبِى عُثْمَان عن جَرِير فى دجلة ودجيل . فقلت له : فقد حَدَّثَ به عَمَّار بن سيف عن سُفْيَان . قال : عَمَّار كان رجلا مغفلا لا يدرى من سُفْيَان سمعه أو من عاصم؟ كذا قال يَحْيَى بن آدم .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : هذا الكلام على عَمَّار بن سيف فى روايته هذا الحديث .

وأما سيف بن مُحَمَّد . فأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بن عَبْد الوَاحِد بن مُحَمَّد بن جَعْفَر قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن العَبَّاس الخَزَّاز قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن سَعِيد السوسى [4] قال نبَّأنا عَبَّاس بن مُحَمَّد قال سَمِعْت يَحْيَى بن مَعِين يقول : سيف بن مُحَمَّد ابن أخت سُفْيَان الثورى ضعيف .

وأَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رِزْق قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن الحَسَن قال نبَّأنا

---

(١) نسبة إلى السكون بطن من كندة .

(٢) تنطق بالضم والفتح وكسر الراء المشددة نسبة إلى المخرّم محلة ببغداد نزلها ولد يزيد بن المخرم .

(٣) أصابه أى وجده ، والجملة اتهام لعمار بأنه صحفى أى يأخذ الحديث عن الصحف لا على يد شيخ موثوق .

(٤) نسبة إلى السوس مدينة بخوزستان .

عَبْد الله بن أَحْمَد قال سَمِعْت أَبِى يقول : لا يكتب حديث سيف بن مُحَمَّد ابن أخت سُفْيَان الثورى ، ليس سيف بشىء . وقال أَبِى : كان سيف يضع الحديث . أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُوسَى القُرَشِى وأَخْبَرَنَا الحَسَن بن على الجَوْهَرى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن العَبَّاس . قالا : أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن جَعْفَر أَبُو الحُسَيْن قال نبَّأنا عَبْد الله بن أَحْمَد بن حَنْبَل . قال : ذكر أَبِى حديث عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد المحاربى عن عاصم الأحول عن أَبِى عُثْمَان النهدى عن جَرِير بن عَبْد الله البَجَلى عن النبى – ﷺ : [تبنى مدينة بين دجلة ودجيلة والصَّراة وقطربُل ، يجبى إليها كنوز الأرض ، ويجتمع إليها كل إنسان ، فلهى أسرع ذهابًا فى الأرض من الحديدة المحماة فى الأرض الخوارة] . فقال : كان المحاربى جليسًا لسيف بن مُحَمَّد ابن أخت سُفْيَان الثورى ، وكان سيف كذابًا . فأظن المحاربى سمعه منه .

قال عَبْد الله : فقيل لأبى : فإن عَبْد العَزِيز بن أَبَان رواه عن سُفْيَان الثورى عن عاصم الأحول . فقال أَبِى : كل من حَدَّثَ هذا الحديث عن سُفْيَان الثورى فهو كذاب . قال عَبْد الله فقلت له : إن لوينا حَدَّثنَاه عن مُحَمَّد بن جَابِر الحنفى . فقال : كان مُحَمَّد بن جَابِر ربَّما ألحق فى كتابه الحديث ، ثم قال أَبِى : إنَّ هذا الحديث ليس بصحيح ، أو قال : كذب .

قال أَبُو الحُسَيْن أَحْمَد بن جَعْفَر : وقد رواه عَمَّار بن سيف الضَّبِّى (1) عن سُفْيَان الثورى ، ورواه عن عَمَّار جماعة نفر منهم يَحْيَى بن بكير الكرمانى ، وإِسْحَاق بن بِشْر الكاهلى ، وقد رواه عن يَحْيَى بن أَبِى بكير : يَحْيَى بن مَعِين ، إلا أنَّه لم يروه على أنَّه صحيح وإنَّما رواه على المذاكرة ثم عرَّف محله من الوهى . فقال : ليس بشىء . هكذا حَدَّثنَا مُحَمَّد بن إِسْحَاق الصاغانى عن يَحْيَى بن معين .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : وقد بين أَبُو عَبْد الله أَحْمَد بن حَنْبَل علة رواية مُحَمَّد بن جَابِر عن عاصم هذا الحديث .

وأما أَبُو شهاب الحناط فقد كان صدوقًا : إلا أنَّ يَحْيَى بن سَعِيد القَطَّان لم يكن يرضى أمره ، وكان يقول : لم يكن بالحَافِظ وأحسب أنَّه وقع إليه حديث عاصم من

---

(1) ورد فى لب اللباب للسيوطى « الضبى بالفتح والتشديد نسبة إلى ضبة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وضبة بن الحارث فى قريش ، وضبة بن عمرو فى هذيل ، وضبة قرية بالحجاز » .

جهة عَمَّار بن سيف ؛ أو سيف بن مُحَمَّد ، أو مُحَمَّد بن جَابِر ، فرواه عن عاصم مرسلا لأن الحَسَن بن الرَّبِيع لم يذكر عنه الخبر فيه ، والله أعلم .

وممن رواه عن الثورى وأوردنا حديثه عنه : إِسْمَاعِيل بن أَبَان وهو أَبُو إِسْحَاق الغنوى [١] - وله روايات عن هشام بن عروة ، وعَبْد الملك بن جريج [٢] ، وقد ذكره مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَارى [٣] . فقال : أَخْبَرَنَا أَبُو الحُسَيْن مُحَمَّد بن الحُسَيْن ابن مُحَمَّد بن الفَضْل القَطَّان قال أَنْبَأَنَا على بن إِبْرَاهِيم المستملى قال أَخْبَرَنِى مُحَمَّد ابن إِبْرَاهِيم بن شعيب الغازى قال سَمِعْت مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَارى يقول : إِسْمَاعِيل بن أَبَان متروك وهو أَبُو إِسْحَاق الكُوفِى .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : وفى رواة الكُوفِيِّين أيضًا إِسْمَاعِيل بن أَبَان آخر إلا أَنَّه أزدى ، وهو دون الغنوى فى الطبقة ، يروى عن أَبِى أويس وجندل بن على وكان ثقة حَدَّثَ عنه البُخَارى فى كتابه الصحيح .

وأما عَبْد العَزِيز بن أَبَان : فقد ذكرنا كلام أَحْمَد بن حَنْبَل فيه .

وأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الأشنانى بنيسَابُور قال سَمِعْت أبا الحَسَن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْدوس الطوائفى يقول سَمِعْت عُثْمَان بن سَعِيد الدارمى [٤] يقول سَمِعْت يَحْيَى بن مَعِين يقول : عَبْد العَزِيز بن أَبَان القُرَشِى ليس بثقة . قيل : من أين جاء ضعفه؟ قال : كان يأخذ حديث الناس فيرويه .

---

(١) نسبة إلى غنى بن أعصر كما فى لب اللباب فى معرفة الأنساب للسيوطى .

(٢) هو الإمام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصرى المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وهو من أوائل الذين فسروا القرآن . راجع كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ج١ ص ٣٤ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، وقيل بَذْدُزْبَه ، وهى لفظة بُخارية ، معناها الزراع . أسلم المغيرة على يدى اليمان الجعفى والى بخارى ، وكان مجوسيًا ، وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم . وولد أبو عبد الله فى شوال سنة أربع وتسعين ومائة . وهو صاحب الصحيح الذى قيل عنه أنَّه أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل ، وقد قال البخارى عن الصحيح : أخرجتُ هذا الكتاب من زهاء ست مائة ألف حديث . وقال : ما وضعت فى كتابى « الصحيح » حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك ، وصليت ركعتين . وقال : ما أدخلت فى هذا الكتاب إلا ما صحَّ ، وتركتُ من الصِّحاح كى لا يطول الكتاب . مات البخارى ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ، ومائتين وقد بلغ اثنتين وستين سنة ، وكان فى بيت وحده ، فوجدناه لما أصبح وهو ميت .

(٤) نسبة إلى دارم بطن من تميم .

وإِسْمَاعِيل بن نُجَيْح : هو إِسْمَاعِيل بن عَمْرو بن نُجَيْح البَجَلِى نسب فى الرواية إلى جده ، وهو صاحب غرائب ومناكير عن سُفْيَان الثورى وعن غيره .

أَخْبَرَنِى أَحْمَد بن عَبْد الوَاحِد الوَكِيل قال أَنبَأَنَا أَحْمَد بن الفَرَج الوَرَّاق قال نبَّأنا أَبُو العَبَّاس أَحْمَد بن مُحَمَّد بن سَعِيد قال : إِسْمَاعِيل بن عَمْرو ضعيف ذاهب . وأما عُبَيْد الله بن سُفْيَان الغدانى [١] فإنه بصرى يُعْرَف بابن رواحة وقد ذكره يَحْيَى بن مَعِين .

أَخْبَرَنِى أَبُو بَكْر البُرْقَانِى قال حَدَّثَنِى مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الملك الآدمى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن على الإِيَادِى قال نبَّأنا زَكَرِيَّا بن يَحْيَى الساجى . قال : أَبُو سُفْيَان الصَّوَّاف كان يُقال له ابن رواحة ، عن ابن عون هو بصرى قدم بغداد فحَدَّثَهم ، ما سَمِعْت أحدًا من مشايخنا بالبصرة حَدَّثَ عنه . قال يَحْيَى بن مَعِين : أَبُو سُفْيَان الصَّوَّاف كذاب .

وأما حديث عَبْد الرَّزَّاق بن هَمَّام عن الثورى . قال : رواية أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر اليمامى تفرد بروايته عن عَبْد الرَّزَّاق وليس بمحل الحجة .

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيد المالينى [٢] فيما أذن لنا أنْ نرويه عنه قال أَنبَأَنَا عَبْد الله بن عدى الحَافِظ . قال : أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر اليمامى حَدَّثَ بأحاديث مناكير عن ثقات ، وحَدَّثَ بنسخ وعجائب .

أَخْبَرَنِى إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم . قال : ذكرت اليمامى هذا لعُبَيْد الكِشْورى [٣] فقال : هو فينا كالوَاقِدى [٤] فيكم . قال الشيخ أَبُو بَكْر : والوَاقِدى عند أئمة أهل النقل ذاهب الحديث .

---

(١) نسبة إلى غدانة بن يربوع بن حنظلة .

(٢) نسبة إلى مالين فى معجم البلدان « قال الأديبى مالين قرية على شط جيحون وقال أبو سعد مالين فى موضعين أحدهما كورة ذات قرى مجتمعة على فرسخين من هراة يُقال لجميعها مالين وأهل هراة يقولون مالان » .

(٣) نسبة إلى كشور قرية بصنعاء اليمن .

(٤) هو محمد بن بن عمر أبو عبد الله الشهير بالواقدى الأسلمى المدنى صنف التفسير اشتهر اسمه بتفسير الواقدى وتوفى سنة سبع ومائتين وهناك ترجمة مفصلة له فى تاريخ مرآة الجنان للإمام اليافعى .

## بقية الأخبار التابعة لحديث أَبِى عُثْمَان عن جَرِير لكونها فى معناه

حَدَّثنَا أَبُو بَكْر البُرْقَانِى من كتابه قال قرئ على الحُسَيْن بن على التَّمِيمِى وأنا أسمع حدثكم زنجويه بن مُحَمَّد اللباد قال حدثنا سَهْل بن مُحَمَّد بن يعيش الخُتَّلى [١] العَسْكَرِى أَبُو السرى قال حدثنا عُمَر بن يَحْيَى قال حدثنا سُفْيَان عن قَيْس بن مُسْلِم عن ربعى بن خراش عن حُذَيْفَة قال قال رسول الله - ﷺ : [تكون وقعة بين زوراء] . قالوا : وما الزوراء يا رسول الله ؟ قال : [مدينة بين أنهار فى أرض جُوخى [٢] ، يسكنها جبابرة أمتى ، تعذب بأربعة أصناف : بخسف ، ومسخ ، وقذف] . قال البُرْقَانِى : ولم يذكر الرابع .

أَخْبَرَنَا الحَسَن بن أَبِى بَكْر قال أَنْبَأَنَا شُجَاع بن جَعْفَر الأَنْصَارِى قال حدثنا مُحَمَّد ابن زَكَرِيَّا الغلابى قال حدثنا مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن القَاسِم التَّيْمِى قال حدثنا أَبِى عن يَحْيَى ابن عَبْد الله بن حسن عن أبيه عن حسن بن حسن عن مُحَمَّد بن الحنفية .

قال : وحَدَّثَنِى عُثْمَان بن عمران العجيفى عن نايل بن نُجَيْح عن عَمْرو بن شمر عن أَبِى حَرْب بن أَبِى الأَسْوَد الدؤلى عن أبيه . قالا : قال على بن أَبِى طَالِب سَمِعْت حَبِيبى مُحَمَّدًا - ﷺ - يقول : [سيكون لبنى عمى مدينة من قبل المشرق ، بين دجلة ودجيل وقطربُل والصَّراة ، يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب ، يسكنها شرار خلق الله وجبابرة أمتى ، أما إنَّ هلاكها على يد السفيانى [٣] ، كأنى بها والله قد صارت خاوية على عروشها] .

---

(١) بضم الخاء وتشديد اللام إلى الخُتَّل قرية بطريق خراسان ، وبالفتح والسكون إلى خَتْلان بلاد وراء بلخ ، وبالضم وتشديد اللام وفتحه إلى ختل كورة خلف جيحون .

(٢) هى جوخاء موضع بالبادية بين عين صيد وزبالة فى ديار بنى عجل كان يسلكه حاج واسط وقد قصره أبو قصاقص لاحق النصرى من بنى نصر بن قعين من بنى أسد فقال فى ذلك :

قفا تعرفا الدار التى قد تأبدت　　بحيث التقت غلان جوخى وتنطح

(٣) السفيانى من المذكورين فى علامات الساعة وأشراط انتهاء الدنيا . وذكر أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى ج١٧ ص ٣٤٢ « أخبرنى الطوسى وحرمى قالا حدثنا الزبير قال حدثنى عمى مصعب قال كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ويقول الشعر وزعموا أنّه هو الذى وضع خبر السفيانى وكبره وأراد أنْ يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمه أم هاشم وهذا وهم من مصعب فإن السفيانى قد رواه غير واحد وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة » .

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُوسَى وأَخْبَرَنَا الحَسَن ابن على الجَوْهَرى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن العَبَّاس قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن جَعْفَر بن المنادى قال : ذكر فى إسناد شديد الضعف عن سُفْيَان الثورى عن أَبِى إِسْحَاق الشَّيْبَانِى عن أَبِى قَيْس عن على بن أَبِى طَالِب أنَّه قال : سَمِعْت النبى - ﷺ - يقول : [تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بنى العَبَّاس ، وهى الزوراء ، يكون فيها حَرْب مقطعة يسبى فيها النساء ويذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم] (١) . قال أَبُو قَيْس فقيل لعلى : يا أمير المؤمنين لم سماها رسول الله - ﷺ - الزوراء؟ قال : [لأن الحَرْب تدور فى جوانبها حتى تطبقها] .

أَخْبَرَنَا أَبُو نعيم الحَافِظ قال حدثنا سُلَيْمَان بن أَحْمَد بن أَيُّوب الطبرانى قال حدثنا عَبْد الرَّحْمَن بن حَاتِم أَبُو زَيْد المرادى قال حدثنا نعيم بن حَمَّاد قال حدثنا أَبُو عُمَر - صاحب لنا من أهل البصرة - عن ابن لهيعة عن الوَهَّاب بن حُسَيْن عن مُحَمَّد بن ثَابِت عن أبيه عن الحَارِث عن ابن مَسْعُود عن النبى - ﷺ - قال : [إذا عبر السُّفْيَانى الفرات ، وبلغ موضعًا يُقَال له عاقرقُوفا ، محا الله الإيمان من قلبه ، فيقتل بها إلى نهر يُقَال له الدجيل سبعين ألفًا متقلدين سيوفًا محلاة ، وما سواهم أكثر منهم ، فيظهرون على بيت الذهب فيقتلون المُقَاتِلة والأبطال ويبقرون بطون النساء يقولون لعلها حبلى بغلام ، وتستغيث نسوة من قريش على شاطئ دجلة إلى المارة من أهل السفن يطلبن إليهم أنْ يحملوهن حتى يلقوهن إلى الناس فلا يحملوهن بغضًا ببنى هاشم؛ فلا تبغضوا بنى هاشم فإن منهم نبى الرحمة ومنهم الطيار فى الجنة ، فأما النساء فإذا جنهن الليل أوين إلى أغورها مكانًا مخافة الفساق ، ثم يأتيهم المدد من البصرة حتى يستنقذوا ما مع السُّفْيَانى من الذرارى والنساء من بغداد والكوفة] (٢) .

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم على بن مُحَمَّد بن عِيسَى البَزَّار قال أَنْبَأَنَا على بن مُحَمَّد بن

---

(١) لم يرد حديث بهذا النص فى كتب الحديث التسعة المعول عليها وهى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجة وأحمد ومالك والدارمى . وقد ذكر ابن القيم فى كتاب « المنار المنيف » أنْ كل الأحاديث التى فيها ذكر ملك بنى العباس وفضلهم وفضل المدينة التى يسكنونها فهى كذب . راجع الكتاب بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ص ١٧٣ .

(٢) لم أعثر على هذا الحديث أيضًا فى الكتب المذكورة .

أَحْمَد المصرى قال نبَّأنا عَبْد الملك بن يَحْيَى بن عَبْد الله بن بكير أَبُو الوَلِيد قال نبَّأنا أَبُو يَحْيَى بن عَبْد الله بن بكير قال : حَدَّثَنِى الهِقْل بن زياد قال : حَدَّثَ أَبُو أسماء الرحبى أنَّه سمع ثوبان يُحَدِّثُ قال : قال رسول الله - ﷺ - : [يخرج السُّفْيَانى حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشًا إلى المدينة خمسة عشر ألفًا ينتهبون المدينة ثلاثة أيام ولياليهن ثم يسيرون متوجهين إلى مكة] (١) . وذكر الحديث وقال : [ثم يسير جيشه الآخر فى ثلاثين ألفًا وعليهم رجل من كلب حتى يأتوا بغداد ، فيقتلون بها ثلثمائة كبش من ولد العَبَّاس ، ويبقرون بها ثلثمائة امرأة] (٢) . قال ثوبان : فسَمِعْت رسول الله - ﷺ - يقول : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ سورة آل عمران أية ١٨٢ ] . فيقتلون ببغداد أكثر من خمسمائة ألف] . وذكر حديثًا فى الملاحم طويلا كتبنا منه هذا .

أَخْبَرَنَا أَبُو نعيم الحَافِظ قال نبَّأنا سُلَيْمَان بن أَحْمَد الطبرانى قال نبَّأنا أَبُو زَيْد عَبْد الرَّحْمَن بن حَاتِم المرادى قال نبَّأنا نعيم بن حَمَّاد قال نبَّأنا عَبْد القدوس - يعنى ابن الحَجَّاج - عن أرطأة بن المنذر عمن حَدَّثَه عن ابن عَبَّاس ، أنَّه أتاه رجل وعنده حُذَيْفَة فقال : يا ابن عَبَّاس قول الله تعالى : ﴿حم عسق﴾؟ . فأطرق ساعة وأعرض عنه ، ثم كررها فلم يجبه بشىء فقال حُذَيْفَة : أنا أنبئك قد عرفت لم كرهها ، إنَّما نزلت فى رجل من أهل بيته يُقال له : عَبْد الإله أو عَبْد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق يبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقًّا يجتمع فيهما كل جبار عنيد . قال أرطأة عن كعب : إذا بنيت مدينة على شاطئ الفرات ثَمّ أتتكم القواصل والقواصم ، وإذا بنيت مدينة بين النهرين بأرض منقطعة من أرض العراق أتتكم الدهيماء (٣) .

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث فى الكتب التسعة المشهورة . وهناك بعض الأحاديث التى تتحدث عن السفيانى وفتنته أغلبها موضوع أو منكر . كما ذكر فى « المنار المنيف » لابن القيم ، و« اللآلئ المصنوعة » للسيوطى ، و« الفوائد المجموعة » للشوكانى .

(٢) هذا الحديث كسابقه لم أعثر عليه .

(٣) ورد فى كتاب « الفوائد المجموعة » ص ٣١٧ : ٣١٨ تكذيبا من الإمام الشوكانى لتفسير بعض الناس لهذه الآية ، ونص تفسيرهم « أنَّ الحاء حرب على ومعاوية ، والميم ولاية المروانية ، والعين ولاية العباسية ، والسين ولاية السفيانية ، والقاف ولاية المهدى . وكذا ما قيل فى تفسير ذلك : أنَّ العين : عذاب ، والسين : السنة والجماعة ، والقاف : قوم يقذفون فى آخر الزمان » . وعلق الشوكانى =

أَخْبَرَنَا أَبُو نعيم قال نبَّأنا أَبُو القَاسِم الطبراني قال نبَّأنا أَبُو زَيْد عَبْد الرَّحْمَن بن حَاتِم قال نبَّأنا نعيم بن حَمَّاد قال نبَّأنا نوح بن أَبِى مريم عن مُقَاتِل بن سُلَيْمَان عن عطاء عن عُبَيْد بن عمير عن حُذَيْفَة أَنَّه سئل عن : ﴿حم عسق﴾ وعمر وعلى وابن مَسْعُود وأبى بن كعب وابن عَبَّاس وعدة من أصحاب النبى - ﷺ - حضور . فقال حُذَيْفَة : العين : عذاب ، والسين : السنة والجماعة ، والقاف : قوم يقذفون فى آخر الزمان . فقال له عُمَر : ممن هم؟ قال : من ولد العَبَّاس فى مدينة يُقال لها الزوراء ، ويقتل فيها مقتلة عظيمة وعليهم تقوم الساعة . قال ابن عَبَّاس : ليس ذلكَ فينا . ولكن القاف : قذف وخسف يكون . قال عُمَر لحُذَيْفَة : أما أنت فقد أصبت التفسير ، وأصاب ابن عَبَّاس المعنى ، فأصابت ابن عَبَّاس الحمى حتى عاده عُمَر وعدة من أصحاب النبى - ﷺ - مما سمع من حُذَيْفَة .

أَخْبَرَنَا الحَسَن بن أَبِى بَكْر قال أَنبَأَنَا أَبُو سَهْل أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن زياد القَطَّان قال نبَّأنا مُحَمَّد بن غالب قال نبَّأنا غسان بن المفضل قال نبَّأنا آدم بن عيينة أخو سُفْيَان بن عيينة قال أَخْبَرَنِى سُفْيَان بن عيينة . قال : رآنى قَيْس بن الرَّبِيع على قنطرة الصراة . فقال : النجا النجا ، فإنا كُنَّا نتحَدَّثُ أَنَّ هذا المكان الذى يخسف به . قال سُفْيَان : ورآنى أَبُو بَكْر الهذلى ببغداد . فقال : بأى ذنب دخلت بغداد؟

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب . قالا : أنبأ مُحَمَّد بن جَعْفَر التَّمِيمِى قال حدثنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال حدثنا مُحَمَّد بن خَلَف قال حَدَّثَنِى مُحَمَّد بن الحُسَيْن الوادعى قال حدثنا صَدَقَة بن سبرة - أَبُو وعلة المرهبى فى بنى مرهبة - قال حدثنا الوَلِيد بن أَبِى ثور عن سماك بن حَرْب : أَنَّه بعثه ابن هبيرة إلى أهل بغداد وهى خربة قبل أَنْ تكون ، فنزل على موضع يُقال له العقر وعنده قوم من أهل بغداد ، فجاء رجل حتى وقف على فرس له على دجلة من ذلكَ الجانب فأقحم فرسه الماء فشق الماء شقًّا حتى وقف على العقر . فقال : لعنك الله من قرية ، ما أجمعك لخبيث البلدان! وأجمعك للمال الحرام! وأسفكك للدم الحرام . ثم إنه غاب بفرسه فذهب فى الأرض . قال سماك : والهفتاه ، ألا سألته أى قرية هى؟ ثم انصرف سماك إلى ابن هبيرة فأخبره ثم عاد من قابل ، فجاء ذلكَ الرجل

---

= بقوله « كل ذلكَ موضوع ولا يصح » .

حتى قال ذلكَ القول ثم غاب فى الماء فذهب ، حتى إذا كانت الثالثة رجع الرجل فصنع صنيعه الأول ، فوثب إليه سماك حتى تعلق بدابته فقال : يا عَبْد الله أى قرية هذه؟ قال : بغداد ، أما أنَّه سيصيبها خسف ومسخ ، فخرج سماك عنها وما يرى إلا أنَّه سيصيبه بعض ما قال الرجل .

قال الشيخ الإمام أَبو بَكْر : وكل هذه الأحاديث التى ذكرناها واهية الأسانيد عند أهل العلم والمعرفة بالنقل ، لا يثبت بأمثالها حجة ، وأما متونها فإنها غير محفوظة؛ إلا عن هذه الطرق الفاسدة وأمرها إلى الله العالم بها لا معقب لأمره ، ولا راد لحكمه ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

قرأت على مُحَمَّد بن الحُسَيْن القَطَّان عن دعلج بن أَحْمَد السجستانى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن على الأَبَّار . ثم أَخْبَرَنَا أَبُو القاسم الأزهرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُوسَى وأَخْبَرَنَا الحَسَن بن على الجَوْهَرى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن العَبَّاس قال أَنْبَأَنَا أَبُو الحُسَيْن أَحْمَد بن جَعْفَر بن المنادى قال حَدَّثَنِى هارون بن على بن الحَكَم المزوق قال الأَبَّار : حدثنا إِبْرَاهِيم بن سَعِيد الجَوْهَرى قال حدثنا خضر بن اليسع البَصْرِى عن مسَعْدة بن اليسع عن أَبِى يَعْقُوب الإِسْرَائِيلى - وكان قد قرأ الكتب أنَّه قيل له : ما بال بغداد لا تكاد ترى فيها إلا مستعجلا؟ فقال : لأنَّها قطعة من بابل فهى تبلبل بأهلها . واللفظ لحديث هارون . قال أَبُو الحُسَيْن بن المنادى : فنظرنا ما فى كلام هذا الإِسْرَائِيلى فإذا هو كلام لا يصح فى المعتبر ، وذلكَ لأن الناس فى سائر البلدان يبادرون فى حوائجهم غدوًا ، ويبادرون الانقلاب إلى أهليهم رواحًا ، لأن طرفى النهار يوجبان ذلكَ ضرورة ، فبابل كغيرها من البلدان الآهلة بلا فرق .

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْد أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عَبْد الله بن حَفْص بن الخليل المالينى قراءة عليه قال أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن عدى الحَافِظ قال سَمِعْت مُحَمَّد بن نوح الجنديسَابُورى بمصر يقول سَمِعْت مُحَمَّد بن عُثْمَان العبسى يقول سَمِعْت يحيى بن مَعِين يقول : ما رأيت الكذب أنفق منه ببغداد [1] .

(١) كأنه يشير إلى قول علماء الحديث : « الحديث يخرج عندنا من الحجاز شبرا ، فيعود من العراق ذراعًا » وهو ما دعا الإمام أبا حنيفة النعمان فقيه العراق أنْ يعتنق مذهب الرأى لكثرة الأحاديث الضعيفة والمكذوبة هناك .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : إنَّما قال يَحْيَى هذا القول تنبيها على أنَّ البَغْدَادِيِّين أرغب الناس فى طلب الحديث ، وأشدهم حرصًا عليه ، وأكثرهم كتبًا له ، وليس يعيب طَالِب الحديث أنْ يكتب عن الضعفاء والمطعون فيهم ، فإن الحفاظ ما زالوا يكتبون الروايات الضعيفة ، والأحاديث المقلوبة ، والأسانيد المركبة ، لينقروا عن واضعيها ، ويبينوا حال من أخطأ فيها . وقد حفظ عن يَحْيَى بن مَعِين كلام فى نحو هذا المعنى ، من ذلك : ما حَدَّثَنِي به الحَسَن بن أَبِي طَالِب قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن عَبْدالله بن المُطَّلِب الشَّيْبَانِي قال حَدَّثَنِي أَبُو ذر مُحَمَّد بن يُوسُف بن عُبَيْد الفَقِيه بورثان قال حَدَّثَنِي العَبَّاس بن مُحَمَّد بن حَاتِم قال قال يَحْيَى بن مَعِين : إذا كتبت فقمش ، وإذا حَدَّثْت ففتش .

وأَخْبَرَنَا أَبُو سَعْد المالينى قال أَنْبَأَنَا أَبُو أَحْمَد بن عدى الحَافِظ قال حدثنا مُحَمَّد ابن أَحْمَد بن خَالِد بن يَزِيد قال حدثنا عصام بن دَاوُد قال سَمِعْت يَحْيَى بن مَعِين يقول : وأى صاحب حديث لا يكتب عن كذاب ألف حديث ؟ .

أَخْبَرَنِي أَبُو الحُسَيْن مُحَمَّد بن بَكْر بن عُثْمَان البَصْرِى وحَدَّثَنِي نَصْر بن إِبْرَاهِيم الفَقِيه ببيت المقدس عنه أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن رزيق المَخْزُومِى حدثنا الحَسَن بن رشيق حدثنا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حَكِيم الصدفى قال سَمِعْت الحَسَن بن عرفة يقول : من لم يوثقه أهل بغداد فقد سقط ، هم جهابذة العلم .

قال الشيخ : وأهل بغداد موصوفون بحسن المعرفة والتثبت فى أخذ الحديث وآدابه وشدة الورع فى روايته ، اشتهر ذلكَ عنهم وعرفوا به؛ حتى قال إِسْمَاعِيل بن عَلِيّة فيما أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيد الحَسَن بن مُحَمَّد بن حسنويه الأَصْبَهَانِي بها قال نَبَّأنا القَاضِى أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن عُمَر بن سالم الحَافِظ قال حَدَّثَنِي عَبْد الله بن مُحَمَّد بن سَعِيد بن زياد قال نَبَّأنا زياد بن أَيُّوب . قال سَمِعْت ابن عَلِيّة يقول : ما رأيت أحسن رغبة فى طلب الحديث من أهل بغداد؟

وقال ابن عيينة : فيما أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيد المالينى قال أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن عدى الحَافِظ قال نَبَّأنا مُحَمَّد بن سَعِيد الحرَّانى [1] قال نَبَّأنا مُحَمَّد بن على بن ميمون قال

---

(١) نسبة إلى حران مدينة بالجزيرة .

سَمِعْت أَبِى يقول : سَمِعْت سُفْيَان بن عيينة يقول : شبان البَغْدَادِيّين أورع ، أو خَيْر من شبانٍ من البصرة والكوفة . وهذا قاله سُفْيَان مع صحة رواية البَصْرِيّين ، الذين ما زالوا بالتحفظ والورع معروفين ، وأما أهل الكوفة وأهل خراسان أيضًا ، فلهم من الأحاديث الموضوعة والأسانيد المصنوعة نسخ كثيرة . وقلّ ما يوجد بحمد الله فى محدثى البَغْدَادِيّين ما يوجد فى غيرهم من الاشتهار بوضع الحديث والكذب فى الرواية ، اختصاصًا لهم وتوفيقًا من الله الكريم ، ذلكَ فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفَضْل العظيم .

## باب المحفوظ من مناقب بغداد وفضلها وذكر المأثور من محاسن أخلاق أهلها

قال أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِب عُمَر بن إِبْرَاهِيم بن سَعِيد الفَقِيه وأَبُو مُحَمَّد الحَسَن بن على ابن الجَوْهَرِى . قالا : حدثنا مُحَمَّد بن العَبَّاس الخَزَّاز قال حدثنا أَبُو بَكْر الصولى قال أَخْبَرَنَا سيدنا الشريف الأجل السيد الخَطِيب مستخص الدولة ونسيبها ذو الشرفين أَبُو القَاسِم على بن الشريف القَاضِى مستخص الدولة وعمادها ذى الشرفين أَبِى الحُسَيْن إِبْرَاهِيم بن العَبَّاس الحُسَيْنى رضى الله عنه وأرضاه وأَخْبَرَنَا الأستاذ أَبُو الفضائل الحَسَن بن الحَسَن بن أَحْمَد الكلابى رضى الله عنه قراءة عليه وأنا أسمع فى يوم الخميس التاسع من شوال سنة أربع وخمسمائة بدمشق . قالا : حَدَّثَنَا الشيخ الحافظ الإمام الأوحد الثقة السيد أَبُو بَكْر أَحْمَد بن على بن ثَابِت الخَطِيب البغدادى رضى الله عنه وأرضاه بقراءته علينا من كتابه ونحن نسمع حدثنا أَبُو خليفة قال حدثنا مُحَمَّد بن سلام قال سَمِعْت أبا الوَلِيد يقول : قال لى شُعْبَة : أدخلت بغداد؟ قلت : لا : قال : فكأنك لم تر الدُّنْيَا .

حَدَّثَنِى عَبْد العَزِيز بن على الوَرَّاق قال سَمِعْت مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يَعْقُوب الجرجرائى يقول سَمِعْت أَحْمَد بن يُوسُف بن مُوسَى يقول سَمِعْت يُونس بن عَبْد الأعلى يقول . قال لى مُحَمَّد بن إِدْرِيس [1] : يا يُونس دخلت بغداد ؟ قلت : لا : قال : يا يُونس ما رأيت الدُّنْيَا ، ولا رأيت الناس .

(١) الإمام الشافعى أبو عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد بن يزيد بن =

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيد الحَسَن بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن حسنويه الكَاتِب بأصبهان قال حدثنا القَاضِى أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن عُمَر الحَافِظ قال حَدَّثَنِى أَحْمَد بن عَبْد العَزِيز قال حدثنا عُمَر بن شَبَّة قال نبَّأنا عَبْد الوَاحِد بن غياث . قال : أرسل إلى سَعِيد بن سلم ببغداد فأتيته فقال حَدَّثَنِى يَزِيد بن مزيد : أنَّه كان يسامر الرشيد : فقال له : يا أعرابى هل لك فى هذه السكة دار؟ قلت : لا : قال : اتخذ فيها دارًا فإنها سكة الدُّنْيَا .

بلغنى عن أَحْمَد بن أَبِى طَاهِر . قال : قيل لرجل : كيف رأيت بغداد؟ قال : الأرض كلها بادية ، وبغداد حاضرتها .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على بن مُحَمَّد الوَرَّاق قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عمران قال نبَّأنا عَبْد الباقى بن قانع قال نبَّأنا خَلَف بن عَمْرو العكبرى قال سَمِعْت ابن عَائِشَة يقول : ما رأيت أحسن من تلطف أصحاب الحديث ببغداد للحديث .

أَخْبَرَنَا عُمَر بن إِبْرَاهِيم الفَقِيه والحَسَن بن على الجَوْهَرى قالا : نبَّأنا مُحَمَّد ابن العَبَّاس الخَزَّاز قال نبَّأنا الصولى قال نبَّأنا أَبُو خليفة قال نبَّأنا مُحَمَّد بن سلام قال سَمِعْت ابن عَلِيّة يقول : ما رأيت قومًا أعقل فى طلب الحديث من أهل بغداد .

قرأت على مُحَمَّد بن الحُسَيْن القطَّان عن دعلج بن أَحْمَد قال نبَّأنا خَلَف بن عَمْرو العكبرى [1] قال نبَّأنا مُحَمَّد بن عَبْد المجيد قال نبَّأنا ابن عَلِيّة قال : أَخْبَرَنَا رضوان بن مُحَمَّد بن الحَسَن الدِّيْنُورِى [2] قال نبَّأنا أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بن على بن أَحْمَد بن مَهْدِى بواسط [3] قال نبَّأنا ابن شوذب المُقْرِئ قال نبَّأنا جَعْفَر بن مُحَمَّد بن عَامِر قال نبأ أَحْمَد بن عَبْد الحَمِيد قال سَمِعْت ابن عَلِيّة يقول : ما رأيت قومًا أحسن

---

= هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والسائب جده صحابى أسلم يوم بدر ولد سنة خمسين ومائة بغزة أو عسقلان أو منى على أقوال ، ونشأ بمكة وقدم بغداد فاجتمع علماؤها وأخذوا عنه وصنف بها كتابه القديم ثم عاد إلى مكة ثم خرج إلى بغداد فأقام شهرا ثم خرج إلى مصر وصنف بها كتبه الجديدة .

(١) نسبة إلى عكبرا بلد على دجلة فوق بغداد .

(٢) نسبة إلى الدِّيْنَوَر من بلاد الجبل .

(٣) فى لسان العرب « موضع بين البصرة والكوفة وصف به لتوسطه ما بينهما وغلبت الصفة وصار اسما » .

رغبة ، ولا أعقل لطلب الحديث من أهل بغداد . أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رِزْق البَزَّار قال حدثنا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن يُوسُف الصَّوَّاف - إملاء من لفظه من كتابه - قال نبَّأنا بَكْر بن أَحْمَد التنيسى [١] قال نبَّأنا مُحَمَّد بن على بن ميمون الرَّقى قال سَمِعْت أَبِى يقول : سَمِعْت سُفْيَان بن عيينة يقول : شباب البَغْدَادِيِّين ، أحسن رغبة من شباب البصريين والكُوفِيِّين .

أَخْبَرَنَا عُمَر بن إِبْرَاهِيم الفَقِيه ، والحَسَن بن على الجَوْهَرى ، وعَلِى بن أَبِى على المُعَدَّل قالوا : حدثنا مُحَمَّد بن العَبَّاس قال حدثنا الصولى قال حدثنا أَبُو ذكوان قال حَدَّثَنِي من سمع الشَّافِعِى يقول : ما دخلت بلدًا قط إلا عددته سفرًا؛ إلا بغداد فإنِّى حين دخلتها عددتها وطنًا .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن إِبْرَاهِيم الخفّاف قال نبَّأنا أَبُو الحَسَن على ابن أَحْمَد الصُّوفِى الوَاسِطى - فى مجلس ابن مَالِك القطيعى - قال سَمِعْت أبا بَكْر ابن مجاهد يقول : وأَخْبَرَنَا عَبْد العَزِيز بن على الوَرَّاق قال حدثنا يُوسُف بن عُمَر القَوَّاس قال نبأ على بن أَحْمَد الوَاسِطى قال : سَمِعْت ابن مجاهد المُقْرِئ إمام الزمان قال : رأيت أبا عَمْرو بن العَلاَء فى النوم فقلت له : ما فعل الله بك؟ فقال لى : دعنى مما فعل الله بى ، من أقام ببغداد على السّنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة .

أَخْبَرَنَا على بن مُحَمَّد بن عِيسَى البَزَّار - فيما أذن أنْ نرويه عنه - قال حدثنا مُحَمَّد بن عُمَر بن سالم القَاضِى قال سَمِعْت عُمَر بن أَيُّوب بن مَالِك يقول سَمِعْت أبا معمر الهذلى يقول : قلت لرجل من أهل الكوفة : خَيْر موضع بالكوفة أين هو؟ قال : مسجد الجامع . قلت : وسوء موضع عندنا دار البطيخ ، فلو قال رجل فى خَيْر موضع عندكم رحم الله عُثْمَان قتل ، ولو قال فى سوء موضع عندنا لا رحم الله معاوية قتل؛ فشر موضع عندنا خَيْر من خَيْر موضع عندكم .

حَدَّثَنَا أَبُو طَالِب يَحْيَى بن على بن الطَّيِّب الدسكرى [٢] - لفظا بحلوان - قال أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْر المُقْرِئ بأصبهان قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن عُبَيْد بن الأصبغ الحرانى قال نبَّأنا

---

(١) نسبة إلى تنيس بلد قرب دمياط .

(٢) نسبة إلى الدّسْكَرة قرية من عمل بغداد بطريق خراسان .

بِشر بن مُوسَى قال نبَّأنا سَعِيد بن مَنْصُور قال سمعت بن المُبَارَك يقول : من أراد الشهادة فليدخل دار البطيخ بالكوفة ، وليقل : رحم الله عُثْمَان بن عفان .

أَخْبَرَنَا عُمَر بن إِبْرَاهِيم الفَقِيه والحَسَن بن على الجَوْهَرى وعَلِى بن أَبِى على . قالوا : حدثنا مُحَمَّد بن العَبَّاس قال حدثنا أَبُو بَكْر الصولى [1] قال حدثنا القَاسِم بن إِسْمَاعِيل قال حدثنا أَبُو محلم قال سَمِعْت أَبَا بَكْر بن عياش يقول : الإسلام ببغداد ، وإنها لصيادة تصيد الرجال ، ومن لم يرها لم ير الدُّنْيَا .

قرأت فى كتاب أَبِى الحَسَن الدَّارقُطْنِى [2] بخطه أَنْبَأَنَا الحَسَن بن رشيق قال نبَّأنا على بن سَعِيد بن بشير قال نبَّأنا عُثْمَان بن أَبِى شيبة قال نبَّأنا أَبُو مُحَمَّد نجاد قال سَمِعْت أبا معاوية ذكر بغداد فقال : هى دار دنيا وآخرة .

سَمِعْت القَاضِى أبا القَاسِم على بن المحسن التَّنُوخِى [3] يقول : كان يُقال من محاسن الإسلام يوم الجمعة ببغداد ، وصلاة التراويح بمكة ، ويوم العيد بطرسوس .

قال الشيخ الإمام أَبُو بَكْر : من حضر الجمعة بمدينة السَّلاَم عظَّم الله فى قلبه محل الإسلام ، لأن شيوخنا كانوا يقولون : يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد فى غيرها من البلاد .

وسَمِعْت أبا الحُسَيْن على بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن بِشْران المُعَدَّل يقول حَدَّثَنِى من سمع أبا بَكْر بن الصلت يقول : كنت أصلى صلاة الجمعة فى جامع المدينة فانقطعت عن ذلكَ جمعة لعارض عرض لي؛ فرأيت فى تلكَ الليلة فى المنام كأن

---

(١) هو محمد بن يحيى بن العباس الصولى من الأدباء الجماعين للكتب نادم الراضى ، وكان أولا يعلمه ونادم المكتفى ثم المقتدر دفعة واحدة ، وكان من ألعب أهل زمانه بالشطرنج وعاش إلى سنة ثلاثين وثلثمائة وتوفى مستترا بالبصرة لأنه روى خبرا فى على عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لقتله وله من الكتب كتاب « الأوراق فى أخبار الخلفاء والشعراء » ، و« كتاب الوزراء » ، وكتاب العبادة ، وكتاب « أدب الكاتب » ، وكتاب « تفضيل السنان » ، وكتاب « الأنواع » ، وكتاب « سؤال وجواب » ، و« كتاب رمضان » ، وكتاب « الشامل فى علم القرآن » ، وكتاب « مناقب على بن الفرات » ، وكتاب « أخبار أبى تمام » ، و كتاب « أخبار الجبائى أبى سعيد » ، وكتاب « العباس بن الأحنف ومختار شعره » ، وكتاب « أخبار أبى عمرو بن العلاء » .

(٢) نسبة إلى دار القطن محلة ببغداد .

(٣) نسبة إلى تنوخ قبائل أقاموا بالبحرين .

قائلا يقول لى : تركت الصلاة فى جامع المدينة ، وإنه ليصلى فيه كل جمعة سبعون وليًا لله عز وجل .

أَنبَأَنَا إِبْرَاهِيم بن مخلد قال أَنْبَأَنَا أَبُو عُمَر مُحَمَّد بن عَبْد الوَاحِد الزاهر قال أَخْبَرَنِى السَّعْدى - يعنى على بن أَحْمَد - عن عَبْد الله الرملى قال : حَدَّثَنِى صديق لى عن صديق له من الصَّالِحين قال : أردت الانتقال من بغداد إلى بلد آخر ، فأريت فى منامى أتنتقل من بلد فيه عشرة آلاف ولى لله عز وجل؟ قال : فجلست ولم أنتقل من بغداد .

أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن عُمَر البرمكى قال أَنْبَأَنَا أَبُو الفَضْل عُبَيْد الله بن عَبْد الرَّحْمَن الزُّهْرى قال قرأت فى كتاب أَبِى حَدَّثَنِى أَبُو بَكْر حمزة قال : كتب إلى صديق لى من حلوان ، إنِّى رأيت فيما يرى النائم كأن ملكين أتيا ببغداد فقال أحدهما للآخر : اقلبها فقد حق القول عليها . فقال له الآخر : كيف أقلبها وقد ختم الليلة فيها خمسة آلاف ختمة؟

قال الشيخ : وعلى ذكر الجمعة ببغداد حَدَّثَنِى أَبُو الحُسَيْن هلال بن المحسن بن إِبْرَاهِيم بن هلال الكَاتِب قال : حَدَّثَنِى وشاح مولى القَاضِى أَبِى تمام الزينبى فى مسجد جامع المَنْصُور يوم الجمعة - وقد تجارينا ذكر من دخل المقصورة وقلة عددهم فيما عهد قديمًا منهم : أنَّ القَاضِى أبا تمام كان يصلى فى أيام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان ، والصفوف مادة من المسجد إلى ذلكَ المكان ، والصلاة قائمة بمكبرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود والنهوض والقعود . قال وقال لى وشاح أيضًا : كان على أبْواب المقصورة بوابون بثياب سواد يمنعون من دخول أحد إليها إلا من كان من الخواص المتميزين بالأقبية السود ، وإنه حضر فى يوم جمعة بدراعة [1] يتبع القَاضِى أبا تمام فرد حتى مضى ولبس القباء ، وكان هذا رسمًا جاريًا مأخوذًا به فى سائر مقاصير الجوامع . وقد بطل الآن ذلكَ فليس يلبس السواد والقباء سوى الخَطِيب والمؤذنين .

---

(١) فى اللسان «الدراعة و المدرع ضرب من الثياب التى تلبس ، وقيل جبة مشقوقة المقدم و المدرعة ضرب آخر ولا تكون إلا من الصوف خاصة فرقوا بين أسماء الدروع و الدراعة و المدرعة لاختلافها فى الصنعة» .

قال لى هلال بن المحسن وحَدَّثَنِى أَبُو الحُسَيْن مُحَمَّد بن الحَسَن بن محفوظ قال : كنت أمضى مع والدى إلى المسجد الجامع بالمدينة لصلاة الجمعة ، فربَّما وصلنا إلى باب خراسان فى دجلة وقد ضاق الوقت وقامت الصلاة وامتدت الصفوف إلى الشاطئ ، فنصعد ونفرش إلى الشميزية ونصلى . قال هلال : وأذكر وأنا أحبو وذاك فى أيام الملك عضد الدولة [1] وقد حملنى خادم كان يلازمنى ويحفظنى فى يوم جمعة لمشاهدة أناس فى اجتماعهم وليصلى هو معهم ، فوقف عند الباب الجديد من شارع الرصافة والصفوف ممتدة فى المسجد الجامع بالرصافة إلى هذا الموقع ، ومسافة ما بينها كمسافة ما بين المسجد الجامع بالمدينة ودجلة .

قرأت على أَبِى بَكْر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن جَعْفَر اليزدى بأصبهان عن أَبِى شيخ عَبْد الله بن مُحَمَّد بن جَعْفَر بن حَيَّان قال حَدَّثَنِى أَبُو الحَسَن البَغْدَادِى قال : قال إِبْرَاهِيم بن عَبْد الله : جئت أنا وأبى إلى أَبِى عُثْمَان الجاحظ [2] فى آخر عمره .

---

(١) أبو شجاع ، فناخسرو ، صاحب العراق وفارس ، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الديلمى . تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة ، ثم كثرت بلاده ، واتسعت ممالكه ، وسار إليه المتنبى ومدحه وأخذ صلاته . قصد عضد الدولة العراق ، والتقى بابن عمه عز الدولة وقتله ، وتملك ، ودانت له الأمم . وله صنف أبو على الفارسى ، كتابى «الإيضاح» و«التكملة» . ومدحه فحول الشعراء ، تملك العراق خمسة أعوام ونصفا ، ومات فى شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة ببغداد ، ودفن بمشهد النجف ، وعاش ثمانيا وأربعين سنة ، وقام بعده ابنه صمصام الدولة .

(٢) ولد سنة ١٥٩ هجرية فى خلافة المهدى ثالث الخلفاء العباسيين ، كان صبيًا يبيع الخبز والسمك فى سوق البصرة ، ثم بدأ يأخذ العلم على أعلامه . . فأخذ علم اللغة العربية وآدابها عن الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد الأنصارى ، ودرس النحو على الأخفش ، وتبحر فى علم الكلام على يد إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصرى . . وكان يذهب إلى مربد البصرة فيأخذ اللغة مشافهة من الأعراب ، ويناقش حنين بن إسحاق وسلمويه فيتعرَّف على الثقافة اليونانية ، ويقرأ ابن المقفع فيتصل بالثقافة الفارسية ، ثم لا يكتفى بكل ذلك ، بل يستأجر دكاكين الوارقين ويبيت فيها ليقرأ كل ما فيها من كتب مؤلفة ومترجمة ، فيجمع بذلكَ كل الثقافات السائدة فى عصره؛ من عربية وفارسية ويونانية وهندية أيضًا وتعتبر كتبه دائرة معارف لزمانه ، كتب فى كل شىء تقريبًا؛ كتب فى علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة والنساء والسلطان والجند والقضاة والولاة والمعلمين واللصوص والإمامة والحول والعور وصفات الله والقيان والهجاء ومات فى خلافة المهتدى بالله سنة ٢٥٥ هجرية ، فعاصر بذلكَ ١٢ خليفة عباسياً هم : المهدى والهادى والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدى بالله .

فقال : جئت إلى شق مائل ، ولعاب سائل ، الأمصار عشرة ، فالصناعة بالبصرة ، والفصاحة بالكوفة ، والخَيْر ببغداد ، والغدر بالرى ، والحسد بهراة ، والجفاء بنيسَابُور ، والبخل بمرو ، والطرمذة بسمرقند ، والمروءة ببلخ ، والتجارة بمصر .

حَدَّثَنِى عَبْد العَزيز بن على قال سَمِعْت على بن عَبْد الله الهمدانى بمكة يقول نبَّأنا على بن مُحَمَّد الفانى الوَرَّاق قال حَدَّثَنِى أَبُو الحُسَيْن المَالِكِى قال حَدَّثَنِى عُبَيْد الله بن مُحَمَّد التَّمِيمِى قال : سَمِعْت ذا النون [1] يقول بمصر : من أراد أنْ يتعلم المروءة والظرف فعليه بسُقاة الماء ببغداد . قيل له : وكيف ذاك؟ فقال : لما حُمِلت إلى بغداد رُمى بى على باب السلطان مقيدًا ، فمر بى رجل متزر بمنديل مصرى ، معتم بمنديل ديبقى ، بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط . فسألت : هذا ساقى السلطان؟ فقيل لى : لا هذا ساقى العامة ، فأومأت إليه : اسقنى ، فتقدم وسقانى فشممت من الكوز رائحة مسك ، فقلت لمن معى : ادفع إليه دِينَارًا فأعطاه الدِينَار فأبى . وقال : ليس آخذ شيئًا . فقلت له : ولم؟ فقال : أنت أسير وليس من المروءة أنْ آخذ منك شيئًا . فقلت : كمل الظرف فى هذا .

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمَن بن عثمان الدمشقى فى كتابه إلينا قال : أَنْبَأَنَا أَبُو الميمون عَبْد الرَّحْمَن بن عَبْد الله بن عُمَر البَجَلِى قال نبَّأنا أَبُو زرعة عَبْد الرَّحْمَن ابن عَمْرو النَّصْرى قال حدثنا أَبُو مسهر قال حدثنا سَعِيد بن عَبْد العَزِيز عن سُلَيْمَان ابن مُوسَى قال : إذا كان علم الرجل حجازيًا ، وخلقه عراقيًا ، وطاعته شامية ، فقد كمل .

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم الأَزْهَرِى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُوسَى . وأَخْبَرَنَا الحَسَن بن على الجَوْهَرِى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن العَبَّاس قالا : قال أَبُو الحُسَيْن أَحْمَد ابن جَعْفَر بن المنادى : ثم إنَّ بغداد سُميت حين سكنت مدينة السَّلاَم ، فليس فى الأرض مدينة على هذا الاسم غيرها ، وكان بعض إخواننا إذا ذكرها يقرأ قول الله : ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سورة سبأ : ١٥] .

---

(١) هو أبو الفيض ذو النون ثوبان بن إبراهيم كان أبوه من النوبة بجنوب مصر . وكان متصوفًا وله أثر فى الصنعة وكتب مصنفة فمن كتبه كتاب (الركن الأكبر) وكتاب (الثقة فى الصنعة) توفى عام ٢٤٥هـ . راجع الفهرست لابن النديم ج ١ ص ٥٠٣ . وراجع الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ٦٠ وما بعدها .

قال أَبُو الحُسَيْن : هذا إلى تركنا ذكر أشياء كثيرة من مناقبها التى أفردها الله بها دون سائر الدُّنْيَا شرقًا وغربًا ، وبين ذلكَ من الأخلاق الكريمة ، والسجايا المرضية ، والمياه العذبة الغدقة ، والفواكه الكثيرة الدمثة ، والأحوال الجميلة ، والحذق فى كل صنعة ، والجمع لكل حاجة ، والأمن من ظهور البدع ، والاغتباط بكثرة العلماء والمتعلمين ، والفقهاء والمتفقهين ، ورؤساء المتكلمين ، وسادة الحسّاب والنَّحْويّة ، ومجيدى الشعراء ، ورواة الأخبار والأَنْساب وفنون الآداب ، وحضور كل طرفة ، واجتماع ثمار الأزمنة فى زمن واحد؛ لا يوجد ذلكَ فى بلد من مدن الدُّنْيَا إلا بها ، سيما زمن الخريف ، ثم إن ضاق مسكن بساكن وجد خَيْرًا منه ، وإن لاح له مكان أحب إليه من مكانه لم تعذر عليه النقلة إليه من أى جانب من جانبيه أراده ومن أى طرف من أطرافه خف عليه ، ومتى هرب أحد من خصمه وجد من يستره فى قرب أو بعد ، وإن آثر أنْ يستبدل دارًا بدار أو سكة بسكة أو شارعًا بشارع أو زقاقًا بزقاق فغير ذلكَ من التبديل اتسع له الإمكان فى ذلكَ حسب الحالة والوقت ، ثم عيون التجار المجهزين ، والسلاطين المعظمين؛ وأهل البيوتات المبجلين؛ فى ناحية ناحية ، تنبعث الخَيْرات بهم إلى الذين هم فى الحال دونهم غير منقطع ذلكَ ولا مفقود ، فهى من خزائن الله العظام التى لا يقف على حقيقتها إلا هو وحده . ثم هى مع ذلكَ مَنْصُورة محبورة ، كلما ظن عدوّ الإسلام أَنَّه فائز باستئصال أهلها كبته الله وكبه لمنخريه واستؤصلت قدرته بما ليس فى تقدير الخلق أجمَعِين ، فضلا من الله ونعمة ، والله ذو الفَضْل العظيم .

أَخْبَرَنِى أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يَعْقُوب الكَاتِب قال حَدَّثَنِى جدى مُحَمَّد ابن عُبَيْد الله بن الفَضْل بن نفرْجل قال نبَّأنا مُحَمَّد بن يَحْيَى النديم قال نبَّأنا عون بن مُحَمَّد قال نبَّأنا سَعِيد بن هرثم قال : قالت زبيدة لمَنْصُور النمرى [1] : قل شعرًا

(١) هو منصور بن سلمة بن الزبرقان النمرى . ذكر ياقوت : أنّه كان من أهل رأس العين ، كنيته أبو الفضل . نادم هارون الرشيد فترة ، ثم قتله الرشيد لما تبين ولاءه للعلويين ومناصرته لهم فى شعره ، وذلكَ عام (١٩٠ هـ) . ولأبى المفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور المروذى البغدادى ( ٢٠٤ - ٢٨٠ ) مختارات من شعره بعنوان : « اختيار شعر منصور النمرى » . راجع أعلام الزركلى ٧ : ٢٩٩ .

تحبب فيه بغداد إلى أمير المؤمنين الرشيد ، فقد اختار عليها الرافقة [(١)] فقال :

ماذا ببغداد من طيب الأفانين ومن منازه للدنيا وللدين
تحيي الرياح بها المرضى إذا نسمت وجوشت بين أغصان الرياحين

قال : فأعطته ألفى دِينَار .

أنشدنا أَبُو بَكْر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن غالب البُرْقَانِي قال أنشدنا أَبُو نَصْر الشاشى لأبى قاسم الشَّاعِر الوَرَّاق :

أعاينت فى طول من الأرض والعرض كبغداد دارًا إنها جنة الأرض
صفا العيش فى بغداد واخضر عوده وعود سواه غير صافٍ ولا غض
تطول بها الأعمار إنَّ غذاءها مريءٌ وبعض الأرض أمرأ من بعض

هذا القدر أنشدنا البُرْقَانِي من هذه الأبيات ، وهى أكثر من هذه وقائلها عمارة بن عقيل ولها خبر سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

أنشدنا القَاضِى أَبُو القَاسِم على بن المحسن التَّنُوخِى قال أنشدنا أَبُو على الهايم قال : أنشدنا السرى بن أَحْمَد الرفا المَوْصِلِى لنفسه من أبيات :

إذا سقى الله منزلا فسقى بغداد ما حاولت من الديم
يا حبذا صحبة العلوم بها والعيش بين اليسار والعدم

---

(١) فى معجم البلدان « بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع ، . . وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل ، وهى على هيئة مدينة السلام ولها ربض بينها وبين الرقة وبه أسواقها ، وقد خرب بعض أسوار الرقة ، . . هكذا كانت أولا فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة وهى من أعمال الجزيرة مدينة كبيرة كثيرة الخير ، قال أحمد بن يحيى : لم يكن للرافقة أثر قديم إنَّما بناها المنصور فى سنة ٥٥١ على بناء مدينة بغداد ورتب بها جندًا من أهل خراسان وجرى ذلكَ على يد المهدى وهو ولى عهده ثم إن الرشيد بنى قصورها وكان فيما بين الرقة والرافقة فضاء وأرض مزارع ، فلما قام على بن سليمان بن على واليا على الجزيرة نقل أسواق الرقة إلى تلك الأرض وكان سوق الرقة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق فلما قدم الرشيد الرقة استزاد فى تلك الأسواق وكان يأتيها ويقيم بها فعمرت مدة طويلة » .

وأنشدنا التَّنُوخِى قال أنشدنا أَبُو سَعْد مُحَمَّد بن على بن مُحَمَّد بن خَلَف الهمدانى لنفسه :

فدًى لك يا بغداد كل قبيلة   من الأرض حتى خطتى وديارِيا
فقد طفت فى شرق البلاد وغربها   وسيرت رحلى بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلا   ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرقَّ شمائلا   وكم قائل لو كان ودك صادقا
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم   لبغداد لم ترحل فكان جوابيا
وأعذب ألفاظا وأحلى معانيا   وترمى النوى بالمقترين المراميا

قرأت فى كتاب طَاهِر بن المظفر بن طَاهِر الخازن بخطه من شعره :

سقى الله صوب الغاديات محلَّةً   ببغداد بين الكرخ فالخُلْد فالجسر
هى البلدة الحسناء خصَّت لأهلها   بأشياء لم يُجمعن مذ كنَّ فى مصر
هواء رقيق فى اعتدال وصحةٍ   وماءٌ له طعم ألذّ من الخمر
ودجلتها شطان قد نظِّما لنا   بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر
تراها كمسك والمياه كفضة   وحصباؤُها مثل اليواقيت والدر

حَدَّثنَا القَاضِى أَبُو الحَسَن على بن مُحَمَّد بن حَبِيب الشَّافِعِى البَصْرِى قال أنشد أَبُو مُحَمَّد بن عبد الباقى قول الشَّاعِر :

دخلنا كارهين لها فلما   ألفناها خرجنا مكرهينا

فقال : يوشك أنْ يكون هذا فى بغداد ، وأنشد لنفسه فى معنى ذلكَ وضمنه البيت :

على بغداد معدن كل طيب   ومغنى نزهة المتنزهينا
سلام كلما جرحت بلحظ   عيون المشتهين المشتهينا
دخلنا كارهين لها فلما   ألفناها خرجنا مكرهينا
وما حب الديار بنا ولكن   أمر العيش فرقة من هَوينا

وحَدَّثنَا على بن مُحَمَّد بن حَبِيب قال : كتب إلى أخى من بغداد وأنا بالبصرة شعرًا يتشوقنى فيه يقول :

ولولا وجد مشتاق يقاسى فيكم جُهدًا
وما بالقلب من نار إذا ما ذكركم جدًا
لقلنا قول مشتاق إلى البصرة قد جَدًّا
شربنا ماء بغداد فأنسانا كمُ جِدا
ولكن ذكركم أضحى على الأيام مشتدا
فلا ننسى لكم ذكرًا ولا نطوى لكم عهدا

قال : وكتب إلى أخى أيضًا من البصرة وأنا ببغداد :

طيب الهواء ببغداد يشوقنى قدما إليها وإن عاقت معاذير
فكيف صبرى عنها الآن إذْ جمعتْ طيب الهواءين ممدود ومقصور

## ذكر نهرى بغداد دجلة والفرات
## وما جعل الله فيهما من المنافع والبركات

أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُوسَى بن هارون بن الصلت الأَهْوَازِى قال أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بن مخلد العَطَّار قال قرأت على العَبَّاس بن يَزِيد البَحْرانى قلت حَدَّثَكم مَرْوَان بن معاوية عن إِدْرِيس الأودى عن أبيه عن أَبِى هُرَيْرَة أَنَّ النبى - ﷺ - قال : [نهران من الجنة النيل والفرات] [(١)] .

---

(١) ورد فى صحيح مسلم فى باب الجنة وصفة نعيمها : «حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَعَلِى بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ ابْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ» . كما ورد فى مسند الإمام أحمد : «حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ» وورد فى مسند الإمام رواية أخرى هى : «حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ قَالاَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ =

أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن مُحَمَّد بن عُمَر بن عِيسَى البَلَدِى قال حدثنا أَبُو العَبَّاس عَمْرو ابن هشام بن عَمْرو قال : قرئ على الحَارِث بن مُحَمَّد القنطرى حَدَّثَكم يَزِيد بن هارون وأَخْبَرَنَا أَبُو الفَتْح مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِى الفوارس الحَافِظ ، وأَبُو بَكْر مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يُوسُف الصياد أَبُو القَاسِم طلحة بن على بن الصَّقْر الكتانى قالوا : أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن يُوسُف بن خلاد العَطَّار قال حدثنا الحَارِث بن مُحَمَّد قال حدثنا يَزِيد بن هارون قال أنبأ مُحَمَّد بن عَمْرو عن أَبِى سَلَمَة عن أَبِى هُرَيْرَة عن رسول الله - ﷺ - قال : [فجرت أربعة أنهار من الجنة : الفرات والنيل وسيحان وجيحان] (١) .

أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِب مُحَمَّد بن على بن إِبْرَاهِيم البيضاوى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن العَبَّاس الخَزَّاز قال أَنْبَأَنَا ابن المجدر قال حدثنا دَاوُد بن رشيد قال حدثنا عَبْد الله بن جَعْفَر أَنْبَأَنَا عُبَيْد الله بن عُمَر عن حَبِيب بن عَبْد الرَّحْمَن عن حَفْص بن عاصم عن أَبِى هُرَيْرَة قال قال رسول الله - ﷺ : [النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان من أنهار الجنة] . أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيم بن عَبْد الوَاحِد بن مُحَمَّد بن الحباب الدلال قال أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن عَبْد الله بن إِبْرَاهِيم الشَّافِعِى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن برد قال نبَّأنا مُحَمَّد بن عِيسَى بن الطباع .

وأَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُور مُحَمَّد بن عِيسَى بن عَبْد العَزِيز البَزَّار بهمذان - واللفظ له - قال حدثنا أَبُو العَبَّاس أَحْمَد بن مُحَمَّد بن الحُسَيْن الرَّازِى قال حدثنا أَبُو بَكْر عَبْد الله ابن مُحَمَّد بن طرخان البَلْخِى قال حدثنا أحيد بن الحُسَيْن قرأت عليه أَنَّ مُحَمَّد بن حَفْص حَدَّثَهم قال نبَّأنا الرَّبِيع بن بَدْر عن الأَعْمَش عن شقيق عن عَبْد الله بن مَسْعُود قال قال رسول الله - ﷺ : [ينزل فى الفُرات كل يوم مثاقيل من بركة الجنة] (٢) .

أَخْبَرَنَا القَاضِى أَبُو عُمَر القَاسِم بن جَعْفَر بن عَبْد الوَاحِد الهَاشِمِى بالبصرة قال

---

= سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ وَكُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ قَالَ أَبُو أُسَامَةَ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ » . أما الحديث الذى ذكره ابن الخطيب فقد رواه الشيرازى فى « الألقاب » بإسناد حسن . راجع الجامع الصغير للسيوطى ج٢ ص ١٨٨ .

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس بدون ذكر « ودجلة » . راجع كتاب « كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » للعجلونى . ج٢ ص ٣٢٩ .

(٢) لم أعثر على مثل هذا الحديث فى الكتب التسعة . وقد ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالضعف .

حدثنا عَبْد الرَّحْمَن بن أَحْمَد الختلى قال حَدَّثَنِى عَبْد الله بن مُحَمَّد بن على البَلْخِى قال حدثنا مُحَمَّد بن أَبَان قال : حدثنا أَبُو معاوية عن الحَسَن بن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن أبى هُرَيْرَة قال قال رسول الله - ﷺ : [وليس فى الأرض جنة إلا ثلاثة أشياء : غرس العجوة ، وأواق تنزل فى الفرات كل يوم من بركة الجنة ، والحجر] (١) .

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم على بن مُحَمَّد بن على بن يَعْقُوب الإِيَادِى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن يُوسُف بن خلاد قال حدثنا الحَارِث بن مُحَمَّد قال حدثنا سَعِيد بن شرحبيل عن ليث عن يَزِيد بن أَبِى حَبِيب عن أَبِى الخَيْر قال قال كعب : [نهر النيل نهر العسل فى الجنة ، ونهر دِجلة نهر اللبن فى الجنة ، ونهر الفُرات نهر الخمر فى الجنة ، ونهر سَيْحان نهر الماء فى الجنة . قال : فأطفأ الله نورهن ليصيرهن إلى الجنة] (٢) .

أَخْبَرَنَا الحَسَن بن أَبِى بَكْر قال أَنْبَأَنَا أَبُو على عِيسَى بن مُحَمَّد الطوماري قال حدثنا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن البراء قال حدثنا عَبْد المنعم بن إِدْرِيس قال حَدَّثَنِى أَبِى قال : ذكر وهب بن منبه (٣) أَنَّ فى رَبَض الجنة ترًا من أنهار الجنة؛ فهو أصل أنهار الأرض كلها التى أظهرها الله تعالى حيث ما أراد أنْ يظهرها ، وأن النيل نهر العسل فى الجنة ، ودجلة نهر اللبن فى الجنة ، والفُرات نهر الخمر فى الجنة ، وسيحان وجيحان نهران بأرض الهند ، وهما نهرا الماء فى الجنة .

أَنْبَأَنَا على بن مُحَمَّد بن عَبْد الله المُعَدَّل قال أَنْبَأَنَا عُثْمَان بن أَحْمَد الدَّقَّاق قال نبَّأنا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن البراء قال نبَّأنا الفَضْل بن غانم قال نبَّأنا الهَيْثَم بن عدى عن

---

(١) لم أعثر على مثل هذا الحديث وإن كانت هناك أحاديث تتحدث عن طعام العجوة ، إلا إنها لم يذكر فيها الفرات . والحديث بهذه الرواية مما تفرد به ابن الخطيب . وقد نصت لجنة تحقيق « جمع الجوامع » المنبثقة عن مجمع البحوث الإسلامية بضعف ما تفرد به ابن الخطيب .

(٢) لم أعثر على مثل هذ الحديث .

(٣) هو وهب بن منبه اليمنى ولد فى خلافة عثمان عام ٣٤هـ ، وأخذ العلم على يد ابن عباس وأبى هريرة والنعمان بن بشير ، والأحاديث التى تروى عنه قليلة ، وإنَّما غزارة علمه فى الإسرائيليات ، وتروى عنه كثير من أخبار العرب القدماء وأساطيرهم ، وقد نادم معاوية بن أبى سفيان وقص عليه الأحاديث المجموعة باسم « التيجان فى ملوك حمير » . وقد اختلف المؤرخون فى عام وفاته فقيل عام ١١٠ ، و١١٣ ، و١١٤هـ .

الكلبى عن أَبِى صَالِح عن ابن عَبَّاس قال : [أوحى الله تعالى إلى دانيال الأكبر : أنْ فجر لعبادى نهرين ، واجعل مفيضهما البَحْر ، فقد أمرت الأرض أنْ تطيعك] . قال : فأخذ قناة أو قصبة فجعل يخدها فى الأرض ويتبعه الماء ، فإذا مر بأرض شيخ كبير أو يتيم ناشده الله فيحيد عن أرضه ، فعواقيل دجلة والفرات من ذلك .

أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حمّاد الوَاعِظ مولى بنى هاشم قال نبَّأنا أَبُو على إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد الصَّفَّار إملاء قال حَدَّثَنِى أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن إِدْرِيس الشعرانى قال حدثنا مُوسَى بن إِبْرَاهِيم الأَنْصَارِى عن إِسْمَاعِيل بن جَعْفَر المدنى عن عُثْمَان بن عطاء عن أبيه قال : أوحى الله تعالى إلى دانيال : [أن احفر لى سيبين نهرين بالعراق] . قال دانيال : إلهى بأى مكاتل؟ وبأى مساحى؟ وبأى رجال؟ وبأى قوة؟ أحفر لك هذين النهرين ، فأوحى الله تعالى أنْ أعدّ سكة حديد وعرّضها واجعلها فى خشبة وألقها فوق ظهرك ؛ فإنِّى باعث إليك الملائكة يعينونك على حفر هذين السيبين] . قال : ففعل . فحفرَ فكان إذا انتهى إلى أرض أرملة أو يتيم حاد عنه ، حتى حفر الدجلة والفرات ، فهذه العواقيل التى فى دجلة والفرات من حفر دانيال .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : ذكر بعض مَنْ تقدم من العلماء بأخبار الأوائل ، أنَّ ملك الأردوان [(١)] - وهم النبط - كان فى السواد قبل ملك الفرس ، وإن النبط هم الذين استنبطوا الأرض وعَمَّروا السواد وحفروا الأنهار العظام فيه . ويُقال لهم : ملوك الطوائف .

وحكى الهَيْثَم بن عدى عن عَبْد الله بن عياش المنتوف قال : كان حد مُلْك النبط الأنبار إلى عانات كسكر [(٢)] ، إلى ما والاها من كور دجلة إلى جُوخى وما حول ذلكَ من السواد .

قال ابن عياش : وكانت سُرّة الدُّنْيَا فى أيدى النَّبَط ، واعتبر ذلكَ أنّ الفرات

---

(١) ورد فى معجم البلدان « وفى بعض أخبار أهل السير سار أردشير إلى الأردوان ملك النبط ، وقد اختلفوا عليه وشاغبه ملك من ملوك النبط يُقال له « بابا » فاستعان كل واحد منهما بمن يليه من العرب ليقاتل بهم الآخر فبنى الأردوان حيرا فأنزله من أعانه من العرب فسمى ذلكَ الحير الحيرة » راجع ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٢) المنطقة التى بنيت بها مدينة واسط .

ودجلة ينصبان من الشام والجزيرة ، ولا ينتفع بهما حتى يأتيا بلادهم فيفجرونهما فى كل موضع ، ثم يسوقون بقيتهما إلى البَحْر . قال : وكان ملكهم ألف سنة ، وإنَّما سموا نبطًا لأنَّهم أنبطوا الأرض وحفروا الأنهار العظام . منها الصراة العظمى ، ونهر أبًا ، ونهر سورا ، ونهر الملك ، حفر الصراة العظمى فيروز حشنش ، وحفر نهر أبًا أبا ابن الصامغان ، وحفر نهر الملك أفقورشة ، وكان آخر ملوك النبط ، ملك مائتى سنة . قال : ثم وليّت فارس فحفروا الأنهار الصغار ، كوثا والصراة الصغرى التى عليها قصر ابن هبيرة [١] وكل سيب [٢] بالعراق ، ثم حفروا النهروان . قال : وكان يُقال له نهرواى لأنَّه إذا قل ماؤه عطش أهله ، وإذا كثر ماؤه غرقوا .

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم الحَسَن بن الحَسَن بن على بن المنذر القَاضِى وأَبُو القَاسِم على بن مُحَمَّد بن على بن يَعْقُوب الإِيَادِى وأَبُو على الحَسَن بن أَحْمَد وإِبْرَاهِيم بن شاذان البَزَّار . قال الإِيَادِى : حَدَّثنَا . وقالا : أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن عَبْد الله بن إِبْرَاهِيم الشَّافِعِى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل السلمى قال نبَّأنا سَعِيد بن سابق - زاد بن المنذر وابن شاذان - أَبُو عُثْمَان من أهل رشيد . ثم اتفقوا . قال : حَدَّثَنِى مسْلَمَة بن على عن مُقَاتِل بن حِبَّان عن عكرمة عن ابن عَبَّاس عن النبى - ﷺ - قال : [أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار ، سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل ، فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض وجعل فيها منَافِع للناس فى أصناف معايشهم ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المؤمنون

---

ين الخلافة ، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم ، الشيبانى الدورى العراقى الحنبلى ، مولده بقرية بنى أوقر من الدور أحد أعمال العراق فى سنة تسع وتسعين وأربع مائة . أمضه الفقر ، فتعرض للكتابة ، وصار مشرف الخزانة ، ثم ولى ديوان الزمام للمقتفى لأمر الله ، ثم وزر له فى سنة ٥٤٤ ، واستمر ووزر من بعده لابنه المستنجد .

وفى ليلة ثالث عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمس مائة استيقظ وقت السحر ، فقَاءَ ، فحضر طبيبه ابن رشادة ، فسقاه شيئا ، فيُقال : إنه سمَّه ، فمات ، وسُقى الطبيب بعده بنصف سنة سمًّا ، فكان يقول : سَقَيْتُ فَسُقِيت ، فمات .

(٢) المنطقة التى بنيت بها مدينة واسط .

١٨]. فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج : أرسل الله تعالى جبريل فرفع من الأرض القرآن - زاد ابن المنذر وابن شاذان - والعلم كله . ثم اتفقوا : والحجر من ركن البيت ، ومقام إِبْرَاهِيم ، وتابوت مُوسَى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة ، فيرفع كل ذلكَ إلى السماء . فذلكَ قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون ١٨] . فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فَقَدَ أهلها خَيْر الدين وخَيْر الدُّنْيَا . وقال الإِيَادِي : خَيْر الدُّنْيَا والآخرة] (١) .

## باب تعريب اسم بغداد

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر الكُوفِي النَّحْوى قال حدثنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال حدثنا مُحَمَّد بن خَلَف قال حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن أَبِي على عن مُحَمَّد بن أَبِي السرى عن ابن الكلبى (٢) قال : إنَّما سميت بغداد بالفرس لأنَّه أهدى لكسرى خصى من المشرق فأقطعه بغداد ، وكان لهم صنم يعَبْدونه بالمشرق يُقال له : البغ فقال : بغ داد . يقول : أعطانى الصنم . والفقهاء يكرهون هذا الاسم من أجل هذا ، وسماها أَبُو جَعْفَر مدينة السَّلاَم لأن دجلة كان يُقال لها وادى السَّلاَم .

أَخْبَرَنِي الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُوسَى وأَخْبَرَنَا الجَوْهَرى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن العَبَّاس قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن جَعْفَر بن المنادى . قال : حَدَّثَنِي أَبُو مُوسَى هَارُون بن على بن الحَكَم المُقْرِئ المعروف بالمزوق قال نبَّأنا إِبْرَاهِيم بن سَعِيد الجَوْهَرى قال نبَّأنا دَاوُد بن مَنْصُور قاضى المصيصة (٣) : أنَّ رجلا ذكر عند

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث فى كتب الحديث التسعة .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى الكوفى . وله العديد من المصنفات حتى قيل بلغت مصنفاته ١٥٠ مصنفا منها : « الأصنام » ، و« حلف الفضول » ، و« المنافرات » ، و« الكنى » . وتوفى عام ٢٠٤ على الأرجح وقيل ٢٠٦ .

(٣) فى معجم البلدان : « المصيصة بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى كذا ضبطه الأزهرى وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى هذا لفظه وتفرد الجوهرى وخالد الفارابى بأن قالا المصيصة بتخفيف الصادين والأول أصح . . . وهى مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس » .

عَبْد العَزِيز بن أَبِى روَّاد بغداد ، فسأله عن معنى هذا الاسم . فقال : بغ بالفَارِسِيَّة صنم وداد عطيته .

أَخْبَرَنَا عَبْد الله بن على بن حمويه الهمذانى بها قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن عَبْد الرَّحْمَن الشِّيرَازِى قال أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن بن عتيك قال نبَّأنا يَحْيَى بن ساسويه قال نبَّأنا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حُمَيْد بن سُلَيْمَان بن حَفْص بن عَبْد الله بن أَبِى جهم بن حُذَيْفَة العدوى المدنى قال حَدَّثَنِى أسمر بن سورة المجاشعى الدارمى من أهل فارس قال حَدَّثَنِى كرمانى بن عَمْرو الأَزْدِى أخو معاوية بن عَمْرو صاحب زايدة قال سَمِعْت عَبْد الله بن المُبَارَك يقول : لا يُقال بغداذ بالذال فإن . بغ شيطان وداذ عطيته ، وإنها شرك . ولكن تقول بغداد؛ وبغدان كما تقول العرب .

أَخْبَرَنَا ابن أَبِى على المُعَدَّل قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحِيم المازنى قال أَنْبَأَنَا عُبَيْد الله بن أَحْمَد بن بكير التَّمِيمِى قال أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن مُسْلِم بن قتيبة [1] قال : كان الأصمعى [2] لا يقول بغداذ؛ وينهى عن ذاك ويقول مدينة السَّلاَم ، لأَنَّه سمع فى الحديث أنَّ بغ صنم وداذ عطيته بالفَارِسِيَّة كأنها عَطِيَّة الصنم .

أَخْبَرَنَا أَبُو الحُسَيْن مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن الفَضْل القَطَّان قال نبَّأنا أَبُو سَهْل أَحْمَد ابن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن زياد قال : قال المبرد : [3] قال الثورى عن أَبِى عُبَيْدة وأبى زَيْد وأشك فى الأصمعى يُقال : بغداذ ، وبغداد ، ومغدان ، وبغدان .

أَخْبَرَنَا الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُوسَى وأَخْبَرَنَا الجَوْهَرى قال أَنْبَأَنَا

---

(١) هو أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، وقيل : المروزى ، الكاتب ، صاحب التصانيف . نزل بغداد ، إسحاق بن راهويه ، ومحمد بن زياد بن عبيد الله الزيادى ، وزياد بن يحيى الحسانى ومن كتبه : «غريب القرآن» ، و«غريب الحديث» ، و«أدب الكاتب» ، و«عيون الأخبار» ، «والشعر والشعراء» وغيرها .

(٢) الإمام العلامة الحافظ أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع ، ولد بعد عام مائة وعشرون ، سمع منه الإمام مالك بن أنس ، وأثنى عليه الإمامان أحمد بن حنبل والشافعى ، توفى ٢١٥ ، وقيل ٢١٦ .

(٣) هو أبو العباس ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى ، البصرى ، النحوى ، الأخبارى ، صاحب «الكامل» . أخذ عن : أبى عثمان المازنى ، وأبى حاتم السجستانى . وعنه : أبو بكر الخرائطى ، ونفطويه ، وأبو سهل القطان ، وإسماعيل الصفار ، والصولى ، وغيرهم توفى ٢٨٦هـ .

مُحَمَّد بن العَبَّاس قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن جَعْفَر بن مُحَمَّد أَبُو الحُسَيْن قال حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بن فرج النَّحوى البَغْدَادِي قال أَنْبَأَنَا سَلَمَة بن عاصم عن أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بن زياد الفراء [1] مولى بنى عبس قال ، يُقال : بغداد بالباء والدال . ويُقال بغدان أيضًا بالباء فى أولها والنون فى آخرها ، ومغدان بالميم أولا وبالنون آخرًا . قال أَبُو الحُسَيْن : وذلكَ كله راجع إلى ما فسره بن أَبِي داود : أنَّه عَطِيَّة الصنم ، وربَّما قيل عَطِيَّة الملك .

أَخْبَرَنَا على بن أَبِي على البَصْرِى قال أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيل بن سَعِيد بن سويد المُعَدَّل قال نبَّأنا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن القَاسِم الأَنْبَارِى . قال وقوله : هذه بغداد أصل هذا الاسم للأعاجم ، والعرب تختلف فى لفظه إذا لم يكن أصله من كلامهم ، ولا اشتقاقه من لغاتها . وبعض الأعاجم يزعم : أنَّ تفسيره بالعربية بستان رجل ، فبغ بستان ، وداذ رجل ، وبعضهم يقول : بغ اسم صنم كان لبعض الفرس يَعْبُده ، وداذ رجل ، ولذلكَ كره جماعة من الفقهاء أنْ تسمَّى هذه المدينة بغداذ لعله اسم الصنم وسميت مدينة السَّلاَم لمقاربتها دجلة . وكانت دجلة تسمَّى قصر السَّلاَم ، فمن العرب من يقول : بغدان بالباء والنون ، وبعضهم يقول : بغداد بالباء والدالين ، وهاتان اللغتان هما السائرتان فى العرب المشهورتان .

أنشدنا أَبُو بَكْر المَخْزُومِى فى مجلس أَبِي العَبَّاس – يعنى ثعلبًا [2] :

قل للشَّمالِ التى هبَّت مُزعزعة ... تذرى مع الليل شفانًا بصرّاد
اقرأ سلامًا على نجدٍ وساكنه ... إن أنجد الناس لم يهمم بإنجاد
سلام مغترب بغداد منزله ... وحاضر باللوى إن كان أو بادى

---

(١) أبو زكريا ، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدى مولاهم الكوفى النجوى ، صاحب الكسائى . يروى عن : قيس بن الربيع ، ومندل بن على ، وأبى الأحوص ، وأبى بكر بن عياش ، وعلى بن حمزة الكسائى وله كتابان : « معانى القرآن » ، و« البهى » ، وقد وكله المأمون فى تأديب ولديه ، وتوفى عام ٢٠٧ فى طريق الحج .

(٢) أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيبانى ، مولاهم البغدادى . ولد سنة مائتين ، وتتلمذ على يد جماعة منهم ابن سلام الجمحى ، وابن المنذر ، وابن الأعرابى ، والزبير بن بكار ، وله من التصانيف : «الفصيح » ، و« اختلاف النحويين » ، و« القراءات » ، وتوفى ٢٩١هـ .

قال أَبُو بَكْر بن الأَنْبَارِى : وأنشدنا أَبُو شعيب قال أنشدنا يَعْقُوب بن السكيت [١] :

لعمرك لولا هاشم ما تفرقت ببغداد فى نوغايه القدمان

قال وقال الآخر :

يا ليلة حرس الدجاج طويلة ببغداد ما كادت عن الصبح تنجلى

قال وقال الآخر :

ألا يا غراب البين مالك واقفا ببغدان لا تجلو وأنت صحيح
فقال غراب البين وانهلّ دمعه نقضى لبانات لنا ونروح
ألا إنَّما بغدان سجن إقالة أراحك من سجن العذاب مريح

قال أَبُو بَكْر وأنشدنى أَبِى قال أنشدنى أَبُو عكرمة :

ترحل فما بغداد دار إقامة ولا عند من أضحى ببغداد طائل
محل ملوك سمنهم فى أديمهم فكُلُّهُمْ من حلية المجد عاطل

زادنى القَاضِى أَبُو الحُسَيْن مُحَمَّد بن على بن مُحَمَّد بن المهتدى بالله ها هنا بيتًا ذكر لى أنَّ أبا الفَضْل مُحَمَّد بن الحَسَن بن المأمون أخبرهم به عن ابن الأَنْبَارِى [٢] هو :

سوى معشر قلوا وُجل قليلهم يضاف إلى بذل الندا وهو باخل

---

(١) هو أبو يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، البغدادى النحوى المؤدب ، مؤلف كتاب « إصلاح المنطق » ، كان حجة فى العربية . أخذ عن : أبى عمرو الشيبانى ، والأصمعى والفراء وأبى عبيدة . روى عنه : أبو عكرمة الضبى ، وأحمد بن فرح المفسر ، توفى ٢٤٤هـ .

(٢) أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنبارى ، المقرئ النحوى . ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين . وله كتاب « الوقف والابتداء » ، وكتاب « المشكل » ، و« غريب الغريب النبوي » ، و« شرح المفضليات » ، و« شرح السبع الطوال » ، وكتاب « الزاهر » ، وكتاب « الكافى » فى النحو ، وكتاب « اللامات » ، وكتاب « شرح الكافى » ، وكتاب « الهاءات » ، وكتاب « الأضداد » ، وكتاب « المذكر والمؤنث » ، وكتاب « رسالة المشكل » يرد على ابن قتيبة ، وأبى حاتم ، وكتاب « الرد على من خالف مصحف عثمان » ، وله أمالى كثيرة . مات سنة أربع وثلاث مائة .

ثم رجعنا إلى رواية ابن سويد :

ولا غرو إن شلّت يد المجد والعلا    وقل سماح من رجال ونائل
إذا غضغض البحر الغطامط ماءه    فليس عجيبًا أنْ تغيض الجداول [١]

أَخْبَرَنَا أَبُو الحُسَيْن على بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن بِشْران قال : أَنْبَأَنَا أَبُو الحُسَيْن إسحاق بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الكاذى الزاهد قال : أنشدنا أَحْمَد بن يَحْيَى - يعنى ثعلبًا :

ترحل فما بغداذ دار إقامة    ولا عند من أضحى ببغداذ طائل

قال الشيخ أَبُو بَكْر : هكذا فى أصل كتابى عن ابن بِشْران بغداذ بالذال المعجمة فى الموضعين ثم ساق بقية الأبيات مثل ما تقدم عن ابن سويد .

أَخْبَرَنَا على بن أَبِى على قال أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيل بن سَعِيد قال نبَّأنا أَبُو بَكْر بن الأَنْبَارِى قال أَخْبَرَنِى أَبِى قال أَنْبَأَنَا الطوسى وابن الحَكَم عن اللحْيانى قال يُقال : بغدان ، ومغدان ، للمجانسة التى بين الباء والميم كما يُقال : باسمك وماسمك ، وعذاب لازم ولازب فى حروف كثيرة ، وبعضهم يقول : بغداذ بالذال وهى أشد اللغات وأقلها .

قال أَبُو بَكْر : وأنشدنى أَبِى قال أنشدنا الطوسى وابن الحَكَم عن اللّحيانى لأعرابى يمدح الكسائى [٢] :

ومالى صديق ناصح أغتدى له    ببغداذ إلا أنت بَرٌّ موافق

---

(١) فى لسان العرب « الغطغطة حكاية صوت القدر فى الغليان وما أشبهها . وقيل : هو اشتداد غليانها وقد غطغطت فهى مغطغطة و الغطغطة يحكى بها ضرب من الصوت . و المغطغطة القدر الشديدة الغليان . وفى حديث جابر وإن برمتنا لتغط أى تغلى ويسمع غطيطها و غطغط البحر غلت أمواجه وغطغط عليه النوم غلب . و الغطمطة اضطراب الأمواج وبحر غطامط و غطومط و غطمطيط عظيم كثير الأمواج منه . و الغطامط بالضم صوت غليان موج البحر وقد قيل إن الميم زائدة قال الكميت :

كأن الغطامط من غليها    أراجيز أسلم تهجو غفارا

وهما قبيلتان كانت بينهما مهاجاة » .

(٢) أبو الحسن على بن حمزة ، بن عبد الله ، بن بهمن ، بن فيروز الأسدى ، مولاهم الكوفى ، =

قال وقال الآخر :

بغداد سقيا لك من بلاد يا دار دَار الأنس والإسعاد
بُدّلتُ منك وحشة البوادى وقطع واد وورود واد

قال أَبُو بَكْر بن الأَنْبَارِى : وبغداد فى جميع اللغات تذكر وتؤنث . فيُقال : هذه بغدان وهذا بغدان .

أَخْبَرَنَا أَبُو الفَتْح مُحَمَّد بن عُبَيْد الله الصَّيْرَفِى قال نبَّأنا عُبَيْد الله بن أَحْمَد بن يَعْقُوب المُقْرِئ قال نبَّأنا أَبُو القَاسِم المظفر بن عاصم بن أَبِى الأغر قال : دخلت إلى بغداد وهى أجمة ليس فيها إلا كوخ واحد وفيه رجل من الأولين ينظر مبقلة له ، فلما أنْ جاء المَنْصُور ووضع الأساس . قال : ما اسم هذا الموضع؟ قالوا : لا ندرى ، ها هنا رجل من الأولين سله ، فبعث إليه فقال له : ما اسمك؟ فقال : اسمى داذ ، فقال له : وما يُقال لهذا الموضع؟ فقال : هذا باغ لى – يعنى البستان . فقال : سموه باغ لداذ ، فسميت بغداذ .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : والمحفوظ أنَّ هذا الاسم كان يُعْرَف به الموضع قديمًا قبل أَبِى جَعْفَر المَنْصُور ، وقول ابن أَبِى الأغر هذا : أَنَّ المَنْصُور هو الذى سمى الموضع بغداذ لم يتابعه عليه أحد ، والله أعلم .

## باب من أخبار أمير لمؤمنين أَبِى جَعْفَر المَنْصُور

أَخْبَرَنَا القَاضِى أَبُو عُمَر القَاسِم بن جَعْفَر بن عَبْد الوَاحِد الهَاشِمِى قال نبَّأنا أَبُو الحَسَن على بن إسحاق بن مُحَمَّد البخترى المادرائى قال نبَّأنا أَبُو قلابة الرقاشى وأَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن على بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن دَاوُد الرَّزَّاز قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن سَلْمَان النَّجَّاد قال أَنْبَأَنَا أَبُو قلابة الرقاشى قراءة عليه قال نبَّأنا أَبُو ربيعة قال نبَّأنا عوانة

---

= الملقب بالكسائى لكساء أحرم فيه . أخذ العلم على يد ابن أبى ليلى ، وعلى حمزة . وحدث عن جعفر الصادق ، والأعمش ، وسليمان بن أرقم وغيرهم ، واختار قراءة للقرآن اشتهرت وصارت إحدى القراءات السبع ، وتوفى بالرى ١٨٩هـ .

(١) لم أعثر على مثل هذا الحديث فى الكتب التسعة .

عن الأَعْمَش عن الضَّحاك عن ابن عَبَّاس قال قال رسول الله - ﷺ : [منا السفاح ، ومنا المَنْصُور ، ومنا المَهْدِىّ] [1] . قال النَّجاد : هكذا قرأه علينا أَبُو قلابة مرفوعًا .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : وكذلكَ رواه يَحْيَى بن غيلان عن أَبِى عوانة أَخْبَرَنَا الحَسَن ابن أَبِى بَكْر قال نبَّأنا أَبُو سَهْل أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن زياد القَطَّان قال : نبَّأنا محمد بن الفَرَج الأَزْرَق قال نبَّأنا يحيى بن غيلان قال نبَّأنا أَبُو عوانة عن الأَعْمَش عن الضَّحاك بن مزاحم عن عَبْد الله بن عَبَّاس عن النبى - ﷺ - قال : [منا السفاح والمَنْصُور والمَهْدِىّ] .

حَدَّثَنِى الحَسَن بن أَبِى طَالِب قال حَدَّثَنَا عُمَر بن أحمد الوَاعِظ قال نبَّأنا عبد الله ابن سُلَيْمَان بن الأشعث ومُحَمَّد بن على بن سَهْل الزعفرانى ومُحَمَّد بن الحُسَيْن بن حُمَيْد بن الرَّبِيع الخَزَّاز .

وأَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن المظفر الحَافِظ قال نبَّأنا أَبُو سَهْل مُحَمَّد بن على الزعفرانى قالوا : نبَّأنا أَحْمَد بن رَاشِد الهلالى قال نبَّأنا سَعِيد بن خيثم عن حَنْظَلَة عن طاووس عن ابن عَبَّاس قال : حَدَّثَتنِى أم الفَضْل بنت الحارث الهلالية ، قالت مررت بالنبى - ﷺ - وهو فى الحجر فقال : [يا أم الفَضْل إنك حامل بغلام] . قالت : يا رسول الله ، كيف وقد تحالف الفريقان أنْ لا يأتوا النساء؟ قال : [هو ما أقول لك ، فإذا وضعتيه فائتينى به] . قالت : فلما وضعته أتيت به رسول الله - ﷺ ، فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى . وقال : [اذهبى بأبى الخلفاء] . قالت : فأتيت العَبَّاس فأعلمته فكان رجلا جميلا لبَّاسًا فأتى النبى -ﷺ- فلما رآه رسول الله - ﷺ - ، قام إليه فقبل بين عينيه ثم أقعده عن يمينه . ثم قال : [هذا عمى فمن شاء فليباه بعمه] قال : يا رسول الله بعض هذا القول . فقال : [يا عَبَّاس لم لا أقول هذا القول؟ وأنت عمى وصنو أَبِى وخَيْر من أخلف بعدى من أهلى] . فقلت : يا رسول الله ما شىء أخبرتنى به أم الفَضْل عن مولودنا هذا؟ قال :

---

(١) لم أعثر هلى هذا الحديث أيضا . وقد ذكر الإمام ابن القيم فى « المنار المنيف » ما نصه : «كل حديث ورد فيه ذكر إذا كانت سنة كذا وكذا فهو كذب» . راجع الكتاب ص ١٦٣ .

[نعم! يا عَبَّاس ، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهى لك ولولدك ؛ منهم السفاح ، ومنهم المَنْصُور ، ومنهم المَهْدِىّ] - لفظ حديث الحَسَن .

أَخْبَرَنَا أَبُو نعيم أَحْمَد بن عَبْد الله الحَافِظ قال نبَّأنا سُلَيْمَان بن أَحْمَد الطبرانى قال نبَّأنا أَبُو زَيْد عَبْد الرَّحْمَن بن حَاتِم المرادى قال نبَّأنا نعيم بن حَمَّاد قال نبَّأنا الوَلِيد بن مُسْلِم عن شيخ عن يَزِيد بن الوَلِيد الخُزَاعِى عن كعب . قال : المَنْصُور والمَهْدِى والسفاح من ولد العَبَّاس .

أَخْبَرَنِى على بن أَحْمَد الرَّزَّاز قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن سَلْمَان الفَقِيه قال نبَّأنا أَبُو قلابة الرقاشى قال نبَّأنا على بن الجعد قال أَنْبَأَنَا زُهَيْر بن معاوية عن ميسرة - يعنى ابن حَبِيب - عن المنهال بن عَمْرو عن سَعِيد بن جبير . قال : كُنَّا عند ابن عَبَّاس فذكرنا المَهْدِى وكان مضجعًا ، فاستوى جالسًا فقال : منا السفاح ، ومنا المَنْصُور ، ومنا المَهْدِى .

أَخْبَرَنَا القَاضِى أَبُو العَلاَء مُحَمَّد بن على بن يَعْقُوب الوَاسِطى قال نبَّأنا أَبُو الحُسَيْن على بن عُمَر بن أَحْمَد الحَافِظ قال نبَّأنا أَبُو إسحاق إِبْرَاهِيم بن عَبْد الصَّمَد بن مُوسَى الهَاشِمِى قال حَدَّثَنِى أَبِى عَبْد الصَّمَد قال حَدَّثَنِى أَبِى مُوسَى بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الإمام عن أبيه مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم . قال : قال المَنْصُور يوما ونحن جلوس عنده : أتذكرون رؤيا كنت رأيتها ونحن بالشراة (١) . فقالوا : يا أمير المؤمنين ما نذكرها . فغضب من ذلك . وقال : كان ينبغى لكم أنْ تثبتوها فى ألواح الذهب وتعلقوها فى أعناق الصبيان . فقال عِيسَى بن على : إن كُنَّا قصرنا فى ذلكَ فنستغفر الله يا أمير المؤمنين ، فليحَدِّثنَا أمير المؤمنين بها . قال : نعم : رأيت كأنى فى المسجد الحرام ، وكأن رسول الله - ﷺ - فى الكعبة وبابها مفتوح ، والدرجة موضوعة ، وما أفقد أحدًا من الهَاشِمِيّين ولا من القُرَشِيّين ، إذا منادٍ ينادى : أين عَبْد الله ؟ فقام أخى

---

(١) فى معجم ما استعجم « الشراة : أرض من ناحية الشام . وقال حاتم :

إنما بيننا وبينك فاعلم ... سير تسع للراكب المنتاب

وثلاث من الشراة إلى الحـ ... ـلة للخيل جاهدا والركاب

يخاطب بهذا الحارث بن أبى شمر فذكر أنْ بين جبلى طيىء والشراة تسعا وأن من الشراة إلى الحلة بأرض الشام ثلاثا » .

العَبَّاس يتخطى الناس حتى صار على الدرجة ، فأخذ بيده فأدخل البيت فما لبث أنْ خرج علينا ومعه قناة عليها لواء قدر أربع أذرع أو أرجح ، فرجع حتى خرج من باب المسجد . ثم نودى أين عَبْد الله ؟ فقمت أنا وعَبْد الله بن على نستبق حتى صرنا إلى الدرجة فجلس ، وأخذ بيدى فأصعدت فأدخلت الكعبة ، وإذا رسول الله - ﷺ - جالس ومعه أَبُو بَكْر وعمر وبِلاَل . فعقد لى وأوصانى بأمته وعممنى ، فكان كورها ثلاثة وعشرين كورًا . وقال : خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة .

أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن على بن أَحْمَد بن عُمَر المُقْرِئ قال أَنْبَأَنَا على بن أَحْمَد بن أَبِى قَيْس الرفا قال نبَّأنا أَبُو بَكْر عَبْد الله بن مُحَمَّد بن أَبِى الدُّنْيَا قال حَدَّثَنِى مُحَمَّد بن صَالِح قال حَدَّثَنِى أَبُو مَسْعُود الرياحى قال حَدَّثَنِى عُبَيْد الله بن العَبَّاس . قال : ولد أَبُو جَعْفَر سنة خمس وتسعين .

وقال ابن أَبِى الدُّنْيَا : حَدَّثَنِى حَمْدُون بن سَعْد المؤذن . قال : رأيت أبا جَعْفَر يخطب على المنبر معرق الوجه ، يخضب بالسواد ، وكان أسمر طويلا نحيفًا خفيف العارضين ، وأمه أم ولد يُقال لها سلامة أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد ابن مُحَمَّد بن عمران قال أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن يَحْيَى بن عَبْد الله بن العَبَّاس بن مُحَمَّد بن صول الصولى النديم . قال : توفى المَنْصُور بمكة وكان حاجًا فى سنة ثمان وخمسين ومائة ، ودفن بين الحَجون وبئر ميمون بن الحضرمى ، وله يوم توفى أربع وستون سنة .

قال : الصولى : ويروى أنَّه ولد سنة خمس وتسعين فى اليوم الذى مات فيه الحَجَّاج .

حَدَّثَنِى الحَسَن بن مُحَمَّد الخَلاَّل قال حدثنا عُمَر بن مُحَمَّد بن الزَّيَّات إملاءً قال حدثنا عَبْد الله بن مُحَمَّد بن عَبْد العَزِيز وأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بن عَبْد الوَاحِد البَزَّار - واللفظ له - قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن المظفر الحَافِظ قال نبَّأنا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال حدثنا الحَارِث بن مُحَمَّد . قالا نبَّأنا مَنْصُور بن أَبِى مزاحم قال حَدَّثَنِى أَبُو سَهْل الحاسب قال حَدَّثَنِى طيفور مولى أمير المؤمنين . قال : حَدَّثَتنى سلامة أم أمير المؤمنين قالت : لما حملت بأبى جَعْفَر ، رأيت كأنه خرج من فرجى أَسَد فزأر ثم أقعى فاجتمعت حوله الأُسْد ، فكلما انتهى إليه أَسَد سجد له .

أَخْبَرَنَا الحسن بن أَبِى طَالِب قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عروة بن الجَرَّاح قال نبَّأنا أَبُو بَكْر الصولى قال قال رجل من ولد الرَّبِيع : لما أراد أَبُو جَعْفَر أَنْ يبنى لنفسه ، كان يؤتى من كل مدينة بتراب فيعفنه فيصير عقارب وهوامَّ ، حتى أتى بتربة بغداد فخرج صرّارات ، وأتى الخلد فنظر إلى دجلة والفرات فأعجبه ، فرآه راهب كان هناك وهو يقدّر بناءها . فقال : لا تتم؛ فبلغه فأتاه . فقال : نعم ، نجد فى كتبنا أنَّ الذى يبنيها ملك يُقال له مقلاص . قال أَبُو جَعْفَر : كانت والله أمى تلقبنى فى صغرى مقلاصًا .

## باب ذكر خبر بناء مدينة السَّلاَم

أَخْبَرَنَا . على بن أَبِى على المُعَدَّل [التَّنُوخِىّ] قال أَنْبَأَنَا طلحة بن مُحَمَّد بن جَعْفَر قال أَخْبَرَنِى مُحَمَّد بن جَرِير إجازة : أَنَّ أبا جَعْفَر المَنْصُور بُويع له سنة ست وثلاثين ومائة ، وأنه ابتدأ أساس المدينة سنة خمس وأربعين ومائة ، واستتم البناء سنة ست وأربعين ومائة ، وسماها مدينة السَّلاَم . .

قال الشيخ أَبُو بَكْر [الخَطِيب] وبلغنى أَنَّ المَنْصُور لما عزم على بنائها ، أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين ، فمثَّل لهم صفتها التى فى نفسه ، ثم أحضر الفعلة والصُّنَّاع من النجارين والحَفَّارين والحَدَّادين وغيرهم ، فأجرى عليهم الأرزاق؛ وكتب إلى كل بلد فى حمل مَنْ فيه ممن يفهم شيئًا من أمر البناء ، ولم يبتدئ فى البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهَن والصناعات ألوفٌ كثيرةٌ ، ثم اختطها وجعلها مدوّرةً . ويُقال : لا يُعْرَف فى أقطار الدُّنْيَا كلها مدينة مدورة سواها ، ووضع أساسها فى وقت اختاره له نَوبختُ المُنَجِّم .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر النَّحْوى قال نبَّأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف أنبأنى مُحَمَّد بن مُوسَى القَيْسى عن مُحَمَّد بن مُوسَى الخَوَارِزْمِى الحاسب : أَنَّ أبا جَعْفَر تحول من الهَاشِمِيَّة (١) إلى بغداد ، وأمر ببنائها ثم رجع إلى الكوفة بعد مائة سنة

(١) فى معجم البلدان « الهاشمية : وهى مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح قرب الكوفة =

وأربع وأربعين سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام من الهجرة . قال : وفرغ أَبُو جَعْفَر من بنائها ونزلها مع جنده وسماها مدينة السَّلاَم بعد مائة سنة وخمس وأربعين سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام من الهجرة .

قال مُحَمَّد بن خَلَف قال الخَوَارِزْمِى : واستتم حائط بغداد وجميع عملها بعد مائة سنة وثمان وأربعين سنة وستة أشهر وأربعة أيام من الهجرة .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن الفَضْل القَطَّان قال أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن جَعْفَر بن درستويه النَّحْوى [1] قال نبَّأنا يَعْقُوب بن سُفْيَان قال : سنة ست وأربعين ومائة ، فيها فرغ أَبُو جَعْفَر من بناء مدينة السَّلاَم ونزوله إياها ، ونقل الخزائن وبيوت الأموال والدواوين إليها .

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم بن الحَسَن قال نبَّأنا أَبُو عَبْد الله إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة الأَزْدِى قال : حكى عن بعض المنجمين قال : قال لى المَنْصُور - لما فرغ من مدينة السَّلاَم : خذ الطالع . فنظرت فى طالعها وكان المُشْتَرِى فى القوس ، فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدُّنْيَا إليها ، وفقر الناس إلى ما فيها ، ثم قلت له : وأبشّرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله بخلة أخرى من دلائل النجوم ، لا يموت فيها خليفة من الخلفاء أبدًا : فرأيته تبسم لذلكَ ثم قال : الحمد لله ، ذلكَ فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفَضْل العظيم . فلذلكَ قال عُمارة بن عَقيل بن بِلاَل بن جَرِير ابن الخَطَفِى عند تحوُّل الخلفاء من بغداد :

أعايَنْتَ فى طول منِ الأَرْضِ والعرْضِ كبغدادَ دارًا إنها جنّة الأرض
صفا العيشُ فى بغداد واخضرّ عودُهُ تطول بها الأعمار إنّ غذاءها

---

= وشرع فى عمارتها سنة ٥٤١ ، ونزلها سنة ٩٤١ وكان سبب عمارتها أنْ أهل الكوفة كانوا يفسدون جنده فبلغه ذلكَ من فعلهم فانتقل عنهم » .

(١) أبو محمد ، عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان ، الفارسى النحوى ، تلميذ المبرد . سمع يعقوب الفسوى وسمع ببغداد من عباس بن محمد الدورى ، ويحيى بن أبى طالب ، ومحمد بن قتيبة ، ولد ٢٥٨ ، وله تصانيف مشهورة منها « المذكر والمؤنث » ، و« شرح الفصيح » ، و« غريب الحديث » ، و« أدب الكاتب » ، والمعانى فى القراءات » ، و« المقصور والممدود » ت ٣٤٧هـ .

قضى ربها أنْ لا يموت خليفةٌ     وعيشُ سواها غير صافٍ ولا غضّ

تنام بها عينُ الغريبِ ولن ترى     مرىء وبعض الأرض أمرأ من بعض

فإن خربَتْ بغداد منهم بقرضها     بها إنه ما شاء فى خلقه يقضي

وإن رميت بالهَجْر منهم وبالقلى     غريبًا بأرض الشام يطمع فى غمض

فما أسلَفَتْ إلا الجميل من القرض     فما أصبَحَتْ أهلاً لهجر ولا بغض

وقد رويت هذه الأبيات لمَنْصُور النمرى ، والله أعلم .

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الله الكَاتِب قال أَنْبَأنا أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد ابن مُحَمَّد مولى بنى هاشم - يُعْرَف بابن مُتَيَّم - قال حدثنا أَحْمَد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار . قال قال أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بن دَاوُد بن الجَرَّاح : ولم يَمُتْ بمدينة السَّلاَم خليفة مُذْ بُنيت إلاّ مُحَمَّد الأمين [(١)] ، فإنه قُتل فى شارع باب الأنبار ، وحُمل رأسهُ إلى طَاهِر بن الحُسَيْن [(٢)] وهو فى معسكره بين بطاطيا وباب الأنبار . فأما المَنْصُور [(٣)] - وهو الذى بناها - فمات حاجًّا وقد دخل الحرم ، ومات المَهْدِى [(٤)]

---

(١) أبو عبد الله محمد بن الرشيد هارون بن المهدى محمد ، بن المنصور ، الهاشمى العباسى البغدادى . وأمه زبيدة بنت الأمير جعفر بن المنصور . عقد له أبوه بالخلافة بعده ، ثم لأخيه المأمون ، وكان مليحا ، بديع الحسن ، أبيض وسيما طويلا ، ذا قوة وشجاعة وأدب وفصاحة ، وفى عام ١٩٤هـ أراد أنْ يجعل ابنه موضع أخيه فى خلافة العهد ، وحدث شقاق بين الأخوين ، انتهى بفتنة خربت فيها بغداد ، وقتل فيها خلق كثير ، وحوصر الأمين فى قصره وحاول الفرار من بغداد لكنهم قبضوا عليه وقتلوه عام ١٩٨ هـ ، وله من العمر ٢٧عاما قضى منها خمسة أعوام فى الخلافة .

(٢) هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الأمير ، مقدم الجيوش ، ذو اليمينين أبو طلحة الخزاعى ، القائم بنصر خلافة المأمون ، فإنه ندبه لحرب أخيه الأمين ، فسار فى جيش لجب ، وحاصر الأمين ، فظفر به ، وقتله مات كهلا عام ٢٠٧هـ .

(٣) المنصور الخليفة أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على الهاشمى العباسى المنصور ، وأمه سلامة البربرية . ولد فى سنة خمس وتسعين أو نحوها . ضرب فى الآفاق ورأى البلاد ، وطلب العلم . مات فى أثناء الحج عام ١٥٨هـ ودفن بين الحجون وبئر ميمون .

(٤) الخليفة أبو عبد الله محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على ، الهاشمى العباسى . مولده بإيذج من أرض فارس ، فى سنة سبع وعشرين وقيل : فى سنة ست وأمه أم موسى الحميرية وتوفى ١٦٩هـ بعد أنْ قضى من عمره نحو عشر سنين فى الخلافة .

بماسبذان ، ومات الهَادِي [1] بعيْساباذ ، ومات هَارُون [2] بطوس ، ومات المأمون [3] بالبذَندون من بلاد الروم وحمل فيما قيل إلى طرطوس فدفن بها ؛ ومات المعتصم [4] بسُرَّ من رأى . وكل من ولى الخِلافة بعده من ولده وولد ولده إلا المعتمد [5] والمعتضد [6] والمكتفى [7] فإنهم ماتوا بالقصور من الزَّنْدَوَرْد ، فحمل المعتمد ميتًا إلى سُرَّ من رأى ، ودُفن المعتضد فى موضع من دار مُحَمَّد بن عَبْد الله ابن طَاهِر ، ودُفن المكتفى فى موضع من دار ابن طَاهِر .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : ذكرت هذا الخبر للقاضى أَبِى القَاسِم على بن المحسن التَّنُوخِى رحمه الله . فقال : مُحَمَّد الأمين أيضًا لم يقتل فى المدينة ، وإنَّما كان قد نزل فى سفينة إلى دجلة ليتنزه فقبض عليه وسط دجلة وقتل هناك ، ذكر ذلكَ

---

(١) الهادى الخليفة أبو محمد موسى بن المهدى ، محمد بن المنصور عبد الله الهاشمى العباسى ، ولى عهد أبيه ، فلما مات أبوه ، تسلم الخلافة ، وكان بجرجان ، فأخذ له البيعة أخوه الرشيد توفى ١٧٠هـ ، وله من العمر ٢٣ عامًا .

(٢) أبو جعفر هارون بن المهدى محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس الهاشمى العباسى ولد عام ١٤٨هـ . استخلف بعهد معقود له بعد الهادى من أبيهما المهدى فى سنة سبعين ومائة بعد الهادى ، وتوفى ٢٠٣هـ .

(٣) أبو العباس ، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور العباسى . ولد سنة سبعين ومائة . وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل ، وأمر بتعريب كتبهم وتوفى عام ٢١٨هـ .

(٤) أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدى بن المنصور العباسى . ولد سنة ثمانين ومائة وأمه ماردة أم ولد ، بويع بعهد من أخيه المأمون عام ٢١٨هـ ، وتوفى ٢٢٧ه ..

(٥) هو أبو العباس ، وقيل : أبو جعفر ، أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم أبى إسحاق بن الرشيد ، الهاشمى العباسى السامرى . وأمه رومية اسمها فتيان . ولد سنة تسع وعشرين ومائتين ، وتوفى ٢٧٩هـ .

(٦) أبو العباس ، أحمد بن الموفق بالله ، ولى العهد ، أبى أحمد ، طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمى العباسى . ولد فى أيام جده سنة اثنتين وأربعين ومائتين . ودخل دمشق سنة إحدى وسبعين لحرب ابن طولون ، واستخلف بعد عمه المعتمد واستمر فى الخلافة تسع سنين وتسعة أشهر حتى وفاته .

(٧) أبو محمد ، على بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل العباسى . مولده فى سنة أربع وستين ومائتين بويع بالخلافة ٢٨٩هـ بعهد من أبيه ، وتوفى ٢٩٥هـ .

الصولى وغيره . وقال أَحْمَد بن أَبِى يَعْقُوب الكَاتِب : قتل الأمين خارج باب الأنبار عند بستان طَاهِر . قال الشيخ : عدنا إلى خبر بناء مدينة السَّلاَم .

## ذكر خط مدينة المَنْصُور وتحديدها
## ومن جُعل إليه النظر فى ترتيبها

أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَر الحَسَن بن عُثْمَان بن أَحْمَد بن الفلو الوَاعِظ قال أَنْبَأَنَا جَعْفَر بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن الحَكَم الوَاسِطى قال حَدَّثَنِى أَبُو الفَضْل العَبَّاس بن أَحْمَد الحدَّاد ، قال سَمِعْت أَحْمَد [بن] البربرى يقول : مدينة أَبِى جَعْفَر ثلاثون ومائة جريب ، خنادقها وسورها ثلاثون جريبًا [1] ، وأنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف ، وبُنيت فى سنة خمس وأربعين ومائة .

وقال أَبُو الفَضْل حَدَّثَنِى أَبُو الطَّيِّب البَزَّار قال قال لى خالى - وكان قيم بَدْر - قال لنا بَدْر غلام المعتضد : قال أمير المؤمنين : انظروا كم هى مدينة أَبِى جَعْفَر؟ فنظرنا وحسبنا فإذا هى ميلَيْن مكسر فى ميلَيْن .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : ورأيت فى بعض الكتب أنَّ أبا جَعْفَر المَنْصُور أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأَبواب والأسواق إلى أنْ فرغ من بنائها أربعة آلاف . وثمانمائة وثلاثة وثمانين درهمًا ، مبلغها من الفلوس مائة ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس . وذلكَ أنَّ الأستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبات ، والروز جارى [2] يعمل بحبتين إلى ثلاث حبات .

قال أَبُو بَكْر الخَطِيب : وهذا خلاف ما تقدم ذكره من مبلغ النفقة على المدينة ، وأرى بين القولين تفاوتًا كثيرًا ، والله أعلم . .

أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رِزْق البَزَّار قال نبَّأنا جَعْفَر المخلدى إملاء قال نبَّأنا الفَضْل بن مخلد الدَّقَّاق قال سَمِعْت دَاوُد بن صَعير بن شَبِيب بن رستم

(١) فى مختار الصحاح : «الجريب مكيال وهو أربعة أقفزة» . وفى لسان العرب : «المدى : القفيز الشامى وهو غير المد قال ابن برى المدى مكيال لأهل الشام يُقال له الجريب يسع خمسة وأربعين رطلاً والقفيز ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف» .

(٢) العامل بأجر يومه .

البُخَارى ، يقول : رأيت فى زمن أَبِى جَعْفَر كبشًا بدرهم ، وحملا بأربعة دوانق[1] ، والتمر ستين رطلا بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم ، والسمن ثمانية أرطال بدرهم ، والرجل يعمل بالروزجار فى السور كل يوم بخمس حبات .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : وشبيهٌ بهذا الخبر ما أَخْبَرَنَا الحَسَن بن أَبِى بَكْر قال أَنْبَأَنَا عُثْمَان بن أَحْمَد الدَّقَّاق قال نبَّأنا الحَسَن ابن سلاّم السواق قال سَمِعْت أبا نعيم الفَضْل ابن دُكين . يقول : كان ينادى على لحم البقر فى جبَّانة كِنْدَة تسعين رطلا بدرهم ، ولحم الغنم ستين رطلا بدرهم ، ثم ذكر العسل . فقال : عشرة أرطال ، والسمن اثنى عشر رطلا . قال الحَسَن بن سَلاَّم : فقدمت بغداد فحَدَّثْتُ به عفان فقال : كانت فى تكتى[2] قطعة فسقطتْ على ظهر قدَمى فأَحْسَسْتُ بها؛ فاشتريت بها ستة مكاكيك[3] دقيق الأرُزّ .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد ابن جَعْفَر النَّحْوى قال حدثنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال حدثنا مُحَمَّد بن خَلَف قال : . قال يَحْيَى بن الحَسَن بن عَبْد الخالق : خط المدينة ميلٌ فى ميل ، ولبِنُها ذراع فى ذراع .

قال مُحَمَّد بن خَلَف : وزعم أَحْمَد بن مَحْمُود الشرودى أنَّ الذى تولى الوقوف على خط بغداد ، الحَجَّاج بن أرطأة وجماعة من أهل الكوفة . وزعم أَبُو النصر المَرْوَزِى أنَّه سمع أَحْمَد بن حَنْبَل يقول : بغداد من الصَّراة إلى باب التبن .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : عَنى أَحْمَد بهذا القول مدينة المَنْصُور وما لاصقها واتصل

---

(١) فى لسان العرب « الدانق : من الأوزان وربما قيل داناق كما قالوا للدرهم درهام وهو سدس الدرهم وأنشد ابن برى : « يا قوم من يعذر من عجرد ألقاتل المرء على الدانق .

وفى حديث الحسن « لعن الله الدانق ، ومن دنق الدانق » . وهو سدس الدينار والدرهم كأنه أراد النهى عن التقدير والنظر فى الشيء التافه الحقير ، والجمع دوانق و دوانيق » .

(٢) خيط يشد به السروال .

(٣) فى مختار الصحاح « المكوك مكيال وهو ثلاث كيلجات والكيلجة منا وسبعة أثمان منا والمنا رطلان والرطل اثنا عشرة أوقية والأوقية إستار وثلثا إستار والإستار أربعة مثاقيل ونصف والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم والدرهم ستة دوانيق والدوانيق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حبتان والحبة سدس ثمن درهم وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم والجمع مكاكيك » .

بنائها خاصة ، لأن أعلى البلد قطيعة أم جَعْفَر دونها الخندق ، يقطع بينها وبين البناء المتصل بالمدينة ، وكذلكَ إلى أسفل البلد من محال الكرخ وما يتصل به يقطع بينه وبين المدينة الصَّراة ، وهذا حد المدينة وما اتصل بها طولا . فأما حد ذلكَ عرضًا فمن شاطئ دجلة إلى الموضع المعروف بالكبشِ والأَسَد ، وكل ذلكَ كان مُتصل الأبنية متلاصق الدور والمساكن ، والكبش والأَسَد الآن صحراء مزروعة ، وهى على مسافة من البلد ، وقد رأيت ذلكَ الموضع مرةً واحدة خرجتُ فيها لزيارة قبر إِبْرَاهِيم الحَرْبِى وهو مدفون هناك؛ فرأيت فى الموضعِ أبياتًا كهيئة القرية يسكنها المزارعون والحطّابون ، وعُدْتُ إلى الموضع بعد ذلكَ فلم أر فيه أثر المسكن .

وقال لى أَبُو الحُسَيْن هلال بن المحسن الكَاتِب : حَدَّثَنِي أَبُو الحَسَن بِشْر بن على بن عُبَيْد النصرانى الكَاتِب قال : كنت أجتاز بالكبش والأَسَد مع والدى ، فلا أتخلص فى أسواقها من كثرة الزحمة .

بلغنى عن مُحَمَّد بن خَلَف - وَكِيع : أنَّ أبا حنيفة النعمان بن ثَابِت ، كان يتولى القيام بضرب لَبِنِ المدينة وعدده حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلى الخندق . وكان أَبُو حنيفة يعدّ اللبن بالقصب ، وهو أول من فعل ذلكَ فاستفاده الناس منه .

وذكر مُحَمَّد بن إِسْحَاق البَغَوى : أنَّ رباحًا البناء حدثه - وكان ممن تولى بناء سور مدينة المنصور - قال : وكان بين كل باب من أَبْواب المدينة إلى الباب الآخر ميل ، وفى كل ساف [١] من أسواف البناء مائة ألف لبنة واثنتان وستون ألف لبنة من اللبن الجَعْفَرى [٢] ، فلما بنينا الثلث من السور لقطناه ، فصيرنا فى الساف مائة ألف لبنة وخمسين ألف لبنة ، فلما جاوزنا الثلثين لقطناه ، فصيرنا فى الساف مائة ألف لبنة وأربعين ألف لبنة إلى أعلاه .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد ابن جَعْفَر النَّحْوى قال حدثنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال حدثنا مُحَمَّد بن خَلَف قال : قال ابن الشروى : هدمنا من السور الذى يلى باب المُحَوَّل قطعة ، فوجدنا

---

(١) لم أعثر على الكلمة فيما بين يدى من معاجم ويبدو من السياق أنها الصف من الطوب للبناء .

(٢) نسبة لأبى جعفر المنصور .

فيها لبنة مكتوب عليها بمغرة [١] وزنها مائة وسبعة عشر رطلا . قال : فوزناها فوجدناها كذلك .

قال مُحَمَّد بن خَلَف . قالوا : وبنى المَنْصُور مدينته وبنى لها أربعة أَبْواب؛ فإذا جاء أحد من الحجاز دخل من باب الكوفة ، وإذا جاء أحد من المغرب دخل من باب الشام ، وإذا جاء أحد من الأهواز والبصرة وواسط واليمامة والبَحْرين دخل من باب البصرة ، وإذا جاء الجائى من المشرق دخل من باب خراسان . وذكرُ باب خراسان كان قد سقط من الكتاب فلم يذكره مُحَمَّد بن جَعْفَر عن السكونى وإنَّما استدركناه من رواية غيره .

وجعل - يعنى المَنْصُور - كل باب مقابلا للقصر وبنى على كل باب قبة ، وجعل بين كل بابين ثمانية وعشرين برجًا ، إلا بين باب البصرة وباب الكوفة فإنه يَزِيد واحدًا ، وجعل الطول من باب خراسان إلى باب الكوفة ثمانمائة ذراع ، ومن باب الشام إلى باب البصرة ستمائة ذراع ، ومن أول باب المدينة إلى الباب الذى يشرع إلى الرحبة خمسة أَبْواب حديد .

وذكر وَكِيع فيما بلغنى عنه : أنَّ أبا جَعْفَر بنى المدينة مدوَّرة لأن المدوّرة لها معان سوى المربعة ، وذلكَ أنَّ المربعة إذا كان الملك فى وسطها كان بعضها أقرب إليه من بعض ، والمدور من حيث قسم كان مستويا لا يَزِيد هذا على هذا ولا هذا على هذا ، وبنى لها أربعة أَبْواب ، وعمل عليها الخنادق وعمل لها سورين وفصيلين بين كل بابين فصيلان ، والسور الداخل أطول من الخارج . وأمر ألا يسكن تحت السور الطويل الداخل أحد ولا يبنى منزلا ، وأمر أنْ يبنى فى الفصيل الثانى مع السور النازل لأنَّه أحصن للسور ، ثم بنى القصر والمسجد الجامع .

وكان فى صدر قصر المَنْصُور : إيوان [٢] طوله ثلاثون ذراعًا ، وعرضه عشرون ذراعًا؛ وفى صدر الإيوان مجلس عشرون ذراعًا فى عشرين ذراعًا ، وسمكه عشرون

---

(١) المغرة : الطين الأحمر

(٢) فى لسان العرب « الإيوان : الصفة العظيمة . وفى المحكم : شبه أزج غير مسدود الوجه . وهو أعجمى ، ومنه إيوان . . وجماعة الإوان أون ، مثل خوان وخون . وجماعة الإيوان أواوين و إيوانات ، مثل ديوان ودواوين لأن أصله إوان فأبدل من إحدى الواوين ياء » .

ذراعًا؛ وسقفه قبة وعليه مجلس مثله فوقه القبة الخضراء ؛ وسمكه إلى أول حد عقد القبة عشرون ذراعًا ؛ فصار من الأرض إلى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعًا ، وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس . وكانت القبة الخضراء ترى من أطراف بغداد .

حَدَّثَنِي القَاضِي أَبُو القَاسِم التَّنُوخِي قال : سَمِعْت جماعة من شيوخنا يذكرون أنَّ القبة الخضراء كان على رأسها صنم على صورة فارس فى يده رمح ، فكان السلطان إذا رأى أنَّ ذلكَ الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها ، علم أنَّ بعض الخوارج يظهر من تلكَ الجهة فلا يطول الوقت حتى ترد عليه الأخبار بأن خارجيًا قد نجم من تلكَ الجهة ، أو كما قال .

أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيم بن مخلد القَاضِي قال أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيل بن عسلى الخُطَبى قال : سقط رأس القبة الخضراء خضراء أَبِي جَعْفَر المَنْصُور التى فى قصره بمدينته يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وكان ليلتئذ مطرٌ عظيم ورعد هائل وبرق شديد ، وكانت هذه القبة تاج بغداد وعَلَم البلد ومأثرة من مآثر بنى العَبَّاس عظيمة ، بُنيت أول ملكهم وبقيت إلى هذا الوقت [إلى آخر أمر الواثق] . فكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة .

قال وَكِيع فيما بلغنى عنه : أنَّ المدينة مدورة عليها سور مدور ، قطرها من باب خراسان إلى باب الكوفة ألفا ذراع ومائتا ذراع ، ومن باب البصرة إلى باب الشام ألفا ذراع ومائتا ذراع ، وسمك ارتفاع هذا السور الداخل وهو سور المدينة فى السماء خمسة وثلاثون ذراعًا؛ وعليه أبرجة سمك كل برج منها فوق السور خمسة أذرع ، وعلى السور شرف . وعرض السور من أسفله نحو عشرين ذراعًا . ثم الفصيل بين السورين وعرضه ستون ذراعًا ، ثم السور الأول وهو سور الفصيل ودونه خندق ، وللمدينة أربعة أَبْواب : شرقى وغربى وقبلى وشمالى لكل باب منها بابان ، باب دون باب ، بينهما دهليز ورحبة يدخل إلى الفصيل الدائر بين السورين ، فالأول باب الفصيل ، والثانى باب المدينة ، فإذا دخل الداخل من باب خراسان الأول عطف على يَسَاره فى دهليز أزج [1] معقود بالآجر والجص ، عرضه عشرون ذراعًا وطوله

---

(١) البيت المبنى طولا .

ثلاثون ذراعًا ، المدخل إليه فى عرضه والمخرج منه من طوله يخرج إلى رحبة مادّة إلى الباب الثانى طولها ستون ذراعًا وعرضها أربعون ذراعًا ، ولها فى جنبيتها حائطان من الباب الأول إلى الباب الثانى ، فى صدر هذه الرحبة فى طولها الباب الثانى وهو باب المدينة ، وعن يمينه وشماله فى جنبتى هذه الرحبة بابان إلى [الفصيلين] فالأيمن يؤدى إلى فصيل باب الشام ، والأيسر يؤدى إلى فصيل باب البصرة ، ثم يدور من باب البصرة إلى باب الكوفة ، ويدور الذى انتهى إلى باب الشام إلى باب الكوفة ، على نعت واحدٍ وحكاية واحدةٍ ، والأَبْواب الأربعة على صورة واحدةٍ ، فى الأَبْواب والفصلان والرحاب والطاقات . ثم الباب الثانى وهو باب المدينة وعليه السور الكبير الذى وصفنا ، فيدخل من الباب الكبير إلى دهليز أزج معقود بالآجر والجص طوله عشرون ذراعًا ، وعرضه اثنا عشر ذراعًا ، وكذلكَ سائر الأَبْواب الأربعة ، وعلى كل أزج من آزاج هذه الأبواب مجلس له درجة على السور يرتقى إليه منها ، على هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة فى السماء سمكها خمسون ذراعًا مزَخْرَفة ، وعلى رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره .

وكانت هذه القبة مجلس المَنْصُور إذا أحب النظر إلى الماء وإلى من يقبل من ناحية خراسان . وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور إذا أحب النظر إلى الأرباض وما والاها . وقبة على باب البصرة كانت مجلسه إذا أحب النظر إلى الكرخ ومن أقبل من تلكَ الناحية . وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه إذا أحب النظر إلى البساتين والضياع . وعلى كل باب من أَبْواب المدينة الأوائل والثوانى باب حديد عظيم جليل المقدار كل باب منها فردان .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد ابن جَعْفَر قال نبَّأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال قال أَحْمَد بن الحَارِث عن العِتَابى : أنَّ أبا جَعْفَر نقل الأَبْواب من واسط ، وهى أَبْواب الحَجَّاج . وأن الحَجَّاج وجدها على مدينة كان بناها سُلَيْمَان بن دَاوُد عليهما السَّلاَم بإزاء واسط ، كانت تعرف بزَنْدَوَرْد ، وكانت خَمْسة . وأقام على باب خراسان بابًا جِىءَ به من الشام من عمل الفراعنة ، وعلى باب الكوفة الخارج بابًا جِىءَ به من

الكوفة من عمل [خَالِد] القسرى [1] ، وعمل هو لباب الشام بابًا فهو أضعفها . وابتنى قصره الذى يسمى الخلد على دجلة ، وتولى ذلكَ أَبَان بن صَدَقَة والرَّبِيع ، وأمر أنْ يُعقد الجسر عند باب الشعير ، وأقطع أصحابه خمسين فى خمسين .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : إنَّما سمى قصر المَنْصُور الخلد تشبيها له بجنّة الخلد ، وما يحويه من كل منظر رائق ، ومطلب فائق ، وغرض غريب ، ومراد عجيب . وكان موضعه وراء باب خراسان ، وقد اندرس الآن فلا عين له ولا أثر .

وحَدَّثَنِى القَاضِى أَبُو القَاسِم على بن المحسن التَّنُوخِى قال حَدَّثَنِى أَبُو الحَسَن على بن عُبَيْد الزجاج الشَّاهِد - وكان مولده فى شهر رمضان من سنة أربع وتسعين ومائتين - قال : أذكر فى سنة سبع وثلثمائة ، وقد كسرت العامة الحبوس بمدينة المَنْصُور ، فأفلت من كان فيها ، وكانت الأَبْواب الحديد التى للمدينة باقية ، فغُلِّقت وتتبّع أصحاب الشرَط من أفلت من الحبوس ، فأخذوا جميعهم حتى لم يفتهم منهم أحدٌ .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : عدنا إلى كلام وَكِيع المتقدم . قال : ثم يدخل من الدهليز الثانى إلى رحبة مربعة عشرون ذراعًا فى مثلها ، فعلى يمين الداخل إليها طريق وعلى يَسَاره طريق ، فيؤدّى الأيمن إلى باب الشام والأيسر إلى باب البصرة . والرحبة كالرحبة التى وصفنا ، ثم يدور هذا الفصيل على سائر الأَبْواب بهذه الصورة ، وتشرع فى هذا الفصيل أَبْواب السكك ، وهو فصيل مادّ مع السور ، وعرض كل فصيل من هذه الفصلان من السور إلى أفواه السكك خمس وعشرون ذراعًا ، ثم يدخل من الرحبة التى وصفنا إلى الطاقات ، وهى ثلاثة وخمسون طاقًا سوى طاق المدخل إليها من هذه الرحبة ، وعليه باب ساج كبير فردين ، وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعًا ، وطولها من أولها إلى الرحبة التى بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع ، وفى جنبتى الطاقات بين كل طاقين منها غُرف كانت للمرابطة ، وكذلكَ لسائر الأَبْواب الباقية ، فعلى هذه الصفة سواء ، ثم يخرج من الطاقات إلى

---

(1) أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلى القسرى الدمشقى أمير العراقين لهشام وولى قبل ذلكَ مكة للوليد بن عبد الملك ، ثم لسليمان من بعده وتوفى ١٢٦هـ .

رحبة مربعة عشرون ذراعًا فى عشرين ذراعًا ، فعن يمينك طريق يؤدى إلى نظيرتها من باب الشام ، ثم تدور إلى نظيرتها من باب الكوفة ، ثم إلى نظيرتها من باب البصرة .

ثم نعود إلى وصفنا لباب خراسان : كل واحدة منهن نظيرة لصواحباتها ، وفى هذا الفصيل تشرع أبْواب لبعض السكك وتجاهك الطاقات الصغرى التى تلى دهليز المدينة الذى منه يخرج إلى الرحبة الدائرة حول القصر والمسجد .

حَدَّثَنِى على بن المحسن قال : قال لى القَاضِى أَبُو بَكْر بن أَبِى مُوسَى الهَاشِمِى : انبثق البثق من قبتين وجاء الماء الأَسْوَد فَهَدم طاقات باب الكوفة ، ودخل المدينة فهدم دورنا فخرجنا إلى الموصل وذلكَ فى سنى نيف وثلاثين وثلثمائة ، وأقمنا بالموصل سنين عدة ثم عدنا إلى بغداد فسكنّا طاق العكّى .

قال الخَطِيب الحَافِظ : بلغنى عن أَبِى عُثْمَان عَمْرو بن بَحْر الجاحظ . قال : قد رأيت المدن العظام ، والمذكورة بالإتقان والإحكام ، بالشامات وبلاد الروم وفى غيرهما من البلدان ، فلم أر مدينة قط أرفع سُمكًا ، ولا أجود استدارة ، ولا أنبل نبلا ، ولا أوسع أَبْوابًا ، ولا أجود فصيلا ، من الزوراء . وهى مدينة أَبِى جَعْفَر المَنْصُور . كأنما صبت فى قالب وكأنما أفرغت إفراغًا ، والدليل على أنَّ اسمها الزوراء قول سلْم الخاسر :

أين رَبُّ الزوراء إذْ قلَّدَتْه الـ ـمُلْكَ عشرين حجةً واثنتان

أَخْبَرَنَا الحُسَيْن بن مُحَمَّد المؤدّب قال أَخْبَرَنِى إِبْرَاهِيم بن عَبْد الله الشطّى قال نبَّأنا أَبُو إسحاق الهجيمى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن القَاسِم أَبُو العَيناء قال قال الرَّبِيع : قال لى المَنْصُور : يا ربيع هل تعلم فى بنائى هذا موضعًا إن أخذنى فيه الحصار خرجتُ خارجًا منه على فرسخين؟ قال قلت : لا قال : بلى ، قال : فى بنائى هذا ما إنْ أخذنى فيه الحصار خرجت خارجًا منه على فرسخين .

حُدِّثْتُ عن أَبِى عُبَيْد الله مُحَمَّد بن عمران بن مُوسَى المَرْزَبَانِى . قال : دفع إلى العَبَّاس بن العَبَّاس بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن المغيرة الجَوْهَرِى كتابا ذكر أنَّه بخط عَبْد الله بن أَبِى سَعْد الوَرَّاق فكان فيه : حَدَّثَنَا عَبْد الله بن مُحَمَّد بن عياش التَّمِيمِى المرورّوذى قال سَمِعْت جدى عياش بن القَاسِم يقول : كان على أَبْواب المدينة مما

يلى الرحاب ستور وحجاب ، وعلى كل باب قائد . فكان على باب الشام سُلَيْمَان ابن مجالد فى ألف ، وعلى باب البصرة أَبُو الأَزْهَر التَّمِيمِى فى ألف ، وعلى باب الكوفة خَالِد العكى فى ألف ، وعلى باب خراسان مسْلَمَة بن صُهيب الغسَّانى فى ألف . وكان لا يدخل أحد من عمومته - يعنى عمومة المَنْصُور - ولا غيرهم من هذه الأَبْواب إلا راجلا ، إلا دَاوُد بن على عمه فإنه كان مُنقرسًا ، فكان يحمل فى محفة . ومُحَمَّد المَهْدِى ابنه ، وتكنس الرحاب ، فى كل يوم يكنسها الفراشون ، ويحمل التراب إلى خارج المدينة ، فقال له عمه عَبْد الصَّمَد : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير فلو أذنت لى أنْ أنزل داخل الأَبْواب فلم يأذن له . فقال : يا أمير المؤمنين عذّنى بعض بغال الرّوايا التى تصل إلى الرحاب . فقال : يا ربيع : بغال الرّوايا تصل إلى رحابى؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : تتخذ الساعة قنى بالساج من باب خراسان حتى تجىء إلى قصرى ففعل .

أَخْبَرَنَا الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن الحَسَن المُؤَدِّب قال أَخْبَرَنِى إبراهيم بن عَبْد الله بن إبْرَاهِيم الشطّى بجرجان قال نبَّأنا أَبُو إسحاق الهجيمى قال قال أَبُو العيناء : بلغنى أنَّ المَنْصُور جلس يومًا فقال للربيع : انظر من بالباب من وفود الملوك فأدخله؟ قال : قلت وافد من قبل ملك الروم . قال : أدخله . فدخل فبينا هو جالس عند أمير المؤمنين ، إذْ سمع المَنْصُور صرخة كادت تقلع القصر . فقال : يا ربيع ، يُنظر ما هذا ؟ قال : ثم سمع صرخة هى أشد من الأولى . فقال : يا ربيع ، يُنظر ما هذا؟ قال : ثم سمع صرخة هى أشد من الأوليين . فقال : يا ربيع اخرج بنفسك . قال فخرج ربيع ثم دخل . فقال : يا أمير المؤمنين بقرة قُربت لتذبح فغلبت الجازر وخرجت تدور فى الأسواق ، فأصغى الرومى إلى الرَّبِيع يتفهّم ما قال ، ففطن المَنْصُور لإصغاء الرومى . فقال : يا ربيع أفهمه . قال : فأفهمه . فقال الرومى : يا أمير المؤمنين ، إنك بنيت بناءً لم يبنه أحد كان قبلك ، وفيه ثلاثة عيوب . قال : وما هى؟ قال : أما أول عيب فيه فبعده عن الماء ولابد للناس من الماء لشفاههم ، وأما العيب الثانى فإن العين خضرة وتشتاق إلى الخضرة وليس فى بنائك هذا بستان ، وأما العيب الثالث فإن رعيتك معك فى بنائك وإذا كانت الرعية مع الملك فى بنائه فشا سره . قال : فتجلد عليه المَنْصُور . فقال له : أما قولك فى الماء

فحسبنا من الماء ما بل شفاهنا ، وأما العيب الثانى فإنا لم نُخلَق للّهو واللعب ، وأما قولك فى سرى فما لى سر دون رعيتى . قال : ثم عرف الصواب فوجه بشميس وخلاّد - وخلاد ، هو جد أبِى العيناء - فقال : مُدّا لى قناتين من دجلة ، واغرسوا لى العَبَّاسية ، وانقلوا الناس إلى الكرخ .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : مَدَّ المَنْصُور قناة من نهر دُجَيْل الآخذ من دجلة ، وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات ، وجرّهما إلى مدينته فى عقود وثيقة من أسفلها ، محكمة بالصاروج [1] والآجر من أعلاها ، وكانت كل قناة منهما تدخل المدينة ، وتنفذ فى الشوارع والدروب والأرباض ، وتجرى صيفًا وشتاءً لا ينقطع ماؤها فى وقت ، وجر لأهل الكرخ وما اتصل به [نهرًا يُقال له : نهر الدجاج ، وإنَّما سمى بذلكَ لأن أصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده ، ونهرًا يُقال له نهر القلائين حَدَّثنا من أدركه جاريًا يلتقى فى دجلة تحت الفرضة [2] ، ونهرًا يسمى نهر طابق ، ونهرًا يُقال له نهر البَزَّازين فسَمِعْت من يذكر أنَّه توضأ منه ، ونهرًا فى مسجد الأَنْبَارِيّين رأيته لا ماء فيه ، وقد تعطلت هذه الأنهار ودرس أكثرها حتى لا يوجد له أثر] . . وأنهارًا نذكرها بعد إن شاء الله تعالى .

## خبر بناء الكرخ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن الحُسَيْن القَطَّان قال أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن جَعْفَر بن درستويه قال نبَّأنا يَعْقُوب بن سُفْيَان قال : سنة سبع وخمسين ومائة فيها نقل أَبُو جَعْفَر الأسواق من المدينة ومدينة الشرقية إلى باب الكرخ وباب الشعير والمحول ، وهى السوق التى تعرف بالكرخ وأمر ببنائها من ماله على يدى الرَّبِيع مولاه ، وفيها وسع طرق المدينة

---

(١) فى لسان العرب « الصاروج : النورة وأخلاطها التى تصرج بها النزل وغيرها ، فارسى معرب ، وكذلكَ كل كلمة فيها صاد وجيم لأنهما لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب ، وقال ابن سيده : الصاروج النورة بأخلاطها تطلى بها الحياض والحمامات وهو بالفارسية جاروف عرب فقيل صاروج وربما قيل شاروق و صرجها به طلاه » .

(٢) فى لسان العرب « فرضة النهر : مشرب الماء منه ، والجمع فرض و فراض ، قال الأصمعى : الفرضة : المشرعة ، يُقال : سقاها بالفراض أى من فرضة النهر . والفرضة : الثلمة التى تكون فى النهر » .

وأرباضها ووضعها على مقدار أربعين ذراعًا ، وأمر بهدم ما شاع من الدور عن ذلكَ القدر .

أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بنِ الحَسَن قال حدثنا إِبْرَاهِيم ابن الحَسَن قال حدثنا إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة الأَزْدِى . قال : فلما دخلَتْ سنة سبع وخمسين ، وكان أَبُو جَعْفَر قد ولّى الحسبة يَحْيَى بن زَكَرِيَّا ، فاستغوى العامة ، وزيّنَ لهم الجموح ، فقتله أَبُو جَعْفَر بباب الذهب ، وحول أسواق المدينة إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحوَّل ، وأمر ببناء الأسواق على يد الرَّبِيع ، وأوسع الطرق بمدينة السَّلاَم وجعلها على أربعين ذراعًا وأمر بهدم ما شخص من الدور عن ذلكَ المقدار . وفى سنة ثمان وخمسين بنى المَنْصُور قصره على دجلة وسماه الخلد .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب . قالا : حدثنا مُحَمَّد ابن جَعْفَر النَّحْوى قال نبَّأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف قال الخَوَارِزْمِى - يعنى مُحَمَّد بن مُوسَى : وحول أَبُو جَعْفَر الأسواق إلى الكرخ وبناها من ماله بعد مائة سنة وستٌ وخمسين سنة وخمسة أشهر وعشرين يومًا؛ ثم بدأ بعد ذلكَ فى بناء قصر الخلد على شاطئ دجلة بعد شهر وأحد عشر يومًا .

قال مُحَمَّد بن خَلَف : وأَخْبَرَنِى الحَارِث بن أَبِى أُسَامَة قال : لما فرغ أَبُو جَعْفَر المَنْصُور من مدينة السَّلاَم ، وصيَّر الأسواق فى طاقات مدينته من كل جانب؛ قدم عليه وفد ملك الروم ، فأمر أنْ يُطاف بهم فى المدينة ثم دعاهم . فقال للبطريق : كيف رأيت فى هذه المدينة؟ قال : رأيت أمرها كَامِلا إلا فى خلة واحدة . قال : ما هى؟ قال : عدوك يخترقها متى يشاء وأنت لا تعلم؛ وأخبارك مبثوثة فى الآفاق لا يمكنك سترها . قال : كيف؟ قال : الأسواق غير ممنوع منها أحد فيدخل العدو كأنه يريد أنْ يتسوَّق ؛ وأما التجار فإنها ترد الآفاق فيتحَدَّثُون بأخبارك ، قال : فزعموا أنّه أمر المَنْصُور حينئذ بإخراج الأسواق من المدينة إلى الكرخ ، وأن يُبنى ما بين الصراة إلى نهر عِيسَى ، وولى ذلكَ مُحَمَّد بن حبيش الكَاتِب ، ودعا المَنْصُور بثوب واسع فحدّ فيه الأسواق ، ورتب كل صنف منها فى موضعه . وقال : اجعلوا سوق القَصَّابين فى آخر الأسواق؛ فإنهم سفهاء وفى أيديهم الحديد القاطع . ثم أمر

أنْ يُبنى لأهل الأسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون المدينة ويفرد لهم ذلك ، وقلد ذلكَ رجلا يُقال له الوضاح بن شبا فبنى القصر الذى يُقال له : قصر الوضاح والمسجد فيه ، وسُميت الشرقية لأنَّها شرقى الصراة ، ولم يضع المَنْصُور على الأسواق غلَّة حتى مات . فلما استخلف المَهْدِى أشار عليه أَبُو عُبَيْد الله بذلك ، فأمر فَوُضِع على الحوانيت الخراج وولى ذلكَ سَعِيد الحُرسى سنة سبع وستين ومائة .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على وأَحْمَد بن على . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر النَّحْوى قال نبَّأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : كانت سوق دار البطيخ قبل أنْ تنقل إلى الكرخ فى درب يُعْرَف بدرب الأساكفة ، ودرب يُعْرَف بدرب الزيت ، ودرب يُعْرَف بدرب العاج ، فنُقلت السوق إلى داخل الكرخ فى أيام المَهْدِى ، ودخل أكثر الدروب فى الدور التى اشتراها أَحْمَد بن مُحَمَّد الطائى ، وكانت القطائع التى من جانب الصراة مما يلى باب المحوَّل لعُقْبة بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن الأشعث من ولد أهبان بن صيفى مكلم الذئب [1] إقطاعًا من المَنْصُور ، ثم خرج عقبة على المأمون فنهبت داره ، ثم أقطعها المأمون ولد عِيسَى بن جَعْفَر . وكانت الدور التى بين الخندق مما يلى باب البصرة وشط الصراة وإزاء دور الصحابة للأشاعثة ، وهى دور آل حَمَّاد ابن زَيْد اليوم . وكانت دار جَعْفَربن مُحَمَّد بن الأشعث الكندى مما يلى باب المحول ثم صارت للعَبَّاس ابنه . حَدَّثَنِى الحَسَن بن أَبِى طَالِب قال حدثنا أَبُو عُمَر مُحَمَّد بن العَبَّاس الخَزَّاز قال حدثنا أَبُو عُبَيْد الناقد قال حدثنا مُحَمَّد بن غالب قال سَمِعْت عَبْد الرَّحْمَن بن يُونس أبا مُسْلِم يذكر عن الوَاقِدى . قال : الكرخ مفيض السفل .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : إنَّما عنى الوَاقِدى بقوله هذا مواضع من الكرخ مخصوصة يسكنها الرافضة دون غيرهم ، ولم يرد سائر نواحى الكرخ ، والله أعلم .

---

(١) هو أهبان بن عياذ الخزاعى – رضى الله عنه .

أنشدنا الحَسَن بن بَكْر بن شاذان قال أنشدنا أَبِى قال أنشدنا أَبُو عَبْد الله إِبْرَاهِيم ابن مُحَمَّد بن عرفة نفطويه [1] لنفسه :

سُقى أربعُ الكرخِ الغَوَادى بديمةٍ ... وكلُّ مُلِث دائم الهطل مُسْبِلِ
منازلُ فيها كلُّ حُسْنٍ وبَهْجَةٍ ... وتلكَ لها فضل على كل منزِلِ

## خبر [بناء] الرصافة

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على بن مخلد الوَرَّاق وأَحْمَد بن على بن الحُسَيْن التَّوَّزِى . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر التَّمِيمِى النَّحْوى قال حدثنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال حدثنا مُحَمَّد بن خَلَف قال قال أَحْمَد بن الشروى عن أبيه : قدم المَهْدِى من المُحَمَّدية بالرى سنة إحدى وخمسين ومائة فى شوال ، ووفدت إليه الوفود وبنى له المَنْصُور الرصافة ، وعمل لها سورًا وخندقًا ومَيْدانًا وبُستانًا ، وأجرى لها الماء . قال مُحَمَّد بن خَلَف وقال يَحْيَى بن الحَسَن : كان بناء المَهْدِى بالرهوص إلا ما كان يسكنه هو ، واستتم بناء الرصافة وجميع ما فيها سنة تسع وخمسين ومائة ، هكذا قال يَحْيَى بن الحَسَن .

وأَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال : نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال حدثنا الحَارِث بن أَبِى أُسَامَة قال : فرغ من بناء الرصافة سنة أربع وخمسين ومائة . قرأت على الحَسَن بن أَبِى بَكْر عن أَحْمَد بن كَامِل القَاضِى قال حَدَّثَنِى مُحَمَّد بن مُوسَى عن مُحَمَّد بن أَبِى السرى عن الهَيْثَم بن عدى قال : لما بنى المَهْدِى قصره بالرصافة دخل يطوف فيه ومعه أَبُو البخترى وهب

---

(١) الإخبارى أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ، العتكى الأزدى الواسطى ، المشهور بنفطويه ، صاحب التصانيف . سكن بغداد ، وحدث عن : إسحاق بن وهب العلاف ، وشعيب بن أيوب الصريفينى ، ومحمد بن عبد الملك الدقيقى ، وأحمد بن عبد الجبار العطاردى ، وداود بن على ، وعدة . وأخذ العربية عن محمد بن الجهم ، وثعلب والمبرد ، وتفقه على داود . حدث عنه : المعافى بن زكريا ، وأبو بكر بن شاذان ، وأبو عمر بن حيويه ، وأبو بكر بن المقرئ ، وآخرون . ولد سنة أربع وأربعين ومائتين . صنف « غريب القرآن » و« كتاب المقنع » فى النحو ، و« كتاب البارع » و« تاريخ الخلفاء » فى مجلدين وأشياء . مات فى صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة .

ابن وهْب . قال فقال له : هل تروى فى هذا شيئًا؟ قال : نعم : حَدَّثَنِى جَعْفَر بن مُحَمَّد عن أبيه أنَّ رسول الله - ﷺ - قال : [خَيْر صحونكم ما سافرت فيه أبصاركم] [1] .

أَخْبَرَنَا أَبُو الحُسَيْن على بن مُحَمَّد بن البرَّاء قال قال على بن يقطين : خرجنا مع المَهْدِى فقال لنا يومًا : إنِّى داخل ذلكَ البَهْو فنائم فيه فلا يوقظنى أحد حتى أستيقظ . قال : فنام فما أنبهنا إلا بكاؤه ، فقمنا فزعين فقلنا : ما شأنك يا أمير المؤمنين؟ قال : أتانى الساعة آتٍ فى منامى شيخ والله لو كان فى مائة ألف شيخ لعرفته ، فأخذ بعضَادَتَى الباب وهو يقول :

كأنى بهذا القصر قدْ بَاد أهلُهُ ... وأوحش منه ركْنُه ومنازِلُهْ
وصار عميدُ القوم من بعد بَهْجةٍ ... ومُلْكٍ إلى قَبرٍ عليه جَنَادِلُهْ

أَخْبَرَنِى القَاضِى أَبُو عَبْد الله الحُسَيْن بن على الصَّيْمَرِى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن عمران المَرْزَبَانِى قال أَخْبَرَنِى مُحَمَّد بن يَحْيَى قال حَدَّثَنِى مُحَمَّد بن مُوسَى المنجم : أنَّ المعتصم وابن أَبِى دَاوُد اختلفا فى مدينة أَبِى جَعْفَر والرصافة أيُّهما أعلى . قال : فأمرنى المعتصم فوزنتهما ، فوجدت المدينة أعلى من الرصافة بذراعين ونحو من ثلثى ذراع .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : ورَبْعُ الرصافة يسمى عسكر المَهْدِى ، وإنَّما سمى بذلكَ لأن المَهْدِى عسكر به عند شخوصه إلى الرى .

## ذكر محال مدينة السَّلاَم وطاقاتها وسككها ودروبها وأرباضها ومعرفة من نُسبت إليه

من ذلك : نواحى الجانب الغربي

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على بن مخلد وأَحْمَد بن على بن الحُسَيْن التوزى قالا : أَنبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر التَّمِيمِى النَّحْوى قال نبَّأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد

---

(1) لم أعثر على مثل هذا الحديث أو شبيه له فى كتب الأحاديث التسعة . ويبدو أنّه مما تفرد به ابن الخطيب .

ابن خَلَف وَكِيع قال : طاقات العكى ، هو مُقَاتِل بن حَكِيم أصله من الشام . وطاقات الغطريف بن عطاء ، وهو أخو الخيزران خال الهَادِى والرشيد ولّى اليمن ويُقال إنه من بنى الحَارِث بن كعب ، وإن الخيزران كانت لسَلَمَة بن سَعِيد اشتراها من قوم قدموا من جرَشَ مولّدة ، طاقات أَبِى سُوَيد ، اسمه الجارود مما يلى مقابر باب الشام . ربض العَلاَء بن مُوسَى ، عند درب أَبِى حيّة . ربض أَبِى نُعَيم مُوسَى ابن صُبَيح من أهل مرو عند يُقال شيرويه ويُقال : إنَّ أبا نُعَيم خال الفَضْل بن الرَّبِيع .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : يُقال شيرويه : هو اسم موضع فى هذا الربض . وربض أَبِى عون عَبْد الملك بن يَزِيد ، الدرب النافذ إلى درب طَاهِر . وربض أَبِى أَيُّوب الخوزى ، وربض الترجمان يتّصل بربض حَرْب : الترجمان بن بلخ .

مربّعة شبيب بن روح المرورودى : كذا ذكر لى ابن مخلد وابن التوزى وإنَّما هو شَبِيب بن أوج . قال ذلك : أَحْمَد بن أَبِى طَاهِر وإِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة الأَزْدِى ومُحَمَّد بن عُمَر الجعابى . مربّعة أَبِى العَبَّاس : وهو الفَضْل بن سُلَيْمَان الطوسى وهو من أهل أبْيَورد .

قال مُحَمَّد بن خَلَف وقال أَحْمَد بن أَبِى طَاهِر حَدَّثَنِى أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بن مُوسَى ابن الفرات الكَاتِب : أنَّ القرية التى كانت فى مربّعة أَبِى العَبَّاس كانت قرية جده من قبل أمه ، وأنه من دهاقين يُقال لهم بنو زرارى . وكانت القرية التى تسمَّى الوردانية وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلى مربّعة أَبِى قرة . قال مُحَمَّد بن خَلَف : ومربّعة أَبِى قرّة هو عُبيد بن هلال الغسانى من أصحاب الدولة . وزعم أَحْمَد بن الحَارِث عن إِبْرَاهِيم بن عِيسَى قال : كان فى الموضع الذى هو اليوم معروف بدار سَعِيد الخَطِيب قرية يُقال لها شرقانية ولها نخل قائم [إلى] اليوم مما يلى قنطرة أَبِى الجوز ، وأَبُو الجوز من دهاقين بغداد من أهل القرية .

قال مُحَمَّد بن خَلَف : وربض سُلَيْمَان بن مجالد . وربض إِبْرَاهِيم بن حُميد ، وربض حمزة بن مَالِك الخُزَاعِى . وربض رواد بن سنان أحد القواد . وربض حُميد ابن قحطبة ابن شَبِيب بن خَالِد بن معدان بن شمس الطائى . وقرية معدان بعمان على ساحل البَحْر يُقال لها بوس . . وربض نَصْر بن عَبْد الله : وهو شارع دُجَيْل يُعْرَف بالنصرية . وربض عَبْد الملك بن حُمَيْد ، كاتب المَنْصُور قبل أَبِى أَيُّوب .

وربض عَمْرو بن المهلب . وربض حُمَيْد بن أَبِى الحَارِث أحد القواد ، وربض إِبْرَاهِيم بن عُثْمَان بن نهيك عند مقابر قريش . وربض زُهير بن المُسَيَّب ، وربض الفرس ومربعتهم أقطعهم المَنْصُور .

ثم قال مُحَمَّد بن خَلَف وقال الفِراشى - أَحْمَد بن الهَيْثَم - إقطاع المُسَيَّب بن زُهَيْر فى شارع باب الكوفة ما بين حد دار الكندى إلى حد سويقة عَبْد الوَهَّاب إلى داخل المقابر . وإقطاع القحاطبة من شارع باب الكوفة إلى باب الشام .

أَخْبَرَنِى أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة قال : وأما شارع القحاطبة ، فمنسوب إلى الحَسَن بن قحطبة ، وهنالك منزله ، وكان الحَسَن من رِجَالات الدولة ومات سنة إحدى وثمانين ومائة .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : وأقطع المأمون طَاهِر بن الحُسَيْن داره ، وكانت قبله لعُبَيد الخادم مولى المَنْصُور قال : والبغيِّين إقطاع المَنْصُور لهم وهو من درب سوار إلى آخر

ربض البرجلانيَّة ، وفى البرجلانيَّة منازل حمزة بن مَالِك . الخَوَارِزْمِيّة جُند من جند المَنْصُور الحَرْبِيّة ، نسبت إلى حَرْب بن عَبْد الله صاحب حرس المَنْصُور . الزُّهيرية ، إلى زُهَيْر بن مُحَمَّد قائد من أهل أبيورد . منارة حُميد الطوسى الطائى .

قال مُحَمَّد بن خَلَف قال أَبُو زَيْد الخَطِيب وسَمِعْت أَبِى يقول : شهارسوج الهَيْثَم : هو الهَيْثَم بن معاوية القائد . وقال أَبُو زَيْد الخَطِيب : المنار الذى فى شارع الأنبار بناه طَاهِر وقت دخوله . قال مُحَمَّد بن خَلَف : بستان القُسّ : قُسٌّ كان ثَمَّ قبل بناء بغداد . سويقة عَبْد الوَهَّاب بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الإمام .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رِزْق قال أَنْبَأَنَا عُثْمَان بن أَحْمَد الدَّقَّاق قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن البراء قال نبَّأنا على بن أَبِى مريم قال : مررت بسويقة عَبْد الوَهَّاب وقد خربت منازلها وعلى جدار منها مكتوب :

هذى منازل أقوام عهدتهمُ ... فى رغد عيش رغيب ماله خَطَر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى

قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : ودور الصحابة . منهم أَبُو بَكْر الهذلى وله مسجد ودرب ومُحَمَّد بن يَزِيد ، وشبّة بن عقال ، وحَنْظَلَة بن عقال ، ولهم درب ينسب إلى الاستخراجي اليوم . ولعَبْد الله بن عياش دار على شاطئ الصراة . ولعَبْد الله بن الرَّبِيع الحَارِثى دار فى دور الصحابة ، ولابن أَبِى سعلى الشَّاعِر . ولأبى دلامة - زَيْد ابن جون - إقطاع ، هكذا فى رواية مُحَمَّد بن جَعْفَر عن السكونى زَيْد بالياء . وقد أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن الحَسَن الأَهْوَازِى قال حدثنا أَبُو أَحْمَد الحَسَن بن عَبْد الله بن سَعِيد العَسْكَرِى قال أَنْبَأَنَا أَبُو العَبَّاس بن عَمَّار قال أَنْبَأَنَا ابن أَبِى سَعْد قال قال أَحْمَد بن كلثوم : رأيتُ أبا عُثْمَان المازنى والجمَّاز عند جدى مُحَمَّد بن أَبِى رَجَاء فقال لهم : ما اسم أَبِى دُلامة؟ فلم يردوا عليه شيئًا . فقال جدى : هو زند إياك أنْ تصحف فتقول زَيْد . قال أَبُو أَحْمَد العَسْكَرِى : أَبُو دُلامة هو زند بن الجون [1] مولى قصاقص الأَسَدِى ، صحب السفاح والمَنْصُور ومدحهما ، وفى أجداد النبى - ﷺ - فى نسب إِسْمَاعِيل زند بن برى بن أعراق الثرى .

أَخْبَرَنِى عَبْد الله بن أَحْمَد بن عُثْمَان الصَّيْرَفِى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن عَبْد الله بن أَيُّوب قال أَنْبَأَنَا أَبُو العَبَّاس أَحْمَد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار الثقفى قال أَبُو أَيُّوب - يعنى سُلَيْمَان بن أَبِى شيخ : كان أَبُو جَعْفَر المَنْصُور أمر بدور من دور الصحابة أنْ تهدم أو تُقبض وفيها دار لأبى دُلامة فقال :

| | |
|---|---|
| يا بنى وارث النبى الذى ح | لّ بكفّيه مالُه وعقارُه |
| لكم الأرض كلُّها فأعيروا | عبدكم ما احتوى عليه جداره |
| وكأن قد مضى وخلف فيكم | ما أعرتُم وحلّ ما لا يعاره |

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : كان موضع السجن الجديد أقطاعًا لعَبْد الله بن مَالِك نزلها مُحَمَّد بن يَحْيَى بن خَالِد بن برمك ثم دخَلَت فى بناء أمّ جَعْفَر أيام مُحَمَّد الذى سمته

(١) صاحب النوادر زند بن الجون . وكان أسود من الموالى ، حضر جنازة حمادة زوجة المنصور ، فقال له المنصور : ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال : حمادة يا أمير المؤمنين ، فأضحكه . توفى أبو دلامة سنة إحدى وستين ومائة ويُقال : عاش إلى أوائل دولة الرشيد .

القرار . وكانت دار سُلَيْمَان بن أَبِى جَعْفَر قطيعة لهاشم بن عَمْرو الفزارى . ودار عَمْرو بن مسْعْدة للعَبَّاس بن عُبَيْد الله بن جَعْفَر بن المَنْصُور دار صَالِح المسكين أقطعه إياها أَبُو جَعْفَر . وسويقة الهَيْثَم بن شُعْبَة بن ظُهير مولى المَنْصُور توفى سنة ست وخمسين ومائة وهو على بطن جارية . دار عمارة بن حمزة أحد الكتَّاب البُلغاء الجّلة . يُقال : هو من ولد أَبِى أُسَامَة مولى رسول الله - ﷺ ، ويُقال : هو من ولد عِكْرمة . قصر عَبْدويه من الأزد من وجوه الدولة تولى بناءه أيام المَنْصُور . دار أَبِى يَزِيد الشروى مولى علي بن عَبْد الله بن عَبَّاس . سكة مُهَلْهِل بن صَفْوَان مولى على ابن عَبْد الله . صحراء أَبِى السرى الحَكَم بن يُوسُف قائدٌ : وهو مولى لبنى ضبَّة . الرهينة كانت لقوم أخذوا رهينة أيام المَنْصُور وهى متصلة بربض نوح بن فرقد قائد صحراء قيراط مولى طَاهِر وابنه عِيسَى بن قيراط . دار إِسْحَاق كانت جزيرة أقطعها المأمون إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم . سويقة : أَبِى الورد هو عُمَر بن مطرف المَرْوَزِى كان يلى المظالم للمَهْدِى ويتصل بها . قطيعة إِسْحَاق الأَزْرَق الشروى من ثقات المَنْصُور .

حُدثت عن أَبِى عُبَيْد الله المَرْزَبَانِى قال حَدَّثَنِى عَبْد الباقى بن قانع : إنَّما سميت سويقة أَبِى الورد لأن عِيسَى بن عَبْد الرَّحْمَن كان يُقال له أَبُو الورد ، وكان مع المَنْصُور فالسويقة به سُميت .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : بركة زلزل الضارب وكان غلامًا لعِيسَى بن جَعْفَر فحفر هذه البركة للسبيل .

أنشدنا الحَسَن بن أَبِى بَكْر قال أنشدنا أَبِى قال أنشدنا إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة نفطويه لنفسه : واسمها إلى الساعة معروف فى الديوان . قال مُحَمَّد بن خَلَف . وقالوا : أقطع المَنْصُور الرَّبِيع قطيعته الخارجة وقطيعة أخرى بين السورين ظهر درب جميل ، وأن التجار وساكنى قطيعة الرَّبِيع غصبوا ولد الرَّبِيع عليها وكانت قطيعة الرَّبِيع وسويقة غالب تسمَّى قبل ذلكَ وِرْثالا . ويُقال : أنَّ الخارجة أقطعها المَهْدِى للربيع والمَنْصُور أقطعه الداخلة .

أَخْبَرَنِى أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة قال :

أما قطيعة الرَّبِيعة فمنسوبة إلى الرَّبِيع مولى المَنْصُور . وأما قطيعة الأنصار فإن مَهْدِى أقدمهم ليكثر بهم أنصاره ويتيمن بهم فأقطعهم هذه القطيعة وكانت منازل برامكة بالقرب منهم .

قال ابن عرفة : وأما قطيعة الكلاب فأَخْبَرَنِى بعض الشيوخ عن رجل من أهلها ن أبيه . قال : لما أقطع أَبُو جَعْفَر القطايع بقيت هذه الناحية لم يقطعها أحدًا كانت الكلاب فيها كثيرًا فقال بعض أهلها : هذه قطيعة الكلاب فسميت بذلك . أما سكك المدينة فمنسوبة إلى موالى أَبِى جَعْفَر وقواده . منها سكة شيخ بن ميرة ، وكان يخلف البرامكة على الحرس وكان قائدًا . وأما دار خازم : فهو خازم ن خزيمة النَّهْشَلى وهو أحد الجبابرة قَتَل فى وقعة سبعين ألفًا وأسر بضعة عشر ألفًا ضرب أعناقهم وذلكَ بخراسان . وأما درب الأبرد : فإنه الأبرد بن عَبْد الله قائد من راد الرشيد ، وكان يتولى همذان . وأما درب سُلَيْمَان فمنسوب إلى سُلَيْمَان بن جعفَر المَنْصُور . وسكة الشرط فى المدينة كان ينزلها أصحاب شرط المَنْصُور . سكة سيابة منسوبة إليه ، وهو أحد أصحاب المَنْصُور . وأما الزُّبَيْديّة التى بين باب خراسان وبين شارع دار الرقيق؛ فمنسوبة إلى زبيدة بنت جَعْفَر بن أَبِى جَعْفَر مَنْصُور . وكذلكَ الزبيديَّة التى أسفل مدينة السَّلاَم فى الجانب الغربى . وأما قصر ضاح : فمنسوب إلى وضاح الشروى مولى المَنْصُور . وأما دور بنى نهيك التى رب من باب المحول : فهم أهل بيت من أهل سَمُرَة وكانوا كتابًا وعمالا متصلين بد الله بن طَاهِر . وأما درب جميل ، فهو جميل بن مُحَمَّد وكان أحد الكُتَّاب . أما مسجد الأَنْبَارِيّين ، فينسب إليهم لكثرة من سكنه منهم ، وأقدم من سكنه منهم ياد الفندى ، وكان يتصرف فى أيام الرشيد ، وكان الرشيد ولى أبا وَكِيع - الجَرَّاح ن مليح - بيت المال فاستخلف زيادا ، وكان زياد شيعيًا من الغالية فاختان هو جماعة من الكتاب واقتطعوا من بيت المال وصحَّ ذلكَ عند الرشيد فأمر بقطع يد ياد . فقال : يا أمير المؤمنين لايَجِبُ على قطع اليد إنَّما أنا مؤتمن وإنَّما خُنْتُ كفَّ عن قطع يده . قال ابن عرفة : وممن نزل مسجد الأَنْبَارِيّين من كبرائهم أَحْمَد ن إِسْرَائِيل ومنزله فى درب جميل ودلَيْل بن يَعْقُوب ومنزله فى دور بنى نهيك .

وهنالك دار أَبِى الصقر إِسْمَاعِيل بن بلبل ، وممن أدركنا من سراة الأَنْبَارِيِّين أَبُو أَحْمَد القَاسِم بن سَعِيد وكان كاتبًا أديبًا .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : طاق الحرانى لإِبْرَاهِيم بن ذكوان ثم السوق العتيقة إلى باب الشعير .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : وفى السوق العتيقة ، مسجد تغشاه الشيعة وتزوره وتعظمه وتزعم أنَّ أمير المؤمنين على بن أَبِى طَالِب صلى فى ذلكَ الموضع ولم أرَ أحدًا من أهل العلم يثبت أنَّ عَليًّا دخل بغداد ولا رُوى لنا فى ذلكَ شيءٌ غيرما .

أَخْبَرَنَا القَاضِى أَبُو عَبْد الله الحُسَيْن بن على الصيمرى قال نبَّأنا أَحْمَد بن مُحَمَّد ابن على الصَّيْرَفِى قال نبَّأنا القَاضِى أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن عُمَر الجعابى الحَافِظ – وذكر بغداد – فقال : يُقال أنَّ أمير المؤمنين على بن أَبِى طَالِب اجتاز بها إلى النهروان راجعًا منه وأنه صلى فى مواضع منها فإن صح ذلكَ فقد دخلها من كان معه من الصحابة . قال الشيخ أَبُو بَكْر : والمحفوظ أنَّ عَليًّا سلك طريق المدائن فى ذَهابه إلى النهروان ، وفى رجوعه . والله أعلم .

حَدَّثَنِى أَبُو الفَضْل عِيسَى بن أَحْمَد بن عُثْمَان الهمدانى قال سَمِعْت أبا الحَسَن بن رزقويه يقول : كنت يومًا عند أَبِى بَكْر بن الجعابى فجاءه قوم من الشيعة فسلموا عليه ودفعوا إليه صُرة فيها دراهم . ثم قالوا له : أيها القَاضِى إنك قد جمعت أسماء محدثى بغداد وذكرت من قدم إليها ، وأمير المؤمنين على بن أَبِى طَالِب قد وردها فنسألك أنْ تذكره فى كتابك . فقال : نعم : يا غلام ، هات الكتاب فجيء به فكتب فيه : وأمير المؤمنين على بن أَبِى طَالِب . يُقال : إنه قدمها . قال ابن رِزْقويه فلما انصرف القوم . قلت له : أيها القَاضِى هذا الذى أَلْحَقْتَهُ فى الكتاب مَن ذَكَرَهُ؟ فقال : هؤلاء الذين رأيتهم : أو كما قال .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى [القَاضِي] قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : مسجد ابن رغبان عَبْد الرَّحْمَن بن رغبان مولى حَبِيب بن مسْلَمَة ونهر طابق إنَّما هو نهر بابك بن بَهْرَام بن بابك وهو الذى اتخذ العقر الذى عليه قصر عِيسَى بن على واحتفر هذا النهر ونهر عِيسَى غربيُّه من الفروسيج ،

وشرقيُه من رستاق [١] الكرخ . وفيه دور المعَبْديين وقنطرة بنى زريق ودار البطيخ ودار القطن . وقطيعة النصارى إلى قنطرة الشوك من نهر طابق شرقيُه وغربيُه من قرية بناورى . ومسجد الوَاسِطيّين مع ظلة ميشويه ، وميشويه - نصرانى من الدهاقين - إلى خندق الصينيات إلى الياسرية . وما كان غربى الشارع فهو من قرى تعرف - ببراثًا - وما كان من شرقيه فهو من رستاق الفروسيج وما كان من درب الحجارة وقنطرة العَبَّاس شرقيًا وغربيًا فهو من نهر كرخايا [وهو من براثا وإنَّما سمى كرخايا لأنَّه كان يسقى فى رستاق الفروسيج والكرخ فلما أحدث عِيسَى الرحا المعروف بأبى جَعْفَر قطع نهر كرخايا] وشق لرستاق الكرخ شربًا من نهر رفَيْل . العَبَّاسية قطيعة للعَبَّاس بن مُحَمَّد . الياسرية لياسر مولى زبيدة . قنطرة بنى زريق دهاقين من أهل بادوريا . قنطرة المعَبْدى عَبْد الله بن معَبْد المعَبْدى . أرحاء البطريق : وافد لملك الروم واسمه طاراث بن الليث بن العيزار بن طريف بن فوق بن مَوْرق ، بنى هذا المستغلّ ثم مات فقبضت عنه .

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن جَعْفَر الخالع - فيما أذن أنْ نرويه عنه - قال أَنْبَأَنَا على بن مُحَمَّد بن السرى الهمدانى قال أَنْبَأَنَا القَاضِى أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن خَلَف قال أنبئت : أنَّ يَعْقُوب بن المَهْدِى سأل الفَضْل بن الرَّبِيع عن أرحاء البطريق فقال أَخْبَرَنِى إِسْحَاق بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق قال له : مَنْ هذا البطريق الذى نسبت إليه هذه الأرحاء؟ فقال الفَضْل : إنَّ أباكَ رضى الله عنه لما أفضت إليه الخلافة قدم عليه وافدٌ من الروم يهنيه فاستدناه ثم كلمه بترجمان يعبر عنه . فقال الرومى : إنِّى لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا غرض ، وإنَّما قدمت شوقًا إليه وإلى النظر إلى وجهه لأنا نجد فى كتبنا أنَّ الثالث من أهل بيت نبى هذه الأمة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورًا . فقال المَهْدِى : قد سرَّنى ما قلت ، ولك عندنا كل ما تحبُّ ، ثم أمر الرَّبِيع بإنزاله وإكرامه فأقام مدة ، ثم خرج يتنزه فمر بموضع الأرحاء فنظر إليه . فقال للربيع : اقرضنى خمسمائة ألف درهم أبنى بها مستغلا يؤدى فى السنة خمسمائة ألف درهم . فقال : أفعل ، ثم أخبر المَهْدِى بما ذكر فقال : أعطه

---

(١) فى لسان العرب « الرزتاق و الرستاق واحد . فارسى معرب ألحقوه بقرطاس ، ويُقال : رزداق ورستاق والجمع الرساتيق وهى السواد . . . . قال ابن السكيت : رسداق ورزداق ولا تقل رستاق » .

خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، وما أغلت فادفعه إليه ، فإذا خرج إلى بلاده فابعث إليه فى كل سنة . قال : ففعل : فبنى الأرحاء ثم خرج إلى بلاده فكانوا يبعثون بغلتها إليه حتى مات الرومى ، فأمر المَهْدِى أنْ يضم إلى مستغله . قال : واسم البطريق طارات بن الليث بن العيزار بن طريف ، وكان أَبُوه ملكًا من ملوك الروم فى أيام معاوية بن أَبِى سُفْيَان .

أَخْبَرَنِى أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة قال : وأما قطيعة خزيمة فهو خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد ، وعاش إلى أيام الأمين وعمى فى آخر عمره . وأما شاطئ دجلة فمن قصر عِيسَى إلى الدار التى ينزلها فى هذا اليوم على قرن الصَّراة إِبْرَاهِيم بن أَحْمَد فإنَّما كان أقطاعًا لعِيسَى بن على - يعنى ابن عَبْد الله بن عَبَّاس - وإليه ينسب نهر عيسى وقصر عِيسَى ، وعِيسَى بن جَعْفَر وجَعْفَر بن أَبِى جَعْفَر وإليه ينسب فرضة جَعْفَر وقطيعة جَعْفَر ، وأما قصر حُمَيْد فأحدث بعد . وأما شاطئ دجلة من قرن الصراة إلى الجسر ومن حد الدار التى كانت لنجاح بن سَلَمَة ثم صارت لأَحْمَد بن إِسْرَائِيل ثم هى اليوم بيد خاقان المفلجى إلى باب خراسان فذلكَ الخلد . ثم ما بعده إلى الجسر ، فهو القرار نزله المَنْصُور فى آخر أيامه ثم أوطنه الأمين .

أَخْبَرَنَا على بن مُحَمَّد بن عَبْد الله المعدّل قال أَخْبَرَنَا الحُسَيْن بن صَفْوَان البردعى قال نبَّأنا أَبُو بَكْر عَبْد الله بن مُحَمَّد بن أَبِى الدُّنْيَا قال حَدَّثَنِى الحَسَن بن جهور قال : مررت مع على بن أَبِى هشام الكُوفِى بالخلد والقرار فنظر إلى تلكَ الآثار فوقف متأملا وقال :

بنَوْا وقالوا لا نموت ... وللخراب بنى المبَنِّى
ما عاقلٌ فيما رأيتُ ... إلى الحياة بمطمئن

أَخْبَرَنِى الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا ابن عرفة قال : وأما دار إِسْحَاق فمنسوبة إلى إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم المصْعبى ، ولم يزل يتولى الشرطة من أيام المأمون إلى أيام المتوكل ومات فى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وسنُّه ثمان وخمسون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا . وأما قطيعة أم جَعْفَر فمنسوبة إليها .

## تسمية نواحي الجانب الشرقى

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على بن مخلد وأَحْمَد بن على التوزى قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر التَّمِيمِى قال نبَّأنا لحسن بن مُحَمَّد السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال : درب خزيمة بن خازم أقطاع . طاق أسماء بنت المَنْصُور : وهى التى صارت لعَلِى ابن جهيشار . بين القصرين : قصر أسماء وقصر عُبَيْد الله بن المَهْدِى . سويقة خُضَيْر مولى صَالِح صاحب المصلى كان يبيع الجرار هناك . سويقة يَحْيَى بن خَالِد أقطاع ثم صارت لأم جَعْفَر أقطعها المأمون طَاهِرًا . سويقة أَبِى عُبَيْد الله معاوية بن عُبَيْد الله بن عضاة الأَشْعَرِى الوزير . قصر أم حَبِيب ، أقطاع من المَهْدِى لعمارة بن أَبِى الخَطيب مولى لروح بن حَاتِم . وقد قيل أنَّه [مولى المَنْصُور] . سويقة نَصْر بن مَالِك بن الهَيْثَم الخُزَاعِى ، وكان هناك مسجد فتعطل أيام المستعين [(١)] . سوق العطش بناه سَعِيد الخُرَسى للمَهْدِى ، وحول إليه كل ضرب من التجار فشبّه بالكرخ ، وسماه سوق الرى فغلب عليه سوق العطش . وإن قنطرة البَرَدان إلى الجسر للسرى بن الحُطَم . وقالوا : اشترى أَبُو النَّضْر هاشم بن القَاسِم موضع داره من السرى بن الحُطم . وكان يُقَال : ليس فى ذلكَ الشارع أصح من دار أَبِى النَّضْر .

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الخالع - فيما أذن أنْ نرويه عنه - قال أَنْبَأَنَا على بن مُحَمَّد بن السرى الهمدانى قال أَنْبَأَنَا القَاضِى أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن خَلَف قال قال أَحْمَد بن الحَارِث : إنَّ بغداد صوِّرَتْ لملك الروم أرضها وأسواقها وشوارعها وقصورها وأنهارها غربيّها وشرقيّها ، وأن الجانب الشرقى [لمَّا] . صورت شوارعه ، فصور شارع الميدان وشارع سويقة نَصْر بن مَالِك ، من باب الجسر إلى الثلاثة الأبواب والقصور التى فيه ، والأسواق والشوارع من سويقة خُضَيْر إلى قنطرة البردان ، فكان

---

(١) أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن المهدى العباسى ، أخو الواثق والمتوكل . ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين . وبويع فى ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ، عند موت أخيه المنتصر . وأمه أم ولد . وكان متلافا للمال ، مبذرا ، اختلت الخلافة بولايته ، واضطربت الأمور . وأذعن بخلع نفسه فى أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين، ثم فقتل بقادسية سامراء فى ثالث شوال من السنة وقيل : قتل ليومين بقيا من رمضان ، وله إحدى وثلاثون سنة وأيام .

ملك الروم إذا شرب دعا بالصور فيشرب على مثال شارع سويقة نَصْر . ويقول : لم أر صورة شيء من الأبنية أحسن منه .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى . قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : مُرَبَّعة الخرسى هو سَعِيد الخرسى . دار فرج الرخجى ، كان مملوكًا لحَمْدُونة بنت عضيض أم ولد الرشيد .

وأَخْبَرَنِى الأَزْهَرى قال نبَّأنا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة قال : وقصر فرج منسوب إلى فرج الرخجى ، وابنه عُمَر بن فرج كان يتولى الدواوين وأوقع به المتوكل . وأما شارع عَبْد الصَّمَد ، فمنسوب إلى عَبْد الصَّمَد بن على بن عَبْد الله بن العَبَّاس ، وكان أقعد أهل دهره نسبًا . وكان بينه وبين عَبْد مناف كما بين يَزِيد ابن معاوية وبين عَبْد مناف ، وبينهما فى الوفاة مائة وإحدى وعشرون سنة . ومات مُحَمَّد بن على سنة ثمانى عشرة ، وبينه وبين عَبْد الصَّمَد خمس وستون سنة ، وبين دَاوُد بن على وعَبْد الصَّمَد بن على اثنان وخمسون سنة ، ومات فى أيام الرشيد . وهو عم جده وله أخبار كثيرة ، وكانت أسنان عَبْد الصَّمَد وأضراسه قطعة واحدة ما تُغر ، وقد كان الرشيد حبسه ثم رضى عنه فأطلقه .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى : قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : درب المفضّل بن زمام مولى المَهْدِى ، أقطاع . رحْبة يَعْقُوب بن دَاوُد الكَاتِب مولى بنى سُلَيْم . خان أَبِى زياد كان ممن وسمه الحَجَّاج من النبط ، وهو من سواد الكوفة وعاش إلى أيام المَنْصُور ، ثم انتقل فنزل فى هذا الموضع وكان يكنى أبا زينب فغلب عليه أَبُو زياد ، ونشأ له ابن تأدَّب وفصح . دار البانوجة بنت المَهْدِى . وكذلكَ سويقة العَبَّاسة ودار العَبَّاسة بالمُخَرِّم . وقطيعة العَبَّاس بباب المخرّم : هو العَبَّاس بن مُحَمَّد بن على بن عَبْد الله بن عَبَّاس أخو أَبِى جَعْفَر .

أَخْبَرَنِى الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا عرفة قال : قطيعة العَبَّاس التى فى الجانب الشرقى تنسب إلى العَبَّاس بن مُحَمَّد بن على بن عَبْد الله بن العَبَّاس ، وهو أخو المَنْصُور وبينه وبين وفاة أَبِى العَبَّاس خمسون سنة ، وهو أخوه لأن أبا العَبَّاس مات سنة ست وثلاثين ومائة . مات العَبَّاس سنة ست وثمانين

ومائة ، وكان يتولى الجزيرة وأهله يتهمون فيه الرشيد ويزعمون أنَّه سمّه وأنه سقى بطنهُ فمات فى هذه العلة وإليه تنسب العَبَّاسية .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : يعنى بالعَبَّاسية قطيعته التى بالجانب الغربى وقد ذكرناها فيما مضى .

أَخْبَرَنَا عُبيد الله بن أَحْمَد الصَّيْرَفِى قال أَنْبَأَنَا الحَسَن على بن عُمر الحَافِظ قال قال ابن دُريد : يَزِيد بن مُخَرِّم الحَارِثى من ولد صاحب المخرم ببغداد .

سَمِعْت أبا الحَسَن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رِزْق يقول سَمِعْت أبا عُمَر الزاهد يقول سَمِعْت أبا على الخَرَقى يقول سَمِعْت عَبْد الله بن أَحْمَد بن حَنْبَل يقول سَمِعْت أَبِى يقول : المخرم كناية السنة .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال أنبأنى مُحَمَّد بن أَبِى على قال حَدَّثَنِى مُحَمَّد بن عَبْد المنعم بن إِدْرِيس عن هشام بن مُحَمَّد قال : سَمِعْت بنى الحَارِث بن كعب يقولون : إنَّما سُميت مخرم بغداد بمخرّم بن شريح بن مخرم بن زياد بن الحَارِث بن مَالِك بن ربيعة بن كعب بن الحَارِث بن كعب بن عَمْرو . وكانت له أقطعها أيام نزلت العرب فى عهد عُمر بن الخَطَّاب .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال : وذكر يَحْيَى بن الحَسَن بن عَبْد الخالق قال : كانت دار أَبِى عباد ثَابِت بن يَحْيَى إقطاعًا من المَهْدِى لشَبِيب بن شَيْبة الخَطِيب ، فاشتراها أَبُو عَبَّاد من ورثته فى أيام المأمون ، قال مُحَمَّد بن خَلَف : سوق الثلاثاء كانت لقوم من أهل كلواذى [١] وبغداد . سويقة حجاج الوصيف مولى المَهْدِى . دار عمارة بن أَبِى الخَطِيب مولى لروح بن حَاتِم وقد قيل أنَّه مولى للمَنْصُور . نهر المُعلّى بن

---

(١) فى معجم البلدان « كلواذة بالفتح ثم السكون والذال معجمة قال ابن الأعرابى الكلواذ تابوت التوراة وقال ابن حبيب عين صيد موضع من ناحية كلواذة وهى من السواد بين الكوفة والحزن وهى بين الكوفة وواسط . وكلواذى مثل الذى قبله إلا أنْ آخره ألف تكتب ياء مقصورة وهو طسوج قرب مدينة السلام بغداد وناحية الجانب الشرقى من بغداد من جانبها وناحية الجانب الغربى من نهر بوق وهى الآن خراب أثرها باق بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر وقد ذكرها الشعراء ولهج كثيرا بذكرها الخلعاء » .

طريف مولى المَهْدِى ، وأخوه الليث بن طريف . أَخْبَرَنِى الأَزْهَرى قال نبَّأنا أَحْمَد ابن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا ابن عرفة قال : أما نهر المَهْدِى فمنسوب إلى المَهْدِى ، ومنزله كان هناك ، وكان مستقره فى عيساباذ ، وأما نهر المعلى فكان المعلى من كبار قواد الرشيد ، وجمع له من الأعمال مالم يجمع لكبير أحد ، ولى المعلى البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبَحْرين والغَوْص . وهذه الأعمالُ جمعت لمُحَمَّد بن سُلَيْمَان ابن على بن عَبْد الله بن العَبَّاس بن عَبْد المُطَّلِب ، وجُمعت لعمارة بن حمزة وإليه تنسب دار عمارة : وعمارة بن حمزة مولى لبنى هاشم ، وهو من ولد عكرمة مولى ابن عَبَّاس أمه بنت عكرمة ، وكان أَتْيَهَ الناس . فكان يُقال أَتْيَهُ من عمارة ، وزعموا أنَّه دخل عليه رجل من أصحابه وتحت مقعده جوهر خطير فأراد أنْ يدفعه إلى صاحبه ذاك ، فترفع عن مَدّ يده إليه فقال لصاحبه : ارفع المقعد فخذ ما تحته .

أَخْبَرَنَا ابن مخلد وابن التوزى قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال : درب الأغلب على نهر المَهْدِى ، هو الأغلب بن سالم بن سوادة أَبُو صاحب المغرب من بنى سَعْد بن زَيْد مناة بن تميم . وعقد هرثمة لإِبْرَاهِيم بن الأغلب ابنه . الصالِحية ، لصَالِح المسكين . قباب الحُسَيْن فى طريق خراسان ، هو الحُسَيْن بن قرة الفزارى . عيساباذ ، هو عِيسَى بن المَهْدِى وأمه الخيزران .

أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيم بن مخلد قال أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيل بن على الخطبى قال : سنة أربع وستين يعنى ومائة ، بنى المَهْدِى بعيساباذ قصره الذى سماه قصر السَّلاَم .

أَخْبَرَنِى الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا ابن عرفة قال : حوض دَاوُد ، منسوب إلى دَاوُد بن على . أَخْبَرَنِى ابن مخلد وابن التوزى قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال قال مُحَمَّد بن خَلَف : حوض دَاوُد بن الهندى مولى المَهْدِى . وقيل هو : دَاوُد مولى نصير ونصير مولى المَهْدِى . حوض هيلانة . قيل : أنها كانت قيمة للمَنْصُور حفرت هذا الحوض ، ولها ربض بين الكرخ [وبين] باب المحول يُعْرَف بها . وقال قومٌ : هَيْلانة جارية الرشيد التى يقول فيها :

أُف للدنيا وللزينة فيها والأثاث    إذحثا الترب على هيْلان فى الحُفرة حاث

أَخْبَرَنَا الحَسَن بن على الجَوْهَرى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن عمران بن عُبَيْد الله المَرْزَبَانِى قال نبَّأنا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عِيسَى المكى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن القَاسِم بن خلاَّد قال نبَّأنا الأصمعى قال : كان الرشيد شديد الحُب لهيْلانة ، وكانت قبله ليَحْيَى ابن خَالِد ، فدخل يومًا إلى يَحْيَى قبل الخلافة فلقيته فى ممرّ فأخذت بكمّيه فقالت : نحن لا يُصيبُنا منك يوم مرة . فقال لها : بلى : فكيف السبيل إلى ذلك؟ قالت : تأخذنى من هذا الشيخ ، فقال ليَحْيَى : أحبّ أنْ تهب لى فلانة ، فوَهَبها له حتى غلبَتْ عليه ، وكانت تكثر أنْ تقول : هى إلانه فسماها هيْلانة . فأقامت عنده ثلاث سنين ثم ماتت ، فوجد عليها وجدًا شديدًا وأنشد :

أقول لما ضمَّنُوك الثرى وجَالَت الحسرَة فِى صَدْرِى
اذْهَبْ فلا والله لا سرَّنى بعدكِ شىء آخر الدهْر

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن أَبِى على الأَصْبَهَانِى قال أَنْبَأَنَا أَبُو أَحْمَد الحَسَن بن عَبْد الله بن سَعِيد العَسْكَرِى عن مُحَمَّد بن يَحْيَى الصولى قال أَنْبَأَنَا الغلابى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن قال : لما توفيت هيلانة جارية الرشيد ، أمر العَبَّاس بن الأحنف أنْ يرثيها فقال :

يا مَنْ تباشرَت القبورُ لِمَوْتها قصَد الزمانُ مساءَتى فرماكِ
أبغى الأنيسَ فلا أرى لى مؤنسًا إلا التردُّدَ حيْث كنتُ أراكِ
مَلِكٌ بكاكِ وطال بَعْدكِ حُزْنُهُ لو يَسْتَطيعُ بمُلْكِهِ لَفَداكِ
يحمى الفؤاد عن النساء حفيظةً كيلا يَحُل حمى الفُؤاد سواكِ

فأمر له بأربعين ألف درهم ، لكل بيت عشرة آلاف درهم ، وقال : لَوْ زِدْتنا لزدناك .

أَخْبَرَنِى الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا ابن عرفة قال : وأما شاطئ دجلة من الجانب الشرقى : فأوله بناء الحَسَن بن سَهْل ، وهو قصر الخليفة فى هذا الوقت . ودار دِينَار ، دار رجاء بن أَبِى الضَّحَاك ، ثم منازل الهَاشِمِيّين ، ثم قصر المعتصم وقصر المأمون ، ثم منازل آل وَهْب إلى الجسر كانت أقطاعًا لناس من الهَاشِمِيّين ، ومن حاشية الخلفاء ، ولمدينة السَّلاَم دروب ومواضع منسوبة إلى

كورخراسان ، ومواضع كثيرة منسوبة إلى رجال ليست بأقطاع لهم ، وقيل : إنَّ الدروب والسكك ببغداد أحصِيَت فكانت ستة آلاف درب وسكة بالجانب الغربى ، وأربعة آلاف درب وسكة بالجانب الشرقى .

## ذكر دار الخلافة والقصر الحَسَنى والتاج

حَدَّثَنِى أَبُو الحُسَيْن هلال بن المحسن قال : كانت دار الخلافة التى على شاطئ دجلة تحت نهر معلى ، قديمًا للحسن بن سَهْل [(١)] ، ويُسمَّى القصر الحَسَنى . فلما توفى صارت لبوران بنته ، فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أيامًا فى تفريغها وتسليمها ، ثم رمَّتْهَا وعمَّرْتها وجصَّصْتها وبيضَتها وفرشتها بأجل الفَرْش وأحسنه ، وعلقت أصناف الستور على أبوابها ، وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به . ورتبت فيها من الخدم والجوارى ما تدعو الحاجة إليه ، فلما فرغت من ذاك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد بالله إلى الدار ووجد ما استكثره واستحسنه ، ثم استضاف المعتضد بالله إلى الدار مما جاورها كلَّ ما وسَّعَها به وكبَّرها وعمل عليها سورًا جمعها به وحصَّنها ، وقام المكتفى بالله بعده ببناء التاج [(٢)] على دجلة ، وعمل

---

(١) أبو محمد ، حمو المأمون ، وأخو الوزير ذى الرئاستين الفضل بن سهل ، من بيت حشمة من المجوس ، فأسلم سهل زمن البرامكة ، فكان قهرمانا ليحيى البرمكى . ونشأ الفضل مع المأمون فغلب عليه ، وتمكن جدا إلى أنْ قتل . فاستوزر المأمون بعده أخاه ، ولم يزل فى توقُّل إلى أنْ تزوج المأمون ببنته بوران سنة عشر ومائتين ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها . ويُقال : نابه على مجرد الوليمة والنثار أربعة آلاف ألف دينار . وعاش بعد المأمون فى أوفر عز وحرمة ، وكان يُدعى بالأمير . شكى إليه الحسن بن وهب الكاتب إضاقة فوصله بمائة ألف ووصل محمد بن عبد الملك الزيات مرة بعشرين ألفا ، ومرة بخمسة آلاف دينار . وكان فردا فى الجود ، أراد أنْ يكتب لسقاء مرة ألف درهم ، فسبقته يده ، فكتب ألف ألف درهم ، فروجع فى ذلك ، فقال : والله لا أرجع عن شىء كتبته يدى ، فصولح السقاء على جملة . مات بسرخس فى ذى القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين . وعاشت بوران إلى حدود السبعين ومائتين .

(٢) فى معجم البلدان « اسم لدار مشهورة جليلة المقدار واسعة الأقطار ببغداد من دور الخلافة المعظمة كان أول من وضع أساسه وسماه بهذه التسمية أمير المؤمنين المعتضد ولم يتم فى أيامه ، فأتمه ابنه المكتفى ، وأنا أذكر هاهنا خبر الدار العزيزة وسبب اختصاصها بهذا الاسم بعد أنْ كانت دور الخلافة بمدينة المنصور إلى أنْ أذكر قصة التاج وما يضامه من الدور المعمورة المعظمة ، كان أول ما وضع =

وراءه من القِباب والمجالس ما تناهى فى تَوْسعتِهِ وتعْليته ، ووافى المقتدر بالله فزاد عن ذلك ، وأوفى مما أنشأه واستحْدَثَه ، وكان الميدان والثريًّا ، وكذا حير الوحوش متصلا بالدار . كذا ذكر لى هلال بن المحسن : أنَّ بوران سلمت الدار إلى المعتضد ، وذلكَ غير صحيح لأن بوران لم تعش إلى وقت المعتضد .

---

= من الأبنية بهذا المكان قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، وكان السبب فى ذلكَ أنْ جعفرا كان شديد الشغف بالشرب والغناء والتهتك ، فنهاه أبوه يحيى فلم ينته ، فقال : إن كنت لا تستطيع الاستتار فاتخذ لنفسك قصرًا بالجانب الشرقى ، واجمع فيه ندماءك وقيانك ، واقض فيه معهم زمانك ، وابعد عن عين من يكره ذلكَ منك ، فعمد جعفر فبنى بالجانب الشرقى قصرًا موضع دار الخلافة المعظمة اليوم ، وأتقن بناءه وأنفق عليه الأموال الجمة ، فلما قارب فراغه سار إليه فى أصحابه وفيهم مؤنس بن عمران ، وكان عاقلا ، فطاف به واستحسنه ، وقال كل من حضر فى وصفه ومدحه وتقريظه ما أمكنه وتهيأ له ، هذا ومؤنس ساكت . فقال له جعفر : ما لك ساكت لا تتكلم وتدخل معنا فى حديثنا . فقال : حسبى ما قالوا : فعلم أنْ تحت قول مؤنس شيئًا . فقال : . . . أقسمت لتقولن . فقال : أما إذا أبيت إلا أنْ أقول فيصير على الحق . قال : نعم واختصر . فقال : أسألك بالله إن مررت الساعة بدار بعض أصحابك وهى خير من دارك هذه ما كنت صانعا؟ قال : حسبك فقد فهمت فما الرأي؟ قال : إذا صرت إلى أمير المؤمنين وسألك عن تأخرك ، فقل سرت إلى القصر الذى بنيته لمولاى المأمون . فأقام جعفر فى القصر بقية ذلكَ اليوم ثم دخل على الرشيد . فقال له : من أين أقبلت؟ وما الذى أخرك إلى الآن؟ فقال كنت فى القصر الذى بنيته لمولاى المأمون بالجانب الشرقى على دجلة . فقال له الرشيد : وللمأمون بنيته؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين لأنه فى ليلة ولادته جعل فى حجرى قبل أنْ يجعل فى حجرك واستخدمنى أبى له ، فدعانى ذلكَ إلى أنْ اتخذت له بالجانب الشرقى قصرا لما بلغنى من صحة هوائه ليصح مزاجه ويقوى ذهنه ويصفو ، وقد كتبت إلى النواحى باتخاذ فرش لهذا الموضع ، وقد بقى شىء لم يتهيأ اتخاذه ، وقد عولنا على خزائن أمير المؤمنين ، إما عارية أو هبة . قال : بل هبة . وأسفر إليه بوجهه ووقع منه بموقع ، وقال : أبى الله أنْ يُقال عنك إلا ما هو لك أو يطعن عليك إلا يرفعك . ووالله لا سكنه أحد سواك ولا تمم ما يعوزه من الفرش إلا من خزائننا . وزال من نفس الرشيد ما كانخامره ، وظفر بالقصر بطمأنينة ، فلم يزل جعفر يتردد إليه أيام فرجه ومتنزهاته إلى أنْ أوقع بهم الرشيد .

وكان إلى ذلكَ الوقت يسمى القصر الجعفرى ، ثم انتقل إلى المأمون فكان من أحب المواضع إليه وأشهاها لديه ، واقتطع جملة من البرية عملها ميدانا لركض الخيل واللعب بالصوالجة ، وحيزا لجميع الوحوش ، وفتح له بابا شرقيا إلى جانب البرية ، وأجرى فيه نهرا ساقه من نهر المعلى ، وابتنى مثله قريبا منه منازل برسم خاصته وأصحابه سميت المأمونية ، وهى إلى الآن الشارع الأعظم فيما بين عقدى المصطنع والزرادين ، وكان قد أسكن فيه الفضل والحسن بنى سهل ، ثم توجه المأمون واليا بخراسان والمقام بها ، وفى صحبته الفضل والحسن ثم كان الذى كان من إنفاذ العساكر ومقتل الأمين على يد طاهر بن الحسين ، ومصير الأمر إلى المأمون ، فأنفذ الحسن بن سهل خليفة له على العراق فوردها فى سنة ٨٩١ هـ ، ونزل =

وذكر مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مَهْدِى الأسكافى فى تاريخه : أنها ماتت فى سنة إحدى وسبعين ومائتين وقد بلغت ثمانين سنة ، ويشبه أنْ تكون سلمت الدار للمعتمد على الله ، والله أعلم .

حَدَّثَنِى القَاضِى أَبُو القَاسِم على بن المحسن التَّنُوخِى قال حَدَّثَنِى أَبُو الفَتْح أَحْمَد ابن على بن هَارُون المنجم قال حَدَّثَنِى أَبِى قال قال : أَبُو القَاسِم على بن مُحَمَّد الحوارى فى بعض أيام المقتدر بالله ، وقد جرى حديثه – وعظم أمره وكثرة الخدم فى داره : قد اشتملت الجريدة فى هذا الوقت على أحد عشر ألف خادم خَصى ،

---

= فى القصر المذكور وكان يعرف بالمأمونى ، وشفع ذلك أنْ تزوج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل بمرو بولاية عمها الفضل ، فلما قدم المأمون من خراسان فى سنة ٣٠٢ هـ ، دخل إلى قصور الخلافة بالخلد ، وبقى الحسن مقيما فى القصر المأمونى إلى أنْ عمل على عرس بوران بفم الصلح ونقلت إلى بغداد وأنزلت بالقصر ، وطلبه الحسن من المأمون فوهبه له ، وكتبه باسمه وأضاف إليه ما حوله وغلب عليه اسم الحسن فعرف به مدة ، وكان يُقال له القصر الحسنى ، فلما طوت العصور ملك المأمون والقصور وصار الحسن بن سهل من أهل القبور ، بقى القصر لابنته بوران إلى أيام المعتمد على الله فاستنزلها عنه ، وأمر بتعويضها منه فاستمهلته ريثما تفرغ من شغلها وتنقل مالها وأهلها ، وأخذت فى إصلاحه وتجديده ورمه ، وأعادت ما دثر منه وفرشته بالفرش المذهبة والنمارق المقصبة وزخرفت أبوابه بالستور ، وملأت خزائنه بأنواع الطرف مما يحسن موقعه عند الخلفاء ، ورتبت فى خزائنه ما يحتاج إليه الجوارى والخدم الخصيان ، ثم انتقلت إلى غيره وراسلت المعتمد باعتماد أمره ، فأتاه فرأى ما أعجبه وأرضاه واستحسنه واشتهاه ، وصار من أحب البقاع إليه ، وكان يتردد فيما بينه وبين سر من رأى فيقيم هناك تارة وهناك أخرى ، ثم توفى المعتمد وهو أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله بالقصر الحسنى سنة ٩٧٢ هـ ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام وحمل إلى سامراء فدفن بها ، ثم استولاه المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق الناصر لدين الله أبى أحمد بن المتوكل ، فاستضاف إلى القصر الحسنى ما جاوره فوسعه وكبره وأدار عليه سورا ، واتخذ حوله منازل كثيرة ودورا ، واقتطع من البرية قطعة فعملها ميدانا عوضا من الميدان الذى أدخله فى العمارة ، وابتدأ فى بناء التاج وجمع الرجال لحفر الأساسات ، ثم اتفق خروجه إلى آمد فلما عاد رأى الدخان يرتفع إلى الدار فكرهه ، وابتنى على نحو ميلين منه الموضع المعروف بالثريا ووصل بناء الثريا بالقصر الحسنى وابتنى تحت القصر آزاجا من القصر إلى الثريا ، تمشى جواريه فيها وحرمه وسراريه ، وما زال باقيا إلى الغرق الأول الذى صار ببغداد فعفا أثره ، ثم مات المعتضد بالله فى سنة ٢٨٩ هـ ، وتولى ابنه المكتفى بالله فأتم عمارة التاج الذى كان المعتضد وضع أساسه بما نقضه من القصر المعروف بالكامل ومن القصر الأبيض الكسروى الذى لم يبق منه الآن بالمدائن سوى الإيوان ، ورد أمر بنائه إلى أبى عبد الله النقرى ، وأمره بنقض ما بقى من قصر كسرى ، فكان الآجر ينقض من شرف قصر كسرى وحيطانه ، فيوضع فى مسناة التاج وهى طاعنة إلى وسط دجله وفى قرارها ثم حمل ما كان فى أساسات قصر كسرى ، فبنى به أعالى التاج وشرفاته » .

وكذا من صقلبي وورومي وأسْوَد . وقال : هذا جنس واحد ممن تضمه الدار فدع الآن الغلمان الحجريّة [1] وهم ألوف كثيرة ، والحواشي من الفحول .

وقال أيضًا : حَدَّثَنِي أَبُو الفَتْح عن أبيه وعمه عن أبيهما أَبِي القَاسِم على بن يَحْيَى : أنّه كانت عدة كل نوبة من نُوَب الفراشين في دار المتوكل على الله ، أربعة آلاف فراش . قالا : فذهب علينا أنْ نسأله كم نوبة كانوا؟ حَدَّثَنِي هلال بن المحسن قال حَدَّثَنِي أَبُو نَصْر خواشاذة خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة ، عَامِرِها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها ، فكان ذلكَ مثل مدينة شيراز .

قال هلال : وسَمِعْت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين . ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ، ففُرشت الدار بالفروش الجميلة ، وزينت بالآلات الجليلة ، ورتِّب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم . على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومُخْترَقاتها وصحونها ومجالسها ، ووقف الجند صفين بالثياب الحَسَنة ، وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة ، وبين أيديهم الجنائب [2] على مثل هذه الصورة . وقد أظهروا العدد المكسيّة والأسلحة المختلفة ، فكانوا من أعلى باب الشماسية وإلى قريب من دار الخلافة ، وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الداريّة [3] والبرّانية [4] إلى حضرة الخليفة ، بالبزَّة الرائعة والسيوف والمناطق المحلاة . وأسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظَّارة ، وقد اكترى كل دكان وغرفة مُشرفة بدراهم كثيرة ، وفي دجلة الشذّاآت [5] ، والطيّارات ، والزبازب ، والدلالات ، والسُميْريات ، بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة ، وسار الرسول ومن معه من

---

(1) الذين درجوا منذ صغرهم في بيوت مواليهم .

(2) جمع جنيبة وهي الدابة التي تقاد ومعدة للركوب .

(3) الذين يخدمون داخل الدار .

(4) الذين يخدمون خارج الدار ، ولا يؤذن لهم بدخولها .

(5) في اللسان « الشذا ضرب من السفن عن الزجاجي الواحدة شذاة قال أبو منصور هذا معروف ولكنه ليس بعربي قال ابن برى الشذاة ضرب من السفن والجمع شذوات » والأسماء التي بعدها دالة على أنواع أخر من السفن والمراكب .

المواكب إلى أنْ وصلوا إلى الدار ، ودخل الرسول فمر به على دار نَصْر القشورى الحاجب . ورأى ضَفَفًا [1] كثيرًا ومنظرًا عظيمًا ، فظن أنَّه الخليفة وتداخلته له هيبْة وروعة ، حتى قيل له إنه الحاجب ، وحُمل من بعد ذلكَ إلى الدار التى كانت برسم الوزير ، وفيها مجلس أَبِى الحَسَن على بن الفرات [2] يومئذ ، فرأى أكثر مما رآه لنصر الحاجب ولم يشك فى أنَّه الخليفة؛ حتى قيل له هذا الوزير؛ وأجلس بين دجلة والبساتين فى مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ، ونصبت فيه الدسوت ، وأحاط به الخدم بالأعمدة والسيوف . ثم استدعى - بعد أنْ طيف به فى الدار - إلى حضرة المقتدر بالله [3] ، وقد جلس وأولاده من جانبيه ، فشاهد من الأمر ما هاله . ثم انصرف إلى دارٍ قد أُعِدَّت له .

---

(١) فى مختار الصحاح « الضفف : كثرة العيال . وقال الحسن : ما شبع رسول الله عليه الصلاة والسلام من خبز ولحم إلا على ضفف . قيل معناه تناولا مع الناس . وقال الخليل : الضفف كثرة الأيدى على الطعام . وقال أبو زيد وابن الأعرابى : هو الضيق والشدة . وقال الأصمعى : هو أنْ يكون المال قليلا ومن يأكله كثيرا وقال الفراء هو الحاجة » .

(٢) الوزير الكبير أبو الحسن ، على بن أبى جعفر محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات العاقولى الكاتب . قال الصولى : ابتاع جدهم ضياعًا بالعاقول ، وانتقل إليها ، فنُسبوا إلى العاقول . كان ابن الفرات يتولى أمر الدواوين زمن المكتفى ، فلما ولى المقتدر ووزر له العباس بن الحسن ، بقى ابن الفرات على ولايته ، فجرت فتنة ابن المعتز ، وقُتل العباس الوزير ، فوزر ابن الفرات سنة ست وتسعين ، وتمكن ، فأحسن وعدل ، وكان سمحًا مفضالا محتشمًا ، رأسًا فى حساب الديوان ، له ثلاثة بنين ، المحسن والفضل والحسين ، ثم عزل فى ذى الحجة سنة تسع وتسعين ، ثم وزر فى سنة أربع وثلاث مائة إثرَ عزل على بن عيسى ، ثم عزل بعد سبعة عشر شهرًا بحامد بن العباس ، ثم وليها سنة ٣١١ ، وولى ولده المحسن الدواوين ، فعسف وصادر وعذب ، وظلم أبوه أيضًا ، واستأصل جماعة ، فعزل بعد سنة إلا أيامًا .

قال الصولى : قبض المقتدر على ابن الفرات ، وهرب ابنه ، فاشتد السلطان وجميع الأولياء فى طلبه ، إلى أنْ وُجد ، وقد حلق لحيته ، وتشبَّه بامرأة فى خُفٍّ وإزار ، ثم طُولب هو وأبوه بالأموال ، وسلما إلى الوزير عبيد الله بن محمد ، فعلما أنهما لا يفلتان ، فما أذعنا بشىء ، ثم ضُرِبَتْ عنق المحسن بعد أنواع العذاب فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وثلاث مائة وأُلقى رأسه بين يدى أبيه ، فارتاع ثم قُتل ، ثم أُلقى الرأسان فى الفرات ، وكان للوزير إحدى وسبعون سنة وشهور ، وللمحسّن ثلاث وثلاثون سنة .

(٣) أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله الهاشمى العباسى البغدادى . بُويع بعد أخيه المكْتَفى فى سنة خمس وتسعين ومائتين ، وهو ابن ثلاث عشرة =

حَدَّثَنِي الوزير أَبُو القَاسِم على بن الحَسَن المعروف بابن المسْلَمَة قال حَدَّثَنِي أمير المؤمنين القائم بأمر الله [(١)] قال حَدَّثَنِي أمير المؤمنين القادر بالله [(٢)] حَدَّثَتني جدتي أم أَبِي إسحاق بن المقتدر بالله : أنَّ رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ، ولما وصل إلى بغداد أُنزِل دار صَاعِدٍ ومكث شهرين لا يُؤذَنُ له في الوصول ، حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آلته فيه ، ثم صفَّ العسكر من دار صَاعِد إلى دار الخلافة ، وكان عدد الجيش مائة وستين ألف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم إلى أنْ بلغ الدار ثم أدخل فى أزج تحت الأرض ، فسار فيه حتى مَثُل بين يدى المقتدر بالله وأدّى رسالة صاحبه ، ثم رُسِم أنْ يطاف به فى الدار وليس فيها من العسكر أحد ألبتّة ، وإنَّما فيها الخدم والحجّاب والغلمان السودان ، وكان عدد الخدم إذْ ذاك سبعة آلاف خادم ، منهم أربعة آلاف بيض ، وثلاثة آلاف سود ، وعدد الحجاب سبعمائة حاجب ، وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام . قد جُعلوا على سطوح الدار والعلالِى ، وفتحت الخزائن ، والآلات فيها مُرتبة كما يفعل لخزائن العرائس ، وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة فى قَلايات على درج غشيت بالديباج الأَسْوَد ، ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه منها ، وكانت شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم ، عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفِّر بحَركات قد

---

= سنة ، وما ولى أحد قبله أصغر منه ، وانخرم نظام الإمامة فى أيامه ، وصَغُر منصب الخلافة ، وقد خُلع فى أوائل دولته ، وبايعوا ابن المعتز ، ثم لم يتم ذلكَ ؛ وقُتل ابن المعتز وجماعته ، ثم إنه خُلِع ثانيا فى سنة سبع عشرة ، وبذل خطه بعزل نفسه ، وبايعوا أخاه القاهر ، ثم بعد ثلاث أُعيد المقتدر ، ثم فى المرة الثالثة قُتل . وعاش ثمانيا وثلاثين سنة .

(١) أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر العباسى البغدادى . ولد سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة فى نصف ذى القعدة وأمه بدر الدجى الأرمنيَّة . بويع يوم موت أبيه بعهد له منه فى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة ، وأبوه هو الذى لقبه . توفى القائم فى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربع مائة .

(٢) أبو العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسى البغدادى ، وأمه اسمها تمنى . مولده سنة ست وثلاثين وثلاث مائة . وتوفى فى ذى الحجة من سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة .

جعلت لها ، فكان تعجُّب الرسول من ذلكَ أكثر من تعجُّبه من جميع ما شاهده .

قال لى هلال بن المحسن : ووجدت مِنْ شرح ذلكَ ما ذكر كاتبه أنَّه نقله من خط القَاضِى أَبِى الحُسَيْن بن أمّ شَيْبَان الهَاشِمِى وذكر أَبُو الحُسَيْن أنَّه نقله من خط الأمير - وأحسبه الأمير أبا مُحَمَّد الحَسَن بن عِيسَى بن المقتدر بالله - قال : كان عدد ما علق فى قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرز المذهبة الجليلة ، المصورة بالجامات [1] والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرد والستور الكبار البضغائية والأرمنيّة والوَاسِطيّة والبهنسيّة [2] السواذج والمنقوشة ، والديبقية المطرزة ، ثمانية وثلاثين ألف ستر ، منها الستور الديباج المذهبة المقدم وصفها اثنا عشر ألفًا وخمسمائة ستر ، وعدد البسط والنخاخ الجهرمية [3] والداربجرْديّة [4] والدّوْرقيّة [5] ، فى الممرات والصحون التى وطئ عليها القواد ورُسُلُ صاحب الروم ، من حدّ باب العامة الجديد إلى حضرة المقتدر بالله ، سوى ما فى المقاصير والمجالس من الأنماط الطَّبَرِى والديبقى التى حقها النظر . دون الدَّوس ، اثنان وعشرون ألف قطعة ، وأدخل رُسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الأعظم إلى الدار المعروفة بخان الخيل ، وهى دار أكثرها أروِقة بأساطين رخام ، وكان فيها من الجانب الأيمن خمسمائة فرس عليها خمسمائة مركب ذهبًا وفضة بغير أغشية ، ومن الجانب الأيسر خمسمائة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال ، وكل فرس فى يدى شَاكِرى بالبزّة الجميلة . ثم أدخلوا من هذه الدار إلى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش ، وكان فى هذه الدار من أصناف الوحش التى أخرجت إليها من الحير قطعان تقرب من الناس ، وتتشممهم وتأكل من أيديهم . ثم أخرجوا إلى

---

(١) فى اللسان « الجام : إناء من فضة (عربى صحيح) . قال ابن سيده : وإنَّما قضينا بأن ألفها واو لأنها عين . وقال ابن الأعرابى : الجام : الفاثور من اللجين ويجمع على أجؤم . قال : و جام يجوم مثل حام يحوم حوما ، إذا طلب شيئا خيرا أو شرا . وقال ابن الأعرابى : جمع الجام جامات ومنهم من يقول جوم » .

(٢) نسبة إلى إلى البهنسا - بالقصر - بلد بصعيد مصر الأدنى .

(٣) نسبة إلى جَهْرَم بلد بفارس . أو الجَهَاضِم إحدى محلات بالبصرة .

(٤) نسبة إلى دارابَجِرْد بلد بفارس ، وهناك محلة بنيسابور تحمل نفس الاسم .

(٥) إلى دورق بدل بخوزستان أوإلى دورقة بلد بالأندلس .

دار فيها أربعة فيلة مزيّنة بالديباج والوشي ، على كل فيل ثمانية نفر من السند والزراقين [1] بالنار ، فهال الرسل أمرها . ثم أخرجوا إلى دار فيها مائة سبع خمسون يمنةً وخمسون يسرةً ، كل سبع منها في يد سبّاع وفي رءوسها وأعناقها السلاسل والحديد . ثم أخرجوا إلى الجوسق المحدث ، وهي دَارٌ بين بساتين في وسطها بركة رَصاص قلعي [2] ، حواليها نهر رصاص قلعي أحسن من الفضّة المجلوّة ، طول البركة ثلاثون ذراعًا في عشرين ذراعًا ، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالديبقي المطرز وأغشيتها ديبقي مذهب؛ وحوالي هذه البركة بستان بميادين فيه نخل ، وأنّ عدده أربعمائة نخلة ، وطول كل واحدة خمسة أذرع ، قد لُبّس جميعها ساجًا منقوشًا من أصلها إلى حد الجمّارة [3] بحلق من شبة مذهبة ، وجميع النخل حامل بغرائب البُسْرِ الذي أكثره خلال لم يتطير ، وفي جوانب البستان أترج [4] حاملٌ ودستنبلوا ومقفع [5] وغير ذلك . ثم أخرجوا من هذه الدار إلى دار الشجرة ، وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة ، مدوّرة فيها ماءٌ صافٍ ، وللشجرة ثمانية عشر غُصْنًا لكل غُصْن منها شاحنات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضّضة ، وأكثر قضبان الشجرة فضة ، وبعضها مذهب . وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصفر ويَهْدُرُ ، وفي جانب الدار يمْنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسًا

---

(١) في اللسان « ورجل زراق : خداع ، والزرقة : خرزة يؤخذ بها الرجال زرق الطائر وغيره ، وذرق : إذا حذف به حذفا » .

(٢) نسبة إلى « القلعة » بلد : بالهند وموضع باليمن .

(٣) في اللسان « و جمارة النخل شحمته التي في قمة رأسه تقطع قمته ثم تكشط عن جمارة في جوفها بيضاء كأنها قطعة سنام ضخمة وهي رخصة تؤكل بالعسل » .

(٤) في اللسان : «شجر واحدته ترنجة و أترجة قال علقمة ابن عبدة :

يحملن أترجة نضح العبير بها ... كأن تطيابها في الأنف مشموم

وحكى أبو عبيدة ترنجة و ترنج » .

(٥) في اللسان « القفع جنن كالمكاب من خشب يدخل تحتها الرجال إذا مشوا إلى الحصون في الحرب . قال الأزهري : « هي الدبابات التي يقاتل تحتها واحدتها قفعة . و القفع ضبر تتخذ من خشب يمشى بها الرجال إلى الحصون في الحرب يدخل تحتها الرجال . و القفاعة مصيدة للصيد » . قال ابن دريد : « ولا أحسبها عربية » .

على خمسة عشر فرسًا قد ألبسوا الديباج وغيره ، وفى أيديهم مطارد على رماح ، يدورون على خط واحد فى النارود خببًا وتقريبًا ، [فيظن أنَّ كل واحد منهم إلى صاحبه قاصد] . وفى الجانب الأيسر مثل ذلك . ثم أدخلوا إلى القصر المعروف بالفردوس ، فكان فيه من الفرش والآلات مالا يُحصى ولا يُحصر كثرة ، وفى دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوْشن [(١)] مذهبة معلّقة . ثم أخرجوا منه إلى ممر طوله ثلاثمائة ذراع ، قد عُلق من جانبيه نحو من عشرة آلاف درقة [(٢)] وخوذة وبيضة [(٣)] ودرع وزردية [(٤)] وجعبة محلاة وقِسى ، وقد أقيم نحو ألفى خادم بيضًا وسودًا صفّين يُمْنة ويُسرة . ثم أخرجوا - بعد أنْ طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرًا - إلى الصحْن التسعينى وفيه الغلمان الحجرية [(٥)] ، بالسلاح الكَامِل ، والبزة الحَسَنة ، والهيئة الرائعة ، وفى أيديهم الشروخ [(٦)] والطبَرْزِينَات والأعمدة ، ثم مروا بمصافّ من علية السواد من خلفاء الحجاب الجند والرجالة وأصاغر القواد ، ودخلوا دار السَّلاَم . وكانت عدة كثير من الخدم والصقالبة فى سائر القصور ، يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والأشربة والفقاع [(٧)] ، ومنهم من كان يطوف مع الرسل ، فلطول المشى بهم جلسوا واستراحوا فى سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا ، وكان أَبُو عُمَر عدى بن أَحْمَد بن عَبْد الباقى الطرسوسى : صاحب السلطان ، ورئيس الثغور الشامية معهم فى كل ذلك ، وعليه قباء أَسْوَد وسيف ومنطقة ، ووصلوا إلى حضرة المقتدر بالله وهو جالس فى التاج مما يلى دجلة ، بعد أنْ لبِّس بالثياب الديبقية المطرزة بالذهب

(١) اسم الحديد الذى يلبس من السلاح . قال ذو الرمة يصف ثورا طعن كلابا بروقيه فى صدرها

فكر يمشق طعنا فى جواشنها كأنه الأجر فى الإقبال يحتسب

قال الجوهرى : و الجوشن الدرع واسم الرجل وقيل الجوشن من السلاح زرد يلبسه الصدر والحيزوم .

(٢) فى اللسان « الدرق ضرب من الترسة الواحدة درقة تتخذ من الجلود غيره الدرقة الحجفة وهى ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب والجمع درق و أدراق و دراق » .

(٣) خوذة الرأس .

(٤) الدرع .

(٥) الذين ربوا لدى أسيادهم صغارا ودرجوا لديهم .

(٦) جمع شرخ وهو النصل الذى لم يسق بعد ولم يركب عليه قائمه .

(٧) شراب يتخذ من الشعير سمى به لما يعلوه من الزبد .

على سرير أبنوس قد فُرش بالديبقى المطرز بالذهب ، وعلى رأسه الطويلة ، ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السُّبَح معلقة ، ومن يسرته تسعة أخرى من أفخر الجواهر وأعظمها قيمة غالبة الضَّوْء على ضَوْء النهار ، وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنةً واثنان ميسرةً ، ومُثِّل الرسول وترجمانه بين يدى المقتدر بالله ، فكفر له . وقال الرسول : لمؤنس الخادم ونصر القُشورى - وكانا يترجمان عن المقتدر : لولا أنى لا آمن أنْ يطَالِب صاحبكم بتقبيل البساط لقبّلته ، ولكننى فعلت مالا يطلب رسولكم بمثله ، لأن التكفير من رسم شريعتنا . ووقفا ساعة؛ وكانا شابًّا وشيخًا ، فالشاب الرسول المتقدم؛ والشيخ الترجمان ، وقد كان ملك الروم عقد الأمر فى الرسالة للشيخ متى حَدَثَ بالشاب حَدَث الموت . وناوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم ، وكان ضَخْمًا كبيرًا فتناوله وقبّله إعظامًا له ، وأخرجا من باب الخاصة إلى دجلة ، وأقعدا وسائر أصحابهما فى شذًا [1] من الشذوات الخاصة وصَاعِدًا إلى حيث أنزلا فيه من الدار المعروفة بصَاعِد وحُمل إليهما خمسون بدرة ورقًا فى كل بدرة خمسة آلاف درهم ، وخُلع على أَبِى عُمر عدى الخلع السلطانية ، وحُمِل على فرس وركب على الظهر ، وكان ذلكَ فى سنة خمس وثلاثمائة .

## ذكر دار المملكة التى بأعلى المَخْرَم [2]

حَدَّثَنِى هلال بن المحسن : قال : كانت دار المملكة التى بأعلى المخرّم ، محاذية الفرضة قديمًا لسبكتكين غلام مُعِزّ الدولة ، فنقض عضد الدولة أكثرها ، ولم يستبق إلا البيت الستّينى الذى هو فى وسط أروقة من ورائها أروقة فى أطرافها قباب معقودة ، وتنفتح أَبْوابه الغربية إلى دجلة وأَبْوابه الشرقية إلى صحن من خلفه بستان ونخل وشجر . وكان عضد الدولة جعل الدار التى هذا البيت فيها دار العامة؛ والبيت

---

(١) سبق التعريف بها .

(٢) ورد فى معجم ما استعجم « المَخرَم : محلة ببغداد فى الجانب الشرقى ، هكذا ضبطوه حيثما وقع بفتح الراء المهملة ، وذكر عبد الغنى بن سعيد فى كتاب « مشتبه النسبة » أنَّ المخرمى ، بفتح الميم وتسكين الخاء وفتح الراء ، هو عبد الله بن جعفر المخرمى من ولد المسور بن مخرمة ، قال : وأما المُخرِّمى ، بضم الميم وفتح الخاء وكسر الراء وتشديدها ، فكثير منهم محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى القاضى الحافظ . قلنا : وهذا بغدادى منسوب إلى تلك المحلة لا شك» . راجع ج٤ ص ١١٩٥ .

برسم جلوس الوزراء وما يتصل به من الأروقة والقباب مواضع الدواوين ، والصحن منامًا للديلم [1] النوبة فى ليالى الصيف . قال هلال : وهذه الدار وما تحتوى عليه من البيت المذكور والأروقة خراب . ولقد شاهدت مجلس الوزراء فى ذلكَ ومحفل من يقصدهم ويحضرهم ، وقد جعله جلال الدولة إصطبلا أقام فيه دوابَّه وسوّاسه ، وأما ما بناه عضد الدولة وولده بعده فى هذه الدار فهو متماسك على تشعثه .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : ولما ورد طغرلبك [2] الغُزّى بغداد واستولى عليها عمّر هذه الدار وجدد كثيرًا - مما كان وهى منها - فى سنة ثمانى وأربعين وأربعمائة . فمكثت كذلكَ إلى سنة خمسين وأربعمائة ، ثم أحرقت وسلب أكثر آلاتها ، ثم عمّرت بعد وأعيد ما كان أخذَ منها .

حَدَّثَنِى القَاضِى أَبُو القَاسِم على بن المحسن التَّنُوخِى قال سَمِعْت أَبِى يقول : ماشيت الملك عضد الدولة فى دار المملكة بالمخرّم التى كانت دار سبكتكين حاجب معز الدولة من قبل ، وهو يتأمل ما عُمل وهُدم منها . وقد كان أراد أنْ يترك فى الميدان السبكتكينى أذرعًا ليجعله بستانًا ، ويردّ بدل التراب رملا ويُطرح الترب تحت الروشن على دجلة . وقد ابتاع دورًا كثيرة كبارًا وصغارًا ونقضها ورمى حيطانها بالفيلة تخفيفًا للمؤنة ، وأضاف عرصاتها إلى الميدان ، وكانت مثل الميدان دفعتين ، وبنى على الجميع مُسَنَّاةً [3] ، فقال لى فى هذا اليوم - وقد شاهد ما شاهد

---

(١) فى اللسان « الديلم الجماعة الكثيرة من الناس و الديلم الحبشى من النمل يعنى الأسود وقيل الديلم مجتمع النمل والقردان فى أعقار الحياض وأعطان الإبل وقيل هى الجماعة من كل شىء قال : يعطى الهنيدات ويعطى الديلما ، قال الليث : الديلم جيل من الناس ، وقال غيره : هم من ولد ضبة بن أد ، وكان بعض ملوك العجم وضعهم فى تلك الجبال فربلوا بها . وقال ابن الأعرابى : الديلم النمل » .

(٢) محمد بن ميكائيل ، السلطان الكبير ركن الدين ، أبو طالب . أصله من بخارى ؛ واستولى على العراق فى سنة سبع وأربعين ، وتحبب إلى الرعية بعدل مشوب بجور ، ولما تمهدت البلاد لطغرلبك خطب بنت الخليفة القائم ، فتألم القائم ، واستعفى فلم يعف ، فزوجه بها ، ثم قدم طغرلبك بغداد للعرس . وكانت له يد عظيمة على القائم فى إعادة الخلافة إليه ، وقطع خطبة المصريين التى أقامها البساسيرى . و مات طغرلبك فى رمضان من السنة بالرى سنة خمس وخمسين .

(٣) فى لسان العرب « المسناة : ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء ، سميت مسناة لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب ، مأخوذ من قولك : سنيت الشىء والأمر ، إذا فتحت وجهه » .

مما عُمل وقدّر ما قدّر لما يُعمل : تدرى أيها القَاضِى كم أُنفق على قلع ما قُلع من التراب إلى هذه الغاية وبناء هذه المسنّاة السخيفة مع ثمن ما ابتيع من الدور واستضيف؟ قلت : أظنه شيئًا كثيرًا . فقال : هو إلى وقتنا هذا تسعمائة ألف درهم صحاحًا ، ونحتاج إلى مثلها دفعة أو دفعتين حتى يتكَامل قلع التراب ويحصل موضعه الرمل موازيًا لوجه البستان ، فلما فرغ من ذلكَ وصار البستان أرضًا بيضاء لاشىء فيها من غرس ولا نبات . قال : قد أنفق على هذا حتى صار كذا أكثر من ألفى ألف درهم صحاحًا ، ثم فكّر فى أنْ يجعل شِرْب البستان من دواليب ينصبها على دجلة ، وعلم أنّ الدواليب لا تكفى ، فأخرج المهندسين إلى الأنهار التى فى ظاهر الجانب الشرقى من مدينة السَّلاَم ليستخرجوا منها نهرًا يسيح ماؤه إلى داره ، فلم يجدوا ما أرادوه إلا فى نهر الخالص فعلّى الأرض بين البلد وبينه تعلية أمكن معها أنْ يجرى الماء على قدر من غير أنْ يحدث به ضرر . وعمل تلّين عظيمين يساويان سطح ماء الخالص ، ويرتفعان عن أرض الصحراء أذرعًا ، وشقّ فى وسطهما نهرًا جعل له خورين من جانبيه ، وداس الجميع بالفيلة دَوْسًا كثيرًا حتى قوى واشتد وصلب وتلبّد ، فلما بلغ إلى منازل البلد وأراد سوْق النهر إلى داره ، عمد إلى درب السلسلة فدكَّ أرضه دكًّا قويًا ، ورفع أَبْواب الدور وأوثقها وبنى جوانب النهر طول البلد بالآجرّ والكِلْس والنورة ، حتى وصل الماء إلى الدار وسقى البستان . قال أَبِى : وبلغت النفقة على عمل البستان وسوق الماء إليه على ما سَمِعْته من حواشى عضُد الدولة خمسة آلاف ألف درهم ، ولعله قد أنفق على أبنية الدار على ما أظن مثل ذلك ، وكان عضُد الدولة عازمًا على أنْ يهدم الدور التى بين داره وبين الزاهر . ويصل الدار بالزاهر فمات قبل ذلك .

## ذكر تسمية مساجد الجانبين المخصوصة بصلاة الجمعة والعيدين

كان أَبُو جَعْفَر المَنْصُور : جعل المسجد الجامع بالمدينة ملاصق قصره المعروف بقصر الذهب : وهو الصحن العتيق ، وبناه باللبن والطين ومساحته على ما أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن

جَعْفَر النَّحْوى قال حدثنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال حدثنا مُحَمَّد بن خَلَف قال : وكانت مساحة قصر المَنْصُور أربعمائة ذراع فى أربعمائة ذراع ، ومساحة المسجد الأول مائتين فى مائتين ، وأساطين الخشب فى المسجد ، يعنى كل أسطوانة قطعتين معقّبتين بالعَقِب والغِرْى وضبَاب الحديد ، إلا خمسًا أو ستًّا عند المنارة فإن فى كل أسطوانة قطعًا ملفقة مدورة من خشب الأساطين ، قال مُحَمَّد بن خَلَف وقال ابن الأعرابى : تحتاج القبلة [إلى] أنْ تحرف إلى باب البصرة قليلا ، وإن قبلة الرصافة أصوب منها . فلم يزل المسجد الجامع بالمدينة على حاله إلى وقت هَارُون الرشيد ، فأمر هَارُون بنقضه وإعادة بنائه بالآجُر والجَصّ ففعل ذلك ، وكتب عليه اسم الرشيد . وذكر أمره ببنائه وتسمية البنّاء والنجّار وتاريخ ذلك؛ وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان إلى وقتنا هذا .

أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيم بن مخلد قال أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيل بن على الخطبّى قال : وهُدم مسجد أَبِى جَعْفَر المَنْصُور وزيد في نواحيه وجُدّد بناؤه وأحكم؛ وكان الابتداء به فى سنة اثنتين وتسعين ، والفراغ منه فى سنة ثلاث وتسعين ، وكانت الصلاة فى الصحن العتيق الذى هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقَطَّان ، وكانت قديمًا ديوانًا للمَنْصُور . فأمر مُفْلِحُ التركى ببنائها على يد صاحبه القَطَّان فنسِبتْ إليه ، وجُعِلتْ مصلّى للناس ، وذلكَ فى سنة ستين أو إحدى وستين ومائتين ، ثم زاد المعتضد بالله الصحن الأول وهو قصر المَنْصُور ، ووصله بالجامع؛ وفتح بين القصر والجامع العتيق فى الجدار سبعة عشر طاقًا؛ منها إلى الصحن ثلاثة عشر ، وإلى الأروقة أربعة ، وحوّل المنبر والمحراب والمقصورة إلى المسجد الجديد .

وأَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيم بن مخلد قال أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيل بن على قال : وأخبر أمير المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربى من مدينة السَّلاَم فى مدينة المَنْصُور ، وأن الناس يضطرهم الضيق إلى أنْ يُصلوا فى المواضع التى لا تجوز فى مثلها الصلاة ، فأمر بزيادة فيه من قصر أمير المؤمنين المَنْصُور ، فبنى مسجدٌ على مثال المسجد الأول فى مقداره أو نحوه ، ثم فتح فى صدر المسجد العتيق ووصل به فاتسع به الناس . وكان الفراغ من بنائه والصلاة فيه سنة ثمانين ومائتين .

قال الشيخ أَبو بَكْر : وزاد بَدْر مولى المعتضد من قصر المَنْصُور المسقطات

المعروفة بالبدرية فى ذلكَ الوقت ، وأما المسجد الجامع بالرصافة فإن المَهْدِى بناه فى أول خلافته .

أَخْبَرَنَا بذلكَ مُحَمَّد بن الحُسَيْن [بن الفَضْل] القَطَّان قال : أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن جَعْفَر بن درستويه قال نبَّأنا يَعْقُوب بن سُفْيَان قال : سنة تسع وخمسين ومائة فيها بنى المَهْدِى المسجد الذى بالرصافة ، فلم تكن صلاة الجمعة تُقام بمدينة السَّلاَم إلا فى مسجدى المدينة بالرصافة إلى وقت خلافة المعتضد ، فلما استخلف المعتضد أمر بعمارة القصر المعروف بالحَسَنىّ على دجلة فى سنة ثمانين ومائتين وأنفق عليه مالا عظيمًا . وهو القصر المرسوم بدار الخلافة ، وأمر ببناء مطامير [(١)] فى القصر رسمها هو للصنّاع ، فبُنِيتْ بناءً لم يُر مثله على غاية ما يكون من الإحكام والضيق ، وجعلها محابس للأعداء . وكان الناس يُصلون الجمعة فى الدار ، وليس هناك رسم لمسجد ، وإنَّما يُؤذن للناس فى الدخول وقت الصلاة ويخرجون عند انقضائها ، فلما استخلف المكتفى فى سنة تسع وثمانين ومائتين ، ترك القصر وأمر بهدم المطامير التى كان المعتضد بناها ، وأمر أنْ يُجعل موضعها مسجد جامع فى داره يصلى فيه الناس ، فعُمِل ذلكَ وصار الناس يبكّرون إلى المسجد الجامع فى الدار يوم الجمعة فلا يمنعون من دخوله ، ويقيمون فيه إلى آخر النهار . وحصل ذلكَ رسمًا باقيًا إلى الآن ، واستقرت صلاة الجمعة ببغداد فى المساجد الثلاثة التى ذكرناها إلى وقت خلافة المتّقى [(٢)] . كان فى الموضع المعروف ببراثا [(٣)] مسجد

---

(١) مطامير جمع مطمورة وهى حفرة أو مكان تحت الأرض وقد هيء خفيا يطمر فيه الطعام أو المال .

(٢) هو أبو إسحاق ، إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد ، العباسى . ولى بعد الراضى وسنُّه أربع وثلاثون سنة ، وفى عهده حدثت فتنة فسار إلى تكريت ، وكتب إلى صاحب مصر الإخشيد ليحضر إليه ، فأقبل إليه فوجده بالرقة ، وراسل المتقى توزون التركى ، فعلم بذلكَ الإخشيد ، فقال للمتقى : أنا عبدك ، وقد عرفت غدر الأتراك ، فالله الله فى نفسك ، سر معى إلى الشام ومصر لتأمن . فلم يطعه ، فرجع الإخشيد إلى مصر ، وتوجه المتقى من الرقة إلى بغداد ، وحلف له توزون ، فلما التقاه ترجل له وقبل الأرض ، ومشى بين يديه ، فلما نزل قبض توزون عليه وسمله ، وأدخل بغداد أعمى ، وأخذ منه البرد والقضيب والخاتم ، وأحضر عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى فبايعه بالخلافة . وكان خلع المتقى فى العشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين .

(٣) محلة ببغداد وقرية من عملها .

يجتمع فيه قوم ممن يُنْسَب إلى التشيُّع ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه ، فرُفِعَ إلى المقتدر بالله أنَّ الرافضة يجتمعون فى ذلكَ المسجد لسب الصحابة والخروج عن الطاعة ، فأمر بكبْسه يوم جمعةٍ وقت الصلاة ، فكُبس وأُخذ من وجد فيه فعوقبوا ، وحُبسوا حبسًا طويلا ، وهُدِمَ المسجد حتى سُوّى بالأرض وعفى رسمه ووُصِل بالمقبرة التى تليه ، ومكث خرابًا إلى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، فأمر الأمير بَجْكَم بإعادة بنائه وتوسعته وإحكامه ، فبُنى بالجصّ والآجرّ وسُقِف بالساج المنقوش ، ووُسِّع فيه ببعض ما يليه مما ابتيع له من أملاك الناس ، وكُتب فى صدره اسم الراضى بالله [(١)] ، وكان الناس ينتابونه للصلاة فيه والتبرك به ، ثم أمر المتقى بالله بعد بنصب منبر فيه كان بمسجد مدينة المَنْصُور معطّلا مخبوًّا فى خزانة لمسجد عليه اسم هَارُون الرشيد ، فنُصب فى قِبلة المسجد ، وتُقدم إلى أَحْمَد بن الفَضْل بن عَبْد الملك الهَاشِمِى ، وكان الإمام فى جامع الرصافة بالخروج إليه والصلاة بالناس فيه يوم الجمعة ، فخرج وخرج الناس من جانبى مدينة السَّلاَم حتى حضروا فى هذا المسجد ، وكثر الجمع هناك وحضر صاحب الشرطة . فأُقيمَت صلاة الجمعة فيه يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وتوالت صلاة الجمعة فيه وصار أحد مساجد الحضرة ، وأفرد أَبُو الحَسَن أَحْمَد بن الفَضْل الهَاشِمِى بإمامته ، وأُخْرجت الصلاة بمسجد جامع الرصافة عن يده . قال الشيخ أَبُو بَكْر : ذكر معنى جميع ما أوردته إِسْمَاعِيل بن على الخطبى فيما .

أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيم بن مخلد أنَّه سمعه منه . وحَدَّثَنِى أَبُو الحُسَيْن هلال بن المحسن الكَاتِب أنَّ الناس تحَدَّثَوا فى ذى الحجة من سنة تسع وسبعين وثلثمائة ، بأن امرأة من أهل الجانب الشرقى رأت فى منامها النبى - ﷺ - كأنه يخبرها بأنها تموت من

---

(١) هو أبو إسحاق محمد ، وقيل : أحمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل ، الهاشمى العباسى . ولد سنة سبع وتسعين ومائتين وأمه رومية . استخلف بعد عمه القاهر سنة اثنين وعشرين وثلاث مائة . قال أبو بكر الخطيب : له فضائل منها : أنَّه آخر خليفة خطب يوم الجمعة ، وآخر خليفة جالس الندماء ، وآخر خليفة له شعر مدون ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش . وتوفى فى نصف ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثلاث مائة وله اثنتان وثلاثون سنة ، سوى أشهر . وبويع المتقى لله إبراهيم أخوه .

غد عصرًا ، وأنه صلى فى مسجد بقطيعة أم جَعْفَر من الجانب الغربى فى القلايين ، ووضع كفه فى حائط القبلة ، وأنها فسرت هذه الرؤيا عند انتباهها من نومها ، فقُصد الموضع ووُجد أثر كف ، وماتت المرأة فى ذلكَ الوقت ، وعمر المسجد ووسَّعه أَبُو أَحْمَد الموسوى بعد ذلكَ وكبّره وبناه وعمّره واستأذن الطائع لله فى أنْ يجعله مسجدًا يصلى فيه أيام الجـمعات؛ واحتج بأنه من وراء خندق يقطع بينه وبين البلد ، ويصير به ذلكَ الصَّقْعُ بلدًا آخر ، فأذن فى ذلكَ وصار جامعًا يصلى فيه الجمعات .

وذكر لى هلال بن المحسن أيضًا : أنَّ أبا بَكْر مُحَمَّد بن المحسن بن عَبْد العَزِيز الهَاشِمِى : كان بنى مسجدًا بالحَرْبِيَّة [(١)] فى أيام المطيع لله [(١)] ليكون جامعًا يُخطب فيه؛ فمنع المطيع من ذلكَ ومكث المسجد على تلكَ الحال حتى استُخلف القادر بالله فاستفتى الفقهاء فى أمره ، فأجمعوا على وجوب الصلاة فيه : فرسم أنْ يُعمّر ويُكسى ويُنصب فيه منبر ، ورتب إمامًا يُصلى فيه الجمعة ، وذلكَ فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة؛ فأدركتُ صلاة الجمعة وهى تقام ببغداد : فى مسجد المدينة ، ومسجد الرصافة ، ومسجد دار الخلافة ، ومسجد براثا ، ومسجد قطيعة أم جَعْفَر – وعرف بقطيعة الدقيق ومسجد الحَرْبِيَّة . ولم تزل على هذا إلى أنْ خرجتُ من بغداد فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، ثم تعطلت فى مسجد براثا فلم تكن تصلى فيه .

---

(١) الحربية منسوبة محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة « بشر الحافى » و« أحمد بن حنبل » وغيرهما ، تنسب إلى « حرب بن عبد الله البلخى » ، ويعرف « بالراوندى أحمد قواد أبى جعفر المنصور » ، وكان يتولى شرطة بغداد ، وولى شرطة الموصل لجعفر بن أبى جعفر المنصور وجعفر بالموصل يومئذ ، وقتلت الترك حربا فى أيام المنصور سنة ٧٤١ ، وذلكَ أنْ « اشترخان الخوارزمى » خرج فى ترك الخزر من الدربند ، فأغار على نواحى أرمينية ، فقتل وسبى خلقا من المسلمين ، ودخل تفليس فقتل حربا بها ، وخرب جميع ما كان يجاور الحربية من المحال ، وبقيت وحدها كالبلدة المفردة فى وسط الصحراء ، فعمل عليها أهلها سورًا وجيروها ، وبها أسواق من كل شىء ، ولها جامع تقام فيه الخطبة والجمعة ، وبينها وبين بغداد اليوم نحو ميلين .

## باب ذكر أنهار بغداد الجارية [التى] كانت بين الدور والمساكن وتسمية ما كانت تنتهى إليه من المواضع والأماكن

أما الأنهار التى كانت تجرى بمدينة المَنْصُور والكرخ من الجانب الغربى وتتخرق بين المحال والدور ، فأكثرها كان يأخذ من نهر عِيسَى بن على : ونهر عِيسَى يحمل من الفرات ، وكان عند فوهته قنطرة يُقال لها قنطرة دِمِمّا ، يمر النهر جاريًا فيسقى طَسُوّج [٢] فيروز سَابُور ، وعلى جانبيه قُرًى وضياعٌ حتى إذا انتهى إلى المحوّل تفرع منه الأنهار التى كانت تتخرق مدينة السَّلاَم ، ثم يمر إلى قرية الياسرية وعليه هناك قنطرة ، ثم يمر إلى الرومية وعليه هناك قنطرة تعرف بالرومية ، ثم يفضى إلى الزيَّاتين وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الزيَّاتين ، ثم يمر إلى موضع باعة الأشنان [٣] ، وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الأشنان ، ثم ينتهى [إلى] موضع باعة الشوك وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الشوك ، ثم يصير إلى موضع باعة الرمان ، ثم يصير إلى قنطرة المفيض والمفيض ثَمّ وعندَه الأرحاء ، ثم يمر إلى قنطرة

---

(١) أبو القاسم الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد بن الموفق العباسى . ولد سنة إحدى وثلاث مائة . وبُويع بحكم خلع المستكفى نفسه سنة ٣٣٤ ، وأمه اسمها مَشْغلة ، أم ولد . وكان كالمقهور مع نائب العراق ابن بويه ، قرر له فى اليوم مائة دينار فقط . وفى سنة ستين فُلِج المطيع ، وبطل نصفه ، ولما تحكم الفالج فى المطيع دعاه سُبُكْتِكِين الحاجب إلى عزل نفسه ، وتسليم الخلافة إلى ابنه الطايع ، ففعل ذلكَ فى ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث وستين . ثم كان بعد يُدعَى الشيخ الفاضل . مات بواسط فى المحرم سنة أربع وستين وثلاث مائة بعد ثلاثة أشهر من عزله ، وعمره ثلاث وستون سنة . فكانت خلافته ثلاثين سنة سوى أشهر .

(٢) فى لسان العرب « الطسوج : الناحية ، . . . والطسوج : واحد من طساسيج السواد معربة » . وفى معجم البلدان عدة أماكن بهذا الاسم منها ستة طساسيج : طسوج خطرنية ، وطسوج النهرين ، وطسوج عين التمر ، والفلوجتان : العليا والسفلى ، وطسوج بابل ، والبهقباذ الأوسط ، وهى أربعة طساسيج : طسوج سورًا ، وطسوج باروسما ، والجبة والبداة ، وطسوج نهر الملك ، والبهقباذ الأسفل خمسة طساسيج : الكوفة ، وفرات بادقلى ، والسيلحين ، وطسوج الحيرة ، وطسوج نستر ، وطسوج هرمزجرد .

(٣) فى اللسان « الأُشنان والإشنان من الحمض معروف الذى يغسل به الأيدى » وفى « معجم البلدان » ج ص ٣٨٢ أنَّه نبت ينبت فى الأراضى السبخة كالشيح .

البُستان ، ثم إلى قنطرة المعْبَدى ثم يصير إلى قنطرة بنى رزيق؛ ثم يصب فى دجلة أسفل قصر عِيسَى .

فحَدَّثَنِى عَبْد الله بن مُحَمَّد بن على البَغْدَادِى بأطْرابلس عن بعض متقدمى العلماء - وذكر أنهار بغداد - فقال : منها الصراة ، وهو نهر يأخذ من نهر عِيسَى فوق المحوَّل؛ ويسقى ضياع بادوريا وبساتينها ويتفرع منه أنهار كثيرة إلى أنْ يصل إلى بغداد ، فيمر بقنطرة العَبَّاس ، ثم يمر إلى قنطرة الصينيات ثم إلى قنطرة رحا البطريق وهى قنطرة الزبد . ثم يمر إلى القنطرة العتيقة؛ ثم [يمر] إلى القنطرة الجديدة . ثم يصب فى دجلة . قال : ويحمل من الصَّراة نهر يُقال له خندق طَاهِر أوله أسفل من فُوَّهَة الصراة بفرسخ . يمر فيسقى الضياع ويدور حول سور مدينة السَّلاَم ممّا يلى الحربية إلى أنْ يصل إلى باب الأنبار ، وهناك عليه قنطرة ، ثم يمر إلى باب الجديد وعليه هناك أيضًا قنطرة ، ويمر إلى باب حرْب وعليه هناك قنطرة ؛ ثم يمر إلى باب قُطْربُل وعليه هناك قنطرة؛ ثم يمر فى وسط قطيعة أم جَعْفَر ويصب فى دجلة فوق دار [إبْرَاهِيم بن] إسْحَاق بن إبْرَاهِيم الطَّاهِرى . قال : ويحمل من نهر عِيسَى نهر يُقال له كرخايا أوله تحت المحوّل يمر فى وسط طَسُوج بادوريا؛ ويتفرع منه أنهار تنبثّ فى ضياع على جانبيه إلى أنْ يدخل بغداد من موضع يُقال له باب أَبِى قَبِيصَة ، ويمر إلى قنطرة قطيعة اليهود ثم إلى قنطرة درب الحجارة؛ وقنطرة البيمارستان وباب محوّل ، ويتفرع منه أنهار الكرخ كلها . من ذلكَ يُقال له : نهر رزين يأخذ فى رَبَض حُميد فيدور معه ثم ينتهى إلى سويقة أَبِى الورد . ثم يمر إلى بركة زَلزَل فيدور فيها ثم يمضى إلى باب طاق الحرّانى ثم يصب فى الصراة أسفل من القنطرة الجديدة . وإذا صار نهر رزين بباب سويقة أَبِى الورد؛ يحمل منه نهر يعبر فى عبّارة على قنطرة العتيقة؛ ويمر إلى شارع باب الكوفة؛ فيدخل من هناك إلى مدينة المَنْصُور . ويمر النهر من باب الكوفة إلى شارع القحاطبة؛ ثم إلى باب الشام؛ ويمر فى شارع الجسر إلى الزُّبَيْدِيَّة ويفنى هناك . ثم يمر كرخايا من قنطرة البيمارستان فإذا صار إلى الدرَّابات سُمِّى هناك العمود؛ وهو الذى تتفرع منه أنهار الكرخ الداخلة فيمر النهر من هناك إلى موضع يُعْرَف بالواسطيِّين ثم [يمر] إلى موضع يسمى الخفْقة فيحمل منه هناك نهر البَزَّازين يعطف فيخرج فى شارع المنصور

ثم يمر إلى دار كعب ثم يخرج إلى باب الكرخ . ثم يدخل البَزَّازين ، ثم يمر إلى الخزّازين ويدخل فى أصحاب الصابون ، ثم يصب فى دجلة . ثم يمر النهر الكبير من الخفقة إلى طرف مربعة الزَّيَّات فيعطف منه هناك نهر يُقال له نهر الدجاج ، فيأخذ إلى أصحاب القضب؛ وشارع القبّارين ، ثم يصب فى دجلة عند سوق الطعام ، ويمر النهر الكبير من مربعة الزَّيَّات إلى دوَّارة الحمار فيعطف منه هناك نهر يُقال له : نهر قطيعة الكلاب مادًّا حتى يصب تحت قنطرة الشوك فى نهر عيسى ، ويمر النهر الكبير من دَوارة الحمار إلى موضع يُقال له مربعة صَالِح فيعطف [منها] هناك نهر يُقال له القلاّئى ، يمر إلى السواقين ثم إلى أصحاب القضب و يصب فى نهر الدجاج فيصيران نهراً واحداً؛ و يمر النهر الكبير من مربعة صَالِح إلى موضع يُعْرَف بنهر طابق؛ ثم يصب فى نهر عيسى بحضرة دار البطيخ . فهذه أنهار الكرخ .

قال : فأما أنهار الحَرْبِيّة فمنها نهر يحمل من دُجيل يُقال له نهر بطاطيا أوله أسفل فوهة دجيل بست فراسخ يسقى ضياعا و قرى كثيرة فى وسط مسكن و يفنى فيها ويحمل منه نهر أوله أسفل جسر بطاطيا بشىء يسير يجىء نحو مدينة السَّلاَم فيمر على عبارة قنطرة باب الأنبار ثم يدخل بغداد فيمر فى شارع باب الأنبار و يمر إلى شارع الكبش و يفنى هناك؛ و يحمل من نهر بطاطيا نهر أسفل من النهر الأول يجىء نحو بغداد فيمر على عبارة يُقال لها [عبّارة] الكرخ بين باب حَرْب و باب الحديد ، يمر فيدخل بغداد من هناك و يمر فى شارع دجيل إلى مربعة الفُرْس فيحمل منه هناك نهر يمر إلى دكان الأبناء و يفنى هناك ، و يمر النهر الكبير من مربعة الفرس إلى قنطرة أَبِى الجوز فيحمل منه من هناك نهر يمرُّ إلى كُتَّاب اليتامى وإلى مربَّعة شَبِيب و يصب فى نهر الشارع ، و يمر النهر الكبير من قنطرة أَبِى الجوز إلى شارع قصر هانئ ، ثم إلى بستان أليس . ويصب فى النهر الذى يمر فى شارع القحاطبة ، ويحمل من نهر بطاطيا نهر أوله أسفل من قناة الكرخ ، يجىء نحو بغداد و يمر على عبارة قنطرة باب حَرْب ، ويدخل من هناك فى وسط شارع باب حرب ، ثم يجىء إلى مربَّعة شَبِيب فيصب فيه النهر الذى ذكرناه ، ثم يمر إلى باب الشام فيصب فى نهر باب الشام . قال : وهذه الأنهار كلها مكشوفة إلا التى فى الحَرْبيةِ فإنها قنوات تحت الأرض ، وأوائلها مكشوف . قال : وفى الجانب الشرقى نهر موسى ، يأخذ

من نهر بِين إلى أنْ يصل إلى قصر المعتضد باللّه المعروف بالثريا فيدخل القصر ويدور فيه ويخرج منه ويصير إلى موضع يُقال له مَقْسم الماء . فينقسم هناك ثلاثة أنهار ، يمر الأول منها إلى باب سوق الدواب ثم إلى دار البانوقة ويفنى هناك ، ويدخل بعضه باب سوق الدواب ويمر إلى العَلاَّفين فيصب فى نهر كان المعتضد حفره ، و يمر شىء منه إلى باب سوق الغنم ثم إلى خندق العَبَّاس بباب المخرِّم و يُبْرّ فى دجلة و يمر نهر موسى أيضاً إلى قنطرة الأنصار ، فيحمل منه هناك ثلاثة أنهار يصب أحدها فى حوض الأنصار ، والثانى فى حوض هَيْلانة ، والثالث فى حوض دَاوُد . و يمر نهر موسى أيضا إلى قصر المعتصم بالله فيحمل منه هناك نهر يمر إلى سوق العطش فى وسط شارع كَرْم المُعرَّش . ويصب فى دار على بن مُحَمَّد بن الفرات الوزير . و يفنى هناك . و يمر نهر موسى أيضا ملاصقا لقصر المعتصم إلى أنْ يخرج إلى شارع عَمْرو الرومى . ثم يدخل بستان الزاهر فيسقيه و يصب فى دجلة أسفل البستان . ثم يمر النهر الثانى من المقسم إلى باب بِيَبْرَزَ فيدخل البلد من هناك و يُسمَّى نهر مُعَلّى ، و يمر بين الدور إلى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس ، فيدور فيه و يصب فى دجلة ، و يمر النهر الثالث من المقسم إلى باب قطيعة موشجير . ثم يدخل إلى القصر الحَسَنى فيدور فيه ثم يصب فى دجلة . قال : و يحمل من نهر الخالص نهر يُقال له نهر الفَضْل إلى أنْ ينتهى إلى باب الشمَّاسيَّة ، فيؤخذ منه نهر يُقال له نهر المَهْدِى ، ويدخل المدينة فى الشارع المعروف بشارع المَهْدِى . ثم يجىء إلى قنطرة البرَدَان ويدخل دار الروميين ويخرج إلى سويقة نَصْر بن مَالِك ، ثم يدخل الرصافة ويمر فى المسجد الجامع إلى بستان حَفْص ، ويصب فى بركة جوف قصر الرصافة ، ويحمل من هذا النهر نهرٌ أوله فى سويقة نَصْر ، ثم يمر فى وسط شارع باب خراسان إلى أنْ يصب فى نهر الفَضْل بباب خراسان ، فهذه أنهار الجانب الشرقى .

## ذكر عدد جسور مدينة السَّلاَم التى كانت بها على قديم الأيام

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن الحُسَيْن [بن الفَضْل] القَطَّان قال أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن جَعْفَر بن

درستويه قال نبّأنا يَعْقُوب بن سُفْيَان قال : سنة سبع وخمسين ومائة ، فيها ابتنى أَبُو جَعْفَر قصره الذى يُعْرَف بالخُلد ، وفيها عَقَد الجسر عند باب الشعير [١] .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر النَّحْوى قال نبّأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال نبّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال قال أَحْمَد بن الخليل بن مَالِك عن أبيه . قال : كان المَنْصُور قد أمر بعقد ثلاثة جسور أحدها للنساء ، ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان . وكان بالزَّنْدَوَرْد جسران عقدهما مُحَمَّد ، وكان الرشيد قد عقد عند باب الشماسيَّة جسرين ، وكان لأبِى جَعْفَر جسر عند سويقة قاطوطا؛ فلم تزل هذه الجسور إلى أنْ قتل مُحَمَّد . ثم عُطِّلت وبقى منها ثلاثةٌ أيامَ المأمون ، ثم عُطل واحد .

[و] سَمِعْتُ أبا على بن شاذان يقول : أدركتُ ببغداد ثلاثة جسور : أحدها محاذى سوق الثلاثاء ، وآخر بباب الطاق ، والثالث فى أعلى البلد عند الدار المعزية محاذى الميدان . فذكر لى غير ابن شاذان أنَّ الجسر الذى كان محاذى الميدان نقل إلى الفرضة بباب الطاق ، فصار هناك جسران يمضى الناس على أحدهما ويرجعون على الآخر .

وقال لى هلال بن المحسن : عُقد جسر بمشرعة القَطَّانين فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، فمكث مدة ثم تعطل؛ ولم يبق ببغداد بعد ذلكَ سوى جسر واحد بباب الطاق ، إلى أنْ حُوّل فى سنة ثمانى وأربعين وأربعمائة ، فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي؛ وبين مشرعة الحطَّابين من الجانب الشرقي؛ ثم عطِّل فى سنة خمسين وأربعمائة؛ ثم نصب بمشرعة القَطَّانين . قال الشيخ أَبُو بَكْر : ولم أزل أسمع أنَّ جسر بغداد طرازها . أنشدنى على بن الحَسَن بن الصقر أَبُو الحَسَن قال أنشدنا على بن الفَرَج الفَقِيه الشَّافِعِى لنفسه :

أيا حَبَّذا جسرٌ على مَتْنِ دجْلةٍ ... بإتقانِ تأسيس وحُسْنِ ورَوْنَقِ
جمالٌ وفخرٌ للعراق ونزهةٌ ... وَسلْوَةُ من أضناه فرطَ التشوُّق

(١) فى معجم البلدان : «محلة ببغداد فوق مدينة المنصور ، قالوا كانت ترفأ إليها سفن الموصل والبصرة والمحلة التى ببغداد اليوم ، وتعرف بباب الشعير ، وهى بعيدة من دجلة ، بينها وبين دجلة خراب كثير والحريم وسوق المارستان ، وقد نسب إليها بعض الرواة» .

تـراه إذا مـا جـئـتَـهُ متـأمـلا كسطرِ عبيرٍ خُطَّ فى وسط مُهْرق
أو العاجُ فيه الأبنوس مرُقَّش مثال فُيولٍ تحتها أرضُ زئْبَقِ

أنشدنا على بن المحسن قال أنشدنى أَبِى لنفسه :

يومٌ سرقنا العيش فيه خِلسَةً فى مجلسٍ بفِناء دِجْلَةَ مُفْردِ
رَقَّ الـهـواء بِـرقَّـةٍ قُـدَّامَـهُ فغدوْتُ رِقًّا للزَّمان المسعد
فكأن دِجْلَة طَيلَسانٌ أبيضٌ والجسر فيها كالطِّرازِ الأسودِ

حَدَّثَنِى هلال بن المحسن . قال : ذكر أنَّه أحصيَت السُّمَيْرِيَّات المعبرانيَّات بدجلة فى أيام النَّاصِر لدين الله وهو أَبُو أَحْمَد [طلحة] الموفق : فكانت ثلاثين ألفًا؛ قُدِّر من كسب ملاحيها فى كل يوم تسعون ألف درهم .

## ذكر مقدار ذرع جانبى بغداد طولا وعرضًا ومبلغ مساحة أرضها وعدد مساجدها وحمّاماتها

أَخْبَرَنَا محمد بن على الوراق ، قال : أنبأنا أَبُو الحَسَن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عمران قال نبَّأنا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن يَحْيَى النديم . قال : ذكر أَحْمَد بن أَبِى طَاهِر فى كتاب بغداد : أنَّ ذرع بغداد الجانبين ، ثلاثة وخمسون ألف جَرِيب وسبعمائة وخمسون جريبًا ، منها الجانب الشرقى ، ستة وعشرون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريبا؛ والغربى سبعة وعشرون ألف جريب .

قال أَبُو الحَسَن : ورأيت فى نسخة أخرى غير نسخة مُحَمَّد بن يَحْيَى : أنَّ ذرع بغداد ثلاثة وأربعون ألف جريب وسبعمائة جريب وخمسون جريبًا ، منها الجانب الشرقى ستة عشر ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريبًا والجانب الغربى سبعة وعشرون ألف جريب .

رجع إلى حديث مُحَمَّد بن يَحْيَى : وأن عدد الحمامات كانت فى ذلكَ الوقت ببغداد ستين ألف حمَّام . وقال : أقل ما يكون فى كل حمام خمسة نفر : حمامى وقيِّم وزبَّال ووقَّاد وسقَّاء . يكون ذلكَ ثلاثمائة ألف رجل ، وذكر أنَّه يكون بإزاء كل

حمَّام خمسة مساجد يكون ذلكَ ثلثمائة ألف مسجد ، وتقدير ذلكَ أنْ يكون أقل ما يكون فى كل مسجد خمسة أنفُس ، يكون ذلكَ ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان ، يحتاج كل إنسان من هؤلاء فى ليلة العيد إلى رطل صابون ، يكون ذلكَ ألف ألف وخمسمائة ألف رطل صابون ، يكون ذلكَ - حساب الجرَّة مائة وثلاثين رطلا : ألف جرَّة ومائة جرَّة وخمسين جرَّة وثمانية أجرار ونصفًا . يكون ذلكَ زيتًا - حساب الجرَّة ستين رطلا - ستمائة ألف رطل وتسعة آلاف رطل وخمسمائة رطل وعشرة أرطال .

حَدَّثَنِى هلال بن المحسن قال : كنتُ يومًا بحضرة جدى أَبِى إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن هلال الصابى فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، إذْ دخل عليه أحد التجار الذين كانوا يغشَوْنه ويخدمونه . فقال له فى عُرض حديث حَدَّثَه به : قال لى أحد التجار إنَّ ببغداد اليوم ثلاثة آلاف حمَّام . فقال له جدى : سبحان الله : هذا سُدْس ما كنَّا عددناه وحصرناه . فقال له : كيف ذاك؟ فقال جدى : أذكر وقد كتب رُكْن الدولة أَبُو على الحَسَن بن بُوَيْه إلى الوزير أَبِى مُحَمَّد المهلبى بما قال فيه : ذكر لنا كثرة المساجد والحمامات ببغداد ، واختلفت علينا فيها الأقاويل ، وأحببنا أنْ نعرفها على حقيقة وتحصيل ، فتعرفنا الصحيح من ذلك . قال جدى : وأعطانى أبو محمد الكتاب . وقال لى : امض إلى الأمير معز الدولة فاعرضْه عليه واستأذنه فيه ، ففعلتُ . فقال له الأمير : استعْلِم ذلكَ وعرِّفنيه؛ فتقدَّم أَبُو مُحَمَّد المُهَلَّبى إلى أَبِى الحَسَن البادغجى - وهو صاحب المعونة - بعدِّ المساجد والحمَّامَات . قال جدى : فأما المساجد فلا أذكر ما قيل فيها كثرة ، أما الحمَّامَات فكانت بضعة عشر ألف حمَّام . وعُدْت إلى معز الدولة وعرفته ذلك . فقال : اكتبوا فى الحمَّامات بأنها أربعة آلاف ، واستدللنا من قوله على إشفاقه وحسده أباه على بلد هذا عظمهُ وكبَره . وأخذ أَبُو مُحَمَّد وأخذنا نتعجب من كون الحمَّامات هذا القدر ، وقد أحصيت فى أيام المقتدر بالله فكانت سبعة وعشرين ألف حمام ، وليس بين الوقتين من التباعد ما يقتضى هذا التفاوت . قال هلال : وقيل : أنها كانت فى أيام عضد الدولة خمسة آلاف حمَّام وكسرًا .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : لم يكن ببغداد فى الدُّنْيَا نظير فى جلالة قدرها ، وفخامة

أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتميُّز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها وسعة أطرارها . وكثرة دورها ومنازلها ، ودروبها وشعوبها ، ومحالها وأسواقها ، وسككها وأزقتها ، ومساجدها وحماماتها ، وطرزها وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبرد ظلالها وأفيائها ، واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وزيادة ما حُصر من عدة سكانها . وأكثر ما كانت عمارة وأهْلا فى أيام الرشيد ، إذْ الدُّنْيَا قارَّة المضاجع ، ودارَّة المراضع ، خصيبة المراتع ، موروودة المشارع . ثم حَدثَت بها الفتن ، وتتابعت على أهلها المحن ، فخرب عِمْرَانها ، وانتقل قطانها؛ إلا أنها كانت قبل وقتنا؛ والسابق لعصرنا على ما بها من الاختلال والتناقص فى جميع الأحوال ، مباينة لجميع الأمصار ، ومخالفة لسائر الديار . ولقد حَدَّثَنِي القَاضِي أَبُو القَاسِم التَّنُوخِي قال أَخْبَرَنِي أَبِي قال : نبَّأنا أَبُو الحَسَن مُحَمَّد بن صَالِح الهَاشِمِي فى سنة ستين وثلثمائة قال : أَخْبَرَنِي رجل يبيع سويق الحمص منفردًا به وأسماه لى وأَنسيته؛ أنَّه حصر ما يعمل فى سويقه من هذا السويق كل سنة؛ فكان مائة وأربعين كرًّا [(١)] ، يكون حمصًا مائتين وثمانين كرًّا ، يخرج فى كل سنة حتى لا يبقى منه شىء . ويستأنف عمل ذلكَ للسنة الأخرى . قال : وسويق الحمص غير طيب ، وإنَّما يأكله المتحملون والضعفاء شهرين أو ثلاثة عند عدم الفواكه؛ ومن لا يأكله من الناس أكثر .

---

(١) فى لسان العرب « قيد من ليف أو خوص والحبل الذى يصعد به على النخل وجمعه كرور ، وقال أبو عبيد : لا يسمى بذلكَ غيره من الحبال . قال الأزهرى : وهكذا سماعى من العرب فى الكر ، ويسوى من حر الليف ، قال الراجز : « كالكر لا سخت ولا فيه لوى » . وقد جعل العجاج الكر حبلا تقاد به السفن فى الماء فقال : « جذب الصراريين بالكرور » . والصرارى الملاح . وقيل : الكر الحبل الغليظ ، قال أبو عبيدة : الكر من الليف ومن قشر العراجين ومن العسيب ، وقيل : هو حبل السفينة وقال ثعلب : هو الحبل فعم به . والكر حبل شراع السفينة وجمعه كرور ، وأنشد بيت العجاج « جذب الصراريين بالكرور » والكراران ما تحت الميركة من الرحل ، وأنشد :

وقفت فيها ذات وجه ساهم
سجحاء ذات محزم جراضم
تنبى الكرارين بصلب زاهم

والكر ما ضم ظلفتى الرحل ، وجمع بينهما وهو الأديم الذى تدخل فيه الظلفات من الرحل ، والجمع أكرار ، والبدادان فى القتب بمنزلة الكر فى الرحل ، غير أنْ البدادين لا يظهران من قدام الظلفة . قال أبو منصور : والصواب فى أكرار الرحل هذا لا ما قاله فى الكرارين ما تحت الرحل » .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : لو طلب من هذا السويق اليوم فى جانبى بغداد مكُّوك [١] واحد ما وجد .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر النَّحْوى قال نبَّأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال قال أَبُو الفَضْل أَحْمَد بن أَبِى طَاهِر : أخذَ الطول من الجانب الشرقى من بغداد لأبى أَحْمَد - يعنى الموفق بالله [٢] - عند دخوله مدينة السَّلاَم؛ فوجد مائتى حبل وخمسين حبلا أيضا وعرضه مائة وخمسة أَحْبُل فتكون ستة وعشرين ألف جريب ومائتين وخمسين جريبًا؛ ووجد الجانب الغربى - طوله - مائتين وخمسين حبلا وعرضه سبعون حبلا . يكون ذلكَ سبعة عشر ألف جريب وخمسمائة جريب . فالجميع من ذلكَ ثلاثة وأربعون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريبًا ، من ذلكَ مقابر أربعة وسبعون جريبًا .

## باب ما ذكر فى مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد

بالجانب الغربى فى أعلى المدينة - مقابر قريش دفن بها مُوسَى بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن على بن الحُسَيْن بن على بن أَبِى طَالِب ، وجماعة من الأفاضل معه .
أَخْبَرَنَا القَاضِى أَبُو مُحَمَّد بن الحَسَن بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن رامين الأستراباذى [٣]

---

(١) فى لسان العرب : « المكوك اسم للمكيال قال ويختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه فى البلاد وفى حديث ابن عباس فى تفسير قوله صواع الملك قال كهيئة المكوك » .

(٢) هو الأمير الموفق أبو أحمد طلحة ، ومنهم من سماه : محمدا ، بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمى العباسى ، أخو الخليفة المعتمد ، وولى عهده ، ووالد أمير المؤمنين المعتضد ، وأمه أم ولد . ولد سنة تسع وعشرين ومائتين . وعقد له أخوه بولاية العهد من بعد ولده جعفر فى سنة إحدى وستين ومائتين ، وكان الموفق بيده العقد والحل ، لا يبرم أمر دونه ، قضى على فتنة الزنج ولقب الناصر لدين الله . ولما غلب على الأمر ، حظر على المعتمد ، واحتاط عليه وعلى ولده ، حتى مات فى صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين .

(٣) نسبة معجمة إلى إستراباذ من بلاد مازندران بين سارية وجرجان . ولأبى سعد الإدريسى كتاب بعنوان : « تاريخ استراباذ » ذكره ياقوت فى معجم البلدان .

قال أَنبَأنَا أحمد بن جَعْفَر بن حَمْدَان القطيعى قال سَمِعْت الحَسَن بن إِبْرَاهِيم أبا على الخَلاَّل يقول : ما همنى أمر فقصدت قبر مُوسَى بن جَعْفَر فتوسَّلْتُ به إلا سَهَّل الله تعالى لى ما أحب .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا : أَنبَأنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال حدثنا السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال : وكان أول من دُفِن فى مقابر قريش جَعْفَر الأكبر بن المَنْصُور وأول من دُفِن فى مقابر باب الشام عَبْد الله بن على ، سنة سبع وأربعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة بمقبرة باب الشام أقدم مقابر بغداد ، ودفن بها جماعة من العلماء والمحدثين والفقهاء ، وكذلكَ مقبرة باب التِّبْن وهى على الخندق بإزاء قطيعة أم جَعْفَر .

حَدَّثَنِى أَبُو يعلى مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن الفراء الحَنْبَلِى قال حَدَّثَنِى أَبُو طَاهِر بن أَبِى بَكْر قال : حكى لى والدى عن رجل كان يختلف إلى أَبِى بَكْر بن مَالِك أنَّه قيل له : أين تحب أنْ تدفن إذا مت؟ فقال : بالقطيعة ، وإن عَبْد الله بن أَحْمَد بن حَنْبَل مدفون بالقطيعة ، وقيل له - يعنى لعَبْد الله - فى ذلكَ قال : وأظنه كان أوصى بأن يدفن هناك . وقال : قد صح عندى أنَّ بالقطيعة نبيًا مدفونًا ، وأن أكون فى جوار نبى أحب إلىَّ من أنْ أكون فى جوار أَبِى ، ومقبرة باب حَرْب ، خارج المدينة وراء الخندق مما يلى طريق قطربُّل . معروفة بأهل الصلاح والخَيْر ، وفيها قبر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حَنْبَل ، وبِشْر بن الحَارِث [1] . وينسب باب حَرْب إلى حَرْب بن عَبْد الله أحد صحابة أَبِى جَعْفَر المَنْصُور؛ وإليه تنسب أيضًا المحلة المعروفة بالحَرْبِيّة .

---

(١) هو ابن عبد الرحمن بن عطاء المحدث الزاهد أبو نصر المروزى ، ثم البغدادى ، المشهور بالحافى ولد سنة اثنتين وخمسين ومائة . وارتحل فى العلم ، فأخذ عن : مالك وشريك ، وحماد بن زيد ، وإبراهيم بن سعد ، وأبى الأحوص ، وخالد بن عبد الله الطحان ، وفضيل بن عياض ، والمعافى بن عمران ، وابن المبارك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وعدة . وتتلمذ على يديه : أحمد الدورقى ، ومحمد بن يوسف الجوهرى ، ومحمد بن مثنى السمسار لا العنزى ، وسرى السقطى ، وعمر بن موسى الجلاء ، وإبراهيم بن هانئ النيسابورى ، وخلق سواهم . توفى يوم الجمعة فى شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين قبل المعتصم الخليفة بستة أيام ، وعاش خمسًا وسبعين سنة . وقد أفرد ابن الجوزى مناقبه فى كتاب .

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن إِسْمَاعِيل بن أَحْمَد الحيرى الضَّرِير قال أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن مُحَمَّد بن الحُسَيْن السلمى بنيسَابُور قال سَمِعْت أبا بَكْر الرازى يقول سَمِعْت عَبْد الله بن مُوسَى الطلحى يقول سَمِعْت أَحْمَد بن العَبَّاس يقول : خرجت من بغداد فاستقبلنى رجل عليه أثر العبادة . فقال لى : من أين خرجت؟ قلت : من بغداد ، هربت منها لما رأيت فيها من الفساد؛ خِفْتُ أَنْ يُخسف بأهلها . فقال : ارجع ولا تخف؛ فإن فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حِصْنٌ لهم من جميع البلايا . قلتُ : من هم؟ قال : ثَمَّ الإمام أَحْمَد بن حَنْبَل ومعروف الكرخى [1] ، وبِشْر الحافى ، ومَنْصُور بن عمّار [2] . فرجعتُ وزرتُ القبور . ولم أخرج تلكَ السنة .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : أما قبر معروف فهو فى مقبرة باب الدَّير . وأما الثلاثة الآخرون فقبورهم بباب حَرْب .

حَدَّثَنِى الحَسَن بن أَبِى طَالِب قال حدثنا يُوسُف بن عُمَر القوَّاس قال حدثنا أَبُو مُقَاتِل مُحَمَّد بن شُجَاع قال حدثنا أَبُو بَكْر بن أَبِى الدُّنْيَا قال حَدَّثَنِى أَبُو يُوسُف بن بختان – وكان من خيار المُسْلِمين – قال : لما مات أَحْمَد بن حَنْبَل رأى رجل فى منامه كأنَّ على كل قبر قنديلا . فقال : ما هذا؟ فقيل له : أما علمت أنَّه نُوِّر لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهُرهم . قد كان فيهم من يُعذَّب فرُحم .

أَخْبَرَنَا أَبُو الفَرَج الحُسَيْن بن على بن عُبَيْد الله الطَّنَاجِيرِى قال حدثنا مُحَمَّد بن

---

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى من موالى على بن موسى مات ببغداد عام مائتين . وله ترجمة مطولة فى كتاب الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ٦١ وما بعدها .

(٢) من زهاد بغداد المشهورين وقد وقعت بينه وبين أبى العتاهية عداوة . فقد ورد فى الأغانى « عن أبى عمر القرشى قال : لما قص منصور بن عمار على الناس مجلس البعوضة قال أبو العتاهية : إنَّما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفى ، فبلغ قوله منصورا فقال : أبو العتاهية زنديق أما ترونه لا يذكر فى شعره الجنة ولا النار ، وإنَّما يذكر الموت فقط فبلغ ذلكَ أبا العتاهية فقال فيه :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
كالملبس الثوب من عرى وعورته ... للناس بادية ما إن يواريها
فأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه ... فى كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها ... منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمار ؛ فوقف أبو العتاهيه على قبره وقال يغفر الله لك أبا السرى ما كنت رميتنى به » . راجع ج٤ ص ٣٨ ، ٣٩ .

على بن سوَيد المؤدِّب قال حدثنا عُثْمَان بن إِسْمَاعِيل بن أَبِى بَكْر السكرى قال سَمِعْت أَبِى يقول سَمِعْت أَحْمَد بن الدَّوْرَقى يقول : مات جارٌ لى فرأيته فى الليل وعليه حُلَّتان قد كُسى فقلتُ : إيش قصتك؟ ما هذا؟ قال : دفن فى مقبرتنا بِشْر بن الحَارِث فكُسِى أهل المقبرة حُلَّتين حُلَّتين .

[قال الخَطِيب] : وبنواحى الكرخ ، مقابر عدة ، منها مقبرة – باب الكُناس مما يلى براثا [1] ، دُفن فيها جماعة من كبراء أصحاب الحديث . ومقبرة – الشونيزى ، فيها قبر سرى السَّقَطى [2] وغيره من الزهاد ، وهى وراء المحلة المعروفة بالتوثة بالقرب من نهر عِيسَى بن على الهَاشِمِى .

سَمِعْت بعض شيوخنا يقول : مقابر قريش كانت قديمًا تُعرف بمقبرة الشونيزى الصغير ، والمقبرة التى وراء التوثة تُعرف بمقبرة الشونيزى الكبير ، وكان أخَوَان يُقال لكل واحد منهما الشونيزى فدفن كل واحد منهما فى إحدى هاتين المقبرتين ونُسبت المقبرة إليه ، ومقبرة – باب الدّيْر وهى التى فيها قبر معروف الكرخى .

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيل بن أَحْمَد الحيرى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن الحُسَيْن السُّلَمى قال سَمِعْت أبا الحَسَن بن مقْسم يقول سَمِعْت أبا على الصفَّار يقول سَمِعْت إِبْرَاهِيم الحَرْبِى يقول : قبر معروف الترياق المجرَّب .

أَخْبَرَنِى أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن عُمَر البرمكى قال نبَّأنا أَبُو الفَضْل عُبَيْد الله بن عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الزُّهْرِى قال سَمِعْت أَبِى يقول : قبر معروف الكرخى مُجَرَّب لقضاء الحوائج . ويُقال : إنه من قرأ عنده مائة مرة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله [له] حاجته .

حَدَّثنَا أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بن على بن عَبْد الله الصورى قال سَمِعْت أبا الحُسَيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن جُمَيْع يقول سَمِعْت أبا عَبْد الله بن المُحَامِلى يقول : أعرف قبر معروف الكرخى منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همّه . وبالجانب

---

(١) محلة ببغداد وقرية من عملها .

(٢) هو شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادى . ولد فى حدود الستين ومائة . وتوفى فى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين . وقيل : توفى سنة إحدى وخمسين . وقيل : سنة سبع وخمسين .

الشرقى مقبرة - الخيزُرَان ، فيها قبر مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن يَسَار صاحب السيرة ، وقبر أَبِى حنيفة النعمان بن ثَابِت إمام أصحاب الرأى .

أَخْبَرَنَا القَاضِى أَبُو عَبْد الله الحُسَيْن بن على بن مُحَمَّد الصيمرى [1] قال أَنْبَأَنَا عُمر بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا على بن ميمون قال : سَمِعْت الشَّافِعِى يقول : إنِّى لأتبرَّك بأبى حنيفة وأجىء إلى قبره فى كل يوم - يعنى زائرًا - فإذا عَرَضَت لى حاجة صليتُ ركعتين وجئتُ إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عنى حتى تُقْضَى . ومقبرة عَبْد الله بن مَالِك ، دُفن بها خلق كثير من الفقهاء والمحدثين والزهاد والصَّالِحين ، وتعرف بالمَالِكِيّة . ومقبرة باب البَرْدَان فيها أيضًا جماعة من أهل الفَضْل ، وعند المُصَلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يُعْرَف بقبر النُّذور . ويُقال : إنَّ المدفون فيه رجل من ولد على بن أَبِى طَالِب رضى الله عنه يتبركُ الناس بزيارته ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته .

حَدَّثَنِى القَاضِى أَبُو القَاسِم على بن المحسن التَّنُوخِى قال حَدَّثَنِى أَبِى قال : كنت جالسًا بحضرة عضُد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مُصلّى الأعياد فى الجانب الشرقى [من] مدينة السَّلاَم ، نريد الخروج معه إلى همدان فى أول يوم نزل المعسكر ، فوقع طرْفه على البناء الذى على قبر النذور . فقال لى : ما هذا البناء؟ فقلتُ : هذا مشهد النذور ، ولم أقُل قبر لعلمى بطيرته من دون هذا ، واستحسن اللفظة . وقال : قد علمتُ أنَّه قبر النذور ، وإنَّما أردتُ شرح أمره . فقلت : هذا يُقال إنه قبر عُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن عُمَر بن على بن الحُسَيْن بن على بن أَبِى طَالِب . ويُقال إنه قبر عُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن عُمَر بن على بن أَبِى طَالِب . وإن بعض الخلفاء أراد قتله خَفِيًّا ، فجعلت له هناك زُبْيَةٌ [2] وسُيِّر عليها وهو لايعلم ، فوقع فيها وهيل عليه التراب حيًّا ، وإنَّما شُهِر بقبر النذور لأنَّه ما يكاد يُنْذر له نذرٌ إلا صحَّ ، وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذور ، وأنا أحد من نذر له مِرارًا لا أحصيها كثرةً ،

---

(١) نسبة إلى الصيمرة بلدة بالعراق سميت بذلكَ لغمقها .

(٢) فى لسان العرب « الرابية لا يعلوها الماء قال وهى من الأضداد . وقيل إنَّما أراد الحفرة التى تحفر للأسد ولا تحفر إلا فى مكان عال من الأرض ، لئلا يبلغها السيل فتنطم الزبية حفرة يتزبى فيها الرجل للصيد ، وتحتفر للذئب فيصطاد فيها ، قال ابن سيده : الزبية حفرة يستتر فيها الصائد الزبية حفيرة يشتوى فيها ويختبز » .

نذورًا على أمور متعذّرة فبلغْتها ولزمنى النذر فوفيتُ به . فلم يتقبل هذا القول ، وتكلم بما دل أنَّ هذا إنَّما يقع منه اليسير اتفاقا فيتسوَّقُ العوامّ بأضعافه ، ويسيّرون الأحاديث الباطلة فيه . فأمسكتُ . فلما كان بعد أيام يسيرة ونحنُ مُعسكرون فى مَوْضعنا ، استدعانى فى غدوة يوم ، وقال : اركب معى إلى مشهد النذور ، فركبْتُ وركب فى نفر من حاشيته إلى أنْ جئتُ به إلى الموضع ، فدخله وزار القبر ، وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدةً أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحدٌ . ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أيامًا ، ثم رحل ورحلنا معه يريد همذان ، فبلغناها وأقمنا فيها معه شهورًا ، فلما كان بعد ذلكَ استدعانى . وقال لى : ألست تذكر ما حَدَّثتنى به فى أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلتُ : بلى ، فقال : إنِّى خاطبتُك فى معناه بدون ما كان فى نفسى اعتمادًا لإحسان عشرتك ، والذى كان فى نفسى فى الحقيقة أنَّ جميع يُقال فيه كذب . فلما كان بعد ذلكَ بمُدَيْدةٍ . طرقنى أمر خشيت أنْ يقع ويتمَّ وأعملت فكرى فى الاحتيال لزواله ولَوْ بجميع ما فى بيوت أموالى وسائر عساكرى ، فلم أجد لذلكَ فيه مذهبًا ، فذكَرتُ ما أخبرتنى به فى النذر لمقبرة النذور . فقلتُ : لم لا أجَرِّب ذلك؟ فنذرْتُ إن كفانى الله تعالى ذلكَ الأمر أنْ أحْمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحًا ، فلما كان اليوم جاءتنى الأخبار بكفايتى ذلكَ الأمر ، فتقدّمتُ إلى أَبِى القَاسِم عَبْد العَزِيز بن يُوسُف – يعنى كاتبه – أنْ يكتب إلى أَبِى الرَّيَّان – وكان خليفته ببغداد – يحملها إلى المشهد . ثم التفت إلى عَبْد العَزِيز – وكان حاضرًا – فقال له عَبْد العَزِيز : قد كتبت بذلكَ ونفذ الكتاب .

أَخْبَرَنِى على بن أَبِى على المُعَدَّل قال حَدَّثَنِى أَحْمَد بن عَبْد الله أَبُو بَكْر الدورى الوَرَّاق قال أَنْبَأَنَا أَبُو على مُحَمَّد بن هَمَّام بن سُهَيل الكَاتِب الشيعى قال نبَّأنا مُحَمَّد ابن مُوسَى بن حَمَّاد البربرى قال نبَّأنا سُلَيْمَان بن أَبِى شيخ ، وقلتُ له : هذا الذى بقبر النذور يُقال أنَّه عُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن عُمَر بن على بن الحُسَيْن بن على بن أَبِى طَالِب ، وعُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن عُمَر بن على بن أَبِى طَالِب ، مدفون فى ضيعة له بناحية الكوفة يُقال لها لُبَيَا .

وقال أَبُو بَكْر الدورى قال لى أَبُو مُحَمَّد الحَسَن بن مُحَمَّد بن أخى طَاهِر العلوى : عُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن عُمَر بن على بن أَبِى طَالِب مدفون فى ضيعة له

بناحية الكوفة قال لها ألبَى ، وقبر النذور إنَّما هو قبر عُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن عُمَر بن على بن الحُسَيْن بن على بن أَبِى طَالِب؛ وأقدم المقابر التى بالجانب الشرقى مقبرة الخيزران .

فأَخْبَرَنِى أَبُو القَاسِم الأَزْهَرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم قال نبَّأنا إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عرفة قال : وأما مقابر الخيزران؛ فمنسوبة إلى الخيزران أم مُوسَى وهَارُون - يعنى ابنى المَهْدِى : وهى أقدم المقابر ، فيها قبر أَبِى حنيفة ، وقبر مُحَمَّد بن إِسْحَاق صاحب المغازى .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا : أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نبَّأنا السكونى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال قال بعض الناس : إنَّ موضع مقابر الخيزران كان مقابر المجوس قبل بناء بغداد؛ وأول من دُفِن فيها البانوقة بنت المَهْدِىّ؛ ثم الخيزران؛ ودُفِن فيها مُحَمَّد بن إِسْحَاق صاحب المغازِي؛ والحَسَن بن زَيْد؛ والنعمان بن ثَابِت؛ وقيل هشام بن عُرْوة .

قال الشيخ أَبُو بَكْر : كان المشهور عندنا أنَّ قبر هشام بن عُرْوَة فى الجانب الغربى وراء الخندق أعلى مقابر باب حَرْب ، وهو ظاهر معروفٌ هناك ، وعليه لوح منقوش فيه أنَّه قبر هشام . مع ما أَخْبَرَنَا به الحَسَن بن على الجَوْهَرى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد ابن العَبَّاس الخَزَّاز . وأَخْبَرَنَا الأزهرى قال أَنْبَأَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُوسَى قال حدثنا أَبُو الحُسَيْن بن المنادي قال : أَبُو المنذر : هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القُرَشِى ، مات أيام خلافة أَبِى جَعْفَر فى سنة ست وأربعين ومائة ، ودُفِن بالجانب الغربى خارج السور نحو باب قُطربل .

فحَدَّثَنِى أَبُو طَاهِر حمزة بن مُحَمَّد بن طَاهِر الدَّقَّاق - وكان من أهل الفهم وله قدم فى العلم - أنَّه سمع أبا الحُسَيْن أَحْمَد بن عَبْد الله بن الخِضر : ينكر أنْ يكون قبر هشام بن عروة بن الزبير ، هو المشهور بالجانب الغربى . وقال : هذا قبر هشام ابن عروة المَرْوَزِى صاحب ابن المُبَارَك ، وإنَّما قبر هشام بن عروة بن الزبير بالخيزرانية من الجانب الشرقى .

ثم أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْر البُرْقَانِى قال أَنْبَأَنَا عَبْد الرَّحْمَن بن عُمر الخَلاَّل قال حدثنا مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يَعْقُوب بن شيبة قال حدثنا جدى . قال : هشام بن عروة يكنى

أبا المنذر ، توفى ببغداد سنة ست وأربعين ومائة . وقد قيل : إنَّ قبره فى مقابر الخيزران .

وأَخْبَرَنَا الحَسَن بن الحُسَيْن بن العَبَّاس قال أَنْبَأَنَا جدى لأمِّى إِسْحَاق بن مُحَمَّد النعالى قال أَنْبَأَنَا عَبْد الله بن إِسْحَاق المداينى قال نبَّأنا قعنب بن المحرِّز - أَبُو عَمْرو الباهلى - قال : مات عَبْد الملك بن أَبِى سُلَيْمَان ، وهشام بن عروة ببغداد سنة خمس وأربعين ومائة ، ودُفنا بسوق يَحْيَى . ومقبرة الخيزران بالقرب من سوق يَحْيَى ، وإليها أشار قعنب بن المحرّز . ونرى أنَّ قول أَحْمَد بن عَبْد الله بن الخضر هو الصواب ، إلا أنا لا نعرف فى أصحاب بن المُبَارَك من يُسمى هشام بن عروة ، ولا نعلم أيضًا روى العلم عن أحد سمى هشامًا واسم أبيه عروة ، سوى هشام بن عروة بن الزبير بن العوام . والله أعلم . وبالقرب من القبر المنسوب إلى هشام بالجانب الغربى : قبور جماعة تعرف بقبور الشهداء ، ولم أزل أسمع العامه تذكر أنها قبور قوم من أصحاب أمير المؤمنين على بن أَبِى طَالِب ، كانوا شهدوا معه قتال الخوارج بالنهروان وارتثوا فى الوقعة ، ثم لما رجعوا أدركهم الموت فى ذلكَ الموضع فدفنهم على هناك . وقيل : إنَّ فيهم من له صُحبة ، وقد كان حمزة بن مُحَمَّد بن طَاهِر ينكر أيضًا ما اشتهر عند العامة من ذلك ، وسَمِعْته يزعم أنَّه لا أصل له ، والله أعلم .

## ذكر خبر المدائن على الاختصار
## وتسمية من وردها من الصحابة الأبرار

قال الشيخ الإمام الحَافِظ أَبُو بَكْر أَحْمَد بن على بن ثَابِت : إنَّما أوردنا ذكر المدائن فى كتابنا لقربها من مدينتنا ، وذلكَ أنَّ المسافة إليها بعض يوم فكانت فى القرب منا كالمتصلة بنا ، سنورد فى هذا الكتاب أسماء من كان من أهل العلم بالنواحى القريبة من بغداد ، كالنهروان ، وعُكبرا ، والأنبار ، وسُرّ من رأى . وما أشبه ذلكَ عند وصولنا إلى ذكرها إن شاء الله ، فأما تقديمنا ذكر المدائن فإنَّما فعلنا ذلكَ تبرُّكا الذين نزلوها ، وقد قُبر بالمدائن غير واحد من الصحابة والتابعين رحمة الله عليهم .

أَخْبَرَنَا القَاضِى أَبُو بَكْر أَحْمَد بن الحَسَن بن أَحْمَد الحرشى بنيسَابُور قال حدثنا أَبُوالعَبَّاس مُحَمَّد بن يَعْقُوب الأصم ، وأَخْبَرَنَا على بن مُحَمَّد بن عَبْد الله المعدّل قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن عَمْرو بن البخترى الرَّزَّاز ، وأَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن بن عُبَيْد الله الحَرْبِى قال نبَّأنا حمزة بن مُحَمَّد بن العَبَّاس ، وأَخْبَرَنَا الحَسَن بن أَبِى بَكْر بن شاذان قال أَنْبَأَنَا مكرم بن أَحْمَد القَاضِى قالوا : نبَّأنا مُحَمَّد بن عِيسَى بن حَيَّان المدائنى قال نبَّأنا مُحَمَّد بن الفَضْل – هو ابن عَطِيَّة – قال نبَّأنا عَبْد الله بن مُسْلِم عن ابن بريدة عن أبيه عن النبى – ﷺ . قال : [من مات من أصحابى بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة] (١) .

وقيل : إنَّما سميت المدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والأكاسرة ، وأثَّروا فيها من الآثار . وهى على جانبى دجلة شرقًا وغربًا ، ودجلة تشق بينهما ، وتسمَّى : المدينة الشرقية العتيقة وفيها القصر الأبيض القديم الذى لا يدرى من بناه ، ويتصل بالمدينة التى كانت الملوك تنزلها . وفيها الإيوان ، وتعرف – بأسبانَبر – وأما المدينة الغربية فتسمَّى بَهُرسير ، وكان الإسكندر أجل ملوك الأرض [نزلها] وقيل إنه ذو القرنين الذى ذكره الله تعالى فى كتابه فقال : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف ٨٤] . وبلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وله فى كل إقليم أثر ، فبنى بالمغرب الإسكندرية ، وبنى بخراسان العليا على ما يُقال سمرقند ومدينة الصُّغد ، وبنى بخراسان السفلى مرو وهَراة ، وبنى بناحية الجبل جَى مدينة أصبهان ، وبنى مدنًا أخر كثيرة من نواحى الأرض وأطرافها وجَوّل الدُّنْيَا كلها ووطئها ، فلم يختر منها منزلا سوى المدائن فنزلها . وبنى بها مدينة عظيمة وجعل عليها سورًا أثره باقٍ إلى وقتنا هذا بأسماء الصحابة الذين وردوها ، والسادة الأفاضل موجود بالأثر ، وهى المدينة التى تسمَّى الرومية فى جانب دجلة الشرقى ، وأقام الإسكندر بها راغبًا عن بقاع الأرض جميعًا وعن بلاده ووطنه . وذكر بعض أهل العلم : إنها لم تزل مستقرة بعد أنْ دخلها حتى مات بها . وحُمل منها فدفن بالإسكندرية لمكان والدته فإنها كانت باقية هناك . وقد كان ملوك الفرْس لهم حُسن

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث أو ما يقاربه فى كتب الحديث التسعة . ولعله مما تفرد به ابن الخطيب .

التدبير والسياسة والنظر فى الممَالِك ، واختيار المنازل ، فكلهم اختار المدائن وما جاورها لصحة تربتها وطيب هوائها ، واجتماع مَصَبِّ دجلة والفرات بها ، ويذكر عن الحُكَماء أنهم يقولون : إذا أقام الغريب على دجلة من بلاد الموصل تبيَّن فى بدنه قوة . وإذا أقام بين دجلة والفرات بأرض بابل تبيَّن فى فطنته ذكاء وحدَّة وفى عقله زيادة وشدة . وذلكَ الذى أورث أهل بغداد الاختصاص بحسن الأخلاق والتفرُّد بجميل الأوصاف ، وقلَّ ما اجتمع اثنان متشاكلان وكان أحدهما بغداديًّا إلا كان المقدم فى لطف الفطنة ، وحُسن الحيلة ، وحلاوة القول ، وسهولة البذل؛ وَوُجد ألينهما معاملة ، وأجْملهما معاشرة ، وكان حكم المدائن إذْ كانت عَامِرة آهلة هذا الحكم . ولم تزل دار مملكة الأكاسرة؛ محل كبار الأساورة ، ولهم بها آثار عظيمة ، وأبنية قديمة . منها الإيوان العجيب الشأن ، لم أر فى معناه أحسن منه صنعة ، ولا أعجب منه عملا؛ وقد وصفه أَبُو عُبادة الوَليد بن عُبَيْد البُحترى فى قصيدته التى أولها :

صُنتُ نفسى عمَّا يُدَنِّس نفسى ... وترفعتُ عن جَدَا كل جِبْسِ

إلى أنْ قال :

وكأنَّ الإيوانَ من عَجَب الصَّنْـ ... ـعة جوبٌ فى جَنْبِ أرعن جلس

يُتَظَنَّى من الكآبةِ إذْ يبـ ... ـدو لِعَيْنى مُصْبِح أو ممَسي

مُزعجًا بالفِرَاقِ عن أُنسِ إلفٍ ... زًّ أو مُرهقًا بتطْليق عِرْس

عكَسَتْ حظَّه الليالى وبات الـ ... ـمُشْتَرى فيه وهو كوكَبُ نحس

فهو يبدى تجلُّدًا وعليه ... كَلْكَلٌ من كلاكل الدهر مُرسي

لم يَعِبْهُ أنْ بُزَّ من بسُط الديـ ... ـباج واستُلّ من ستُور الدِّمقَسِ

مشمخرّ تعلو له شُرُفاتٌ ... رُفعَت فى رءوس رَضْوَى وقدس

لابساتٌ من البَيَاض فما تُبـ ... ـصر منها إلاسبايخ برس

ليس يُدْرَى أَصُنْعُ إنسٍ لجنّ ... سكنوه أم صنع جنٍّ لإنس

غير أنى أراه يشهد أنْ لم ... يك بانيه فى الملوك بنكْس

أنشدنى الحَسَن بن مُحَمَّد بن القَاسِم العلوى قال أنشدنا أَحْمَد بن على البتى قال

أنشدنا أَبُو سَهْل أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الله القَطَّان قال أنشدنا البُحْتُرِى لنفسه قال : «صُنتُ نفسى عمَّا يُدَنِّس نفسى» وذكر القصيدة بطولها .

أَخْبَرَنِي على بن أَيُّوب القُمى قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن عمران الكَاتِب قال : أخبرنى الصولى قال : سمعت عبد الله بن المعتز [١] يقول : لو لم يكن للبحترى من الشعر غير قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى - فليس للعرب سينية مثلها - وقصيدته فى وصف البركة ، لكان أشعر الناس فى زمانه . والذى بنى الإيوان على ما ذكر عَبْد الله بن مُسْلِم بن قُتَيبة : هو سَابُور بن هرمز المعروف بذى الأكتاف [٢] ؛ وقد بنى أيضًا ببلاد فارس وخراسان مدنًا كثيرةً ، وله فى كتب سير العجم أخبار عجيبة ؛ وذكر أنَّ مُدّة ملكه كانت اثنتين وسبعين سنة . أَخْبَرَنَا الحسن بن على الجوهرى قال : أنبأنا محمد بن عمران المرزبانى قال : نبَّأنا أبو الحُسَيْن عَبْد الوَاحِد بن مُحَمَّد الحصينى قال حَدَّثَنِى أَبُو على أَحْمَد بن إِسْمَاعِيل قال : لما صارت الخِلافَة إلى المَنْصُور هَمَّ بنقض إيوان المدائن فاستشار جماعة من أصحابه وكلهم أشار بمثل

---

(١) هو محمد بن المتوكل الأمير أبو العباس الهاشمى العباسى البغدادى الأديب ، أحب النظم الرائق . تأدب بالمبرد وثعلب ، وروى عن مؤدبه : أحمد بن سعيد الدمشقى . مولده فى ٢٤٩هـ ، وفى٢٩٦هـ أنفت الكبار من خلافة المقتدر ، وهو حدث ، فهاجوا وتوثبوا على المقتدر ، وقتلوا وزيره ، ونصبوا ابن المعتز فى الخلافة ، فقال : على شرط أنْ لا يُقتل بسببى رجل مسلم . وكان حول المقتدر خواصه ، فلبسوا السلاح ، وحملوا على أولئك ، فتفرق عن ابن المعتز جمعه ، فاختفى ، ثم قُبض عليه ، وقُتل سرا فى ربيع الآخر .

(٢) هو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور ، حاربه ليوليانس وظفر به ؛ لأن سابور كما يُقال مضى إلى أرض الروم ليقبض أمرها ففطن له وقبض عليه ، والحكاية فى ذلكَ مختلفة وأن ليوليانس سار إلى أرض العجم حتى بلغ جنديسابور ، وبها إلى وقتنا هذا ثلمة يُقال لها ثلمة الروم فحضر رؤساء الأعاجم والاساورة وبقايا حفظة الملك وأطال المقام عليها واستصعب عليه فتحها ، وكان سابور محبوسا فى بلد الروم فى قصر ليوليانس ، فعشقته ابنته فخلصته فطوى البلاد مختفيا إلى أنْ وصل إلى جنديسابور ، فدخلها وقويت نفوس من بها من أصحابه ، وخرجوا من فورهم فأوقعوا بالروم تفاولا بخلاص سابور ، فأسر ليوليانس فقتله ، واختلفت الروم ، وكان قسطنطين الأكبر فى جملة العسكر ، فاختلفت الروم فيمن يولونه ، وضعفوا عن مقاومته ، وكان لسابور عناية بقسطنطين فولاه على الروم ، ومن عليهم بسببه ، وجعل لهم طريقا إلى الخروج عن بلاده بعد أنْ شرط على قسطنطين أنْ يغرس بإزاء كل نخلة قطعت من أرض السواد وبلاده شجرة زيتون ، وأن ينفذ إليه من بلاد الروم من يبنى ما هدمه ليوليانس بعد أنْ ينقل الآلة من بلاد الروم فوفى له .

ما هم به وكان معه كاتب من الفرس فاستشاره فى ذلكَ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنت تعلم أنَّ رسول الله - ﷺ - خرج من تلكَ القرية - يعنى المدينة - وكان له مثل ذلكَ المنزل ، ولأصحابه مثل تلكَ الحجر ، فخرج أصحاب ذلكَ الرسول حتى جاءوا مع ضعفهم إلى صاحب هذا الإيوان مع عزته وصعوبة أمره ، فغلبوه وأخذوه من يديه قسرًا وقهرًا ثم قتلوه ، فيجىء الجائى من أقاصى الأرض فينظر إلى تلكَ المدينة وإلى هذا الإيوان ، ويعلم أنَّ صاحبها قهر صاحب هذا الإيوان ، فلايشك أنَّه بأمْر الله تعالى وإنه هو الذى أيَّده وكان معه ومع أصحابه ، وفى تركه فخر لكم . فاستغشّه المَنْصُور واتهمه لقرابته من القوم ، ثم بعث فى نقْض الإيوان فنُقض منه الشيء اليسير ، ثم كُتِبَ إليه : هو ذا يُغرم فى نقْضه أكثر مما يُسترجع منه وإن هذا تلف الأموال وذهابها ، فدعا الكَاتِب واستشارَه فيما كُتِبَ إليه . فقال : لقد كنتُ أشرتُ بشيء لم يُقبل منى ، فأمّا الآن فإنّى آنف لكم أنْ يكون أولئك بنوا بناء تعجزون أنتم عن هدمه ، والصواب أنْ تبلغ به الماء ، ففكّر المَنْصُور فعلم أنَّه قد صدق . ثم نظر ، فإذا هدْمُهُ يتلف الأموال فأمر بالإمساك عنه .

* * *

# المختار من كتاب (صُبْح الأعشى) للقلقشندى

## الإقليم الثانى

## ( العِرَاقُ )

قال فى « اللباب » : بكسر العين وفتح الراء المهملتين ثم ألف وقاف . قال الجوهرى : وهو يذكَّر ويؤنَّث . قال أبو المجد إسماعيل الموصلىّ فى كتابه المسمَّى « بالتمييز والفصل » : وإنما سمى عراقًا لأنه سَفَل عن نَجْدٍ ودَنَا من البحر . أخذا من عِراق القرْبة ، وهو الخَرْزُ الذى فى أسفلها ؛ ويعرف بعراق العرب لأن العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم . قال فى « تقويم البُلْدان » : ويحيط به من جهة الغرب الجزيرة والبادية ؛ ومن الجنوب البادية وبحر فارس وحدود خُوزِستان ؛ ومن الشرق حدود بلاد الجبال إلى حُلْوان ؛ ومن الشَّمَال من حلوان إلى الجزيرة من حيث وقع الابتداء .

قال : والعراق على ضَفَّتى دجلة مثل ما بلاد مصر على ضَفَّتى النيل ، ويجرى دجلة من الشمال بميلة إلى الغرب ، إلى الجنوب بميلة إلى الشرق ، وامتداد العراق طولا وشمالا وجنوبا من الحَدِيثَةِ على دجلة إلى عَبَّادَانَ على مصبّ دجلة فى بحر فارس ، وامتداده غربا وشرقا من القادِسِيَّة إلى حُلْوان ، فالحَديثة فى وسط الحدّ الشمالىّ بميلة إلى الغَرْب ، القادِسِيَّة فى وسط الحد الغربىّ بمَيْلة إلى الجنوب ، وعَبَّادانُ فى وسط الحدّ الجنوبىّ بميلة إلى الشرق ، وحُلْوانُ فى وسط الحدّ الشرقىّ بميلة إلى الشَّمال ، ووسط العراق الذى من القادسية إلى حلوان هو أعرض ما فى العراق . وأمّا رأس العراق الذى عند عَبَّادَانَ ، فيَدِق عن ذلك . ثم قال : والذى يستدير على العراق - يعنى والعراق على شماله - إذا ابتدأ من تَكْريت من بلاد الجزيرة المتقدّمة ، يمر منها إلى حدود شَهْرزُورَ ؛ وهى بين الشرق والشمال عن العراق ، ثم إلى السِّيْرَوَان ، وهى فى الشرق ، إلى حدود جُبًّا ، وهى فى الشرق والجنوب ، ثم إلى البحر يعنى بحر فارس ، وهو فى الجنوب عن العراق . وفى هذا الحدّ من تكريت إلى البحر تقويسٌ ، ثم من البحر إلى البَصْرَةِ ، وهى فى الجنوب عن العراق ، ثم من البصرة إلى البادية على سَوَاد البصرة ، ثم إلى بَطَائح

البصرة ، ثم إلى واسط ، ثم إلى سَوادَ الكُوفة وبطائحها ، ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار ، ثم من الأنبار إلى تَكْرِيتَ حيث وقع الابتداء .

ثم للمدن [1] قواعد ومدن .

## القاعدة الأولى

### ( بابِل )

بفتح الباء الموحدة ثم ألف وباء موحدة ثانية مكسورة ولام فى الآخر - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى « الأطوال » حيث الطول سبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى أقدم أبنية العِراق ، وإليها ينسب إقليم بابل لقِدَمها ، وكانت ملوك الكَنْعَانِيِّينَ وغيرهم يقيمون بها . قال فى « تقويم البُلْدان » : وبها آثار أبنية أحْسَبها أن تكون فى قديم الأيام مصرا عظيما ؛ ويقال إنها من بناء الضحَّاك : أحد ملوك الفرس الذى ملك الأقاليم السبعة . قال : وفيها أُلقِى إبراهيم الخليل عليه السلام فى النار ؛ وقد أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز أن بها هَارُوتَ ومَارُوتَ الملَكَيْن اللذين يعلمان الناسَ السِّحر ، ويقال إنهما بها فى بِئْرٍ ظاهرة بها إلى الآن . قال صاحب حماة : وهى اليوم مدينة خراب ، وقد صار فى موضعها قرية صغيرة .

## القاعدة الثانية

### ( المَدَائن )

جمع مدينة وضبطُها معروف . قال فى « تقويم البُلْدان » : واسمها بالفارسية طَيْسَفُونُ - بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح السين المهملة وضم الفاء وبعدها واو ونون - ثم قال : وكل ذلك سماعا وقد تبدل الفاء باء . وهى واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى « الأطوال » حيث الطول سبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال فى « تقويم البُلْدان » :

---

(١) لعل الصواب « ثم للعراق قواعد ومدن » .

وهى على دجلة من شرقيها تحت بغداد على مرحلة منها . قال فى « العزيزى » : والمدائن فى جنوبىّ بغداد ، وكان بالمدينة الكبرى منها إيوانُ كِسْرى فى شرقىّ دجلة ارتفاعه ثمانون ذراعًا . ونقل فى « تقويم البُلْدان » عن بعض الثقات فى سَعَته من ركنه إلى ركنه خمسة وتسعون ذراعًا . وكانت هى قاعدة ملوك الفرس ، فلما وُلِد النبىّ – ﷺ – انشق هذا الإيوان ثم خرب هو وسائر المدائن فى الإسلام .

## القاعدة الثالثة

## ( بَغْدَاد )

قال فى « اللباب » : بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وفى آخرها ذال معجمة . وموقعها فى آخر الإقليم الثالث . قال فى « القانون » : حيث الطول سبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى « تقويم البُلْدان » : وسميت بغداد بهذا الاسم ؛ لأن كسرى أُهْدِى إليه خِصى من المشرق فأقطعه بغداد ، وكان له صنم يعبده بالمشرق يقال له البَغْ ، فقال ذلك الخصى بغداذ يعنى أعطانى الصنمُ ، وكان عبد الله بن المبارك يكره أنى قال لها بغداذ بالذال المعجمة فى آخرها ، فإن بغ شيطان وداذ عطية فمعناه عطية الشيطان وهو شرك . قال : وإنما يقال بغداد بالدالين المهملتين . وقد قال بعضهم : إن بغ بالفارسية البُستان وداذ بإهمال الأولى وإعجام الثانية اسم رجل ومعناه بستان داذ ؛ ويقال فيها أيضًا بَغْدان بإبدال الدال الأخيرة نونًا ؛ ومَغْدان بإبدال الباء الأولى ميما . وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادى السَّلام . وبغداد على جانبى دجلة من الشرق والغرب ، والجانب الغربىّ منها يسمَّى الكَرْخ ، وبه كان سكنى أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ، والجانب الشرقىّ منها بناه المهدىّ بن المنصور المقدّم ذكره وسكنه بعسكره فسمى عَسْكر المهدى ، ثم بنى فيه الرشيدُ بن المهدى قصرًا سماه الرُّصَافَةَ فأطلق على الجانب كله الرُّصَافَةَ ، ويسمَّى جانب الطاق أيضا نسبة إلى رأس الطاق ، وهو موضع السوق الأعظم منها . وبهذا الجانب مَحَلَّةٌ تسمَّى ( الحَرِيمَ ) يعنى حريم دار الخلافة . قال فى « المشترك » : بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفى آخره ميم . قال : وهى قريب من ثلث الجانب الشرقى ، وعليه سور

ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إليها أيضًا كهيئة الهلال أو كنصف دائرةٍ ؛ وله أبواب أوّلها باب الغَرَبة ، وهو على دجلة ، ثم يليه باب سوق التمر ، وهو باب شاهق ولكنه أُغْلِق فى خلافة الناصر لدين الله ، ثم استمرّ غَلْقه ، ثم باب البَدْرِيَّة ، ثم باب النوبى . وفيه العَتَبة التى كانت تقبلها الملوك والرُّسُل ، ثم باب العامّة ، ويقال له أيضا باب عَمُّورِيَّة ، ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنظرة التى تنحر تحتها الضحايا ، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميتَىْ سهم .

وبهذا الحريم محالُّ وأسواق ودُور كثيرة للرعِيَّة وهو كأكبر مدينة تكون . قال : وبين دُور الرعيّة التى داخلَ هذا السُّور وبين دجلة سورٌ آخر ، وداخل السور الثانى دُورُ الخلافة لا يدخلها شيء من دور العامّة . قال فى ( مسالك الأبصار ) : « وبين الجانبين جَسْران منصوبان على دجلة شرقًا بغرب على سُفُن وزوارقَ أوقفت فى الماء ومدّت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقال ، وفوقها الخشب الممدود ، وعليها التراب يمُرُّ عليها أهل كل جانب إلى الآخر بالحمر والجمال والحمول ؛ وعلى ضَفَّتَيْ دجلة قُصُور الخلافة والمدارسُ والأبنيةُ العلية بالشبابيك والطاقات المطلة على دجلة ، وبناؤها بالآجُرّ » .

ومن بيوتها ما هو مفروش بالآجُرّ أيضا ملصق بالقِير وهو الزِّفْتُ ، ولهم الصنائع العجيبة فى الترويق بالآجُرّ ؛ وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخَوَانق والرُّبُط والبيمارستانات والصدقاتِ الجارية ووجوه المَعُونة ، وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقرَّ ملوك الأرض . ومنها قلائد الأعناق ، وترابها لَمى القُبَل وإثمدُ الأحداق .

قال فى ( مسالك الأبصار ) : « قال الحكيم نظام الدين بن الطيارى : وأوقافها جارية فى مجاريها ، لم تعترضها أيدى العُدْوان فى دولة هُولاكُو ولا فيما بعدها ، بل كل وقف مستمرٌ بيد متوليه ، ومَنْ له الولاية عليه ، وإنما نقصت الأوقاف من سوء وُلاة أمورها لا من سواها . وبها البساتين المونّقه ، والحدائق المحدّقة ؛ وبها ثَمَر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتَّمَر ، وبها أنواع الرّياحين والخَضْراوات والغِلال ؛ وسعرها متوسط فى الغالب لا يكاد يَرْخُص » . قال المقرّ الشهابىّ بن فضل الله : سألت الصدر مجدَ الدين بن الدورىّ عن السبب فى قلة

الغِلال ببلاد العراق مع امتداد سَوَادها ، فقال : قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحيزه [1] للعراق وما جاوره من البلاد .

قلت : وبغداد وإن كانت أمَّ الممالك ودار الخلافة ، فقد أغفل ملوك التتر الالتفات إليها ، وصرفوا عنايتهم إلى تِبْرِيز والسُّلْطانية وصيروهما قاعدتين لهذه المملكة على ما سيأتى ذكره فى الكلام على إقليم أَذْرَبِيجَانَ فيما بعد إن شاء الله تعالى .

## القاعدة الرابعة

## ( سُرَّ مَنْ رأى )

من السرور والرؤية ، ثم خففها الناس فقالوا سَامَرًّا . قال فى « اللباب » : بفتح السين المهملة وسكون الألف وفتح الميم وفى آخرها راء مهملة مشدّدة- وهى مدينة واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى « القانون » : حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال فى « العزيزىّ » : وهى على شاطئ الدجلة من الشرق . قال ابن سعيد : بناها المُعْتَصِمُ ، وأضاف إليها الواثقُ المدينة الهارونيَّة ، والمتوكلُ المدينة الجعفريَّة فعظم قدرها . قال فى « اللباب » : ثم خربت عن قريب من عمارتها . قال فى « العزيزىّ » : ولم يبْق فيها عامر سوى مقدار يسير كالقَرْية .

وأما المُدُن التى بالعراق :

( **فمنها** ) **هِيتُ** . قال فى « المشترك » : بكسر الهاء و سكون المثناة تحتُ وتاء مثناة من فوق فى الآخر- وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى « الأطوال » : حيث الطول ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى « العزيزىّ » : وهى من حدود العِراق . قال ابن سعيد : وإليها ينتهى حدّ الجزيرة . قال فى « تقويم البُلْدان » : وهى على شمالىّ الفرات ، ووَهِم فى « العزيزىّ » فجعلها غربىّ الفرات . قال فى « المشترك » : وهى من أعمال بغداذ . قال فى « اللباب » : وهى

---

(١) بمعنى حوزه وامتلاكه ، لغة نقلها الفيومى فى مصباحه .

فوق الأنبار . قال صاحب « التهذيب » : وسُمِّيت هيت لكونها فى هُتوة من الأرض . قال فى « اللباب » : وبها قبر عبد الله بن المبارَك – رحمه الله – وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

( ومنها ) **حِيرَةُ** . قال فى « اللباب » : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت و راء مهملة وهاء فى الآخر– وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى « القانون » : حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . [والحيرة مدينة جاهلية كثيرة الأنهار ، وهى عن الكُوفة على نحو فرسخ ] . وقال فى « العزيزىّ » : مدينة قديمة على ثلاثة أميال من الكوفة ؛ وكانت منازلَ آل النُّعمان بن المنذر ، وبها تنصر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة . والحِيرة على موضع يقال له النَّجَفُ ، زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصلُ به ؛ وبينهما اليوم مسافة بعيدة . قال فى « اللباب » : والحيرة مدينة قديمة عند الكوفة ، وبها الخَوَرْنق . قال فى « الترتيب » : إن تُبَّعا لما سار من اليمن إلى خُرَاسان وانتهى إلى موضعها فتحير ونزل وأمر ببنائها فسميت الحيرة . ( ومنها ) الأنبار . قال فى « المشترك » : بفتح الهمزة وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة بعد الألف – وهى من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . طولها تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال فى « المشترك » : والأنبار عن بغداد [(١)] على عشر فراسخ منها . قال فى « المشترك » : وهى من نواحى بغداً على شاطئ الفُرات . قال ابن حوقل : وهى أول بلاد العراق ، وبها كان مُقَام السَّفَّاح : أوّل خلفاء بنى العباس حتَّى مات ، ويقال إن أوّل ما نقلت الكتابة العربية إلى مكة من الأنبار على ما تقدّم فى المقالة الأولى فى الكلام على الخط .

( ومنها ) **الكُوفَةُ** . قال فى « اللباب » : بضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وهاء – وهى مدينة إسلامية بُنِيت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،

---

(١) وقع فى الأصل سقط من الناسخ فى أثناء الكلام على الحيرة والأنبار . وقد استوفيناه من كتاب تقويم البلدان ، وأثبتناه بين دائرتين مربعتين هكذا .

واقعةٌ فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى « رسم المعمور » : حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهى على ذِرَاع [1] من الفرات خارج منه جهة الجنوب والمغرب . قال فى « الترتيب » : وسميت كُوفة لاستدارتها ، أخْذًا من قول العرب رأيت كُوفانا إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيل لاجتماع الناس ، أخْذًا من قولهم تَكَوّف الرملُ إذا ركب بعضه بعضًا . وهى واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى « رسم المعمور » حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى « العزيزىّ » : وهى قدرُ نصف بَغْدَاذ ، وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه حيث دُفِن ، يقصده الناس من أقطار الأرض .

( ومنها ) **البَصْرَةُ** . قال فى « اللباب » : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد وفتح الراء المهملتين- وهى مدينة إسلامية بنيت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا ، واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى « القانون » : حيث الطول أربع وستون [2] درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ، وسميت بالبَصْرَةِ أخْذًا من البَصْرَة ، وهى الحجارة السود ، وفى جنوبيتها وغربيتها البَرِّيَّةُ ، وليس فى بَرِّيَّتها ماء ، يزرع على المطر . قال فى « المشترك » : وبالبصرة مَحَلَّةٌ يقال لها المِرْبَدُ - بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهملة - وهى محلة عظيمة من جهة البريَّة كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون .

( ومنها ) **وَاسِطُ** . قال السمعانىّ فى « الأنساب » : بفتح الواو وسكون الألف وكسر السين المهملة وطاء فى الآخر- وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى « القانون » : حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى « تقويم

---

(١) فى معجم البلدان « شعبة » وهى المراد بالذراع .

(٢) فى تقويم البلدان ومعجم البلدان : أربع وسبعون .

البُلْدان » : سميت واسط لتوسطها بين مُدُن العراق إذ منها إلى البَصْرَةِ خمسون فرسخًا ، ومنها إلى الكُوفة خمسون فرسخًا ، ومنها إلى الأهواز خمسون فرسخا ، ومنها إل بغداد خمسون فرسخا . وهى نصفان على جانبى دجلة بينهما جَسْرٌ من السُّفُن كما تقدّم فى بغداذ . قال فى « المشترك » : وهى من بناء الحَجَّاج اختطها بين الكوفة والبصرة فى سنة أربع وسبعين من الهجرة ، وفرغ منها فى سنة ست وسبعين .

( ومنها ) **حُلْوانُ** . قال فى « المشترك » : بضم الحاء المهملة وسكون اللام . قال فى « اللباب » ثم ألف وواو ونون– وهى مدينة من أوّل الإقليم الرابع . قال فى « القانون » حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال فى « تقويم البُلْدان » : وهى آخر مُدُن العراق ، ومنها يُصْعَد إلى الجبال ، وقيل هى من الجبال ، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبل غيرها . قال ابن حوقل : وبها شجر النخل والتين الموصوف ، وأكثر ثمارها التين ، والثلج يسقط على جبلها دائمًا ، وهو منها على مرحلة ، وبينها بين بغداذ خمس مراحل .

( ومنها ) **الحِلَّة** . قال فى « المشترك » : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام – وهى واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى « تقويم البُلْدان » حيث الطول ثمان وستون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ياقوت الحمويّ : وتعرف بحِلَّة بنى مَزْيَد . وأوّل من اختط بها المنازل وعَمَرَها سيفُ الدولة صدقةُ بن دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الأسدىّ فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وكان موضعها قبل ذلك يسمَّى بالجامعين .

( ومنها ) **النَّهْرَوانُ** . قال فى « اللباب » : بفتح النون وسكون الهاء وضم الراء المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون . وهى مدينة فى آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ضفَّتَيْ نهر . قال فى « الأطوال » حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : النَّهْروان اسم للمدينة والنهرِ الذى يشقها ، وهى مدينة صغيرة على أربعة فراسخ من بغداذ . قال فى « اللباب » : ولها عدّة [نَوَاحٍ] خرب أكثرها . وقال السمعانى فى « الأنساب » : هى على أربعة فراسخ من دجلَة ، والنَّهْرَوان هذه هى التى انحاز إليها

الخوارج عند فراقهم لعليّ بعد وقعة صِفّينَ على ما تقدّم ذكره فى الكلام على النِّحَلِ والمِلَلِ فى المقالة الأولى .

( ومنها ) الأُبُله . قال فى « تقويم البُلْدان » : بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام وهاء فى الآخر– وهى مدينة فى فُوَّهتها نهر طوله أربعة فراسخ بينها وبين البصرة على جانبيه قصور وبساتين ومُدُن على خط واحد كأنها بُستان واحد ، وهو أحد متنَزَّهات الدنيا .

( ومنها ) القادِسيَّة – بفتح القاف ثم ألف ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ثم هاء . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى « الأطوال » : حيث الطول ثمانٌ وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه ، وهى على حَافَةِ البادية وحَافَةِ سَوَاد العراق ، البادية من جهة الغرب والسواد من جهة الشرق . قال فى « المشترك » : وبينها وبين الكُوفة خمسة عشر فرسخًا فى طريق الحاج . قال فى « تقويم البُلْدان » : وسميت القادسية لنزول أهل قادس بها ، وقادِس قرية بمَرْو الرُّوذ ؛ وعليها كانت الوقعة المعروفة بوقعة القادِسيَّة .

( ومنها ) عَبَّادَانُ – بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة ثم دال مهملة بين ألفين وفى آخرها نون – وهى بلدة من آخر العراق من الإقليم الثالث . قال فى « الزيج » : حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . قال ابن سعيد . وعَبَّادَانُ على بحر فارس ، وهو محيط بها لا يبقى منها فى البر إلا القليل ، وعندَها مَصَبُّ دِجْلَةَ فى جنوبىّ عَبَّادَانَ وشرقيها ، وهى عن البصرة على مرحلة ونصف ، وفى جنوبيها وشرقيها علاماتٌ للمراكب ببحر فارس لا تتجاوزها المراكب ، وهى خُشُبٌ منصوبة حيث يكون البَحْر عند الجَزْر فى بعض البحر . قال فى « العزيزىّ » : فى طريق العراق من الغرب القادسيةُ وهِيتُ ، ومن الشرق حُلْوَانُ ، ومن الشَّمال سُرَّ مَنْ رَاى ، ومن الجنوب الأُبُلَّةُ .

* * *

# من (معجم البلدان) لياقوت الحموى

بَغْدَادُ : أم الدنيا وسيدةُ البلاد ؛ قال ابن الأنبارى : أصل بغداد للأعاجم ، والعرب تختلف فى لفظها إذ لم يكن أَصلُها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم ؛ قال بعض الأعاجم : تفسيره بستان رجل ، فباغ بستان وداد اسم رجل ، وبعضهم يقول : بغَ اسم للصنم ، فذُكر أنه أُهدِى إلى كسرى خَصِىّ من المشرق فأقطعه إياها ، وكان الخصيُّ من عباد الأصنام ببلده فقال : بغ داد أى الصنم أعطانى ، وقيل : بغ هو البستان وداد أعطى ، وكان كسرى قد وهب لهذا الخصى هذا البستان فقال : بغ داد فسميت به ؛ وقال حمزة بن الحسن : بغداد اسم فارسى معرّب عن باغ دَاذوَيه ، لأن بعض رقعة مدينة المنصور كان باغًا لرجل من الفرس اسمه دَاذوَيه ، وبعضها أثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطّها فاعتل فقالوا : ما الذى يأمر الملك أن تسمى به هذه المدينة؟ فقال : هِلِدوه وروز أى خلُوها بسلام ، فحكى ذلك للمنصور فقال : سميتها مدينة السلام ؛ وفى بغداد سبع لغات : بغداد وبغدان ، ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداذ فى آخره الذال المعجمة ، وقالوا : لأنه ليس فى كلام العرب كلمة فيها دال بعدها ذال ، قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق : فقلت لأبى إسحاق إبراهيم بن السرى فما تقول فى قولهم خُرْداذ؟ فقال : هو فارسى ليس من كلام العرب ، قلتُ أنا : وهذا حجة من قال بغداذ ، فإنه ليس من كلام العرب ، وأجاز الكسائى بغداد على الأصل ، وحكى أيضًا مغداذ ومغداد ومغدان ، وحكى الخارزنجى : بغداد بدالين مهملتين ، وهى فى اللغات كلها تذكّر وتؤنث ، وتسمى مدينة السلام أيضا ؛ فأما الزوراءُ : فمدينة المنصور خاصة ، وسميت مدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادى السلام ؛ وقال موسى بن عبد الحميد النسائى : كنت جالسًا عند عبد العزيز بن أبى روّاد فأتاه رجل فقال له : من أين أنت؟ فقال له : من بغداد ، فقال : لا تقل بغداد فإن بغ صنم وداد أعطى ، ولكن قل مدينة السلام ، فإن الله هو السلام والمدُن كلها له ؛ وقيل : إن بغداد كانت قبلُ سوقًا يقصدها تجار أهل الصين بتجاراتهم فيربحون الرِّبْحَ الواسع ،

وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا : بغ داد أى إن هذا الربح الذى رَبحناه من عطية الملك ؛ وقيل إنها سميت مدينة السلام لأن السلام هو الله فأرادوا مدينة الله ؛ وأما طولها فذكر بطليموس فى كتاب الملحمة المنسوب إليه أن مدينة بغداد طولها خمس وسبعون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة داخلة فى الإقليم الرابع ؛ وقال أبو عون وغيره : إنها فى الإقليم الثالث ، قال : طالعها السماك الأعْزَل ، بيت حياتها القوس ، لها شركة فى الخصيب ولها أربعة أجزاء من سرّة الجوزاء تحت عشر درج من السرطان ، يقابلها مثلها من الجدى عاشرها مثلها من الحمل عاقبتها مثلها من الميزان ؛ قلت أنا : ولا شك أن بغداد أُحدثت بعد بطليموس بأكثر من ألف سنة ولكنى أظنُّ أن مفسرى كلامه قاسوا وقالوا ؛ وقال صاحب الزيج : طول بغداد سبعون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلث ، وتعديل نهارها ست عشرة درجة وثلثا درجة ، وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وخمس دقائق ، وغاية ارتفاع الشمس بها ثمانون درجة وثلث ، وظلُّ الظهر بها درجتان ، وظل العصر أربع عشرة درجة ، وسمتُ القبلة ثلاث عشرة درجة ونصف ، وجهها عن مكة مائة وسبع عشرة درجة ، فى الوجود ثلاثمائة درجة ، هذا كله نقلته من كتب المنجمين ولا أعرفه ولا هو من صناعتى ؛ وقال أحمد بن حنبل : بغداد من الصَّراة إلى باب التبن ، وهو مشهد موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد بن الإمام على بن أبى طالب ، ثم زيد فيها حتى بلغت كلْواذى والمخرّم وقَطرْبُل ؛ قال أهل السير : ولما أهلك الله مَهْرانَ بأرض الحيرة ومن كان معه من العجم استمكن المسلمون من الغارة على السواد وانتقضت مسالح الفُرس وتشتتَ أمرهم واجترأ المسلمون عليهم وشنّوا الغارات ما بين سورا وكَسْكَر والصراة والفلاليج والإستانات ؛ قال أهل الحيرة للمثنى : إن بالقرب منا قرية تقوم فيها سوق عظيمة فى كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد ، يقال لها بغداد ، وكذا كانت إذ ذاك ، فأخذ المثنى على البرّ حتى أتى الأنبار ، فتحصَّن فيها أهلها منه ، فأرسل إلى سُفرُوخ مرزبانها ليسير إليه فيكلّمه بما يريد وجعل له الأمان ، فعبر المرزبان إليه ، فخلا به المثنى وقال له : أريد أن أغير على سوق بغداد وأريد أن تبعث معى أدلاء فيدلونى الطريق ، وتعقد لى الجسر لأعبر عليه الفرات ، ففعل المرزبان ذلك ، وقد كان قطع الجسر

قبل ذلك لئلا تعبر العرب عليه ، فعبر المثنى مع أصحابه وبعث معه المرزبان الأدلاء ، فسار حتى وافى السوق ضَحْوَةً ، فهرب الناس وتركوا أموالهم فأخذ المسلمون من الذهب والفضة وسائر الأمتعة ما قدروا على حمله ثم رجعوا إلى الأنبار ، ووافى معسكره غانمًا موفورًا ، وذلك فى سنة ١٣ للهجرة ، فهذا خبر بغداد قبل أن يمصّرها المنصور ، لم يبلغنى غير ذلك .

## فصل

فى بدء عمارة بغداد ؛ كان أول من مصّرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ثانى الخلفاء ، وانتقل إليها من الهاشمية ، وهى مدينة كان قد اختطّها أخوه أبو العباس السَّفَّاح قرب الكوفة وشرع فى عمارتها سنة ١٤٥ ونزلها سنة ١٤٩ ؛ وكان سبب عمارتها أن أهل الكوفة كانوا يفسدون جُنْدَه فبلغه ذلك من فعلهم ، فانتقل عنهم يرتاد موضعًا ؛ وقال ابن عيّاش : بعث المنصور رُوَّادًا وهو بالهاشمية يرتادون له موضعًا يبنى فيه مدينة ويكون الموضع واسطًا رافقًا بالعامة والجند ، فنُعِتَ له موضع قريب من بارِمّا ، وذكر له غذاؤه وطيب هوائه ، فخرج إليه بنفسه حتى نظر إليه وبات فيه ، فرأى موضعًا طيبًا فقال لجماعة ، منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب المرزبانى وعبد الملك بن حُميد الكاتب : ما رأيكم فى هذا الموضع؟ قالوا : طيب موافق ، فقال : صدقتم ولكن لا مرفق فيه للرعية ، وقد مررت فى طريقى بموضع تجلب إليه الميرة والأمتعة فى البرّ والبحر وأنا راجعٌ إليه وبائت فيه ، فإن اجتمع لى ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريده لى وللناس ، قال : فأتى موضع بغداد وعبر موضع قصر السلام ثم صلى العصر ، وذلك فى صيف وحرّ شديد ، وكان فى ذلك الموضع بيعة فبات أطيب مبيت وأقام يومه فلم يرَ إلا خيرًا فقال : هذا موضع صالح للبناء ، فإن المادة تأتيه من الفرات ودجلة وجماعة الأنهار ، ولا يحمل الجند والرعية إلا مثله . فخطّ البناء وقدّر المدينة ووضع أول لبنة بيده فقال : بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، ثم قال : ا بنوا على بركة الله ؛ وذكر سليمان بن ختار أن المنصور استشار دهقان بغداد ، وكانت قرية فى المربَّعة المعروفة بأبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى ، وما زالت داره

قائمة على بنائها إلى أن خرب كثير من يجاورها فى البناء ، فقال : الذى أراه يا أمير المؤمنين أن تنزل فى نفس بغداد ، فإنك تصير بين أربعة طساسيج : طسّوجان فى الجانب الغربى وطسّوجان فى الجانب الشرقى ، فاللذان فى الغربى قَطْرَبُّل وبادوريا ، واللذان فى الشرقى نهر بوق وكلواذى ، فإن تأخرت ع مارة طسوج منها كان الآخر عامرًا ، وأنت يا أمير المؤمنين على الصَّراة ودجلة ، تجيئك بالميرة من القرب وفى الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البُلْدان ، وتحمل إليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط فى دجلة ، وتجيئك ميرة أرمينية وأذربيجان وما يتصل بها فى تامرّا ، وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ، فإذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل إليك عدوك ، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل ؛ فأعجب المنصور هذا القول وشرع فى البناء ، ووجه المنصور فى حشر الصُّنَّاع والفَعَلَةِ من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط فأحضروا ، وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة ، فجمعهم وتقدم إليهم أن يشرفوا على البناء ، وكان ممن حضر الحجاج بن أرطأة وأبو حنيفة الإمام ، وكان أول العمل فى سنة ١٤٥هـ وأمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعًا ومن أعلاه عشرين ذراعًا ، وأن يجعل فى البناء جرز القصب مكان الخشب ، فلما بلغ السور مقدار قامة اتصل به خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، فقطع البناء حتى فرغ من أمره وأمر أخيه إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن .

وعن على بن يقطين قال : كنت فى عسكر أبى جعفر المنصور حين سار إلى الصراة يلتمس موضعًا لبناء مدينة ، قال : فنزل الدير الذى على الصراة فى العتيقة فما زال على دابته ذاهبًا جائيًا منفردًا عن الناس يفكر ، قال : وكان فى الدير راهب عالم فقال لى : لم يذهب الملك ويجىء ؟ قلت : إنه يريد أن يبنى مدينة ؛ قال : فما اسمه ؟ قلت : عبد الله بن محمد ، قال : أبو من ؟ قلت : أبو جعفر ؛ قال : هل يلقب بشىء ؟ قلت : المنصور : قال : ليس هذا الذى يبنيها ، قلت : ولم ؟ قال : لأنا قد وجدنا فى كتاب عندنا نتوارثه قرنا عن قرن أن الذى يبنى هذا المكان رجل يقال له مِقْلاص ، قال : فركبت من وقتى حتى دخلت على المنصور ودنوت منه ، فقال لى : ما وراءك؟ قلت : خير ألقيه إلى أمير المؤمنين وأريحه من هذا

العناء ، فقال : قل ، قلت : أمير المؤمنين يعلم أن هؤلاء معهم علم ، وقد أخبرنى راهب هذا الدير بكذا وكذا ، فلما ذكرت له مقلاص ضحك واستبشر ونزل عن دابته فسجد وأخذ سوطه وأقبل يذرع به ، فقلت فى نفسى : لحقه اللجاج ، ثم دعا المهندسين من وقته وأمرهم بخط الرماد ، فقلت له : أظنُّك يا أمير المؤمنين أردت معاندة الراهب وتكذيبه ، فقال : لا والله ولكن كنت ملقبًا بمقلاص وما ظننتُ أن أحدًا عرف ذلك غيرى ، وذاك أننا كنا بناحية السراة فى زمان بنى أمية على الحال التى تعلم ، فكنتُ أنا ومن كان فى مقدار سنى من عمومتى وإخوتى نتداعى ونتعاشر ، فبلغت النوبة إلىَّ يومًا من الأيام وما أملك درهمًا واحدًا فلم أ زل أفكر وأعمل الحيلة إلى أن أصبت غزلاً لداية كانت لهم ، فسرقته ثم وجهت به فبيع لى و اشترى لى بثمنه ما احتجت إليه ، وجئت إلى الداية وقلت لها : افعلى كذا واصنعى كذا ، قالت : من أين لك ما أرى؟ قلت : اقترضت دراهم من بعض أهلى ، ففعلت ما أمرتها به ، فلما فرغنا من الأكل وجلسنا للحديث طلبت الداية الغزل فلم تجده فعلمت أنى صاحبه ، وكان فى تلك الناحية لص يقال له مقلاص مشهور بالسرقة ، فجاءت إلى باب البيت الذى كنا فيه فدعتنى فلم أخرج إليها لعلمى أنها وقفت على ما صنعت ، فلما ألحت وأنا لا أخرج قالت : اخرج يا مقلاص ، الناس يتحذرون من مقلاصهم وأنا مقلاصى معى فى البيت ، فمزح معى إخوتى وعمومتى بهذا اللقب ساعة ثم لم أسمع به إلا منك الساعة فعلمت أن أمر هذه المدينة يتم على يدى لصحة ما وقفت عليه ؛ ثم وضع أساس المدينة مدوَّرا وجعل قصره فى وسطها وجعل لها أربعة أبواب وأحكم سورها وفصيلها ، فكان القاصد عليها من الشرق يدخل من باب خراسان والقاصد من الحجاز يدخل من باب الكوفة والقاصد من المغرب يدخل من باب الشام والقاصد من فارس والأهواز وواسط والبصرة واليمامة والبحرين يدخل من باب البصرة .

قالوا : فأنفق المنصور على عمارة بغداد ثمانية عشر ألف ألف دينار ، وقال الخطيب فى رواية : إنه أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم ، وذلك أن الأستاذ من الصُنَّاع كان يعمل كل يوم بقيراط إلى خمس حبّات والروزجارى بحبتين إلى ثلاث حبات ، وكان الكبش بدرهم والحمل بأربعة دوانيق

والتمر ستون رطلاً بدرهم ؛ قال الفضل بن دُكَيْن : كان ينادى على لحم البقر فى جبانة كِنْدَةَ تسعون رطلاً بدرهم ، ولحم الغنم ستون رطلاً بدرهم ، والعسل عشرة أرطال بدرهم ، قال : وكان بين كل باب من أبواب المدينة والباب الآخر ميل ، وفى كل ساف من أسواف البناء مائة ألف لبنة واثنان وستون ألف لبنة من اللبن الجعفرى ؛ وعن ابن الشَّرَوى قال : هدمنا من السور الذى يلى باب المحوَّل قطعة فوجدنا فيها لبنة مكتوبًا عليها بمغْرَة : وزنها مائة وسبعة عشر رطلاً ، فوزناها فوجدناها كذلك . وكان المنصور كما ذكرنا بنى مدينته مدوَّرة وجعل داره وجامعها فى وسطها ، وبنى القبة الخضراء فوق إيوان ، وكان علوُّها ثمانين ذراعًا ، وعلى رأس القبة صنم على صورة فارس فى يده رمح ، وكان السلطان إذا رأى أن ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومدّ الرمح نحوها علم أن بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة ، فلا يطول عليه الوقت حتى تَرِد عليه الأخبار بأن خارجيًا قد هجم من تلك الناحية ؛ قلت أنا : هكذا ذكر الخطيب وهو من المستحيل والكذب الفاحش ، وإنما يحكى مثل هذا عن سحرة مصر وطلسمات بليناس التى أوهم الأغمارَ صحتها تطاوُل الأزمان والتخيل أن المتقدّمين ما كانوا بنى آدم ، فأما الملة الإسلامية فإنها تجلُّ عن مثل هذه الخرافات ، فإن من المعلوم أن الحيوان الناطق مكلف الصنائع لهذا التمثال لا يعلم شيئًا مما ينسب إلى هذا الجماد ولو كان نبيًا مرسلاً ، وأيضًا لو كان كلما توجهت إلى جهة خرج منها خارجىٌ لوجب أن لا يزال خارجى يخرج فى كل وقت لأنها لا بدَّ أن تتوجه إلى وجه من الوجوه ، والله أعلم ؛ قال : وسقط رأس هذه القبة سنة ٣٢٩هـ ، وكان يوم مطر عظيم ورعد هائل ، وكانت هذه القبة تاج البلد وعلَمَ بغداد ومأثرة من مآثر بنى العباس ، وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة ؛ ونقل المنصور أبوابها من واسط ، وهى أبواب الحجاج ، وكان الحجاج أخذها من مدينة بإزاء واسط تعرف بزندورد ، يزعمون أنها من بناء سليمان بن داود – عليه السلام – وأقام على باب خراسان بابًا جيء به من الشام من عمل الفراعنة وعلى باب الكوفة بابا جيء به من الكوفة من عمل خالد القسرى وعمل هو بابًا لباب الشام ، وهو أضعفها ، وكان لا يدخل أحد من عمومة المنصور ولا غيرهم من شىء من الأبواب إلا راجلاً إلى داود بن على عمه ، فإنه كان متفرسًا وكان يحمل فى محفة ، وكذلك محمد المهدى ابنه ؛ وكانت تكنس الرحاب فى كل

يوم ويحمل التراب إلى خارج ، فقال له عمه عبد الصمد : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير فلو أذنت لى أن أنزل داخل الأبواب ، فلم يأذن له ، فقال : يا أمير المؤمنين عدنى بعض بغال الروايا التى تصل إلى الرحاب ، فقال : يا ربيع بغال الروايا تصل إلى رحابى تتخذ الساعة قنى بالساج من باب خراسان حتى تصل إلى قصرى ، ففعل ومد المنصور قناة من نهل دُجيل الآخذ من دجلة وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات وجرهما إلى مدينته فى عقود وثيقة ، من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها ، فكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ فى الشوارع والدروب والأرباض ، تجرى صيفًا وشتاءً لا ينقطع ماؤها فى شيء من الأوقات ؛ ثم أقطع المنصور أصحابه القطائع فعمروها وسميت بأسمائهم ، وقد ذكرت من ذلك ما بلغنى فى مواضعه حسب ما قضى به ترتيب الحروف ، وقد صنَّف فى بغداد وسعتها وعظم رفعتها وسعة بقعتها وذكر أبو بكر الخطيب فى صدر كتابه من ذلك ما فيه كفاية لطالبه .

## فلنذكر الآن ما ورد فى مدح بغداد

ومن عجيب ذلك ما ذكره أبو سهل بن نوبخت قال : أمرنى المنصور لما أراد بناء بغداد بأخذ الطالع ، ففعلتُ فغذا الطالع فى الشمس وهى فى القوس ، فخبرته بما تدل النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها وفقر الناس إلى ما فيها ثم قلتُ : وأخبرك خلة أخرى أسرك بها يا أمير المؤمنين ، قال : وما هي؟ قلت : نجد فى أدلة النجوم أنه لا يموت بها خليفة أبدًا حتف أنفه ، قال : فتبسم وقال الحمد لله على ذلك ، هذا من فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ ولذلك يقول عمارة ابن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى :

أعاينت فى طول من الأرض أو عرض ،
كبغداد من دارٍ بها مسنُ الخَفْضِ
صفا العيشُ فى بغداد واخضرَّ عوده ،
وعيشُ سواها غير خفْض ولا غَضّ
تطول بها الأعمار ، إنَّ غذاءَها
مرىءُ ، وبعض الأرض أمْرَأ من بعض

قضى ربها أن لا يموت خليفة
بها ، إنه ما شاء فى خلقه يقضي
تنام بها عين الغريب ، ولا ترى
غريبًا بأرض الشام يطمع فى الغُمض
فإن جزيت بغداد منهم بقرضها ،
فما أسلفت إلا الجميل من القرض
وإن رميت بالهجر منهم وبالقلى ،
فما أصبحت أهلاً لهجر ولا بغض

وكان من أعجب العجب أن المنصور مات وهو حاجٌ ، والمهدى ابنه خرج إلى نواحى الجبل فمات بماسبذان بموضع يقال له الرَّذُّ ، والهادى ابنه مات بعيساباذ قرية أو محلة بالجانب الشرقى من بغداد ، والرشيد مات بطوس ؛ والأمين أخذ فى شبارته وقتل بالجانب الشرقى ، والمأمون مات بالبَذَنْدُون من نواحى المصيصة بالشام ، والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر وباقى الخلفاء ماتوا بسامرّا ، ثم انتقل الخلفاء إلى التاج من شرقى بغداد كما ذكرناه فى التاج ، وتعطَّلت مدينة المنصور منهم .

وفى مدح بغداد قال بعض الفضلاء : بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الإسلام ومجمع الرافدين وغرَّة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف ، وبها أرباب الغايات فى كل فنّ ، وآحاد الدهر فى كل نوع ؛ وكان أبو إسحاق الزَّجَّاج يقول : بغداد حاضرة الدنيا وما عداها باديةٌ ؛ وكان أبو الفرج الببغا يقول : هى مدينة السلام بل مدينة الإسلام ، فإنَّ الدولة النبوية والخلافة الإسلامية بها عششتا وفرَّختا وضربتا بعروقهما وبسقتا بفروعهما ، وإن هواءها أغذى من كل هواء وماءها أعذب من كل ماء ، وإن نسيمها أرق من كل نسيم ، وهى من الإقليم الاعتدالى بمنزلة المركز فى الدائرة ، ولم تزل بغداد موطن الأكاسرة فى سالف الأزمان ومنزل الخلفاء فى دولة الإسلام ؛ وكان ابن العميد إذا طرأ عليه أحدٌ من منتحلى العلوم والآداب وأراد امتحان عقله سأله عن بغداد ، فإن فطن بخواصّها وتنبّه على محاسنها وأثنى عليها جعل ذلك مقدّمة فضله وعنوان

عقله ، ثم سأله الجاحظ ، فإن وجد أثرًا لمطالعة كتبه والاقتباس من نوره والاغتراف من بحره وبعض القيام بمسائله قضى له بأنه غرة سادخة فى أهل العلم والآداب ، وإن وجده ذامًا لبغداد غُفْلاً عما يحب أن يكون موسومًا به من الانتساب إلى المعارف التى يختص بها الجاحظ لم ينفعه بعد ذلك شىءٌ من المحاسن ؛ ولما رجع الصاحب عن بغداد سأله ابن العميد عنها ، فقال : بغداد فى البلاد كالأستاذ فى العباد ، فجعلها مثلاً فى الغاية فى الفضل .

* * *

# المختار من ( آثار البلاد وأخبار العباد ) للقزوينى

## بغداد

أم الدنيا ، وسيدة البلاد ، وجنة الأرض ، ومدينة السلام ، وقبة الإسلام ، ومجمع الرافدين ، ومعدن الظرائف ، ومنشأ أرباب الغايات ، هواؤها ألطف من كل هواء ، وماؤها أعذب من كل ماء ، وتربتها أطيب من كل تربة ، ونسيمها أرقُّ من كل نسيم !

بناها المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ولما أراد المنصور بناء مدينة ، بعث روادًا يرتاد موضعًا ، قال له : أرى يا أمير المؤمنين أن تبنى على شاطىء دجلة ، تجلب إليها الميرة والأمتعة من البر والبحر ، وتأتيها المادة من دجلة والفرات ، وتحمل إليها ظرائف الهند والصين ، وتأتيها ميرة أرمينية وآذربيجان وديار بكر وربيعة ، لا يحمل الجند الكثير إلا مثل هذا الموضع .

فأعجب المنصور قوله ، وأمر المنجمين - وفيهم نوبخت - باختيار وقت للبناء فاختاروا طالع القوس الدرجة التى كانت الشمس فيها فاتفقوا على أن هذا الطالع مما يدل على كثرة العمارة وطول البقاء واجتماع الناس فيها وسلامتهم عن الأعداء .

فاستحسن المنصور ذلك ثم قال نوبخت : وخلة أخرى يا أمير المؤمنين . قال : وما هى قال : لا يتفق بها موت خليفة ! فتبسم المنصور وقال : الحمد لله على ذلك .

وكان كما قال فإن المنصور مات حاجًا والمهدى مات بماسبذان والهادى بعيساباد والرشيد بطوس والأمين أخذ فى شبارته وقتل بالجانب الشرقى والمأمون بطرسوس والمعتصم والواثق والمتوكل والمستنصر بسامرًا .

ثم انتقل الخلفاء إلى التاج وتعطلت مدينة المنصور من الخلفاء قال عمارة بن عقيل :

أعاينت فى طول من الأرض أو عرض　　كبغداد من دار بها مسكن الخفض

صفا العيش فى بغداد واخضرَّ عوده　　وعيش سواها غير خفض ولا غض

ذكر أبو بكر الخطيب أن المنصور بنى مدينة بالجانب الغربى ، ووضع اللبنة

الأولى بيده ، وجعل داره وجامعها فى وسطها ، وبنى فيها قبة ، فوق إيوان ، كان علوها ثمانين ذراعًا .

والقبة خضراء ، على رأسها تمثال فارس ، بيده رمح ، فإذا رأوا ذلك التمثال استقبل بعض الجهات ومد رمحه نحوها ، فعلموا أن بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة ، فلا يطول الوقت حتى يأتى الخبر أن خارجيًا ظهر من تلك الجهة ، وقد سقط رأس هذه القبة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة فى يوم مطير ريح . وكانت تلك القبة علم بغداد ، وتاج البلد ، ومأثرة بنى العباس .

وكان بجانبها الشرقى محلة تسمى باب الطاق ، كان بها سوق الطير ، فاعتقدوا أن من تعثر عليه شيء من الأمور ، فاشترى طيرًا من باب الطاق ، وأرسله سهل عليه ذلك الأمر .

وكان عبد الله بن طاهر [1] طال مقامه فى بغداد ولم يحل له إذن الخليفة فاجتاز يومًا بباب الطاق فرأى قمرية تنوح فأمر بشرائها وإطلاقها فامتنع صاحبها أن يبيعها إلا بخمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها وأنشأ يقول :

| | |
|---|---|
| ناحت مطوقة بباب الطاق | جرت سوابق دمعى المهراق |
| كانت تغرد بالأراك وربما | كانت تغرد فى فروع الساق |
| فرمى الفراق بها العراق فأصبحت | بعد الأراك تنوح فى الأشواق |
| تعس الفراق وتبَّ حبل وتينه | وسقاه من سمِّ الأساود ساقى |
| ماذا أراد بقصده قمريةً | لم تدر ما بغداد فى الآفاق من فك |
| بى مثل ما بك يا حمامة فاسألى | أسرك أن يحلَّ وثاقى ! |

---

(١) هو ابن الحسين بن مصعب : الأمير العادل أبو العباس ، حاكم خراسان وما وراء النهر . تأدب وتفقه ، وسمع من : وكيع ، ويحيى بن الضريس ، والمأمون . روى عنه : ابن راهوية ، ونصر بن زياد والفضل بن محمد الشعرانى ، وعدة . وله يد فى النظم والنثر . قلده المأمون مصر وإفريقية ، ثم خراسان ، وكان ملكًا مطاعًا سائسًا مهيبًا جوادًا ممدحًا من رجال الكمال . وقيل : إنه وقع مرة على رقاع بصلات ، فبلغت ألفى ألف وسبعمائة ألف . وقد ارتحل إلى بابه أبو تمام وامتدحه . وكان يقول : سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان وبعد هذا ، فخلف أربعين ألف ألف درهم! ولما مرض ، تاب وكسر الملاهى ، وافتك الأسرى . ومات بالخانوق سنة ثلاثين ومائتين وله ثمان وأربعون سنة .

هذه صفة المدينة الغربية والآن لم يبق منها أثر .

وبغداد عبارة عن المدينة الشرقية . كان أصلها قصر جعفر بن يحيى البرمكى [(١)] والآن هى مدينة عظيمة كثيرة الأهل والخيرات والثمرات . تجبى إليها لطائف الدنيا وظرائف العالم إذ ما من متاع ثمين ولا عرض نفيس إلا ويحمل إليها ، فهى مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها ومعدن لأرباب الغايات وآحاد الدهر فى كل علم وصنعة .

---

(١) الوزير الملك أبو الفضل جعفر ابن الوزير الكبير أبى على يحيى ابن الوزير خالد بن برمك الفارسى . وقد اختلف فى سبب مصرع جعفر على أقوال : فقيل : إن جبريل بن بختيشوع الطبيب قال : إنى لقاعد عند الرشيد ، فدخل يحيى بن خالد ، وكان يدخل بلا إذن ، فسلم ، فرد الرشيد ردًا ضعيفًا ، فوجم يحيى ، فقال هارون : يا جبريل ، يدخل عليك أحد بلا إذن؟ قلت : لا ، قال : فما بالنا؟ فوثب يحيى ، وقال : قدمنى الله يا أمير المؤمنين قبلك ، والله ما هو إلا شىء خصصتنى به ، والآن فتبت ، فاستحيا الرشيد ، وقال : ما أردت ما تكره ، ولكن الناس يقولون . وقيل : بل سبب قتل جعفر أن الرشيد سلم له يحيى بن عبد الله بن حسن العلوى ، فرق له ، وأطلقه سرًا ، فجاء رجل ينعته إلى الرشيد ، وأنه رآه بحلوان ، فأعطى الرجل مالاً . وقيل : بل أنشأ جعفر دارًا أنفق عليها عشرين ألف ألف درهم ، فأسرف . وقيل : اعتمر يحيى بن خالد ، فتعلق بالأستار ، وقال : رب ذنوبى عظيمة ، فإن كنت معاقبى ، فاجعل عقوبتى فى الدنيا ، وإن أحاط ذلك بسمعى وبصرى ومالى وولدى حتى أبلغ رضاك ، فقدح الأمير ابن ماهان عند الرشيد فى موسى بن يحيى بن خالد ، وأعلمه طاعة أهل خراسان له ، وأنه يكاتبهم ، فاستوحش الرشيد منه ، وركبه دين ، فاختفى من الغرماء ، فتوهم الرشيد أنه سار إلى خراسان ، ثم ظهر ، فسجنه فهذا أول نكبتهم ، فأتت أمه تلاطف الرشيد ، فقال : يضمنه أبوه ، فضمنه . وقال ابن جرير الطبرى : حدثنا أحمد بن زهير أظنه عن عمه زاهر بن حرب أن سبب هلاك البرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ، وأخته عباسة ، وكان يحضرهما مجلس الشراب ، فيقوم هو فقال : أزوجكها على أن لا تمسها . قال : فكانا يثملان ، ويذهب الرشيد ، ويثب جعفر عليها ، فولدت منه غلامًا ، فوجهته إلى مكة ، فاختفى الأمر ، ثم ضربت جارية لها ، فوشت بها . فلما حج الرشيد ، هم بقتل الطفل ، ثم تأثم من ذلك ، فلما وصل إلى الحيرة ، بعث إلى مسرور الخادم ، ومعه أبو عصمة وأجناد ، فأحاطوا بجعفر ليلاً ، فدخل عليه مسرور ، وهو فى مجلس لهو ، فأخرجه بعنف وقيده بقيد حمار ، وأتى به فأمر الرشيد بقتله . وعن مسرور قال : دعنى أدخل ، فأوصى . قلت : لا سبيل إلى ذا ، فأوص بما شئت ، فأوصى ، وأعتق مماليكه ، ثم ذبحته بعد أن راجعت فيه الرشيد ، وجئته برأسه ، وجه الرشيد جندًا إلى أبيه ، فأحاطوا به وبأولاده ومواليه ، وأخذت أموالهم وأملاكهم ، وبعثت جثة جعفر إلى بغداد ، فصلب ، ونودى : ألا لا أمان لمن آوى برمكيًا ، وصلب الرشيد أنس بن أبى شيخ على الزندقة ، وكان مختصًا بالبرامكة . وعن إبراهيم بن المهدى قال : خلا جعفر يومًا بندمائه ، وأنا فيهم ، وتضمخ بالطيب ، فجاءه عبد الملك بن صالح ، فدخل فأربد وجه جعفر ، فدعا عبد الملك غلامه ، فنزع سواده =

وبها حريم الخلافة وعليه سور ، ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة كشبه الهلال وله أبواب : باب سوق التمر باب شاهق البناء عال أغلق من أول أيام الناصر واستمر إغلاقه . ذكر أن المسترشد خرج منه فأصابه ما أصابه فتطيروا به وأغلقوه . وباب النوبى وعنده العتبة التى يقبلها الملوك والرسل إذا قدموا بغداد . وباب العامة وعليه باب عظيم من الحديد نقله المعتصم من عمورية لم ير مصراعان أكبر منهما من الحديد .

ومن عجائبها دار الشجرة من أبنية المقتدر بالله دار فيحاء ذات بساتين مؤنقة ، وإنما سميت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة فى وسط بركة كبيرة أمام أبوابها ولها من الذهب والفضة ثمانية عشر غصنًا ولكل غصن فروع كثيرة مكللة

---

= وقلنسوته ، وأتى مجلسنا ، فألبسوه حريرًا ، وأطعم وشرب ، فقال : والله ما شربته قبل اليوم ، فأخف على ، ونادم أحسن منادمة ، وسرى عن جعفر ، وقال : اذكر حوائجك ، فإنى لا أستطيع مقابلة ما كان منك . قال : فى قلب أمير المؤمنين على موجدة ، فتخرجها . قال : قد رضى عنك أمير المؤمنين . قال : وعلى أربعة آلاف ألف . قال : قضى دينك . قال : وابنى إبراهيم أحب أن أزوجه . قال : قد زوجه قال : قد زوجه أمير المؤمنين بالعالية بنته . قال : وأوثر أن يولى بلدًا . قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصر . فخرج ، ونحن متعجبون من إقدام جعفر على هذه الأمور العظيمة من غير استئذان ، وركب إلى الرشيد ، فأمضى له الجميع . وقال ابن خلكان : بلغ من أمر جعفر أن الرشيد اتخذ له ثوبًا زيقان يلبسه هو وهو ، ولم يكن له عنه صبر ، وكانت عباسة أخت الرشيد أعز امرأة عليه ، فكان متى غابت أو غاب جعفر ، تنغص ، وقال لجعفر : سأزوجكها لمجرد النظر ، فاحذر أن تخلو بها ، فزوجه . فقيل : إنها أحبته ، وراودته ، فأبى ، وأعيتها الحيلة ، فبعثت إلى والدة جعفر : أن ابعثينى إلى ابنك كأننى جارية لك ، تتحفينه بها ، فأبت ، فقالت : لئن لم تفعلى ، لأقولن عنك : إنك دعوتينى إلى هذا ، ولئن ولدت من ابنك ، ليكونن لكم الشرف ، فأجابتها . قال : فاقتضها ، فقالت : كيف رأيت خديعة بنات الخلفاء ، فأنا مولاتك ، فطار السكر من رأسه ، وقام ، وقال لأمه : بعتينى والله رخيصًا . وحبلت منه ، فلما ولدت ، وكلت بالولد خادمًا ومرضعًا ، وبعثتهم إلى مكة ، ثم وشت بها زبيدة ، فحج ، وتحقق الأمر ، فأضمر السوء للبرامكة ، وأشار أبو نواس إلى ذلك ، فقال :

ألا قل لأمين الله وابن القادة الساسة
إذا ما ناكث سرك أن تعدمه رأسه
فلا تقتله بالسيف وزوجه بعباسه

وسئل سعيد بن سالم عن ذنب البرامكة ، فقال : ما كان منهم ، بعض ما يوجب ما فعل الرشيد ، لكن طالت أيامهم ، وكل طويل يمل » .

بأنواع الجواهر على شكل الثمار ، وعلى أغصانها أنواع الطير من الذهب والفضة إذا هب الهواء سمعت منها الهدير والصفير .

وفى جانب الدار عن يمين البركة تمثال خمسة عشر فارسًا ومثله على يسار البركة قد ألبسوا أنواع الحرير المدبج مقلدين بالسيوف وفى أيديهم المطارد يحركون على خط واحد فيظن أن كل واحد قاصد إلى صاحبه .

ومن مفاخرها المدرسة التى أنشأها المستنصر بالله [(١)] . لم يبن مثلها قبلها فى حسن عمارتها ورفعة بنائها وطيب موضعها على شاطىء دجلة وأحد جوانبها فى الماء . لم يعرف موضع أكثر منها أوقافًا ولا أرفه منها سكانًا .

على باب المدرسة إيوان ركب فى صدره صندوق الساعات على وضع عجيب يعرف منه أوقات الصلوات وإنقضاء الساعات الزمانية نهارًا وليلاً . قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى :

| | |
|---|---|
| يا أيها المنصور يا مالكًا | برأيه صعب الليالى يهون |
| شيدت لله ورضوانه | أشرف بنيان يروق العيون |
| إيوان حسن وصفه مدهش | يحار فى منظره الناظرون |
| صور فيه فلك دائر | والشمس تجرى مالها من سكون |
| دائرة من لازورد حلت نقـ | ـطة تبر فيه سر مصون |
| فتلك فى الشكل وهذا معًا | كمثل هاء ركبت وسط نون |

---

(١) أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضىء بأمر الله حسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفى العباسى البغدادى واقف المستنصرية التى لا نظير لها . مولده سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . وأمه تركية ، بويع عند موت والده يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة البيعة الخاصة من إخوته وبنى عمه وأسرته ، وبايعه من الغد الكبراء والعلماء والأمراء . قال ابن النجار : فنشر العدل ، وبث المعروف ، وقرب العلماء والصلحاء ، وبنى المساجد والمدارس والربط ، ودور الضيافة والمارستانات ، وأجرى العطيات وقمع المتمردة ، وحمل الناس على أقوم سنن ، وعمر طرق الحاج ، وعمر بالحرمين دورًا للمرضى وبعث إليها الأدوية . وبلغ مغل وقف المستنصرية مرة نيفًا وسبعين ألف دينار فى العام واتفق له أنه لم يكن فى أيامه معه سلطان يحكم عليه ، بل ملوك الأطراف خاضعون له توفى فى بكرة الجمعة عاشر جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة . وكانت دولته سبع عشرة سنة وعاش اثنتين وخمسين سنة .

فهى لإعلاء العلى والندى دائرة مركزها العالمون

وأما أولو الفضل من العلماء والزهاد والعباد والأدباء والشعراء والصناع فلا يعلم عددهم إلا الله . ولنذكر بعض مشاهيرها .

ينسب إليها القاضى أبو يوسف (١) ذكر أنه كان رآه رجل يهودى وقت الظهيرة يمشى راكبًا على بغلة واليهودى يمشى راجلاً جائعًا ضعيفًا فقال للقاضى : أليس نبيكم يقول الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قال : نعم . قال : فأنت فى السجن

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصارى الكوفى . مولده فى سنة ثلاث عشرة ومائة . حدث عن : هشام بن عروة ويحيى بن سعيد الأنصارى وعطاء بن السائبى ويزيد بن أبى زياد وأبى إسحاق الشيبانى وعبيد الله بن عمرو والأعمش وحجاج بن أرطاة وأبى حنيفه ، ولزمه وتفقه به وهو أنبل تلاميذته وأعلمهم ، تخرج به أئمة كمحمد بن الحسن ، ومعلى بن منصور ، وهلال الرأى ، وابن سماعة وعدة . وحدث عنه : يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلى ابن الجعد وأسد بن الفرات وأحمد بن منيع وعلى بن مسلم الطوسى وعمرو بن أبى عمرو الحرانى وعمرو الناقدو وعدد كثير . وكان أبوه فقيرًا وله حانوت ضعيف فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف . بالدراهم مائة بعد مائة . وروى عن ابن حرملة التيمى عنه قال : كنت أطلب العلم وأنا مقل فجاء أبى فقال : يا بنى لا تمدن رجلك مع أبى حنيفة فأنت محتاج ، فآثرت طاعة أبى فأعطانى أبو حنيفة مائة درهم وقال : الزم الحلقة فإذا نفذت هذه فأعلمنى . ثم بعد أيام أعطانى مائة . ويقال : إنه ربى يتيما فأسلمته أمه قصارًا . وعن محمد بن الحسن قال : مرض أبو يوسف فعاده أبو حنيفة فلما خرج ، قال : إن يمت هذا الفتى فهو أعلم من عليها . قال أحمد بن حنبل : أول ما كتبت الحديث اختلفت إلى أبى يوسف وكان أميل إلى المحدثين من أبى حنيفة ومحمد . قال إبراهيم بن أبى داود البرلسى : سمعت ابن معين يقول : ما رأيت فى أصحاب الرأى أثبت فى الحديث ولا أحفظ ولا أصح رواية من أبى يوسف ؛ يحفظ التفسير ويحفظ المغازى وأيام العرب كان أحد علومه الفقه . وعن ابن سماعة قال : كان ورد أبى يوسف فى اليوم مائتى ركعة .

قال ابن المدينى : ما أُخِذ على أبى يوسف إلا حديثه فى الحجر ، وكان صدوقا . قال يحيى بن يحيى التميمى : سمعت أبا يوسف عند وفاته يقول : كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة ، وفى لفظ : إلا ما فى القرآن ، واجتمع عليه المسلمون . وقال بكار بن قتيبة : سمعت أبا الوليد قال : لما قدم أبو يوسف البصرة مع الرشيد ، اجتمع الفقهاء والمحدثون على بابه ، فأشرف عليهم وقال : أنا من الفريقين جميعًا ، ولا أقدم فرقة على فرقة . قال : وكان قاضى الآفاق ، ووزير الرشيد ، وزميله فى حجه . وقد بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه ، وكان الرشيد يبالغ فى إجلاله . قال بشر بن الوليد : توفى أبو يوسف يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة . وقال غيره : مات فى غرة ربيع الآخر ، وعاش تسعًا وستين سنة .

وأنا فى الجنة والحالة هذه ! فقال القاضى : نعم يا عدو الله بالنسبة إلى ما أعد الله لى من الكرامة فى الآخرة فى السجن وأنت بالنسبة إلى ما أعد الله لك فى الآخرة من العذاب فى الجنة ! وحكى أن الهادى [1] الخليفة اشترى جارية فاستفتى فقال الفقهاء : لابد من الاستبراء أو الإعتاق والتزويج . فقال القاضى أبو يوسف : زوجها من بعض أصحابك وهو يطلقها قبل الدخول وحلت لك . وحكى أن الرشيد قال لزبيدة : أنت طالق ثلاثة إن بت الليلة فى مملكتى ! فاستفتوا فى ذلك فقال أبو يوسف : تبيت فى بعض المساجد فإن المساجد لله ! فولاه القضاء بجميع مملكته .

وحكى أن زبيدة [2] قالت للرشيد : أنت من أهل النار . فقال لها : إن كنت من أهل النار فأنت طالق ثلاثًا ! فاسألوا عنه فقال : هل يخاف مقام ربه قالوا : نعم . قال : فلا يقع الطلاق لأن الله تعالى يقول : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » .

---

(١) أبو محمد موسى بن المهدي ، محمد بن المنصور عبد الله الهاشمى العباسي ، ولى عهد أبيه ، فلما مات أبوه ، تسلم الخلافة ، وكان بجرجان ، فأخذ له البيعة أخوه الرشيد . قال ابن حزم : كان سبب موته أنه دفع نديما له من جرف ، على أصول قصب قد قطع ، فتعلق به النديم ، فوقع معه ، فدخلت قصبة فى دبره ، فكان ذلك سبب موته ، فهلكا جميعًا . قلت : مات فى شهر ربيع الآخر ، سنة سبعين ومائة وعمره ثلاث وعشرون سنة ، وكانت خلافته سنة وشهرا ، وقام بعده الرشيد ، وكان المهدى قد عزم على تقديم الرشيد فى ولاية العهد ، وأن يؤخر الهادي ، فلما نفذ إلى الهادى فامتنع ، فطلبه ، فلم يأت ، فهم المهدى بالمضى إلى جرجان إليه ، فساق خلف صيد ، ففر إلى خربة ، وتبعه المهدى ، فدق ظهره بباب الخربة ، فانقطع ، وقيل : بل سم ، سقته سرية سما عملته لضرتها ، فمد يده إلى الطعام المسموم ، ففزعت ، ولم تخبره ، وكان لبئا ، فصاح : جوفى . وتلف بعد يوم ، وبعثوا بالخاتم والقضيب إلى الهادي ، فركب لوقته ، وقصد بغداد . وكان كوالده فى استئصال الزنادقة وتتبعهم ، وهلك الهادى فيما قيل : من قرحة . ويقال : سمته أمه الخيزران ، لما أجمع على قتل أخيه الرشيد ، وكانت متصرفة فى الأمور إلى الغاية ، وكانت من مولدات المدينة ، فقال لها : لئن وقف ببابك أمير ، لأقتلنك ، أما لك مغزل يشغلك ، أو مصحف يذكرك ، أو سبحة فقامت لا تعقل غضبا ويقال : خلف سبعة بنين ، وكان مولده بالرى .

(٢) أمَة العزيز وتكنى أم جعفر بنت جعفر بن المنصور أبى جعفر ، العباسية ، والدة الأمين محمد بن الرشيد . قيل : لم تلد عباسية خليفة سواها . وكانت عظيمة الجاه والمال ، لها آثار حميدة فى طريق الحج ، وجدها المنصور هو لقبها زبيدة . وكان المأمون يبالغ فى إجلالها . وقالت له مرة : لئن فقدت ابن خليفة ، لقد عوضت ابن خليفة لم ألده ، وما خسر من اعتاض مثلك . توفيت سنة ست عشرة ومائتين .

وينسب إليها القاضى يحيى بن أكثم [(١)] . كان فاضلاً غزير العلم ذكى الطبع لطيفًا حسن الصورة حلو الكلام ، كان المأمون يرى له لا يفارقه ويضرب به المثل فى الذكاء . ولى القضاء وهو ابن سبع عشرة سنة فقال بعض الحاضرين فى مجلس الخليفة : أصلح الله القاضى ! كم يكون سن عمره فعلم يحيى أنه قصد بذلك استحقاره لقلة سنه فقال : سن عمرى مثل سن عمر [(٢)] بن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله - عليه السلام - قضاء مكة ! فتعجب الحاضرون من جوابه .

وحكى أنه كان ناظر الوقوف ببغداد فوقف العميان له وقالوا : يا أبا سعيد أعطنا حقنا ! فأمر بحبسهم فقيل له : لم حبست العميان وقد طلبوا حقهم ؟ فقال : هؤلاء يستحقون أبلغ من ذلك إنهم شبهونى بأبى سعيد اللوطى من مدينة كذا ! وكان هذا قصدهم فما فات القاضى ذلك . وحكى أنه اجتاز بجمع من مماليك الخليفة صبيانًا حسانًا فقال له : لولا أنتم لكنا مؤمنين .

---

(١) أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن ، ، التميمى المروزى ، ثم البغدادى . قاضى القضاة ولد فى خلافة المهدى . وسمع من : عبد العزيز بن أبى حازم ، وابن المبارك ، وعبد العزيز الدراوردى ، وجرير بن عبد الحميد ، وسفيان بن عيينة ، والفضل السينانى ، وعبد الله بن إدريس ، وعدة . وله رحلة ومعرفة . حدث عنه : الترمذى ، وأبو حاتم ، والبخارى خارج « صحيحه » ، وإسماعيل القاضى ، وإبراهيم بن محمد بن متويه ، وأبو العباس السراج ، وعبد الله بن محمود المروزى ، وآخرون . وكان من أئمة الاجتهاد ، وله تصانيف ، منها كتاب « التنبيه » . وقيل عنه كان واسع العلم بالفقه ، كثير الأدب ، حسن العارضة ، قائما بكل معضلة . غلب على المأمون ، حتى لم يتقدمه عنده أحد مع براعة المأمون فى العلم . وكانت الوزراء لا تبرم شيئا حتى تراجع يحيى . وروى أنه لما ولى يحيى بن أكثم قضاء البصرة وله عشرون سنة ، فاستصغروه . وقيل : كم سن القاضى؟ . قال : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى ولاه رسول الله - ﷺ - على مكة ، وأكبر من معاذ حين وجه به رسول الله قاضيا على اليمن ، وأكبر من كعب بن سور الذى وجه به عمر قاضيا على البصرة . قال أبو العيناء : سئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكثم ، وأحمد بن أبى دؤاد : أيهما أنبل ؟ قال : كان أحمد يجد مع جاريته وبيته ، وكان يحيى يهزل مع عدوه وخصمه . قال الخطيب : لما استخلف المتوكل صير يحيى فى مرتبة ابن أبى دؤاد . مات بالربذة منصرفه من الحج يوم الجمعة فى ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين . قال ابن أخته : بلغ ثلاثا وثمانين سنة .

(٢) هكذا فى الأصل . ووقد زيد فى الاسم عمر والصواب « عتاب بن أسيد » وهو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية . أسلم يوم فتح مكة ، ولما خرج الرسول إلى حنين استعمله على مكة وعمره نيف وعشرون سنة ، فلم يزل عليها حتى أقره أبو بكر الصديق . وتوفى هو وأبو بكر فى وقت واحد .

فعرف المأمون ذلك فأمر أن يذهب كل يوم إلى باب داره أربعمائة مملوك حسن الصورة حتى إذا ركب يمشون فى خدمته إلى دار الخلافة ركابًا .

وينسب إليها أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . كان أصله من مرو وجىء به حملاً إلى بغداد فنشأ بها . فلما كان أيام المعتصم وقع فى محنة المعتزلة جمع المعتصم بينه وبين المعتزلة وكبيرهم القاضى أبو داود . قالوا : إن القرآن مخلوق ! قال لهم أحمد : ما الدليل على ذلك ؟ قالوا : قوله تعالى : وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث . فقال لهم أحمد : المراد من الذكر ههنا الذكر عند قوله تعالى : « ص والقرآن ذى الذكر » . فالذكر مضاف إلى القرآن فيكون غير القرآن وههنا مطلق وفى [ص] مقيد فيجب حمل المطلق على المقيد .

فانقطعت حجتهم فقال المعتصم لأبى داود : ما تقول فى هذا ؟ فقال القاضى : هذا ضال مضل يجب تأديبه . وعن ميمون بن الإصبع قال : كنت حاضرًا عند محنة أحمد فلما ضرب سوطًا قال : بسم الله فلما ضرب الثانى قال : لا حول ولا قوة إلا بالله فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق فلما ضرب الرابع قال : لا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ! وعن محمد بن إسماعيل قال : سمعت شابًا يقول : ضربت لأحمد ثمانين سوطًا ولو ضربت فيلاً لهدته فجرى دمه تحت الخشب ! ثم أمر بحبسه فانتشر ذكر ذلك واستقبح من الخليفة ، وورد كتاب المأمون من طرطوس يأمر بإشخاص أحمد .

فدعا المعتصم عند ذلك أحمد وقال للناس : أتعرفون هذا الرجل ؟ . قالوا : نعم هو أحمد بن حنبل . قال : انظروا إليه ما به كسر ولا هشم . ويلمه إليهم .

وحكى صالح بن أحمد قال : دخلت على أبى وبين يديه كتاب كتب إليه : بلغنى أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق وما عليك من الدين وقد بعثت إليك أربعة آلاف درهم على يد فلان لا من زكاة ولا من صدقة وإنما هى من إرث أبي ! فقال أحمد : قل لصاحب هذا الكتاب : أما الدين فصاحبه لا يرهقنا ونحن نعافيه والعيال فى نعمة من الله . قال : فذهبت إلى الرجل وقلت له ما قاله أبى والله يعلم ما نحن فيه من الضيق .

فلما مضت سنة قال : لو قبلناها لذهبت ! وحكى أحمد بن حرار قال : كانت

أمي زمنة [١] عشرين سنة فقالت لى يومًا : اذهب إلى أحمد بن حنبل وسله أن يدعو الله لى . فذهبت ودققت الباب فقالوا : من ؟ قلت : رجل من ذاك الجانب وسألتنى أمي الزمنة أن أسألك أن تدعو الله لها .

فسمعت قائلاً يقول : نحن أحوج إلى من يدعو الله لنا ! فوليت منصرفًا فخرجت عجوز من داره وقالت : أنت الذى كلمت أبا عبد الله قلت : نعم . قالت : تركته يدعو الله لها . فجئت إلى بيتى ودققت فخرجت أمى .

وذكروا أن أحمد بن حنبل جعله المعتصم فى حل يوم قتل بابك [٢] الخرمى أو يوم فتح عمورية [٣] .

---

(١) طال عليها المرض حتى أقعدها .

(٢) بابك الخرمى كان زعيم طائفة ضالة ، يعتقد أصحابها بالحلول والتناسخ ، ويدعون إلى الإباحية الجنسية ، وبدأت تلك الفتنة فى أذربيجان ثم اتسع نطاقها إلى همدان وأصبهان وبلاد الأكراد ، وجرجان ، وأصبحت خطرا يحدق بالدولة العباسية ، ووجدت عونًا ومساندة من الروم . وحاول المأمون أن يقضى على تلك الفتنة التى اشتعل أوارها ، وأرسل إليها الحملات العسكرية ، لكنها لم تستطع القضاء على تلك الفتنة ، وتوفى المأمون دون أن يتحقق أمله ، وحمل المعتصم مهمة القضاء على هذه الحركة ، فنجح فى ذلك على الرغم من مهارة بابك الخرمى العسكرية ، وقدرته على وضع الخطط العسكرية ، مستغلا معرفته بطبيعة الإقليم الذى يتحصن فيه ، من جبال ومضايق ووديان . وامتدت الحرب أربع سنوات ، حتى تمكن « الأفشين » أبرع قادة المعتصم من إخماد الفتنة ، والقبض على بابك الخرمى فى (١٠ من شوال ٢٢٢هـ ١٦ من سبتمبر ٨٣٧م) ، وكانت هذه الفتنة من أعظم الفتن التى تعرضت لها الدولة العباسية ، شغلت الخلافة أكثر من عشرين سنة ، وقُتل من أجل القضاء عليها آلاف المسلمين ، قدّرهم الطبرى المؤرخ بنحو مائتين وخمسين ألف مسلم ، وأنفقت الدولة العباسية من أجلها ملايين الدراهم والدنانير .

(٣) فى معجم البلدان « عمورية بفتح أوله وتشديد ثانيه بلد فى بلاد الروم غزاه المعتصم . . . قيل سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام . وقد ذكرها أبو تمام فقال :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت    عنك المنى حفلا معسولة الحلب

قال بطليموس : مدينة عمورية طولها أربع وتسعون درجة وعرضها ثمان وثلاثون درجة وست عشرة دقيقة ، طالعها العقرب بيت حياتها تسع درجات من الدلو تحت أربع عشرة درجة من السرطان يقابلها مثلها من الجدى بيت ملكها مثلها من الحمل بيت عاقبتها مثلها من الميزان . وهى فى الإقليم الخامس . وفى زيج أبى عون عمورية : فى الإقليم الرابع طولها ثلاث وخمسون درجة وعرضها سبع وثلاثون درجة وهى التى فتحها المعتصم فى سنة ٣٢٢هـ وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية فى قصة طويلة وكانت من أعظم فتوح الإسلام » .

وتوفى أحمد سنة إحدى وأربعين ومائتين عن تسع وسبعين سنة .

وحكى أبو بكر المروزى قال : رأيت أحمد بن حنبل بعد موته فى المنام فى روضة وعليه حلتان خضراوان ، وعلى رأسه تاج من نور وهو يمشى مشيًا لم أكن أعرفه . فقلت : يا أحمد ما هذه المشية قال : هذه مشية الخدام فى دار السلام ! فقلت : ما هذا التاج الذى أراه فوق رأسك فقال : إن ربى أوقفنى وحاسبنى حسابًا يسيرًا وحبانى وقربنى وأباحنى النظر وتوجنى بهذا التاج وقال لى : يا أحمد هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت القرآن كلامى غير مخلوق .

وينسب إليها أبو على الحسين بن صالح بن خيران [١] . كان عالمًا شافعى المذهب جامعًا بين العلم والعمل والورع . طلبه على بن عيسى [٢] وزير المقتدر

---

(١) أبو على الحسين بن صالح بن خيران ، البغدادى شيخ الشافعية . قال القاضى أبو الطيب : كان أبو على بن خيران ، يعاتب ابن سريج على القضاء ، ويقول : هذا الأمر لم يكن فى أصحابنا ؛ إنما كان فى أصحاب أبى حنيفة . . وقال ابن زُولاق : شاهد أبو بكر بن الحداد الشافعى ببغداد سنة عشر وثلاث مائة باب أبى على بن خيران مسمورا لامتناعه من القضاء ، وقد استتر . قال : فكان الناس يأتون بأولادهم الصغار ، فيقولون لهم : انظروا حتى تحدثوا بهذا . قلت : كان ابن الحداد قد سار إلى بغداد يسعى لأبى عبيد بن حَرْبويه فى أن يُعفى من قضاء مصر . توفى لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة عشرين وثلاث مائة .

(٢) أبو الحسن ، على بن عيسى بن داود بن الجراح ، البغدادى الكاتب . وزر للمقتدر ، وللقاهر ، وكان عديم النظير فى فنه . ولد سنة نيف وأربعين ومائتين . سمع حميد بن الربيع ، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى ، وأحمد بن بديل القاضى ، وعمر بن شبة النميرى ، وطائفة . وحدث عنه ولده عيسى ، وأبو القاسم الطبرانى ، وأبو الطاهر الذهلى ، وغيرهم . وكان كثير الصدقات والصلوات ، مجلسه موفور بالعلماء . صنف كتابا فى الدعاء ، وكتاب « معانى القرآن » أعانه عليه ابن مجاهد المقرئ ، وآخر . وله ديوان رسائله . وكان من بلغاء زمانه . وزر فى سنة إحدى وثلاث مائة أربعة أعوام ، وعزل ثم وزر سنة خمس عشرة . قال الصولى : لا أعلم أنه وزر لبنى العباس مثله فى عفته وزهده وحفظه للقرآن ، وعلمه بمعانيه ، وكان يصوم نهاره ، ويقوم ليله ، وما رأيت أعرف بالشعر منه ، وكان يجلس للمظالم ، وينصف الناس ، ولم يروا أعف بطنا ولسانا وفرجا منه ، ولما عزل ثانيا ، لم يقنع ابن الفرات حتى أخرجه عن بغداد ، فجاور بمكة . وله فى نكبته :

ومن يك عنى سائلا لشماتة ... لما نابنى أو شامتا غير سائل
فقد أبرزت منى الخطوب ابن حرة ... صبورا على أحوال تلك الزلازل
إذا سُرَّ لم يبطر وليس لنكبة ... إذا نزلت بالخاشع المتضائل

لتوليته القضاء فأبى وهرب فختم بابه بضعة عشر يومًا ، قال أبو عبد الله بن الحسن العسكرى : كنت صغيرًا وعبرت مع أبى على باب أبى على بن خيران وقد وكل به الوزير على بن عيسى وشاهدت الموكلين على بابه فقال لى أبى : يا بنى أبصر هذا حتى تتحدث إن عشت أن إنسانًا فعل به هذا فامتنع عن القضاء .

ثم إن الوزير عفا عنه وقال : ما أردنا بالشيخ أبا على إلا خيرًا وأردنا أن نعلم الناس أن فى ملكنا رجلاً يعرض عليه قضاء الشرق والغرب وهو لا يقبل . توفى ابن خيران فى حدود عشرين وثلاثمائة .

وينسب إليها أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى [(١)] . كان عالمًا بعلم التفسير

---

وكان الوزير متواضعًا ، قال : ما لبست ثوبا بأزيد من سبعة دنانير . قال أحمد بن كامل القاضى : سمعت على بن عيسى الوزير ، يقول : كسبت سبع مائة ألف دينار ، أخرجت منها فى وجوه البر ست مائة ألف وثمانين ألفا . توفى فى آخر سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وله تسعون سنة .

(١) جمال الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه القاسم بن محمد ابن خليفة رسول الله - ﷺ - أبى بكر الصديق ، القرشى التيمى البكرى البغدادى ، الحنبلى ، الواعظ ، صاحب التصانيف . ولد سنة تسع أو عشر وخمس مائة . تتلمذ على يد نيف وثمانون شيخا قد خرج عنهم « مشيخة » فى جزئين . توفى أبوه وله ثلاثة أعوام ، فربته عمته ، وأقاربه كانوا تجارا فى النحاس ، فربما كتب اسمه فى السماع عبد الرحمن بن على الصفار . صنف في التفسير « المغنى » كبير ، ثم اختصره فى أربع مجلدات ، وسماه : « زاد المسير » ، وله « تذكرة الأريب » فى اللغة ، « الوجوه والنظائر » ، « فنون الأفنان » ، « جامع المسانيد » ، « الحدائق » ، « نقى النقل » ، « عيون الحكايات » ، « التحقيق فى مسائل الخلاف » ، « مشكل الصحاح » ، « الموضوعات » ، « الواهيات » . « الضعفاء » ، « تلقيح الفهوم » ، « المنتظم فى التاريخ » . « المذهب فى المذهب » ، « الانتصار فى الخلافيات » ، « مشهور المسائل » ، « اليواقيت » فى الوعظ ، ، « نسيم السحر » ، « المنتخب » ، « المدهش » ، « صفوة الصفوة » ، « أخبار الأخيار » ، « أخبار النساء » ، « مثير العزم الساكن » ، « المقعد المقيم » ، « ذم الهوى » ، « تلبيس إبليس » . « صيد الخاطر » ، « الأذكياء » ، « المغفلين » ، « منافع الطب » ، « صبا نجد » ، « الظرفاء » ، « الملهب » ، « المطرب » ، « منتهى المشتهى » ، « فنون الألباب » ، « المزعج » ، « سلوة الأحزان » ، « منهاج القاصدين » ، « الوفا بفضائل المصطفى » ، « مناقب أبى بكر » ، « مناقب عمر » ، « مناقب علي » ، « مناقب إبراهيم بن أدهم » ، « مناقب الفضيل » ، « مناقب بشر الحافي » ، « مناقب رابعة » ، « مناقب عمر بن عبد العزيز » ، « مناقب سعيد بن المسيب » ، « مناقب الحسن » ، « مناقب الثورى » ، « مناقب أحمد » ، « مناقب الشافعي » ، « موافق المرافق » ، « مختصر فنون =

والحديث والفقه والأدب والوعظ وله تصانيف كثيرة فى فنون العلوم . وكان أيضًا ظريفًا سئل وهو على المنبر : أبو بكر أفضل أم على ؟ فقال : الذى كانت ابنته تحته ! فقال السنية : فضل أبا بكر ! وقالت الشيعة : فضل عليًا ! وكانت له جارية حظية عنده فمرضت مرضًا شديدًا فقال وهو على المنبر : يا إلهى يا إلهى ما لنا من شىء إلا هى قد رمتنى بالدواهى والدواهى والدواهى : ونقل أنهم كتبوا على رقعة إليه وهو على المنبر : إن ههنا امرأة بها داء الأبنة [1] - والعياذ بالله تعالى - فماذا تصنع بها فقال :

يقولون ليلى فى العراق مريضة فيا ليتنى كنت الطبيب المداويا

توفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

وينسب إليها الوزير على بن عيسى وزير المقتدر ووزير ابنه المطيع . ركب يوم الموسم كما كان الوزراء يركبون فى موكب عظيم فرآه جمع من الغرباء قالوا : من هذا ؟ وكانت امرأة عجوز تمشى على الطريق قالت : كم تقولون من هذا ، هذا واحد سقط من عين الله تعالى فابتلاه الله بهذا كما ترونه ! فسمع هذا القول على بن عيسى فرجع إلى بيته واستعفى من الوزارة وجاور مكة إلى أن مات .

وينسب إليها أبو نصر بشر بن الحارث الحافى . ذكر أيوب العطار أنه قال له بشر : ألا أحدثك عن بدو أمرى ؟ بينا أنا أمشى إذ رأيت قرطاسًا على وجه الأرض

---

= ابن عقيل » ، « مناقب الحبش » ، « لباب زين القصص » ، « فضل مقبرة أحمد » ، « فضائل الأيام » ، « أسباب البداية » ، « واسطات العقود » ، « شذور العقود فى تاريخ العهود » ، « الخواتيم » ، « المجالس اليوسفية » . « كنوز العمر » ، « إيقاظ الوسنان بأحوال النبات والحيوان » ، « نسيم الروض » ، « الثبات عند الممات » ، « الموت وما بعده » ، « ديوانه » ، « مناقب معروف » ، « العزلة » ، « الرياضة » ، « النصر على مصر » ، « كان وكان » فى الوعظ ، « خطب اللآلئ » ، « الناسخ والمنسوخ » ، « مواسم العمر » ، « أعمار الأعيان » وغيرها . ومجموع تصانيفه مائتان ونيف وخمسون كتابا .

وقد ناله محنة فى أواخر عمره ، ووشوا به إلى الخليفة الناصر عنه بأمر اختلف فى حقيقته ، فجاء من شتمه ، وأهانه ، وأخذه قبضا باليد ، وختم على داره ، وشتت عياله ، ثم أُقعد فى سفينة إلى مدينة واسط ، فحُبس بها فى بيت حرج ، وبقى هو يغسل ثوبه ، ويطبخ الشيء ، فبقى على ذلك خمس سنين ما دخل فيها حماما . قيل فيه « كان كثير الغلط فيما يصنفه ، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره » . توفى ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مائة .

(١) شدة الشهوة وعدم الهدوء من كثرة الجماع .

عليه اسم الله تعالى ، فأخذته ، وكنت لا أملك إلا درهمًا واحدًا ، اشتريت به المارود والمسك غسلت القرطاس بالمارود وطيبته بالمسك ثم رجعت إلى منزلى ونمت ، فأتانى آت يقول : طيبت اسمى لأطيبين ذكرك وطهرته لأطهرن قلبك !

وحكت زبيدة أخت بشر أن بشرًا دخل علىَّ ليلة فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارجها وهو كذلك إلى أن أصبح فقلت له : فى ماذا كنت تفكر قال : فى بشر اليهودى وبشر النصرانى وبشر المجوسى ! ونفسى ما الذى سبق منى اختصنى الله تعالى دونهم فتفكرت فى تفضيله وحمدته على أن جعلنى من خاصته وألبسنى أحبائه .

وحكى أن بشرًا الحافى دعى إلى دعوة فلما وضع الطعام بين يديه أراد أن يمد يده إليه فما امتدت حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فقال بعض الحاضرين الذى كان يعرف بشرًا : ما كان لصاحب الدعوة حاجة إلى إحضار من أظهر أن طعامه ذو شبهة . وحكى أن أحمد بن حنبل سئل عن مسألة فى الورع فقال : لا يحل لى أن أتكلم فى الورع وأنا آكل من غلة بغداد ! لو كان بشر بن الحارث حاضرًا لأجابك فإنه لا يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السواد ! توفى سنة تسع وعشرين ومائتين عن خمس وسبعين سنة .

وحكى الحسن بن مروان : رأيت بشرًا الحافى فى المنام بعد موته فقلت له : أبا نصر ما فعل الله بك فقال : غفر لى ولكل من تبع جنازتى ! وكانت جنازته قد رفعت أول النهار فما وصل إلى القبر إلا وقت العشاء لكثرة الخلق .

وقال لى خزيمة : رأيت أحمد بن حنبل فى المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب ! قلت : فما فعل الله ببشر ؟ قال : بخ بخ ! من مثل بشر تركته بين يدى الخليل ، وبين يديه مائدة الطعام ، والخليل مقبل عليه وهو يقول له : كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وانعم يا من لم ينعم !

وقال غيره : رأيت بشرًا الحافى فى المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وقال : يا بشر أما استحييت منى وكنت تخافنى كل ذلك الخوف ورآه غيره فقال له : ما فعل الله بك فقال : قال لى يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على وجه الأرض أحب إلىَّ منك !

وينسب إليها أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى [١] . كان عديم النظير فى زمانه علمًا وورعًا وحالاً . كان يقول : ثلاثة أشياء عزيزة : حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الإجابة مع الأمانة مات أبوه أسد المحاسبى وخلف من المال ألوفًا ما أخذ الحارث منه حبة وكان محتاجًا إلى دانق وذاك لأن أباه كان رافضيًا . وقال الحارث : أهل ملتيْن لا يتوارثان !

وحكى الجنيد [٢] : أن المحاسبى اجتاز بى يومًا فرأيت أثر الجوع فى وجهه فقلت : يا عم لو دخلت علينا ساعة ! فدخل فعمدت إلى بيت عمى وكان عندهم أطعمة فاخرة فجئت بأنواع من الطعام ووضعته بين يديه . فمد يده وأخذ لقمة رفعها إلى فيه يلوكها ولا يزدردها ثم قام سريعًا ورمى اللقمة فى الدهليز وخرج ما كلمنى . فلما كان الغد قلت : يا عم سررتنى ثم نغصت علىَّ ! فقال : يا بنى أما الفاقة فكانت شديدة وقد اجتهدت أن أنال من الطعام الذى جعلته بين يدى ولكن بينى وبين الله علامة وهى أن الطعام إذا لم يكن مرضيًا يرتفع منه إلى أنفى زفر لا تقبله نفسى ! توفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

وينسب إليها أبو الحسن السرى بن المغلس السقطى [٣] خال أبى القاسم الجنيد

---

(١) أبو عبد الله ، الحارث بن أسد البغدادى المحاسبى ، روى عنه : ابن مسروق ، وأحمد بن القاسم ، والجنيد ، وأحمد بن الحسن الصوفى ، وإسماعيل بن إسحاق السراج ، وأبو على بن خَيْرَان الفقيه ، إن صح . قال الخطيب : له كتب كثيرة فى الزهد ، وأصول الديانة ، والرد على المعتزلة والرافضة . قال أبو الحسن بن مقسم : أخبرنا أبو على بن خيران ، قال : رأيت المحاسبى متعلقا بأبيه يقول : طلّقْ أمّى ، فإنك على دين ، وهى على غيرِه . قال ابن الأعرابى : تفقه الحارث ، وكتب الحديث ، وعرف مذاهب النساك ، وكان من العلم بموضع ، إلا أنه تكلم فى مسألة اللفظ ومسألة الإيمان . وقيل هجره أحمد ، فاختفى مدة . ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(٢) ابن محمد بن الجنيد النهاوندى ثم البغدادى القواريرى ، والده الخزاز . ولد الجنيد سنة نيف وعشرين ومائتين وتفقه على أبى ثور ، وسمع من السرى السقطى وصحبه ، ومن الحسن بن عرفة ، وصحب أيضا الحارث المحاسبى ، وأبا حمزة البغدادى ، وأتقن العلم ، ثم أقبل على شأنه ، وتألّه وتعبد ، ونطق بالحكمة ، وقد تتلمذ على يديه : جعفر الخُلْدى ، وأبو محمد الجريرى ، وأبو بكر الشبلى ، ومحمد بن على بن حُبيش ، وعبد الواحد بن علوان ، وآخرون .

(٣) أبو الحسن البغدادى . ولد فى حدود الستين ومائة . وحدث عن : الفضيل بن عياض ، وهشيم بن بشير ، وأبى بكر بن عياش ، وعلى بن غراب ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم بأحاديث قليلة . =

وأستاذه وتلميذ معروف الكرخى . دعا له أستاذه معروف وقال له : أغنى الله قلبك ! فوضع الله تعالى فيه الزهد .

وقيل : إن امرأة اجتازت بالسرى ومعها ظرف فيه شيء فسقط من يدها وانكسر فأخذ السرى شيئًا من دكانه وأعطاها بدل ما ضاع عليها ، فرأى معروف ذلك فأعجبه وقال له : أبغض الله إليك الدنيا ! فتركها وتزهد كما دعا له . وحكى أن امرأة جاءت إلى السرى وقالت : يا أبا الحسن أنا من جيرانك وإن ابنى أخذه الطائف وإنى أخشى أن يؤذيه فإن رأيت أن تجيء معى أو تبعث إليه أحدًا . فقام يصلى وطول صلاته فقالت المرأة : أبا الحسن الله الله فى ولدى ! إنى أخشى أن يؤذيه السلطان ! فسلم وقال لها : أنا فى حاجتك . فما برحت حتى جاءت امرأة وقالت لها : لك البشرى فقد خلوا عن ابنك ! حكى الجنيد قال : دخلت على السرى فإذا هو قاعد يبكى وبين يديه كوز مكسور قلت : ما سبب البكاء قال : كنت صائمًا فجاءت ابنتى بكوز ماء فعلقته حتى يبرد فأفطر عليه فأخذتنى عينى فنمت فرأيت جارية دخلت على من هذا الباب فى غاية الحسن فقلت لها : لمن أنت قالت : لمن لا يبرد الماء فى الكيزان الخضر ! وضربت بكمتها الكوز ومرت وهو هذا . قال الجنيد : فمكثت اختلفت إليه مدة طويلة أرى الكوز المكسور بين يديه . وحكى أن السرى كل ليلة إذا أفطر ترك لقمة فإذا أصبح جاءت عصفورة وأكلت تلك اللقمة من يده . فجاءت العصفورة فى بعض الأيام ووقعت على شيء من جدار حجرته ثم طارت وما أكلت اللقمة فحزن الشيخ لذلك وقال : بذنب منى نفرت العصفورة حتى تذكر أنه اشتهى الخبز بالقديد فأكل فعلم أن انقطاع العصفورة بسبب ذلك فعهد أن لا يتناول أبدًا شيئًا منه .

---

= واشتغل بالعبادة ، وصحب معروفا الكرخى ، وهو أجل أصحابه . روى عنه : الجنيد بن محمد ، والنورى أبو الحسين ، وأبو العباس بن مسروق ، وإبراهيم بن عبد الله المخرمى ، وعبد الله بن شاكر . قال الفرخانى : سمعت الجنيد يقول : ما رأيت أعبد لله من السرى ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئِى مضْطَجِعًا إلا فى عِلَّةِ الموت . قال الجنيد : وسمعته يقول : إنى لأنظر إلى أنفى كل يوم مَخَافَةَ أن يكون وجهى قد اسْوَدَّ ، وما أحب أن أموت حيث أُعْرَف ، أخاف أن لا تقبلنى الأرض ، فأفتضح . وسمعته يقول : فاتنى جزء من وردى ، فلا يمكننى قضاؤه ، يعنى لاستغراق أوقاته . وقيل : كان السرى أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد ، وتكلم فى علوم الحقائق . وهو إمام البغداديين فى الإشارات . توفى فى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين . وقيل : توفى سنة إحدى وخمسين . وقيل : سنة سبع وخمسين .

وحكى أنه اشترى كيل لوز بستين دينارًا وكتب فى دستوره ثلاثة دنانير ربحه فارتفع الربح وصار اللوز بتسعين دينارًا . فأتاه الدلال وأخبره أنه بتسعين دينارًا فقال : إنى عقدت عقدًا بينى وبين الله تعالى أنى أبيعه بثلاثة وستين لأجله لست أبيعه بأكثر من ذلك ! فقال الدلال : وإنى عقدت عقدًا بينى وبين الله تعالى أنى لا أغش مسلمًا ! توفى السرى سنة إحدى وخمسين ومائتين .

وينسب إليها أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد . أصله من نهاوند ومولده بغداد . كان أبوه زجاجًا وكان هو خرازًا [١] . صحب الحارث المحاسبى وخاله السرى السقطى . وكان الجنيد يفتى على مذهب سفيان الثورى . كان ورده فى كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة .

وعن جعفر الخلدى أن الجنيد عشرين سنة ما كان يأكل فى كل أسبوع إلا مرة .

حكى أبو عمرو الزجاجى قال : أردت الحج فدخلت على الجنيد فأعطانى درهمًا شددته من مئزرى فلم أنزل منزلاً إلا وجدت رزقًا فما احتجت إلى إخراج الدرهم فلما عدت إلى بغداد ودخلت عليه مد يده وأخذ الدرهم .

وحكى بعض الهاربين عن ظالم قال : رأيت الجنيد واقفًا على باب رباطه فقلت : يا شيخ أجرنى أجارك الله ! فقال ادخل الرباط . فدخلت فما كان إلا يسيرًا حتى وصل الطالب بسيف مسلول فقال للشيخ : أين مشى هذا الهارب ؟ فقال الشيخ : دخل الرباط . فمر على وجهه وقال : تريد أن تقويه على : قال الهارب : قلت للشيخ كيف دللته على أليس لو دخل الرباط قتلنى فقال الشيخ : وهل نجوت إلا بقولى دخل الرباط فمازال منا الصدق ومنه اللطف .

وحكى أن رجلاً أتى الجنيد بخمسمائة دينار وكان هو جالسًا بين أصحابه وقال له : خذ هذا وأنفق على أصحابك . فقال له : هل لك غيرها قال : نعم لى دنانير كثيرة : قال : فهل تريد غيرها قال : نعم . قال : خذها إليك فأنت أحوج إليها منا .

قال أبو محمد الجزرى : لما كان مرض موته كنت على رأسه وهو يقرأ ويسجد

---

(١) بائع الخز وهو ضرب من الثياب .

فقلت : أبا القاسم ارفق بنفسك . فقال : يا أبا محمد هو ذا صحيفتى تطوى وأنا أحوج ما كنت الساعة ! ولم يزل باكيًا وساجدًا حتى فارق الدنيا سنة ثمان وستين ومائتين .

وقال جعفر الخلدى : رأيت الجنيد بعد موته فى المنام قلت : ما فعل الله بك يا أبا قاسم ؟ فقال : طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات ونفذت تلك العلوم وامّحت تلك الرسوم وما بقينا إلا على الركيعات التى كنا نصليها فى جوف الليل !

وينسب إليها أبو الحسن على بن محمد المزين الصغير . كان من المشايخ الكبار صاحب الحالات والكرامات . حكى أبو عبد الله بن خفيف قال : سمعت أبا الحسن بمكة يقول : كنت فى بادية تبوك فقدمت إلى بئر لأستقى منها فزلقت رجلى فوقعت فى بئر فرأيت فى البئر زاوية فأصلحت موضعًا وجلست عليه لئلا يفسد الماء ما علىَّ من اللباس وطابت نفسى وسكن قلبى ، فبينما أنا قاعد إذا أنا بخشخشة فتأملت فإذا حية عظيمة تنزل على فراجعت نفسى فإذا نفسى ساكنة فنزلت ولفت ذنبها على وأنا هادىء السر لا أضطرب شيئًا وأخرجتنى من البئر وحلت عنى ذنبها فلا أدرى الأرض ابتلعتها أم السماء رفعتها فقمت ومشيت إلى حاجتى .

وحكى جعفر الخلدى : عزمت على السفر فودعت أبا الحسن المزين وقلت : زودنى شيئًا . فقال : إن ضاع شىء وأردت وجدانه أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد . رد إلى ضالتى أو اجمع بينى وبين فلان . قال : فما دعوت فى شىء إلا واستجبت . توفى بمكة مجاورًا سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

وينسب إليها محمد بن إسماعيل ويعرف بخير النساج كان من أقران الثورى .

عاش مائة وعشرين سنة . كان أسود عزم الحج . أخذه رجل على باب الحرم وقال : أنت عبدى واسمك خير ! فمكث على ذلك مدة يستعمله فى نسج الخز ثم عرف أنه ليس عبده ولا اسمه خير قال وحكى أن رجلاً جاءه وقال له : يا شيخ أمس قد بعت الغزل وشددت ثمنه فى مئزرك وأنا جئت خلفك وحللته فقبضت يدى ! فضحك الشيخ وأومى إلى يده فحلت وقال : اصرف هذه الدراهم فى شىء من حاجتك ولا تعد إلى مثلها .

ورئى فى المنام بعد موته قيل له : ما فعل الله بك قال : لا تسألنى عن هذا استرحت من دنياكم الوضرة [1] !

وينسب إليها أبو محمد رويم بن أحمد البغدادى . كان من كبار المشايخ وكان عالمًا بعلم القراءة والفقه على مذهب داود وكان يقول : من حكمة الحكيم الشريعة على إخوانه والتضييق على نفسه لأن حكم الشريعة اتباع العلم وحكم الورع التضييق على نفسه .

حكى أنه اجتاز وقت الظهيرة بدرب فى بغداد وكان عطشان فاستسقى من بيت فخرجت جارية بكوز ماء فأخذ منها وشرب فقالت الجارية : صوفى يشرب بالنهار ! فما أفطر بعد ذلك . توفى ثلاث وثلاثمائة .

وينسب إليها أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز . كان من المشايخ الكبار صحب ذا النون المصرى والسرى السقطى وبشرًا الحافى وكان أبو سعيد يمشى بالتوكل .

حكى عن نفسه قال : دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابنى فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت إلى العمارة ثم فكرت فى نفسى إنى سلوت واتكلت على غيرى فآليت ألا أدخل المرحلة إلا إذا حملت إليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفيرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فلما كان نصف الليل سمعوا صوتًا عاليًا : يا أهل المرحلة إن لله وليًا فى هذه المرحلة فالحقوه ! فجاءت جماعة وأخرجونى وحملونى إلى القرية .

وينسب إليها الأستاذ على بن هلال الخطاط ويعرف بابن البواب كان عديم النظير فى صنعته ، لم يوجد مثله لا قبله ولا بعده فإن الكتابة العربية كانت بطريقة الكوفية ثم إن الوزير أبا الحسن بن مقلة نقلها إلى طريقته وطريقته أيضًا حسنة ، ثم إن ابن البواب نقل طريقة ابن مقلة إلى طريقته التى عجز عنها جميع الكتاب من حسنها وحلاوتها وقوتها وصفاتها ولا يعرف لطافة ما فيها إلا كبار الكتاب فإنه لو كتب حرفًا واحدًا مائة مرة لا يخالف شىء منها شيئًا لأنها قلبت فى قالب واحد والناس كلهم بعده على طريقته . توفى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

---

(١) فى اللسان « الوضر وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء والقصعة ونحوهما . . . وما يشمه الإنسان من ريح يجده من طعام فاسد » .

وينسب إليها أبو نواس الحسن بن هانىء . كان أديبًا فصيحًا بليغًا شاعرًا أوحد زمانه . حكى أن الرشيد قرأ يومًا : ونادى فرعون فى قومه قال : يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون فقال : اطلبوا لى شخصًا أنذل ما يكون حتى أوليه مصر . فطلبوا شخصًا مخبلاً كما أراد الخليفة فولاه مصر وكان اسمه خصيبًا . فلما ولى أحسن السيرة وباشر الكرم وانتشر ذكره فى البلاد حتى قيل : « فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور » فقصده شعراء العراق وأبو نواس معهم وهو صبى فلما دنوا من مصر قالوا ذات يوم : نحن من أرض العراق وندخل مصر فلا يأخذن علينا المصريون خطأ أو عيبًا ! ليعرض كل واحد منا شعره حتى نعتبره فإن كان شىء منها محتاجًا إلى إصلاح أصلحناه . فأظهر كل واحد ما معه على القوم فقالوا لأبى نواس : هات ما عندك . فقال : عندى هذا :

والليل ليل والنهار نهار والبغل بغل والحمار حمار
والديك ديك والدجاجة دجاجة والبط بط والهزار هزار

فضحكوا وقالوا : هذا أيضًا له وجه للمضاحك ! فلما دخلوا على الخصيب وضعوا كرسيًا كل واحد من الشعراء يقف عليه ويورد شعره حتى أوردوا جميعهم . بقى أبو نواس فقال بعض الشعراء : ارفعوا الكرسى ما بقى أحد ! فقال أبو نواس : اصبروا حتى أورد بيتًا واحدًا ثم بعد ذلك إن أردتم فارفعوا فأنشأ يقول :

أنت الخصيب وهذه مصر فتشابها كلاهما بحر !

فتحير الشعراء وأنشد قصيدة خيرًا من قصائدهم كلها .

وحكى أن محمد الأمين أمر بحبسه وأمر أن لا يترك عنده كاغد ودواة فحبس فى دار فدخل عليه خادم من خدام الخليفة ونام عنده وعليه جبة سوداء فأخذ قطعة جص من الحائط وكتب على جبة الخاد :

ما قدر عبدك أبى نواس وهو ليس بذى لباس
ولغيره أولى بها إن كنت تعمل بالقياس
ولئن قتلت أبا نواسك قيل من هو أبو نواس

فقرأوا وفرجوا عنه .

وذكر أنه رئى فى المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك قال : قد غفر لى

بأبيات قلتها وهى تحت وسادتى فوجدوا تحت وسادته رقعة فيها مكتوب :

يا رب إن عظمت ذنوبى كثرة فقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا المحسن فمن الذى يرجوه عبد مجرم
أدعوك يا ربى إليك تضرعًا فإذا رددت يدى فمن ذا يحرم
ما لى إليك وسيلة غير الرجا وكريم عفوك ثم إنى مسلم

وينسب إليها سيد الأبدال أبو الحسين الثورى . كان يسكن الخراب ولا يدخل المدينة إلا يوم الجمعة فإذا أراد الجنيد زيارته أخذ معه شيئًا من الطعام ويدور فى الخراب إلى أن يجده . فإذا وجده ألح عليه ليأكل معه ويقول له : إلى كم تسيح فيجيبه : إلى حصول المقصود وهيهات من ذلك ! وحكى أن الجنيد بعث إليه شيئًا من الذهب قطعتان كانتا من الجنيد والباقى كان من غيره . فلما وصل إليه أخذ قطعتى الجنيد ورد الباقى .

وحكى عن نفسه قال : كان فى نفسى شىء من الكرامات فأردت تجربته فرأيت الصبيان معهم قصبة فى رأسها خيط يصطادون بها السمك فأخذت قصبة ووقفت بين زورقين فقلت : وعزتك إن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسى ! فخرجت سمكة فيها ثلاثة أرطال .

وحكى أنه وقع ببغداد حريق فوقف تاجر على طرف الحريق يقول : من أخرج هذين الغلامين له ألف دينار ! فقالوا : من يجسر أن يقرب إلى هذه النار حتى حضر أبو الحسين الثورى وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ! وأخرج الغلامين لم يتأذ شعرة منهما . فقيل له : كيف دخلت هذه النار قال : سن الله أنه لم يحرق الغلامين وهما غير مذنبين .

وحكى أنه سمع قائلاً يقول : فاشتد به الوجد فلم يزل يعدو فى أجمة قصب قطعت رءوسها حتى تقطعت قدمه ومات عليه رحمة الله .

وحكى أن أبا الحسين أحمد بن محمد الثورى دخل يومًا الماء ليغتسل فجاء لص وأخذ ثيابه فرجع إلى الماء فما كان إلا قليل وجاء اللص ومعه ثياب أبى الحسين وقد جفت يده اليمنى فخرج أبو الحسين من الماء ولبس ثيابه ثم قال : يا سيدى رد على ثيابى رد عليه يده ! فرد الله عليه يده .

وحكى أن الثورى مرض فجاء الجنيد إليه لعيادته بشىء من الدراهم فردها ومرض الجنيد فذهب إليه الثورى ووضع يده على جبهته فعوفى من ساعته ، وقال للجنيد : إذا عدت إخوانك فأوفهم مثل هذا البر ! توفى الثورى سنة خمس وتسعين ومائتين رحمة الله عليه .

وينسب إليها الإمام العالم البارع الورع محيى السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى [١] . كان عديم النظير فى علم التفسير وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحابة وأسامى الرواة وعلْم الفقه والأدب وتصانيفه فى غاية الحسن والصحة واعتماد أهل الحديث والفقه على تصانيفه وسموه محيى السنة . كان معاصرًا للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى [٢] والإمام فخر الإسلام

---

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى الشافعى المفسر ، صاحب التصانيف ، كـ « شرح السنة » ، و « معالم التنزيل » و « المصابيح » ، وكتاب « التهذيب » فى المذهب و « الجمع بين الصحيحين » ، و « الأربعين حديثا » . تفقه على شيخ الشافعية القاضى حسين بن محمد المروروذى ، صاحب « التعليقة » قبل الستين وأربع مائة . وكان البغوى يلقب بمحيى السنة وبركن الدين ، توفى بمرو الروذ مدينة من مدائن خراسان فى شوال سنة ست عشرة وخمس مائة ودفن بجنب شيخه القاضى حسين ، وعاش بضعا وسبعين سنة رحمه الله .

(٢) زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى ، الشافعى ، الغزالى ، صاحب التصانيف ، تفقه ببلده أولا ، ثم تحول إلى نيسابور فى مرافقة جماعة من الطلبة ، فلازم إمام الحرمين ، فبرع فى الفقه فى مدة قريبة ، ومهر فى الكلام والجدل ، حتى صار عين المناظرين ، وأعاد للطلبة ، وشرع فى التصنيف ، فما أعجب ذلك شيخه أبا المعالى ، ولكنه مظهر للتبجح به ، ثم سار أبو حامد إلى المخيم السلطانى ، فأقبل عليه نظام الملك الوزير ، وشاع أمره ، فولاه النظام تدريس نظامية بغداد ، فقدمها بعد الثمانين وأربع مائة ، وسنه نحو الثلاثين ولما وزر فخر الملك ، حضر أبا حامد ، والتمس منه أن لا يبقى أنفاسه عقيمة ، وألح على الشيخ ، إلى أن لان إلى القدوم إلى نيسابور ، فدرس بنظاميتها . ومما كان يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو فى أثناء كلامه ، وروجع فيه ، فأنصف ، واعترف أنه ما مارسه . وقال ابن خلكان : بعثه النظام على مدرسته ببغداد فى سنة أربع وثمانين ، وتركها فى سنة ثمان وثمانين ، وتزهد ، وحج ، وأقام بدمشق مدة ، ثم انتقل إلى بيت المقدس وتعبد ، ثم قصد مصر ، وأقام مدة بالإسكندرية ، فقيل : عزم على المضى إلى يوسف ابن تاشفين سلطان مراكش ، فبلغه نعيه ، ثم عاد إلى طوس ، وصنف « البسيط » و « الوسيط » و« الوجيز » و « الخلاصة » و « الإحياء » ، وألف « المستصفى » فى أصول الفقه ، و « المنخول » ، و« اللباب » و « المنتحل فى الجدل » و « تهافت الفلاسفة » و « محك النظر » ، و « معيار العلم » و« شرح الأسماء الحسنى » و « مشكاة الأنوار » و « المنقذ من الضلال » و « حقيقة القولين » . توفى =

أبى المحاسن الرويانى [١] رحمة الله عليهم أجمعين . بأرض الجبال بقرب قزوين وهى بلاد كلها جبال ووهاد وفيها خلق كثير من الديلم وهم أشد الناس حمقًا وجهلاً ! بينهم قتال فإذا قتل واحد منهم قتلوا من تلك القبيلة أى واحد كان . وكانوا ملوك بلاد الجبال قديمًا . ذكر أن أصلهم من بنى تميم ولذلك ترى أكثرهم يميلون إلى الأدب والعربية . منهم ملوك آل بويه [٢] وكانوا كلهم فضلاء أدباء .

---

= يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مائة وله خمس وخمسون سنة ، ودفن بمقبرة الطابران قصبة بلاد طوس ، وقولهم : الغزالى ، والعطارى ، والخبازى ، نسبة إلى الصنائع بلسان العجم ، بجمع ياء النسبة والصيغة .

(١) أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الرويانى ، الطبرى ، الشافعى . مولده فى آخر سنة خمس عشرة وأربع مائة وتفقه ببخارى مدة . ارتحل فى طلب الحديث والفقه جميعا ، وبرع فى الفقه ، ومهر ، وناظر ، وصنف التصانيف الباهرة . قتل بجامع آمل يوم جمعة حادى عشر المحرم ، قتلته الملاحدة - يعنى الإسماعيلية - قال : وكان نظام الملك كثير التعظيم له . قلت : قتل سنة إحدى وخمس مائة ورويان : بلدة من أعمال طبرستان ، وأما الرى ، فمدينة كبيرة ، والنسبة إليها رازى .

(٢) اختلف الكثير من المؤرخين فى أصل نسب البويهيين ، فيذكر ابن خلكان ، أن الصابى ذكر فى كتابه (التاجى) إنهم يرجعون فى نسبهم إلى بهرام جور بن يزدجر الملك الساسانى ، أما ابن الأثير فيرى إن نسبتهم إلى قوم الديلم بسبب طول مقامهم ببلادهم ، فى حين إن الأصفهانى الذى هو أكثر المؤرخين معرفة بأصول ملوك الفرس ، فرغم أنه يجعل للبويهيين أصلاً يعود إلى الملك الساسانى بهرام غور ، إلا أنه يعود ويذكر أن على بن بويه كان زعيماً لإحدى قبائل الديلم تسمى شيرذيل أوندن ، تقيم فى قرية كياكاليش فى ديلمان . والبويهيون على الأرجح ينتسبون إلى الديلم سكان المنطقة الجبلية فى مقاطعة جيلان من بلاد فارس (إيران) ، وكان من بين من خرج مع ملك الديلم ناصر الدين الأطروش ، على بن بويه ، وعندما تولى الحسن بن القاسم الداعى ، خلافة الناصر ، أرسل ولديه أحمد وجعفر لمقاتلة السامانيين فكان من بين الذين برزوا فى قتال السامانيين (أبو شجاع بويه بن فناخسروا) ، وكان لأبى شجاع ثلاثة أولاد قامت على أكتافهم فيما بعد الدولة البهويهية وهم : على - الحسن - أحمد . وقد حكم آل بويه رقعة من العالم الإسلامى ، وأقاموا دولة كبيرة عرفت بـ(الدولة البويهية) وضمت بلاد فارس والعراق ، ابتدأت من عام ٣٢١هـ فى فارس و٣٣٤هـ فى العراق ، وانتهى حكمهم بسيطرة السلاجقة على ممتلكاتهم ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ . وكانت بداية التسلط البويهى ، عندما قلد مرداويج بن زيار مؤسس الدولة الزيارية فى جرجان وطبرستان على بن بابويه ناحية الكرج سنة٣٢٠هـ/ ٩٣٢م ، ولقد أتاحت له صفاته كقائد يسعى للملك والسيطرة بأى ثمن وبأية وسيلة لأن يؤسس دولته المستقلة العظيمة . ومن الكرج استولى على بن بويه وأخواه على أصفهان ، ثم قصد فارس فسقطت مدنها الواحدة تلو الأخرى بين يديه ، وتم له الاستيلاء عليها عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م ، ومن فارس التى جعلها قاعدة ملكة ، تابع على بن بويه وأخواه فتوحاتهم ، ففى هذه الأثناء =

وينسب إليها شمس المعالى قابوس بن شمكير [١] . كان ملكًا فاضلاً أديبًا . كان أخوه مرداويج صاحب بلاد الجبال وكان عساكره الديلم والترك وبينهما خصومة . وهو ينصر الديلم لأنهم كانوا أنسابه ، فالترك كبسوا عليه فى الحمام وقتلوه فقام قابوس مقامه ، وتضعضع الملك فانتزع آل بويه بلاد الجبال منه فهب إلى طبرستان [٢] ، يستنجد بملوك بنى سامان [٣] ، ويحارب آل بويه إلى أن غدر به ابنه منوجهر وحبسه فى بعض القلاع ، وملوك الديلم ما كانوا فى طاعة الخلفاء فلما وقع

---

= كان الأخ الثانى الحسن قد احتل تقريباً كل إقليم الجبال ، عقب مقتل مرداويج سنة ٣٢٣هـ ، فيما أخذ الأخ الثالث أحمد فى غزو كرمان ، وتم له فتحها سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م ، ثم اتجه نحو خوزستان مستفيداً من صراع ابن رائق والبريدى ، الأمر الذى فتح أمامه الطريق إلى بغداد بسهولة ، خاصة بعد أن تمكن أحمد البويهى من السيطرة على الأهواز بصورة نهائية سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م . وفى ظل تدهور الوضع ومساوئ الحكم العباسى واستياء طبقات العامة وتمردهم عليه ، فى هذه الأثناء زحف أحمد البويهى من الأهواز قاصدا بغداد ، فاضطربت المدينة واختفى الخليفة العباسى المستكفى وابن شيرادار ، وانسحب الجند الأتراك إلى الموصل ، وبعد مفاوضات أجراها أبو محمد المهلبى صاحب أحمد البويهى ، دخل الأخير إلى بغداد فى جمادى الثانى ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م حيث لقى الخليفة العباسى المستكفى وتابعا ، ولقبه الخليفة بـ(معز الدولة) ، ولقب أخاه الأكبر على بـ(عماد الدولة وأخاه الثانى الحسن بـ(ركن الدولة) ، ومنذ هذا التاريخ وقعت الخلافة العباسية تحت سيطرة الأسرة البويهية ، ولغاية تاريخ دخول السلاجقة بغداد وسيطرتهم بدورهم على الخلافة سنة ٤٤٧ .

(١) هلك شمس المعالى قابوس بن وشمكير عام ٤٠٣هـ ، بأن أدخل بيتا باردا فى الشتاء وليس عليه ثياب حتى مات كذلك وولى الأمر من بعده منوجهر ولقب فلك المعالى وخطب لمحمود ابن سبكتكين .

(٢) فى « معجم ما استعجم » : « طبرستان : مدينة معروفة ، وسميت بذلك لأن الشجر كان حولها أشبا ، فلم تعصل إليها جنود كسرى حتى قطعوه بالفئوس ، والطبر والتبر بالفارسية الفأس ، ولذلك قيل طبرزين وأستان الشجر ، وقد عربت العرب أستان فقالت : لضرب من الشجر أستن ، قال الشاعر :

تحيد عن أستن سود أسافله     مثل الإماء الغوادى تحمل الحزما» .

(٣) فى صبح الأعشى « هم بنو سامان بن جثمان بن طمغان بن بوشرد بن بهرام جوبين المذكور فى أخبار كسرى أبرويز أحد ملوك الفرس وأول من ملكها منهم أولاد أسد بن سامان فى خلافة المأمون فى سنة أربع ومائتين فتولى أحمد بن أسد فرغانة ويحيى بن أسد الشاش وأسروشنة ونوح بن أسد سمرقند ثم مات نوح بن أسد بسمرقند ثم مات أحمد بفرغانة واستخلف ابنه نصرا على أعماله وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرا فولاه نصر بخارى فى السنة المذكورة وكان إسماعيل رجلا خيرا يحب أهل العلم ويكرمهم فاستقرت قدمه ببخارا وملك جميع ما وراء النهر وملك إسماعيل المذكور خراسان مع ما وراء النهر فى سنة سبع وثمانين ومائتين ثم ملك بعده ما وراء النهر وخراسان ابنه أحمد بن إسماعيل =

لقابوس ما وقع قال المقتدر بالله : « قد قبس القابسات قابوس ، ونجمه فى السماء منحوس ! فكيف يرجى الفلاح من رجل يكون فى آخر اسمه بوس ، فلما سمع قابوس ذلك قال :

يا ذا الذى بصروف الدهر عيرنا   هل عاند الدهر إلا من له خطر
وفى السماء نجوم غير ذى عدد   وليس يكسف إلا الشمس والقمر [1]

---

= حتى قتل فى سنة إحدى وثلثمائة وولى بعده ما وراء النهر وخراسان ابنه أبو الحسن نصر بن أحمد وتوفى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة » ج٤ ص ٤٤٥ .

(١) وتمام الأبيات فى البداية والنهاية لابن كثير ج١١ ص ٤٥٦ كالتالى :

قل للذى بصروف الدهر عيرنا   هل عاند الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر يطفو فوقه جيف   ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن نشبت أيدى الخطوب بنا   ومسنا من توالى صرفها ضرر
ففى السماء نجوم غير ذى عدد   وليس يكسف إلا الشمس والقمر

# المختار من (رحلة ابن بطوطة)

## ( مدينة بغداد )

مدينة دار السلام . وحضرة الإسلام . ذات القدر الشريف . والفضل المنيف . مثوى الخلفاء . ومقر العلماء . قال أبو الحسين بن جبير - رضى الله عنه - وهذه المدينة العتيقة وإن لم تزل حضرة الخلافة العباسية . ومثابة الدعوة الإمامية القرشية . فقد ذهب رسمها . ولم يبق إلا اسمها . وهى بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل إنحاء الحوادث عليها والتفات أعين النوائب إليها كالطلل الدارس . أو تمثال الخيال الشاخص . فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والنظر . إلا دجلتها التى هى بين شرقيها وغربيها كالمرآة المجلوة بين صفحتين . أو العقد المنتظم بين لبتين . فهى تردها ولا تظما . وتتطلع منها فى مرآة صقيلة لا تصدأ . والحسن الحريمى بين هوائها ومائها ينشأ . قال ابن جزى وكأن أبا تمام حبيب بن أوس اطلع على ما آل إليه أمرها حين قال فيها ( بسيط )

لقد أقام على بغداد ناعيها ... فليبكها لخراب الدهر باكيها
كانت على مائها والحرب موقدة ... والنار تطفأ حسنًا فى نواحيها
ترجى لها عودة فى الدهر صالحة ... فالآن أضمر منها الياس راجيها
مثل العجوز التى ولت شبيبتها ... وبان عنها جمال كان يحظيها

وقد نظم الناس فى مدحها وذكر محاسنها فأطنبوا . ووجدوا مكان القول ذا سعة فأطالوا وأطابوا . وفيها قال الإمام القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن على بن نصر المالكى البغدادى وأنشدنيه والدى رحمه الله مرات ( بسيط )

طيب الهواء ببغداد يشوقنى ... قربًا إليها وإن عاقت مقادير
وكيف أرحل عنها اليوم إذ جمعت ... طيب الهواءين ممدود ومقصور

وفيها يقول أيضا رحمة الله تعالى ورضى عنه ( طويل )

سلام على بغداد فى كل موطن    وحق لها منى السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلى لها    وإنى بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علىَّ برحبها    ولم تكن الأقدار فيها تساعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه    وأخلاقه تنأى به وتخالف

وفيها يقول أيضًا مغاضبًا لها وأنشدنيه والدى - رحمه الله - غير ما مرة (بسيط)

بغداد دار لأهل المال واسعة    وللصعاليك دار الضنك والضيق
ظللت أمشى مضافا فى أزقتها    كأننى مصحف فى بيت زنديق

وفيها يقول القاضى أبو الحسن على بن النبيه من قصيدة (خفيف)

آنست بالعراق بدرًا منيرًا    فطوت غيهبًا أو خاضت هجيرًا
واستطاعت ريا نسائم بغدا    د فكادت لولا البرى أن تطيرا
ذكرت من مسارح الكرخ روضًا    لم يزل ناضرًا وماءً نميرًا
واجتنت من ربا المحول نورًا    واجتلت من مطالع التاج نورًا

ولبعض نساء بغداد فى ذكرها (كامل)

آها على بغدادها وعراقها    وظبائها والسحر فى أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه    تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات فى النعيم كأنما    خلق الهوى العذرى من أخلاقها
نفسى الفداء لها فأى محاسن    فى الدهر تشرق من سنا إشراقها

(رجع) ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة التى ذكرناها فى جسر مدينة الحلة والناس يعبرونهما ليلاً ونهارًا رجالا ونساء فهم فى ذلك فى نزعة متصلة وببغداد من المساجد التى يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدًا منها بالجانب الغربى ثمانية وبالجانب الشرقى ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدًا وكذلك المدارس إلا أنها خربت ، وحمامات بغداد كثيرة وهى من أبدع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل لرائيه أنه رخام أسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تنبع أبدًا به ويصير فى جوانبها كالصلصال فيجرف منها ويجلب إلى بغداد ، وفى كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلى نصف

حائطها مما يلى الأرض به والنصف الأعلى مطلى بالجص الأبيض الناصع فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفى داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجرى بالماء الحار والآخر بالماء البارد فيدخل الإنسان الخلوة منها منفردًا لا يشاركه أحد إلا إن أراد ذلك وفى زاوية كل خلوة أيضا حوض آخر للاغتسال فيه أيضًا أنبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى ثلاثا من الفوط إحداها يتزر بها عند دخوله والأخرى يتزر بها عند خروجه والأخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الإتقان كله فى مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها فى ذلك .

## ( ذكر الجانب الغربى من بغداد )

الجانب الغربى منها هو الذى عمر أولاً وهو الآن خراب أكثر وعلى ذلك فقد بقى منه ثلاثة عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة وفى ثمان منها المساجد الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبى جعفر المنصور - رحمه الله - والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار وفى هذا الجانب الغربى من المشاهد قبر معروف الكرخى - رضى الله عنه - وهو فى محلة باب البصرة وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء فى داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون من أولاد على بن أبى طالب وفى هذا الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد على ابن موسى الرضا وإلى جانبه قبر الجواد والقبران داخل الروضة عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة .

## ( ذكر الجانب الشرقى منها )

وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عظيمة الترتيب وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيها على حدة وفى وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التى صارت الأمثال تضرب بحسنها ، وفى آخره المدرسة المستنصرية ونسبتها إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبى جعفر بن أمير المؤمنين الظاهر بن أمير المؤمنين الناصر وبها المذاهب الأربعة لكل مذهب إيوان فيه المسجد

موضع التدريس وجلوس المدرس فى قبة خشب صغيرة على كرسى عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لابسًا ثياب السواد معتمًا وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة وفى داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التى تقام فيها الجمعة أحدها جامع الخليفة وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة للوضوء والغسل ، لقيت بهذا المسجد الشيخ الإمام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أبا حفص عمر بن على بن عمر القزوينى وسمعت عليه فيه جميع مسند أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ابن رهام الدارمى وذلك فى شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمائة ، قال أخبرتنا به الشيخة الصالحة المسندة بنت الملوك فاطمة بنت العدل تاج الدين أبى الحسن على بن على بن أبى البدر قالت أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب المارستانى قال أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن شعيب السنجرى الصوفى قال أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى عن أبى عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى عن أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمى والجامع الثانى جامع السلطان وهو خارج البلد وتتصل به قصور تنسب للسلطان والجامع الثالث جامع الرصافة وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل .

## ( ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها )

وقبور الخلفاء العباسيين - رضى الله عنهم - بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه فمنهم قبر المهدى وقبر الهادى وقبر الأمين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهتدى وقبر المعتمد وقبر المعتضد وقبر المكتفى وقبر المقتدر وقبر القاهر وقبر الراضى وقبر المتقى وقبر المستكفى وقبر المطيع لله وقبر الطائع وقبر القائم وقبر القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المقتفى وقبر المستنجد وقبر المستضيء وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو آخرهم وعليه دخل التتر ببغداد بالسيف وذبحوه بعد أيام من دخولهم وانقطع من بغداد اسم الخلافة العباسية وذلك

فى سنة أربع وخمسين وستمائة وبقرب الرصافة قبر الإمام أبى حنيفة - رضى الله عنه - وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية فسبحان مبيد الأشياء ومغيرها وبالقرب منها قبر الإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - ولا قبة عليه ويذكر أنها بنيت على قبره مرارا فتهدمت بقدرة الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظم وأكثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر أبى بكر الشبلى من أئمة المتصوفة - رحمه الله - وقبر سرى السقطى وقبر بشر الحافى وقبر داود الطائى وقبر أبى القاسم الجنيد - رضى الله عنهم - أجمعين وأهل بغداد لهم يوم فى كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع وببغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء - رضى الله تعالى عنهم - وهذه الجهة الشرقية من بغداد ليس بها فواكه وإنما تجلب إليها من الجهة الغربية لأن فيها البساتين والحدائق ووافق وصولى إلى بغداد كون ملك العراق بها فلنذكره ها هنا .

* * *

# من كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون

## [ من تاريخ التتار ]

هؤلاء الططر من شعوب الترك ، وقد اتفق النسابة والمؤرخون على أن أكثر أمم العالم فرقتان وهما : العرب والترك ، وليس فى العالم أمة أوفر منهما عددًا ، هؤلاء فى جنوب الأرض ، وهؤلاء فى شمالها .

ومازالوا يتنابون الملك فى العالم ، فتارة يملك العرب ، ويزحلون الأعاجم إلى آخر الشمال ، وأخرى يزحلهم الأعاجم والترك إلى طرف الجنوب . سنة الله فى عباده .

فلنذكر كيف انساق الملك لهؤلاء الططر ، واستقرت للدول الإسلامية فيهم لهذا العهد ، فنقول : إن الله سبحانه خلق هذا العالم ، واعتمره بأصناف البشر على وجه الأرض فى وسط البقعة التى انكشفت من الماء فيه ، وهى عند أهل الجغرافيا مقدار الربع منه ، وقسموا هذا المعمور بسبعة أجزاء ، يسمونها الأقاليم ، مبتدئة من خط الاستواء بين المشرق والمغرب ، وهو الخط الذى تسامت الشمس فيه رءوس السكان إلى تمام السبعة أقاليم .

وهذا الخط فى جنوب المعمور ، وتنتهى السبعة الأقاليم فى شماله . وليس فى جنوب خط الاستواء عمارة إلى آخر الربع المنكشف لإفراط الحر فيه ، وهو يمنع من التكوين ، وكذلك ليس بعد الأقاليم السبعة فى جهة الشمال عمارة ، لإفراط البرد فيها وهو مانع من التكوين أيضًا .

ودخل الماء المحيط بالأرض من جهة الشرق فوق خط الاستواء بثلاث عشرة درجة فى مدخل فسيح ، وانساح مع خط الاستواء مغربًا ، فمر بالصين والهند والسند واليمن فى جنوبها كلها .

وانتهى إلى وسط الأرض عند باب المندب ، وهو البحر الهندى والصينى ، ثم انحرف من طرفه الغربى فى خليج عند باب المندب ومر فى جهة الشمال مغربًا باليمن وتهامة والحجاز ومدين وأيلة وفاران ، وانتهى إلى مدينة القلزم ، ويسمى بحر السويس ، وفى شرقية بلاد الصعيد إلى عيذاب وبلاد البجاة .

وخرج من هذا البحر الهندى من وسطه خليج آخر ، يسمى الخليج الأخضر ، ومر شمالاً إلى الأبلة ، ويسمى بحر فارس ، وعليه فى شرقية بلاد فارس وكرمان والسند .

ودخل الماء أيضًا من جهة الغرب فى خليج متضايق فى الإقليم الرابع ، ويسمى بحر الزقاق ، تكون سعته هنالك ثمانية عشر ميلاً . ويمر مشرقًا ببلاد البربر من المغرب الأقصى والأوسط وأرض إفريقية والإسكندرية ، وأرض التيه وفلسطين والشام .

وعليه فى الغرب بلاد الإفرنج كلها ، وخرج منه فى الشمال خليجان : الشرقى منهما خليج القسطنطينية ، والغربى خليج البنادقة ، ويسمى هذا البحر البحر الرومى والشامى .

ثم إن هذه السبعة الأقاليم المعمورة تنقسم من شرقيها وغربيها بنصفين : فنصفها الغربى فى وسطه البحر الرومى ، وفى النصف الشرقى من جانبه الجنوبى البحر الهندى .

وكان هذا النصف الغربى أقل عمارة من النصف الشرقى ، لأن البحر الرومى المتوسط فيه انفسح فى انسياحه ، فغمر الكثير من أرضه . والجانب الجنوبى منه قليل العمارة لشدة الحر ، فالعمران فيه من جانب الشمال فقط . والنصف الشرقى عمرانه أكثر بكثير ، لأنه لا بحر فى وسطه يزاحم .

وجانبه الجنوبى فى البحر الهندى ، وهو متسع جدًا ، فلطف الهواء فيه بمجاورة الماء ، وعدل مزاجه للتكوين ، فصارت أقاليمه كلها قابلة للعمارة ، فكثر عمرانه .

وكان مبدأ هذا العمران فى العالم من لدن آدم - صلوات الله عليه - وتناسل ولده أولاً فى ذلك النصف الشرقى ، وبادت تلك الأمم ما بينه وبين نوح ، ولم نعلم شيئًا من أخبارها ، لأن الكتب الإلهية لم يرد علينا فيها إلا أخبار نوح وبنيه ، وأما ما قبل نوح فلم نعرف شيئًا من أخباره .

وأقدم الكتب المنزلة المتداولة بين أيدينا التوراة ، فيها من أخبار تلك الأجيال شىء ، ولا سبيل إلى اتصال الأخبار القديمة إلا بالوحى ، وأما الأخبار فهى تدرس بدروس أهلها .

واتفق النسابون على أن النسل كله منحصر فى بنى نوح ، وفى ثلاثة من ولده وهم سام وحام ويافث : فمن سام : العرب والعبرانيون والسبائيون . ومن حام :

القبط والكنعانيون والبربر والسودان . ومن يافث : الترك والروم والخزر والفرس والديلم والجيل .

ولا أدرى كيف صح انحصار النسب فى هؤلاء الثلاثة عند النسابين . أمن النقل ؟ وهو بعيد كما قدمناه ، أو هو رأى تفرع لهم من انقسام جماعة المعمور ؟ فجعلوا شعوب كل جهة لأهل نسب واحد ، يشتركون فيه . فجعلوا الجنوب لبنى سام والمغرب لبنى حام والشمال لبنى يافث .

إلا أنه المتناقل بين النسابة فى العالم – كما قلناه – فلنعتمده ونقول : أول من ملك الأرض من نسل نوح – عليه السلام – النمرود بن كنعان بن كوش بن حام ، ووقع ذكره فى التوراة . وملك بعده عابر بن شالخ الذى ينسب إليه العبرانيون والسريانيون – وهم النبط – وكانت لهم الدولة العظيمة ، وهم ملوك بابل من نبيط بن أشور بن سام ، وقيل نبيط من ماش بن إرم ، وهم ملوك الأرض بعد الطوفان على المسعودى .

وغلبهم الفرس على بابل ، وما كان فى أيديهم من الأرض ، وكانت فى العالم دوتان عظيمتان ، لملوك بابل هؤلاء ، وللقبط بمصر ، هذه هى المغرب ، والأخرى فى المشرق ، وكانوا ينتحلون الأعمال السحرية ، ويعولون عليها فى كثير من أعمالهم ، وبرابى مصر ، وفلاحة ابن وحشية يشهدان بذلك .

فلما غلب الفرس على بابل ، استقل لهم ملك المشرق ، وجاء موسى – صلوات الله عليه – بالشريعة الأولية ، وحرم السحر وطرقه ، وغلب الله له القبط ، بإغراق فرعون وقومه .

ثم ملك بنو إسرائيل الشام ، واختطوا بيت المقدس ، وظهر الروم فى ناحية الشمال والمغرب ، فغلب الفرس الأولى على ملكهم . وملك ذو القرنين الإسكندر ما كان بأيديهم ، ثم صار ملك الفرس بالمشرق إلى ملوكهم الساسانية ، وملك بنى يونان بالشام والمغرب إلى القياصرة ، كما ذكرنا ذلك كله من قبل .

وأصبحت الدولتان عظيمتين ، وانتظمتا العالم بما فيه . ونازع الترك ملوك فارس فى خراسان وما وراء النهر ، وكانت بينهم حروب مشهورة ، واستقر ملكهم فى بنى أفراسياب ، ثم ظهر خاتم الأنبياء محمد – صلوات الله عليه – وجمع العرب على كلمة الإسلام ، فاجتمعوا له ﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين

قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ ، وقبضه الله إليه ، وقد أمر بالجهاد ، ووعد عن الله بأن الأرض لأمته ، فزحفوا إلى كسرى وقيصر بعد سنتين من وفاته ، فانتزعوا الملك من أيديهما ، وتجاوزا الفرس إلى الترك والروم إلى البربر والمغرب ، وأصبح العالم كله منتظمًا فى دعوة الإسلام .

ثم اختلف أهل الدين من بعده فى رجوعهم إلى من ينظم أمرهم ، وتشيع قوم من العرب ، فزعموا أنه أوصى بذلك لابن عمه على ، وامتنع الجماعةمن قبول ذلك ، وأبوا إلا الاجتهاد فى تعيينه ، فمضى على ذلك السلف فى دولة بنى أمية التى استفحل الملك والإسلام فيها ، وتنافل التشيع بتشعب المذاهب فى استحقاق بنى على ، و أيهم يتعين له ذلك ، حتى انساق مذهب من مذاهبهم إلى محمد بن على ابن عبد الله بن عباس ، فظهرت شيعة بخراسان ، وملكوا تلك الأرض كلها ، والعراق بأسره .

ثم غلبوا على بنى أمية ، وانتزعوا الملك من أيديهم ، واستفحل ملكهم والإسلام باستفحاله وتعمد خلفاؤهم .

ثم خامر الدولة ما يخامر الدول من الترف والراحة ففشلوا . وكثر المنازعون لهم من بنى على وغيرهم ، فظهرت دولة لبنى جعفر الصادق بالمغرب ، وهم العبيديون بنو عبيد الله المهدى بن محمد ، قام بها كتامة ، وقبائل البربر ، واستولوا على المغرب ومصر .

ودولة بنى العلوى طبرستان ، قام بها الديلم ، واخوانهم الجيل .

ودولة بنى أمية النائية بالأندلس ، لأن بنى العباس لما غلبوهم بالمشرق ، وأكثروا القتل فيهم هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ونجا إلى المغرب ، ثم ركب البحر إلى الأندلس ، فاجتمع عليه من كان هنالك من العرب وموالى بنى أمية ، فاستحدث هنالك ملكًا آخر لهم ، وانقسمت الملة الإسلامية بين الدول الأربع إلى المائة الرابعة .

ثم انقرض ملك العلوية من طبرستان ، وانتقل إلى الديلم ، فاقتسموا خراسان وفارس والعراق ، وغلبوا على بغداد ، وحجر الخليفة بها بنو بويه منهم . وكان بنو سامان - من أتباع بنى طاهر - قد تقلدوا عمالات ما وراء النهر ، فلما فشل أمر الخلافة ، استبدوا بتلك النواحى ، وأصاروا لهم فيها ملكًا ضخمًا وكان آخرهم

محمود بن سبكتكين من مواليهم ، فاستبد عليهم ، وملك خراسان وما وراء النهر إلى الشاش ، ثم غزنة ، وما ورائها جنوبًا إلى الهند .

وأجاز إلى بلاد الهند ، فافتتح منها كثيرًا ، واستخرج من كنوزها ذخائر لم يعثر عليها أحد قبله . وأقامت الملة على هذا النمط إلى انقضاء المائة الرابعة .

وكان الترك منذ تعبدوا للعرب ، وأسلموا على ما بأيديهم وراء النهر من كاشغر والصاغون إلى فرغانة ، وولاهم الخلفاء عليها ، فاستحدثوا بها ملكًا ، وكانت بوادى الترك فى تلك النواحى منتجعة أمطار السماء وعشب الأرض .

وكان الظهور فيهم لقبيلة الغز من شعوبهم ، وهم الخوز ، إلا أن استعمال العرب عرب خاءها المعجمة غينًا ، وأدغمت واوها فى الزاى الثانية ، فصارت زايًا واحدة مشددة .

وكانت رياسة الغز هؤلاء فى بنى سلجوق بن ميكائيل ، وكانوا يستخدمون لملوك الترك بتركستان تارة ، ولملوك بنى سامان فى بخارى أخرى . تحدث بينهما الفتنة ، فيتألفون من شاءوا منهما .

ولما تغلب محمود بن سبكتكين على بنى سامان ، وأجاز من خراسان ، فنزل بخارى ، واقتعد كرسيهم ، وتقبض على كبار بنى سلجوق هؤلاء ، وحبسهم بخراسان .

ثم مات ، وقام بالأمر أخوه مسعود ، فملك مكانه ، وانتقض على بنى سلجوق هؤلاء ، وأجاز الغز إلى خراسان ، فملكوها ، وملكوا طبرستان من يد الديلم ، ثم أصبهان وفارس من أيدى بنى بويه ، وملكهم يومئذ طغرلبك بن ميكائيل من بنى سلجوق .

وغلب على بغداد من يد بنى معز الدولة بن بويه المستبدين على الخليفة - يومئذ - المطيع ، وحجره عن التصرف فى أمور الخلافة والملك ، ثم تجاوز إلى عراق العرب ، فغلب على ملوكه ، وأبادهم ، ثم بلاد البحرين وعمان ، ثم على الشام وبلاد الروم .

واستوعب ممالك الإسلام كلها ، فأصارها فى ملكه ، وانقبضت العرب راجعة إلى الحجاز مسلوبة من الملك ، كأن لم يكن فيه نصيب . وذلك أعوام الأربعين والأربعمائة .

وخرج الإفرنج على بقايا بنى أمية بالأندلس ، فانتزعوا الملك من أيديهم ، واستولوا على حواضر الأندلس وأمصارها ، وضاق النطاق على العبيديين بالقاهرة بملوك الغز ، يزاحمونهم فيها من الشام بمحمود بن زنكى وغيره من أبنائهم ومماليكهم ، وبملوك المغرب قد اقتطعوا ما وراء الإسكندرية بملوك صنهاجة فى إفريقية ، والملثمين المرابطين بعدهم بالمغرب الأقصى والأوسط ، والمصامدة الموحدين بعدهم كذلك ، وأمام الغز والسلجوقية فى ملك الشرق وبنوهم ومواليهم من بعدهم إلى انقضاء القرن السادس .

وقد فشل ريح الغز ، واختفت دولتهم ، فظهر فيهم جنكيز خان أمير المغل من شعوب الططر ، وكان كاهنًا ، وجده النجر كاهنًا مثله .

ويزعمون أنه ولد من غير أب ، فغلب الغز فى المفازة ، واستولى على ملك الططر ، وزحف إلى كرسى الملك بخوارزم . وهو علاء الدين خوارزم شاه سلفه من موالى طغرلبك ، فغالبه على ملكه ، وفر أمامه . واتبعه إلى بحيرة طبرستان ، فنجا إلى جزيرة فيها ، ومرض هنالك ، ومات .

ورجع جنكيز خان زندران من أمصار طبرستان ، فنزلها وأقام بها ، وبعث عساكره من المغل ، حتى استولوا على جميع ما كان للغز ، وأنزل ابنه طولى بكرسى خراسان ، وابنه دوشيخان بصراى وبلاد الترك ، وابنه جقطاى بكرسى الترك فيما وراء النهر ، وهى كاشغر وتركستان .

وأقام (بمازندران) إلى أن مات جنكيز خان ، ودفن بها ، ومات ابنه طولى وله ولدان قبلاى وهولاكو ، ثم هلك قبلاى ، واستقل هولاكو بملك خراسان .

وحدث بينه وبين بركة بن دوشيخان فتنة المنازعة فى القانية ، تحاربوا فيها طويلًا ، ثم أقصروا ، وصرف هولاكو وجهه إلى بلاد أصبهان وفارس ، ثم إلى الخلفاء المستبدين ببغداد ، وعراق العرب ، فاستولى على تلك النواحى ، واقتحم بغداد على الخليفة المستعصم آخر بنى العباس ، وقتله ، وأعظم فيها العيث والفساد ، وهو يومئذ على دينه من المجوسية .

ثم تخطاه إلى الشام ، فملك أمصاره وحواضره إلى القدس ، وملوك مصر يومئذ من موالى بنى أيوب ، قد استحاشوا ببركة صاحب صراى فزحف إلى خراسان ، ليأخذ بحجزة هولاكو عن الشام ومصر .

وبلغ خبره إلى هولاكو ، فحرد لذلك لما بينهما من المنافسة والعداوة ، وكر راجعًا إلى العراق ثم إلى خراسان لمدافعة بركة . وطالت الفتنة بينهما إلى أن هلك هولاكو سنة ثلاث وستين من المائة السابعة .

وزحف أمراء مصر من موالى بنى أيوب وكبيرهم - يومئذ - قطز ، وهو سلطانهم فاستولى على أمصار الشام التى كان هولاكو انتزعها من أيدى بنى أيوب واحدة واحدة ، واستضاف الشام إلى مصر فى ملكه .

## ظهور الفتنة ووقوع الخلاف بين الدواتدار
## والوزير وابتداء نكبة الخليفة

في آخر صيف سنة أربع وخمسين وستمائة ، حدث سيل عظيم أغرق مدينة بغداد ؛ لدرجة أن الطبقة العليا من المنازل هناك غرقت في الماء واختفت تمامًا . وقد استمر انهمار السيل في تلك الديار خمسين يومًا ، ثم بدأ في النقصان . وكان من نتيجة ذلك ، أن بقيت نصف أراضي العراق خرابًا يبابًا . ولا يزال أهالي بغداد حتى اليوم ، يذكرون الغرق المستعصمي .

وخلال تلك الواقعة ، امتدت أيدي جماعة من الزناطرة والمشاغبين والرعاع والسفلة بالاعتداء والسلب ، وكانوا في كل يوم يغتصبون بعض الأشخاص الأبرياء . وكان مجاهد الدين الدواتدار ، يحتضن بنفسه هؤلاء الرعاع والسفلة ، فصار في مدة وجيزة صاحب شوكة وبأس . ولما لمس في نفسه القوة ، ورأى الخليفة المستعصم شخصًا عاجزًا لا رأي له ولا تدبير وساذجًا ؛ اتفق مع طائفة من الأعيان على خلعه وتولية خليفة آخر من العباسيين في مكانه . وعندما علم مؤيد الدين بن العلقمي نبأ تلك المؤامرة ، أخبر الخليفة على انفراد قائلاً : « يجب تدارك أمرهم » . فاستدعى الخليفة الدواتدار على الفور ، وأطلعه على ما قاله الوزير في شأنه ، ثم قال له : « لما كنت أعتمد عليك وأثق بك ، فإني لم أصغ إلى كلام الوزير وهو يغمزك . وإني لأبلغك بأنه لا يجوز أن تخدع بأية حال ، ولا تحيد عن جادة الطاعة » . فلما أحس الدواتدار من الخليفة الشفقة والعطف ، أجاب : « إذا ثبت على جرم فهذا رأسي وهذا هو السيف . ومع هذا فأين يذهب عفو الخليفة وصفحه وغفرانه . . . أما هذا الوزير المزور المخادع ، فقد حمله الشيطان بعيدًا عن الطريق المستقيم ، واختمرت في ذهنه المظلم فكرة الولاء والميل إلى هولاكو خان وجيش المغول . وإن سعايته في حقي ، لمن أجل دفع هذه التهمة عن نفسه ، وإنه عدو الخليفة ، فهو يتبادل مع هولاكو خان الجواسيس » . فاستماله الخليفة وقال له : « منذ هذه اللحظة كن يقظًا وعاقلاً » .

بعد ذلك خرج مجاهد الدين من حضرة الخليفة . وعلى سبيل المكابرة وعدم المبالاة ، أصر على مهاجمته ؛ فجمع حوله رنود بغداد وأوباشها ، وكانوا يلازمونه

ليل نهار؛ فخشى الخليفة مغبة الحال ، وجمع جيشًا لدفع هذا الخطر . ثم زادت الفتنة والاضطراب فى بغداد . وكان الأهالى هناك قد ملوا العباسيين ، وكرهوا حكمهم . ولما عرفوا أن دولتهم قد آذنت بالمغيب ، ظهرت الأهواء المختلفة بينهم فخاف الخليفة مغبة الأمر ، وعهد إلى فخر الدامغانى صاحب الديوان بإخماد تلك الفتنة ، وكتب كتابًا بخطه مؤداه : « إن ما قيل فى حق الدواتدار ، إنما هو محض افتراء وبهتان . ونحن نعتمد عليه اعتمادًا كليًا ، وهو فى أماننا » . وعندما أرسلت تلك الرسالة على يد ابن درنوش إلى الدواتدار ، حضر ومثل أمام الخليفة ، فاستماله هذا ، وعاد معززًا مكرمًا . ثم نودى فى المدينة بأن ما قيل فى حق الدواتدارإنما هو كذب . وصار اسم الدواتدار يذكر فى الخطبة بعد اسم الخليفة . وبهذا خمدت الفتنة فى يسر .

# المختار من كتاب (جامع التواريخ) للهمدانى

## توجه هولاكوخان إلى بغداد ، وتردد الرسل بينه وبين الخليفة ، وعاقبة تلك الحال

بلغ هولاكوخان الدينور فى التاسع من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة قاصدًا بغداد ، ثم قفل راجعًا ومضى إلى همدان ، فى الثانى عشر من شهر رجب من تلك السنة . وفى العاشر من رمضان أرسل إلى الخليفة رسولاً يتهدده ويتوعده قائلاً : « لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة ، وطلبنا مددًا من الجند ، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند . وكانت آية الطاعة والاتحاد أن تمدنا بالجيش عند مسيرتنا إلى الطغاة ؛ فلم ترسل إلينا الجند ، والتمست العذر . ومهما تكن أسرتك عريقة ، وبيتك ذا مجد تليد . .

شعر :

فإن لمعان القمر قد يبلغ درجة ،
يخفى معها نور الشمس الساطعة .

ولا بد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام ، ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولى ، منذ عهد جنكيزخان إلى اليوم ، والذل الذى حاق بأسر الخوارزمية والسجلوقية وملوك الديالمة والأتابكة وغيرهم ، ممن كانوا ذوى عظمة وشوكة ، وذلك بحول الله القديم الدائم ، ولم يكن باب بغداد مغلقا فى وجه أية طائفة من تلك الطوائف ، واتخذوا منها قاعدة ملك لهم . فكيف يغلق فى وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان؟ ولقد نصحناك من قبل . والآن نقول لك : احذر الحقد والخصام ، ولا تضرب المخصف بقبضة يدك ، ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب .

ومع هذا فقد مضى ما مضى ؛ فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون ، ويردم الخنادق ، ويسلم البلاد لابنه ، ويحضر لمقابلتنا ، وإذا لم يرد الحضور ، فليرسل كلا من الوزير وسليمان شاه والدواتدار ؛ ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص . فإذا

استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد ، وسنبقى له على دولته وجيشه ورعيته . أما إذا لم يصغ إلى النصح ، وآثر الخلاف والجدال ، فليعبئ الجند ، وليعين ساحة القتال ؛ فإننا متأهبون لمحاربته ، وواقفون له على استعداد . وحينما أقود الجيش إلى بغداد ، مندفعًا بسورة الغضب ، فإنك لو كنت مختفيًا فى السماء أو فى الأرض . .

شعر :

فسوف أنزلك من الفلك الدوار ،
وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد .
ولن أدَعَ حيا فى مملكتك . . ،
وسأجعل مدينتك وإقليمك وأراضيك طعمة للنار .

فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك ؛ فاستمع لنصحى بمسمع العقل والذكاء ، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله » .

وبعدما بلغ الرسل بغداد ، وبلغوا الرسالة ، أوفد الخليفة شرف الدين بن الجوزى ، وكان رجلا فصيحًا ومعه بدر الدين محمود وزنكى النخجوانى بصحبة الرسل ، وأجاب قائلاً : « أيها الشاب الحدث ! . . المتمنى قصر العمر ، ومن ظن نفسه محيطًا ومتغلبًا على جميع العالم مغترا بيومين من الإقبال ، متوهمًا أن أمره قضاء مبرم وأمر محكم . لماذا تطلب منى شيئًا لن تجده عندى .

شعر :

كيف يمكن أن تتحكم فى النجم وتقيده ،
بالرأى والجيش والسلاح .

ألا ليعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى الشحاذين ، ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين ، كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لى . إننى حينما أشير بجمع الشتات ، سأبدأ بحسم الأمور فى إيران ، ثم أتوجه منها إلى بلاد توران ، وأضع كل شخص فى موضعه . وعندئذ سيصير وجه الأرض جميعه مملوء بالقلق والاضطراب . غير أنى لا أريد الحقد والخصام ، ولا أن أشترى ضرر الناس وإيذاءهم ، كما أننى لا أبغى من وراء تردد الجيوش ، أن

تلهج ألسنة الرعية بالمدح أو القدح ؛ خصوصًا وأننى مع الخاقان وهولاكوخان ، قلب واحد ولسان واحد . وإذا كنت مثلى تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيتى وحصونهم . فاسلك طريق الود ، وعد إلى خراسان . وإن كنت تريد الحرب والقتال . .

شعر :

فلا تتوان لحظة ولا تعتذر ،
إذا استقر رأيك على الحرب .
إن لى ألوفًا مؤلفة من الفرسان والرجالة ،
وهم متأهبون للقتال .

وإنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان .

وعلى هذا النحو بلغ الرسالة ، وصرف الرسل مع بعض التحف والهدايا . وحينما خرج الرسل من المدينة ، وجدوا الصحراء كلها ممتلئة بالرعاع ، فأطلقوا ألسنتهم بسب هؤلاء الرسل ، وبادروهم بالسفاهة ، وأخذوا يمزقون ثيابهم ، ويبصقون فى وجوههم ؛ لعلهم يقولون شيئًا يتخذونه ذريعة لإيذائهم والاعتداء عليهم . فلما أخبروا الوزير بذلك ، أرسل على الفور بعض الغلمان فأبعدوهم . وعندما وصل الرسل إلى حضرة هولاكوخان ، وعرضوا عليه كل ما شاهدوه ، غضب الملك وقال : « إن الخليفة ليست لديه كفاءة قط ؛ إذ أنه معنا كالقوس الأعوج . فلو أمدنى الله الأزلى بعونه ، فسوف أجعله مستقيمًا كالسهم » . ثم دخل رسل الخليفة ، وهم ابن الجوزى وبدر الدين وزنكى ، وبلغوا الرسالة ؛ فغضب هولاكوخان من عبارة الخليفة غير اللائقة وقال : « إن إرادة الله مع هؤلاء القوم أمر آخر ؛ إذ ألقى فى روعهم مثل هذه الأوهام » .

وفى شهر . . من سنة التنين « لوبيل » الموافقة لسنة ١٢٥٧/٦٥٥ ، أذن هولاكو لرسل الخليفة بالانصراف من موضع « بنج انكشت » على حدود همدان التى كانت معسكرًا له ، وأرسل يقول : إن الله الأزلى رفع جنكيزخان ، ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب ؛ فكل من سار معنا ، وأطاعنا ، و استقام قلبه ولسانه ، تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه . ومن يفكر فى الخلاف والشقاق لا يستمتع

بشيء من ذلك . ثم عاتب الخليفة بشدة قائلاً : لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية ، بحيث إنه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير ، وإن في أذنيك وقرا فلا تسمع نصح المشفقين ، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك ، وإذن فعليك أن تكون مستعدًا للحرب والقتال ، فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد . ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى ، فتلك هي مشيئة الله العظيم .

وبعد أن وصل رسل بغداد ، بلغوا رسالة ذلك الملك الفاتح إلى الوزير ، فعرضها برمتها على الخليفة ، فقال : ماذا نرى لدفع هذا الخصم القاهر القادر ؟ فأجاب الوزير :

ينبغي أن ندفعه ببذل المال ؛ لأن الخزائن والدفائن تجمع لوقاية عزة العرض وسلامة النفس ، فيجب إعداد ألف حمل من نفائس الأموال ، وألفا من نجائب الإبل ، وألفا من الجياد العربية المجهزة بالآلات والمعدات ، وينبغي إرسال التحف والهدايا في صحبة الرسل الكفاة الدهاة ، مع تقديم الاعتذار إلى هولاكو ، وجعل الخطبة والسكة باسمه .

فأعجب الخليفة برأى الوزير ، وأشار بإنجاز ذلك . ولكن مجاهد الدين أيبك المعروف بالدواتدار الصغير - بسبب الوحشية التي كانت بينه وبين الوزير - أرسل إلى الخليفة رسالة بالاتفاق مع الأمراء الآخرين ، ورنود بغداد يقولون : « إن الوزير دبر هذه الحيلة لمصلحته الخاصة ، لكي يتقرب زلفى إلى هولاكو ، ويلقى بنا نحن الجنود في البلاء والمحنة . و لكننا سوف نرقب مفارق الطرق ، ونلقى القبض على الرسل ، ونأخذ ما معهم من أموال ، وندعهم في العذاب والعناء .

فعدل الخليفة - بسبب هذا الكلام - عن إرسال الأحمال ، وبدافع من التهور والغرور أرسل إلى الوزير من يقول :

« لا تخش القضاء المقبل ، ولا تقل خرافة ؛ فإن بيني وبين هولاكوخان ، وأخيه منكوقًا آن صداقة وألفة ، لا عداوة وقطيعة . وحيث إنني صديق لهما ؛ فلا بد أنهما أيضًا يكونان صديقين وموالين لي ، وإن رسالة الرسل غير صحيحة . أما إذا أضمر الأخوان لي خلافًا وغدرًا ، فلا ضير على الأسرة العباسية ؛ إذ أن ملوك الأرض هم بمثابة الجنود لي ، وهم منقادون ومطيعون لأمري ونهيي ، فأدعوهم من

كل قطر ، وأسير لدفعهما ، وأثير إيران وتوران عليهما . فقوّ قلبك ولا تخافن تهديد المغول ووعيدهم ؛ فإنهم رغم كونهم أرباب دولة وأصحاب شوكة ، إلا أنهم لا يملكون سوى الهوس فى رءوسهم ، والريح فى أكفهم » .

فاضطرب الوزير لهذا الكلام ، وأيقن أن دولة العباسيين سوف تزول . وإذ كان إدبار هذه الدولة سيكون فى عهده ، فإنه طفق يتلوى كالثعبان ، ويفكر فى كل تدبير . وقد اجتمع عند الوزير أمراء بغداد وعظماؤها ؛ مثل سليمان شاه بن برجم ، وفتح الدين بن كره ، ومجاهد الدين الدواتدار الصغير ، وأطلقوا ألسنتهم بقدح الخليفة وطعنه قائلين إنه صديق المطربين والمساخرة ، وعدو الجيش والجنود . وإننا أمراء الجيش ، بعنا كل ما ادخرناه فى عهد والده .

وقال سليمان شاه : « إذا لم يقدم الخليفة على دفع هذا الخصم القوى ، ولم يبادر إلى طلب العون والمساعدة ؛ فسيتغلب جيش المغول - عن قريب - على بغداد ، وحينئذ لا يرحمون أى مخلوق كما فعلوا ذلك بسائر البلاد والعباد ، فلا يبقون على أى شخص ، من الحضر كان أو من البدو ، قويًا أم ضعيفًا ، وسيخرجون ربات الخدود من ستر العصمة . ولو أن المغول لم يحدقوا بجميع الجهات ، لكان من السهل حشد الجنود من الأطراف ، ولَحَمَلْتُ عليهم بجيش فى غارة ليلية ، وشتت شملهم . ولو جرت الأمور على خلاف ذلك ، فأولى بالفتى أن يقتل فى حومة الوغى فى عزة وشرف » . وعندما بلغ الخليفة هذا الكلام ، أعجب به وقال للوزير : « إن كلام سليمان شاه له الأثر فى النفس المنهكة ، فاستعرض الجند حسب تقريره ، لأغنيهم بالدرهم والدينار ، وسلم أمرهم إلى سليمان شاه ليحقق خطته » .

على أن الوزير عرف أن الخليفة لن يمنح مالاً ، لكنه لم يبد - على الفور - رأيا مخالفًا لأعدائه ، وأمر العارض بأن يعرض الجنود بالتدريج فوجًا فوجًا ؛ ليصل نبأ تعبئة الجنود فى حضرة الخليفة إلى البعيد والقريب ، والترك والعرب ، فتفتر عزيمة العدو . وبعد خمسة أشهر أبلغ العارض الوزير ، أن الجند قد صاروا عددًا وفيرًا وجيشًا جرارًا ، وأن على الخليفة أن يمنح المال . فعرض الوزير الأمر على المستعصم ، ولكنه اعتذر ، فيئس الوزير من مواعيده كلية ، ورضى بالقضاء ، ووضع عين الانتظار على نافذة الاصطبار .

مصراع :

حتى يكشف الفلك نفسه عما وراء الستار .

ولما كان الدواتدار – فى تلك الفترة – خصمًا للوزير ، فإن أتباعه من سفلة المدينة وأوباشها ، كانوا يذيعون بين الناس ، أن الوزير متفق مع هولاكوخان ، وأنه يريد نصرته وخذلان الخليفة ، فقوى هذا الظن .

ثم أرسل الخليفة ثانية هدية صغيرة إلى هولاكو ، على يد بدر الدين دريكى قاضى بندينجان ، وبعث يقول :

« لو غاب عن الملك ، فله أن يسأل المطلعين على الأحوال ؛ إذ أن كل ملك – حتى هذا العهد – قصد أسرة بنى العباس ودار السلام بغداد ، كانت عاقبته وخيمة . ومهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك ، وأصحاب الشوكة من السلاطين ، فإن بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى إلى يوم القيامة . وفى الأيام السالفة ، قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة ، وتوجه بجيش لجب إلى بغداد ، فلم يبلغ مأربه إذ مات بعلة الزحار ، والأمر كذلك مع أخيه عمرو ؛ إذ قبض عليه إسماعيل بن أحمد السامانى ، وكبله وأرسله إلى بغداد ؛ لكى يجرى عليه الخليفة ما حكم به القضاء . وكذلك جاء البساسيرى بجيش عظيم من مصر إلى بغداد ، وقبض على الخليفة ، وسجنه فى الحديقة . وفى بغداد جعل الخطبة والسكة مدة عامين ، باسم المستنصر الذى كان خليفة الإسماعيلية فى مصر . وفى النهاية علم طغرلبك بذلك ، فأسرع من خراسان ، وقصد البساسيرى فى جيش جرار ، وقبض عليه وقتله ، وأخرج الخليفة من السجن ، وأعاده إلى بغداد ، وأجلسه على عرش الخلافة . وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقى بغداد ، فعاد منهزمًا وهلك فى الطريق . وجاء محمد خوارزمشاه بجيش عظيم قاصدًا استئصال هذه الأسرة ، فابتلى فى روابى « أسد آباد » بالثلج والعواصف بسبب غضب الله عليه ، وهلك أكثر جنده ، وعاد خائبًا خاسرًا . ثم لاقى ما لاقى من جدك جنكيزخان فى جزيرة آبكسون . فليس من المصلحة أن يفكر الملك فى قصد أسرة العباسيين . فاحذر عين السوء من الزمان الغادر » .

فاشتد غضب هولاكو بسبب هذا الكلام ، وأعاد الرسل قائلا :

شعر :

اذهب واصنع من الحديد المدن والأسوار ،
وارفع من الفولاذ الأبراج والهياكل ،
واجمع جيشًا من المردة والشياطين ،
ثم تقدم نحوى للخصام والنزال .
فسأنزلك ولو كنت فى السماء ،
وسأدفع بك غصبًا إلى أفواه السباع .

## قصة اشتغال هولاكوخان بترتيب الجيش وتجهيزه لفتح بغداد وما حولها

عندما أعاد هولاكوخان الرسل ، كان يفكر فى كثرة جند بغداد ، فاشتغل بإعداد الجيش وتجهيزه ، وأراد أن يرسل أغلب الجند إلى نواحى بغداد ، حيث الجبال الشاهقة المنيعة فيستولى عليها . ثم أرسل رسولاً لاستدعاء « حسام الدين عكه » ، الذى كان حاكما على « درتنك » وما حولها من قبل الخليفة ، وكان حانقًا عليه ، فسلم حسام الدين « درتنك » - دون تردد- إلى ابنه الأمير سعد ، وحضر بنفسه لتقديم الطاعة لهولاكو ، فشمله بكثير من العطف والرعاية ، وأذن له بالعودة ، ومنحه حصنى « ورودِه » و« مرج » وعدة قلاع أخرى ، ثم قفل راجعًا ، فأرسل إلى كل قلعة جيشًا فخضع له أهلها جميعًا ، وسلموا له القلاع .

ولما تحققت أمنية حسام الدين التى طالما تمناها ، وتجمعت عنده جنود سليمان شاه تعاظم وتكبر ، وأرسل ابن صلاية العلوى إلى حاكم إربل ، ليصلحه مع ديوان الخليفة وقال :

« لقد قدَّرْتُ هولاكوخان وما هو عليه من كفاءة وكياسة ، ومهما يكن له من العنف والتهديد ، فليس له عندى قدر ولا وزن . فلو طيب الخليفة خاطرى ، وطمأن قلبى ، وبعث إلىّ بجيش من الفرسان ؛ لجمعت أنا أيضا ما يقرب من مائة ألف من فرق المشاه من كرد وتركمان ، ولسددت الطرق فى وجه هولاكوخان ، ولا أدعُ أى مخلوق من جنده يدخل بغداد » .

فعرف ابن صلايا الوزير بذلك ، فعرضه هذا بدوره على الخليفة ، فلم يبد

اهتمامًا كثيرًا . ولما بلغ هولاكوخان هذا الكلام ، ثارت ثورة غضبه ، وأوفد كيتوبوقا مع ثلاثين ألفا من الفرسان لدفعهم . وعندما اقترب منهم استدعى حسام الدين قائلاً : « لقد صممنا على قصد بغداد ، ونحن فى حاجة إلى مشاورتك » فحضر حسام الدين دون تفكر أو تدبير ، وأوكل به كيتوبوقا وقال : « إذا أردت النجاة والبقاء حاكمًا على هذه القلاع ، فأنزل نساءك وأبناءك وأتباعك وجنودك جميعًا من هذه القلاع لكى أحصيهم ، وأقرر لهم الأموال والمؤن » . فلم يجد حسام الدين بدًا من الطاعة ، وأحضرهم جميعًا . فقال كيتوبوقا : « إذا كانت ميولك مخلصة للملك ، فمر بتخريب جميع القلاع ليتحقق هذا المعنى » . فأدرك أن كلماته التافهة بلغت مسامعهم ، فيئس من حياته الغالية ، وأرسل من يهدم كل القلاع . ثم قتله المغول مع كافة أتباعه ، وأشياعه ، ما عدا أهل القلعة التى كان فيها ابنه الأمير سعد ، فقد طلبوا إليه التسليم تخويفًا وإرهابًا ، فلم يجبهم وقال : « إن عهدكم غير صحيح ، ولا أثق به » .. ثم ظل يتجول مدة خليع العذار فى تلك الجبال ، وأخيرًا سار إلى بغداد ، ولقى من ديوان الخليفة حسن الاستقبال ، إلى أن قتل فى حرب بغداد . وعاد كيتوبوقا مظفرًا منصورًا إلى حضرة هولاكو ، وكان الخان يتشاور مع أركان الدولة وأعيان الحضرة فى أمر تصميمه على الزحف إلى بغداد ، فكان كل منهم يبدى رأيه حسب ما يعتقد . ثم طلب حسام الدين المنجم الذى كان مصاحبًا له بأمر القاآن ، ليختار وقت النزول والركوب ، وقال له : « بيّن كل ما يبدو لك فى النجوم دون مداهنة » . ولما كانت له جرأة بسبب تقربه ؛ فقد قال للملك بصورة مطلقة إنه ليس ميمونًا قصد أسرة الخلافة ، والزحف بالجيش إلى بغداد ؛ إذ أن كل ملك – حتى زماننا هذا – قصد بغداد والعباسيين ، لم يستمتع بالملك والعمر . وإذا لم يصغ الملك إلى كلامى ، وذهب إلى هناك ، فستظهر ستة أنواع من الفساد :

أولها : أن تنفق الخيول كلها ، ويمرض الجنود .

ثانيها : أن الشمس لا تطلع .

ثالثها : أن المطر لا ينزل .

رابعها : تهب ريح صرصر ، وينهار العالم بالزلزال .

خامسها : لا ينبت النبات فى الأرض .
سادسها : أن الملك الأعظم يموت فى تلك السنة .

فطلب منه هولاكوخان شهادة بصحة هذا الكلام ، فكتبها المسكين . وقال اللامات ( بخشيان ) والأمراء : إن الذهاب إلى بغداد هو عين المصلحة .

بعد ذلك استدعى هولاكوخان الخواجة نصير الدين الطوسى واستشاره ، فخاف الخواجة ، وظن أن الأمر على سبيل الاختبار ، فقال : « لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث » . فقال هولاكو : « إذن ماذا يكون . . » قال : « إن هولاكو خان سيحل محل الخليفة » . ثم أحضر هولاكو « حسام الدين » ليتباحث مع الخواجة الذى قال : « لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام ، ولم يحدث فساد قط . ولو قيل إن للعباسيين مكرمة خاصة بهم ، فإن طاهرا جاء من خراسان بأمر المأمون ، وقتل أخاه محمدا الأمين ، وقتل المتوكل ابنُه بالاتفاق مع الأمراء . كذلك قتل الأمراء والغلمان المنتصر والمعتز ، وقتل عدد من الخلفاء على يد جملة أشخاص فلم تختل الأمور .

شعر :

فأضاء قلب الملك من قول العالم ،
كأنه زهرة اللعل فى الربيع الباكر

## تصميم هولاكوخان ، وتحركه بعد ذلك إلى بغداد ، وزحف الجيوش من كل ناحية وصوب ، إلى مدينة السلام والاستيلاء عليها ، وانتهاء الدولة العباسية

بعد ذلك عقد هولاكوخان النية على فتح بغداد ، فأمر بأن تتحرك جيوش جرماغون وبايجونويان اللذين كانت معاقلهما فى بلاد الروم ، وأن تسير على الميمنة إلى الموصل عن طريق إربل ، ثم تعبر جسر الموصل ، وتعسكر فى الجانب الغربى من بغداد وذلك فى وقت معين ، حتى إذا قدمت الرايات من المشرق ، تخرج إليها من تلك الناحية .

ويسير الأمراء « بلغا بن شيبان بن جوجى » و« توتار بن سكنقور بن جوجى » و« قولى بن أورده بن جوجى » و« بوقاتيمور » و« سونجاق » من الميمنة أيضًا ، ويدخلون فى مضيق سونتاى نويان إلى ناحية هولاكوخان . أما قوات « كيتوبوقانويان » و« قدسون » و« نرك ايلكا » على الميسرة ، فكانت تزحف من حدود لرستان وبيان وتكريت وخوزستان حتى ساحل عمان . ثم ترك هولاكوخان المعسكرات والأفواج فى مرج « زكى » من ضواحى همدان ، وأمر عليهم « قياق نويان » .

وفى أوائل المحرم سنة ٦٥٥/١٢٥٧ - ٥٨ سار بالجيوش فى القلب الذى يسميه المغول « قول » عن طريق كرمانشاهان وحلوان . وكان فى ركابه كبار الأمراء : كوكا إيلكا وأرقتو وأرغون آقا ، ومن الكتاب : قراتاى وسيف الدين البيتكجى المدبر لشئون المملكة ، والخواجة نصير الدين الطوسى ، والصاحب السعيد علاء الدين عطا ملك الجوينى ، مع كافة السلاطين والملوك وكتاب بلاد إيران .

وعندما بلغ أسد آباد ، أوفد رسولاً لدعوة الخليفة مرة أخرى للحضور ، فكان يماطل ويتعلل ، ووصل ابن الجوزى إلى دينور للمرة الثانية قادمًا من بغداد ، يحمل رسالة بالوعد والوعيد ، وملتمسًا أن يعود هولاكوخان ويتراجع ، فى مقابل أن يسلم الخليفة للخزانة ، كل ما يقرره هولاكوخان . فظن هذا أن الخليفة يريد من وراء

عودة الجيوش ، أن يعد جنده ويهيئهم لمقاومة المغول ، فقال : « وكيف نترك زيارة الخليفة ، بعد كل ما قطعناه من هذا الطريق . سوف نعود بإذنه بعد الحضور للقائه والتحدث معه » .

وقد تحرك جنود المغول من هناك إلى جبال الأكراد ، ونزلوا بكرمانشاه فى السابع والعشرين من الشهر ، وقاموا بالقتل والسلب ، وأرسلوا رسولاً ليحضر على الفور - الأمراء سونجاق وبايجونويان وسونتاى ، فوصلوا إلى الحضرة فى طاق كسرى . ثم قبضوا على « أيبك الحلبى » وسيف الدين قِلِج ، اللذين كانا من طلائع جيش الخليفة ، وأحضروهما إلى الحضرة ، فأعطى هولاكوخان الأمان لأيبك ، وفى نظير ذلك قبل أن يقول الصدق . ثم جعلهما هولاكوخان مرشدين لطلائع قوات المغول . بعد ذلك أعاد الأمراء مرموقين بالعطف والرعاية ، ليعبروا نهر دجلة ، ويتوجهوا إلى غرب بغداد ، وأحرقوا أكتاف الأغنام جريا على عادتهم ، ثم عادوا وعبروا نهر دجلة قاصدين غرب بغداد .

وفى تلك الجهة كان قائد الطلائع لجند الخليفة ببغداد ، هو قبجاق المعروف بقراسنقر . أما سلطان جوق الذى كان من نسل الخوارزميين ، فقد كان مع طلائع المغول ، فكتب هذا رسالة إلى قراسنقر يقول فيها :

« إننى وأنت من جنس واحد ، وبعد البحث والتدقيق ، التحقت بخدمة هولاكو ، بسبب الفقر والاضطرار ، ودخلت فى طاعته . وهو الآن يعاملنى معاملة طيبة . فأنقذ أنت أيضا حياتك وترفق بها ، وأشفق على أولادك ، وقدم الطاعة ؛ حتى تأمن على دارك وأولادك ومالك وروحك من هؤلاء القوم » .

فكتب قراسنقر مجيبًا :

« من يكون هؤلاء المغول ، حتى يقصدوا أسرة العباسيين . . لقد شاهدت هذه الأسرة ، الكثيرين من أمثال دولة جنكيزخان ، وإن أساسها لأكثر إحكامًا ورسوخًا من أساس أسرة جنكيزخان ، التى تترنح من كل ريح عاصف . ثم إن العباسيين قد استمروا حكامًا أكثر من خمسمائة سنة ، وكل مخلوق قصدهم بسوء قضى عليه الزمان . وإذن فليس من العقل والكياسة ، أن تدعونى لأنضم إلى جانب الغصن الغض لدولة جنكيزخان ، وكان الأولى بالود والمسالمة ، ألا يتجاوز هولاكوخان الرى بعد فراغه من فتح قلاع الملاحدة ، وأن يعود إلى خراسان وتركستان ، لأن

قلب الخليفة متأثر وساخط بسبب زحف هولاكو بجيوشه . فإذا كان هولاكو نادما حقًا على فعلته ، فعليه أن يعيد الجيش إلى همدان ؛ لكى نجعل الدواتدار شفيعًا ، فيتضرع بدوره إلى الخليفة ، عله يزول ألمه ، ويقبل الصلح ، فيغلق بذلك باب القتال والجدال » .

فلما عرض سلطان جوق تلك الرسالة على هولاكو ، ضحك وقال « إن اعتمادى على الله لا على الدرهم والدينار . فإذا كان الله الأزلى مساعدًا لى ومعينا ، فماذا أخشاه من الخليفة وجيشه . . » .

شعر :

تتساوى فى نظرى النملة والبعوضة والفيل ،
كما يتساوى الينبوع والنهير والبحر والنيل .
ولو كان أمر الله على خلاف ذلك ،
فمن يدرى سواه كيف يكون ذلك الكلام .

ثم أرسل من جديد رسولاً يقول :

« إذا كان الخليفة قد أطاع فليخرج ، وإلا فليتأهب للقتال ، وليحضر إلينا قبل كل شيء ، الوزير وسليمان شاه والدواتدار ليسمعوا ما نقول » .

وفى اليوم التالى سار هولاكو وعسكر على شاطئ نهر حلوان ، فى التاسع من ذى الحجة سنة ١٢٥٧/٦٥٥ ، حيث أقام إلى الثانى والعشرين من ذلك الشهر . وفى هذه الأيام استولى كيتوبوقا على كثير من بلاد لرستان طوعًا وكرهًا .

وفى الحادى عشر من شهر جقشاباط ، من سنة موغا « موغاييل » ، الموافق التاسع من المحرم سنة ٦٥٦-١٢٥٨ ، عبر بايجونويان وبوقاتيمور وسونجاق فى الوقت المقرر - نهر دجلة ، عن طريق نهر دجيل ، ووصلوا إلى نواحى نهر عيسى . وقد التمس سونجاق نويان إلى بايجو ، أن يكون قائدًا لجيش غرب بغداد ، ثم سار بعد الاستئذان وجاء إلى حربية .

وقبل ذلك كان مجاد الدين أيبك الدواتدار ، الذى كان قائدًا لجيش الخليفة ومعه « ابن كر » ، قد أقاما معسكرهما بين بعقوبه وباجسرى .

وحينما سمعا بمجيء المغول إلى الضفة الغربية عبرا نهر دجلة ، وحاربا سونجاق وبوقاتيمور فى حدود الأنبار ، على باب قصر المنصور فى أعلى المزرقة ،

على تسعة فراسخ من بغداد ، فولى جنود المغول العنان ، وجاءوا إلى بشرية من ناحية دجيل . فلما لحقوا ببايجو ، ووصل هؤلاء أعادوهم . وفى تلك النواحى ، كان يوجد نهر كبير ، ففتح المغول السد المقام عليه ، فغمرت المياه كل الصحراء الواقعة خلف جيش بغداد . وفى فجر يوم الخميس من نهار عاشوراء ، دهم بايجو وبوقاتيمور الدواتدار وابن كر ، وانتصرا عليهما ؛ فهزم جيش بغداد ، وقتل فتح الدين بن كر وقراسنقر ، اللذان كانا قائدى الجيش ، مع اثنى عشر ألف رجلا فضلاً عمن غرق ، أو قضى نحبه فى الوحل .

أما الدواتدار فقد فر هاريًا مع نفر ضئيل ، وعاد إلى بغداد ، كما هرب البعض إلى الحلة والكوفة . وفى يوم الثلاثاء منتصف المحرم ، قدم بوقاتيمور وبايجو وسونجاق إلى بغداد ، واستولوا على الجانب الغربى ، ونزلوا فى أحياء المدينة على شاطئ نهر دجلة ، ووصل أيضا بوقانويان والأمراء الآخرون من ناحية « نجاسية » وصرصر بجيش عظيم ، وترك هولاكوخان معسكراته فى خانقين ، وواصل سيره إلى بغداد ، ونزل فى الجهة الشرقية منها ، فى السابع من شهر جقشاباط من سنة موغا ، الموافق الحادى عشر من المحرم سنة ٦٥٦-١٢٥٨ . ثم تدفق جيش المغول كالنمل والجراد من كل جهة وناحية ، فحاصروا أسوار بغداد ، واحتموا بجدار أقاموه .

وفى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم شرعوا فى الحرب ، والتحم الجيشان . وكان هولاكو فى القلب من طريق خراسان ، على الجانب الأيسر من المدينة ، فى مقابل البرج العجمى ، وكان ايلكا نويان وقربا على بوابة كلواذى . أما قولى وبولغا وتوتار وشيرامون وأرقيو ؛ فقد نزلوا فى عرض المدينة فى مواجهة بوابة سوق السلطان ، وكان بوقاتيمور يقف فى جهة القلعة وجانب القبلة ، بموضع « دولاب بقل » ، وكان بايجو وسونجاق يرابطان فى الجانب الغربى ، حيث مارستان العضدى . وكان الجميع يَحاربون ، وقد صوبوا المجانيق مباشرة تجاه برج العجمى ، حتى أحدثوا فيه ثغرة .

وعندئذ أرسل الخليفة الوزير والجاثليق إلى هولاكو يقول :

« إن الملك قد أمر بأن أبعث إليه بالوزير ، وها أنا ذا قد لبيت طلبه ، فينبغى أن يكون الملك عند كلمته » .

فرد الملك قائلا :

« إن هذا الشرط طلبته وأنا على باب همدان . أما الآن فنحن على باب بغداد ، وقد ثار بحر الاضطراب والفتنة ؛ فكيف أقنع بواحد؟ ينبغى أن ترسل هؤلاء الثلاثة يعنى الدواتدار وسليمان شاه والوزير » .

ثم ذهب الرسل إلى المدينة . وفى اليوم التالى خرج إلى هولاكو ، الوزير وصاحب الديوان ، وجمع من المعارف والمشاهير ، ولكنه أعادهم ، وقد دارت حرب طاحنة مدة ستة أيام . ثم أمر الملك بأن يكتب ستة منشورات ؛ تفيد بأن القضاة والعلماء والشيوخ والسادات والتجار ، وكل من لا يحاربنا ، لهم الأمان منا ، وربطوا هذه المنشورات بالنبال ، وألقوها على المدينة من جوانبها الستة . ولما لم تكن توجد حجارة للمجانيق فى أطراف بغداد ، فإنهم كانوا يأتون بها من جبل الحمرين وجلولاء ، وكانوا يقطعون النخيل ، ويرمون بقطعها بدلا من الحجارة .

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من المحرم ، هدم المغول برج العجمى . وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين ، وحيث كان يقف هولاكو ، تسلق جنود المغول السور عنوة ،وطهروا أعالى الأسوار من الجند . لكنهم لم يتسلقوا الأسوار من ناحية سوق السلطان ، حيث كان يحارب بولغا وتوتار فعاتبهم السلطان . كذلك لم يذهب أتباعهم . وفى المساء تسلم المغول جميع الأسوار الشرقية .

بعد ذلك أمر هو لاكوخان بأن يقيموا جسرًا فى أعلى بغداد ، وآخر فى أسفلها وأن يعدوا السفن ، وينصبوا المجانيق ، ويعينوا المستحفظين ، وكان بوقا تيمور قد رابط مع عشرة آلاف جندى على طريق المدائن والبصرة ، ليصد كل من يحاول الهرب بالسفن . ولما حمى وطيس الحرب في بغداد ، وضاق الحال على الأهالى ، أراد الدواتدار أن يركب سفينة ، وأن يهرب إلى ناحية « سيب » . ولكنه بعد أن اجتاز قرية « العقاب » ، أطلق جند بوقا تيمور حجارة المنجنيق والسهام وقوارير النفط ، واستولوا على ثلاثة سفن ، وأهلكوا من فيها ، وعاد الدواتدار منهزمًا .

فلما وقف الخليفة على تلك الحال ، يئس نهائيًا من الاحتفاظ ببغداد ، ولم ير أمامه مفرًا ولا مهربًا قط ، فقال :

« سأسلم وسأطيع » . ثم أرسل فخر الدين الدامغانى وابن درنوش ، مع قليل

من التحف إلى هولاكو ، زاعمًا أنه لو بعث بالكثير ، لكان ذلك دليلاً على خوفه فيتجرأ العدو ، فلم يلتفت هولاكو إلى هذه الهدايا ، وعادا محرومين . وفى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من المحرم خرج من بغداد ( للقاء هولاكو ) ، أبو الفضل عبد الرحمن بن الخليفة الثانى ، بينما ذهب الوزير إلى المدينة ، وكان صاحب الديوان وجماعة من العظماء مع أبى الفضل ، وقد حملوا أموالاً كثيرة ، فلم تقبل منهم أيضًا . وفى غد ذلك اليوم ، آخر المحرم خرج ابن الخليفة الأكبر ومعه الوزير وجماعة من المقربين للشفاعة فلم يجدوا فائدة ، وعادوا إلى المدينة .

وقد بعث الملك الخواجة نصير الدين وايتيمور برسالة إلى الخليفة ، فخرجا فى صحبة رسل بغداد فى غرة صفر . وأرسل فخر الدين الدامغانى الذى كان صاحب الديوان ، وابن الجوزى وابن درنوش إلى المدينة ليخرجوا منها سليمان شاه والدواتدار ، ومنحهم فرمانًا وبايزة تطمينًا لهم وتقوية لموقفهم وقال : « إن الرأى للخليفة ، فله أن يخرج أو لا يخرج ، وسيكون جيش المغول مقيمًا على الأسوار إلى أن يخرج سليمان شاه والدواتدار . وفى يوم الخميس غرة صفر خرج الرجلان ، فأعادهما مرة ثانية إلى المدينة ليخرجا أتباعهما حتى ينضموا إلى قوات مصر والشام ، وعزم جند بغداد على الخروج معهم ، وكانوا خلقا لا يحصى مؤملين أن يجدوا الخلاص ، فقسموهم ألوفا ومئات وعشرات وقتلوهم جميعًا .

أما من بقى فى بغداد فقد هربوا إلى الأنفاق ومواقد الحمامات . ثم خرج جماعة من أعيان المدينة وطلبوا الأمان قائلين :

إن أناسا كثيرين طائعون خاضعون فليمهلوا ؛ لأن الخليفة سيرسل أبناءه ، ويخرج بنفسه أيضًا . وفى تلك الأثناء أصاب سهم عين « هندو البيتكجى » وكان من أكابر الأمراء ، فتملك هولاكوخان ، غضب عظيم وجد فى الاستيلاء على بغداد ، وأمر الخواجة نصير الدين بأن يقيم على بوابة الحلبة أمانًا للناس ، فشرع الأهالى يخرجون من المدينة .

وفى يوم الجمعة الثانى من صفر قتل الدواتدار ، وجيء بسليمان شاه مع سبعمائة من أقاربه ، وكان مكبل اليدين ، فاستجوبه هولاكو قائلاً :

« لقد كنت منجمًا ، ومطلعًا على أحوال السعد والنحس للبلاد ، فكيف أنك لم تتنبأ بسوء مصيرك ، ولم تنصح مخدومك لكى يبادر إلينا عن طريق الصلح ؟! . . » .

فأجاب سليمان شاه : « لقد كان الخليفة مستبدًا برأيه ، منكود الطالع ، فلم يستمع لنصح الناصحين » .

ثم أمر بقتله مع كافة أتباعه وأشياعه كما قتل الأمير تاج الدين بن الدواتدار الكبير ، وأرسل رءوس هؤلاء الثلاثة على يد الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ إلى الموصل . وكان بدر الدين صديقًا لسليمان شاه فبكى ، ولكنه علق رءوسهم خوفًا على حياته .

وبعد أن رأى الخليفة المستعصم أن الأمر قد خرج من يده ، استدعى الوزير وسأله : « ما تدبير أمرنا » . فأنشد الوزير هذا البيت فى جوابه :

يظنون أن الأمر سهل وإنمَا هو السيف حُدَّتْ للقاء مضاربه .

وبعد خراب البصرة خرج ومعه أبناؤه الثلاثة : أبو الفضل عبد الرحمن وأبو العباس أحمد وأبو المناقب مبارك وكان ذلك فى يوم الأحد الرابع من صفر سنة ١٢٥٨/٦٥٦ وكان معه ثلاثة آلاف من السادات والأئمة والقضاة والأكابر وأعيان المدينة . ثم قابل هولاكوخان ، فلم يبد الملك غضبًا قط ، وكلمه بالحسنى ثم قال له بعد ذلك :

« مر حتى يضع سكان المدينة أسلحتهم ، ويخرجوا لكى نحصيهم » .

فأرسل الخليفة من ينادى فى المدينة ليضع الناس أسلحتهم ، ويخرجوا . فألقى الناس أسلحتهم زمرًا زمرًا ، وصاروا يخرجون ، فكان المغول يقتلونهم . ثم أمر بأن تقام الخيام للخليفة وأبنائه وأتباعه ببوابة كلواذى فى معسكر كيتوبوقا نويان ، ونزلوا فيها ، وعهدوا بحراستهم إلى عدد من المغول ، وكان الخليفة ينظر بعين الحقيقة إلى هلاكه ، ويأسف على تركه الحزم ، وإبائه قبول النصح .

شعر :

قال فى نفسه : لقد فاز عدوى إذ رآنى ،

قد وقعت فى الشرك كالطائر الحذر .

وكان بدء القتل العام والنهب فى يوم الأربعاء السابع من صفر ، فاندفع الجند مرة واحدة إلى بغداد ، وأخذوا يحرقون الأخضر واليابس ما عدا قليلاً من منازل الرعاة ، وبعض الغرباء .

وفى يوم الجمعة التاسع من صفر دخل هولاكوخان المدينة لمشاهدة قصر الخليفة ، وجلس فى الميمنية ، واحتفل بالأمراء . ثم أشار بإحضار الخليفة ، وقال له :

« إنك مضيف ونحن الضيوف! . . فهيا أَحْضِرْ ما يليق بنا » . فظن الخليفة أن هذا الكلام على سبيل الحقيقة ، وكان يرتعد من الخوف ؛ وبلغ من دهشته أنه لم يعد يعرف مكان مفاتيح الخزائن . فأمر بكسر عدة أقفال ، وأحضر لهولاكو ألفى ثوب وعشرة آلاف دينار ونفائس ومرصعات وعددًا من الجواهر ، فلم يلتفت هولاكوخان إليها ومنحها كلها للأمراء والحاضرين ثم قال للخليفة :

« إن الأموال التى تملكها على وجه الأرض ظاهرة ، وهى ملك عبيدنا . لكن اذكر ما تملكه من الدفائن . ما هى وأين توجد » . فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب فى ساحة القصر ، فحفروا الأرض حتى وجدوه ، كان مليئًا بالذهب الأحمر ، وكان كله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال .

بعد ذلك صدر الأمر بإحصاء نساء الخليفة ، فعدوا سبعمائة زوجة وسرية وألف خادمة . فلما اطلع الخليفة على تعداد نسائه ، تضرع وقال : « مُنَّ على بأهل حرمى اللائى لم تطلع عليهن الشمس والقمر » . فقال له هولاكو : « اختر مائة من هذه النساء السبعمائة ، واترك الباقى » . فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه ، والمحببات إليه . ثم رجع هولاكوخان إلى المعسكر ليلاً . وفى الصباح أمر بأن يسير سونجاق إلى المدينة ، وأن يجرد أموال الخليفة ، ويخرجها . وقصارى القول أن كل ما كان الخلفاء قد جمعوه خلال خمسة قرون ، وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل . وقد احترق أكثر الأماكن المقدسة فى المدينة مثل جامع الخليفة ومشهد موسى الجواد عليه الرحمة وقبور الخلفاء .

وأخيرًا أوفد سكان المدينة « شرف الدين المراغى » و« شهاب الدين الزنجانى » و« الملك دل راست » إلى هولاكو وطلبوا الأمان ؛ فصدر الأمر بالتوقف من بعد ذلك عن القتل والنهب ، لأن بغداد أصبحت ملكًا لنا . فليستقر الأهالى ، ولينصرف كل شخص إلى عمله . وبهذا وجد الأمان أولئك الذين نجوا من السيف .

وفى يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر ، رحل هولاكوخان عن بغداد بسبب عفونة الهواء ، ونزل بقريتى « وقف وجلابية » ، وأرسل الأمير عبد الرحمن لفتح

ولاية خوزستان ، ثم استدعى الخليفة ، فأدرك هذا أن أمارات النحس تبدو على مصيره ، وخاف خوفًا شديدًا ، وقال للوزير : « ما حيلتنا » . فأجاب الوزير : « لحيتنا طويلة » . وكان مراده من ذلك أنه عندما فكر أول الأمر فى أن ترسل أحمال وفيرة لدفع هذا البلاء ، قال الدواتدار : « لحية الوزير طويلة » ؛ وحال دون الأخذ بهذا الرأى ، واستمع الخليفة لكلامه ، وأهمل تدبير الوزير .

ويئس الخليفة من إنقاذ حياته ، واستأذن فى أن يذهب إلى الحمام ليجدد اغتساله . فأمر هولاكوخان بأن يذهب مع خمسة من المغول . ولكن الخليفة قال : « أنا لا أريد أن أذهب بصحبة خمسة من الزبانية » ، وكان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها :

وأصبحنا لنا دار كجنات وفردوس وأمسينا بلا دار كأن لم نغن بالأمس

وفى مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ قضوا على الخليفة وعلى ابنه الأكبر ، وخمسة من الخدم كانوا فى خدمته فى قرية « وقف » . وفى اليوم التالى قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه فى بوابة كلواذى . كذلك قضوا على كل شخص وجدوه حيا من العباسيين اللهم إلا أفرادًا قلائل لم يأبهوا بهم . وقد سلم مباركشاه الابن الأصغر للخليفة إلى « اولجاى خاتون » ، فأرسلته إلى مراغة ليكون مع الخواجة نصير الدين ، ثم زوجوه من امرأة مغولية ، فأنجب منها ولدين .

وفى يوم الجمعة السادس عشر من صفر ألحقوا الابن الثانى للخليفة ، بوالده وأخيه ، وبذلك قضى على دولة خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بنى أمية . وكانت مدة خلافتهم خمسة وعشرين وخمسمائة سنة ، وعددهم سبعة وثلاثون خليفة حسب ما يأتى بالتفصيل .

**السفاح ، المنصور ، الهادى ، الرشيد ، الأمين ، المأمون ، المعتصم ، الواثق ، المتوكل ، المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهتدى ، المعتمد ، المعتضد ، المكتفى ، المقتدر ، القاهر ، الراضى ، المتقى ، المستكفى ، المطيع الطائع ، القادر ، القائم ، المقتدى ، المستظهر ، المسترشد ، الراشد ، المقتفى ، المستنجد ، المتضى ، الناصر ، الظاهر ، المستنصر ، المستعصم الذى كان خليفة لفترة سبع عشرة سنة .**

وفى نفس اليوم الذى قتلوا فيه الخليفة ، أرسلوا إلى المدينة مؤيد الدين بن العلقمى ليقوم بالوزارة ، وفخر الدين الدامغانى ليكون صاحب الديوان ، وجعلوا على بهادر شحنة لها ، وعينوا المحتسبين لمراقبة المقاييس والأوزان ، ونصبوا عماد الدين عمر القزوينى نائبًا للأمير « قراتاى » ، وهو الذى عمر مسجد الخليفة ومشهد موسى الجواد . كذلك نُصِّب نجم الدين أبو جعفر أحمد بن عمران الملقب براست دل ( المخلص ) واليا على أعمال شرقى بغداد ، مثل طريق خراسان وخالص وبندنجين ، وأمر هولاكو بأن يكون نظام الدين عبد المؤمن البندنجينى قاضيًا للقضاة ، واختار ايلكا نويان وقرابوقا ومعهما ثلاثة آلاف من فرسان المغول ، وبعث بهم إلى بغداد ليقوموا بالعمارة فى الحال ، وليعملوا على استتباب الأمن .

ثم بادر كل شخص بدفن قتلاه ، وطهرت الطرق من جثث الحيوانات النافقة ، وعَمُرت الأسواق . وفى يوم الخميس التاسع والعشرين من صفر حضر إلى الدركاه شرف الدين ابن الوزير وصاحب الديوان ، لتلقى التعليمات ثم عادا . وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين رحل هولاكوخان ، ونزل بقية شيخ المكارم ، ومن هناك كان يسير مرحلة بعد مرحلة إلى أن بلغ معسكراته فى خانقين .

وأثناء حصار بغداد كان قد قدم إليه بعض العلويين والفقهاء من الحلة .

## توجه كيتوبوقا نويان إلى مصر ومحاربته
## جيشها ثم قتله

فى الوقت الذى انصرف فيه هولاكو من الشام أرسل رسولا مغوليا وبصحبته أربعون من الأتباع إلى سلطان مصر يقول :

« إن الله تعالى قد رفع شأن جنكيز خان وأسرته ومنحنا ممالك الأرض برمتها وكل من يتمرد علينا ويعصى أوامرنا يقضى عليه مع نسائه وأبنائه وأقاربه والمتصلين به وبلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك أسماع الجميع ، أما صيت جيشنا الذى لا حصر له فقد بلغ الشهرة كقصة رستم واسفنديار . فإذا كنت مطيعًا كخدم حضرتنا فأرسل إلينا الجزية وأقدم بنفسك ، واطلب الشحنة ، وإلا فكن مستعدًا للقتال » .

وفى ذلك الوقت لم يكن قد بقى من سلالة آل كامل ( الأيوبيين ) أحد جدير بالملك . وكان الحاكم رجلاً من التركمان . فلما توفى ترك بعده طفلاً صغيرًا اسمه محمد ، فأجلسوه إلى العرش فى مكان أبيه . وكان قطز أتابكًا له . وفجأة توفى محمد ، وصار قطز سلطانا لمصر ؛ فاجتذب قلوب الناس بالعدل والإحسان .

وكان أكثر جيوش الشام ومصر من بقايا التركمان والمنهزمين من جيش السلطان جلال الدين خوارزمشاه ممن هزموا على باب أخلاط فساروا نحو الشام . وكان فى مقدمة أمرائهم بركت خان والملك اختيار الدين خان بن مكرل والملك سيف الدين صادق خان بن نيكوبوقا والسلطان ناصر الدين كشلوخان بن آيل أرسلان وأطلس خان وناصر الدين قيمرى . وحينما عزم هولاكوخان على المسير إلى الشام تواروا فى شتى الأطراف ولكنهم عادوا فتجمعوا بعد عودته واتجهوا إلى الحضرة فى مصر والقاهرة ، وشرحوا لقطز قصة غصتهم فطيب خاطرهم وعطف عليهم ومنحهم أموالاً طائلة ، فاتفق جملتهم على أحقيته فى التملك والسيطرة .

ولما وصل رسل هولا كوخان ، أحضر قطز هؤلاء الأمراء واستشارهم فى الأمر وقال :

« لقد توجه هولاكوخان من توران إلى إيران بجيش جرار ، ولم يكن لأى مخلوق من الخلفاء السلاطين والملوك طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ثم جاء إلى دمشق . ولو لم يبلغه نعى أخيه ، لألحق مصر بالبلاد الأخرى ،

ومع هذا فقد ترك فى هذه النواحى كيت وبوقانويان الذى هو كالأسد الهصور ، والتنين القوى فى الكمين . وإذا قصد مصر ، فلن يكون لأحد قدرة على مقاومته . فيجب تدبر الأمر قبل فوات الفرصة » .

فقال ناصر الدين قيمرى :

« إن هولاكوخان فضلًا عن أنه حفيد جنكيزخان وابن تولوى وأخو منككوقاآن ، فإن شهرته وهيبته فى غنى عن الشرح والبيان ، وإن البلاد الممتدة من تخوم الصين إلى باب مصر كلها فى قبضته الآن . وقد اختص بالتأييد السماوى . فلو ذهبنا إليه لطلب الأمان فليس فى ذلك عيب وعار . ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل . إنه ليس بالإنسان الذى يطمأن إليه ، فهو لا يتورع عن احتزاز الرءوس ؛ وهو لا يفى بعهده وميثاقه ، فإنه قتل فجأة خورشاه والخليفة حسام الدين عكه ، وصاحب إربل بعد أن أعطاهم العهد والميثاق . فإذا ما سرنا إليه فيكون مصيرنا هذا السبيل » .

فقال قطز : « والحالة هذه ، فإن كافة بلاد ديار بكر وربيعة والشام ممتلئة بالمناحات والفجائع ، وأضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابًا يبابًا ، وقضى على الجميع ما فيها من حرث ونسل فخلت من الأزواج والأبقار والبذور . فلو أننا تقدمنا لقتالهم ، وقمنا بمقاومتهم ، فسوف تخرب مصر خرابًا تامًا كغيرها من البلاد . وينبغى أن نختار مع الجماعة التى تريد بلادنا واحدًا من ثلاثة : الصلح أو القتال أو الجلاء عن الوطن . أما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر ، ذلك لأنه لا يمكن أن نجد لنا مفرًا إلا المغرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيدة » .

فأجاب ناصر الدين قيمرى : « وليس هناك مصلحة أيضا فى مصالحتهم إذ أنه لا يوثق بعهودهم » .

وقال أيضا بقية الأمراء : « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم فمر بما يقتضيه رأيك » .

عندئذ قال قطز :

« إن الرأى عندى هو أن نتوجه جميعًا إلى القتال . فإذا ظفرنا فهو المراد ، وإلا فلن نكون ملومين أمام الخلق » .

فاتفق الأمراء بعد ذلك ثم اختلى قطز بالبندقدار الذى كان أميرا للأمراء وشاوره

فى الأمر ، فقال البندقدار : « إنى أرى أن نقتل الرسل ، ونقصد كيتوبوقا متضامنين . فإن انتصرنا أو هزمنا فسوف نكون فى كلتا الحالتين معذورين » .

فاستصوب قطز هذا الكلام ، وأمر بصلب رسل المغول بالليل ، وفى الصباح وطدوا العزم على الحرب بحكم الضرورة ، وتأهبوا للقتال ، ثم مضوا فى طريقهم .

فأرسل الأمير بايدر الذى كان فى طليعة جيش المغول بغزة إلى كيتوبوقا بالقرب من بعلبك ، يخبره بتحرك جيش مصر .

فرد عليه كيتوبوقا قائلاً : « قف مكانك وانتظر » . ولكن قطز داهم بايدر قبل وصول كيتوبوقا وطرده حتى نهر العاصى .

فصار كيتوبوقا كأنه بحر من اللهبَ بسب الغيرة والغضب ، وأقبل- معتمدًا إلى أقصى حد - على قوته وسطوته . وكان قطز قد عبأ الجيش فى كمين ، وأعده خير إعداد . ثم ركب هو بنفسه ، وثبت مع نفر قليل من الجند وقابل كيتوبوقا مع عدة آلاف من الفرسان كلهم من أهل الحرب والمراس- فى « عين جالوت » فقذف المغول سهامهم وحملوا على المصريين ، فتراجع قطز ولحق بجنوده الهزيمة .

وهنا تشجع المغول وتعقبوه ، وقتلوا كثيرا من المصريين ، ولكن عندما بلغوا الكمين ، انشق عليهم من ثلاث جهات ، وأغار المصريون على جنود المغول ، وقاتلوهم قتالا مستميتًا من الفجر حتى منتصف النهار ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ، ولحقت به الهزيمة آخر الأمر .

وكان كيتوبوقا يضرب يمينًا وشمالاً غيرة وحمية ، وكان يكر على أعدائه ، فرغبه جماعة من أتباعه فى الهروب ، ولكنه لم يستمع لهم وقال :

« لا مفر من الموت هنا ، فالموت هنا مع العزة والشرف خير من الهروب مع الذل والهوان . وسيصل رجل واحد ، صغيرًا أو كبيرًا ، من أفراد هذا الجيش إلى حضرة الملك ويعرض عليه كلامى قائلا : إن كيتوبوقا لم يشأ أن يتراجع وقد كلّله الخجل فضحى بحياته الغالية فى سبيل واجبه . ينبغى ألا يشق على الخاطر المبارك نبأ فناء جيش المغول ، وليتصور الملك أن نساء جنوده لم يحملن عامًا واحدًا وأن جياد قطعانه لم تلد المهور . فليدم إقبال الملك ومادامت نفسه الشريفة آمنة وسالمة فإنها تكون عوضًا لكل مفقود ، إذ أن وجودنا وعدمنا نحن العبيد والأتباع أمر سهل يسير » .

ورغم أن جنوده تركوه وحده . فقد ظل يكافح ألف رجل إلى أن كبا به جواده

فى نهاية الأمر فأسر . وكانت هناك مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال ، فاختفى فيها فوج من فرسان المغول ، فأمر قطز جنوده بأن يُضرموا فيها النار ، وأحرقوهم جميعًا .

بعد ذلك حمل كيتوبوقا مكبلاً إلى قطز فقال له :

« أيها الرجل الناكث العهد .. ها أنت - بعد أن سفكت كثيرًا من الدماء البريئة ، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت البيوتات العريقة - بالأقوال الزائفة المزورة - قد وقعت أخيرًا فى الشرك » .

شعر :

- « وعندما سمع كلامه وهو مكبل اليدين ،
انتفض كأنه الفيل الهائج الثمل .
فأجاب قائلا : « أيها الفخور المغتر ،
لا تتباه - كثيرًا بيوم النصر هذا .

« فأنا إذا قتلت على يدك فإنى أعلم ذلك من الله لا منك . فلا تخدع بهذه المصادفة العاجلة ، ولا بهذا الغرور العابر ، فإنه حين يبلغ حضرة هولاكوخان نبأ وفاتى ؛ سوف يغلى بحر غضبه وستطأ سنابك خيل المغول البلاد من آذربيجان حتى ديار مصر ، وستحمل رمال مصر فى مخالى خيولهم إلى هناك . إن لهولاكوخان ثلاثمائة ألف فارس مثل كيتوبوقا . فافرض أنه نقص واحد منهم » .

فقال له قطز :

« لا تفخر إلى هذا الحد بفرسان توران ؛ فإنهم يزاولون أعمالهم بالمكر والخداع لا بالرجولة والشهامة مثل رستم بن داستان » .

فرد عليه كيتوبوقا :

« إننى كنت عبدا للملك ما حييت ، ولست مثلك ماكرا وغدارًا وقاتلاً لمولاه :

شعر :

- « فلا كان رأس ، ولا كان جسد للشرير ،
الذى يقتل مليكه . . . . . . . . » .

« بادر بالقضاءِ علىَّ بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع تأنيبك » .

فأمر قطز بقتله ففصلوا رأسه عن جسده ، وطارد المصريون المغول فى جميع أنحاء الشام حتى شاطئ النهر ( الفرات ) ، ثم نهبوا معسكر كيتوبوقا ، وأسروا النساء والأطفال والأتباع ، وقتلوا العمال وحكام الولايات ما عدا عمال دمشق الذين كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علموا بالخبر فى تلك الليلة .

ولما بلغ هولاكوخان نبأ نعى كيتوبوقا ، وعلم بحديثه فى ذلك الموقف ، أسف أسفا شديدًا على وفاته ، واشتعل نيران غضبه وقال :

« أين أجد خادما آخر مثله يبدى مثل هذه النوايا الطيبة ، ومثل هذه العبودية ساعة هلاكه . . » وقد شمل بعطفه من بقى من عقبه ، وأعزهم وأكرمهم .

وقبل ذلك بيوم واحد كان هولاكو قد أحاط الملك الناصر برعايته ، وفوض إليه حكومة دمشق ، وسيره فى ثلاثمائة فارس شامى . ولكن بعد أن وصله نبأ وفاة كيتوبوقا ، قال له رجل شامى : « إن الملك ناصر الدين ليس مخلصًا لك . وقد أراد أن يفر إلى الشام لإمداد قطز الذى هزم كيتوبوقا بتدبيره » . فسير هولاكوخان ثلاثمائة فارس مغولى فى أثره ليتعقبوه . فلحقت به طلائعهم ، وأنزلوه من جواده قائلين : « إن لدينا أمرًا يقضى بأن نحتفل بك كى تحظى بالعناية التامة » . ثم جعلوه ثملاً ذاهلاً جريًا على عادة المغول . وفجأة وصل بقية الفرسان الثلاثمائة ، وأهلكوا الملك الناصر مع ثلاثمائة رجل شامى . وباستثناء مجد الدين المغربى - الذى نجا بحجة اشتغاله بالتنجيم - لم يتركوا أى مخلوق آخر حيًا . ولما سمع ايلكانويان بوصولهم ، اتجه إلى بلاد الروم مع المغول الذين كانوا قد بقوا فى بلاد الشام . وفى دمشق ضربت السكة وقرئت الخطبة باسم البندقدار .

وقد أراد هولاكوخان أن يرسل الجنود مرة ثانية إلى الشام ومصر ؛ لينتقم لمقتل كيتوبوقا ، ولكن لم تكن الظروف فى ذلك الوقت تسمح بذلك ؛ بسبب وفاة منكوقا آن ، وبسبب الخلاف الذى ظهر بينه وبين أقاربه . ولهذا عدل عن هذه الفكرة .

وفى ذلك التاريخ أيضًا ، مات فجأة الأمير بلغا بن شيبان بن جوجى أثناء الاحتفال . ثم اتهم توتار أوغول بتهمة السحر وتغيير النية ؛ فأرسله هولاكو بعد ثبوت جرمه فى صحبة سونجاق - إلى خدمة بركاى ، وعرض عليه جرمه ؛ فأعاده بركاى إلى هولاكو عملاً بأحكام قانون جنكيزخان ، ثم قضى عليه فى السابع عشر من صفر سنة ٦٥٨/ ١٢٦٠ ، كما قتل صدر الدين الساوجى بحجة أنه كان قد كتب

تعويذة من أجل توتار . ثم مات قولى أيضا . وبعد أن هلك الأمراء المذكورون هرب أتباعهم ، وساروا إلى القبچاق عن طريق درَبند وبحر جيلان .

توجه الأمراء يشموت وايلكا نويان وسونتاى إلى ديار بكر ، وفتح ميافارقين ، وقتل الملك الكامل

كان الأمراء يشموت وايلكا نويان وسونتاى قد ساروا بأمر هولاكوخان ، فلما بلغوا حدود ميافارقين أرسلوا رسولاً إلى الملك الكامل ، ودعوه إلى الطاعة والخضوع . فأجاب الملك الكامل :

« ينبغى ألا يضرب الأمير فى حديد بارد ، ولا يتوقع الشيء المستحيل ، إذ لا يوثق بوعدكم . وإننى لن أنخدع بكلامكم المعسول ، ولن أخشى جيش المغول ، وسأضرب بالسيف مادمت حيا . إذ كيف أثق بابن رجل نكث العهد والميثاق مع خورشاه والخليفة وحسام الدين عكة وتاج الدين أربل . وقد جاء الملك الناصر الدين خصيصًا بأمانكم فرأى فى نهاية الأمر ما رأى . وسوف أرى أنا أيضًا ما سبق أن رأوه » .

فلما بلغ الرسل الرسالة ، اتفق الأمراء على القتال . وقد طيب الملك الكامل قلوب سكان المدينة وقال :

« سوف لا أبخل عليكم بالذهب والفضة والغلال الموجودة فى المخازن ، وسأوثر بها كلها المحتاجين . فإنى بحمد الله لست كالمستعصم - عبدًا للدينار .

* * *

# من كتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة) لابن الفوطى [1]

## سنة ست وخمسين وستمائة

ذكرنا فى سنة ست وخمسين مسير السلطان هولاكو قان [2] من بلاده نحو بغداد ، وأنه أمر الأمير بايجو بالمسير إلى إربل ، وأن يعبر دجلة ويسير إلى بغداد من الجانب الغربى ، ففعل ذلك ، فلما بلغ الخليفة وصوله تقدم إلى الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك وجماعة من الأمراء بالتوجه إلى لقائه ، فعبروا دجلة فلما تجاوزوا قنطرة [3] باب البصرة بفرسخ [4] واحد ، رأوا عساكر المغول قد أقبلت كالجراد المنتشر ، فالتقوا واقتتلوا يوم الأربعاء تاسع المحرم ، فانكسرت عساكر المغول قصدًا وخديعة ، فتبعهم الدويدار ، وقتل منهم عدة كثيرة وحمل رءوسهم إلى بغداد ، وما زال يتبعهم بقية نهاره ، فأشار عليه الأمير فتح الدين بن كر بأن يثبت

---

(١) هو عبد الرزاق بن أحمد الفوطى البغدادى المتوفى ٧٢٣هـ ، وقد شرع فى تأليف كتابه هذا بعد فكاكه من أسر التتار بعد موقعة بغداد على عهد الحاكم فى جميع العراق علاء الدين بن الطيبب بن عربشاه الخراسانى الذى عينه هولاكو عام ٦٥٧هـ ، وقد أعاد هذا الأمير ابن الفوطى إلى بغداد من أذربيجان حيث كان أسيرا ، وفوض إليه كتابة الحوادث .

(٢) القان لقب السلطان لدى التتار ، وقد انتشر بعد الهجوم المغولى على البلدان الإسلامية حتى صار يستخدما مرادفا للقب السلطان فى مصر راجع « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ج٦ ص ١٢٢ ، ج ٧ ص ٢٥٧ ، ج ٨ ص ٦٢ على سبيل المثال .

(٣) القنطرة الجديدة: قنطرة على الصراة بين يدى باب البصرة القديم ، وقد جددت مرارا ، وعلى الصراة اليوم قنطرتان ، هذه السفلى منهما » وكانت فى غربى الجعيفر الحالى .

(٤) فى القاموس« الفرسخ ذكره الجوهرى ولم يذكر له معنى وهو السكون والساعة والراحة ومنه فرسخ الطريق ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف والفرجة وشيء لا فرجة فيه كأنه ضد والطويل من الزمان والفينة بين السكون والحركة والشيء الدائم الكثير الذى لا ينقطع والتفرسخ والافرنساخ انكسار البرد كالفرسخة وانفراج الهم وانكسار الحمى وسراويل مفرسخة واسعة » .

مكانه ، ولا يتبعهم ، فلم يصغ إليه ، فأدركه الليل وقد تجاوز نهر بشير ببر دجيل فباتوا هناك ، فلما أصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالاً شديدًا ، فلم يثبت عساكر الدويدار ، فانكسروا وكروا راجعين إلى بغداد ، فوجدوا نهر بشير قد فاض من الليل وملأ الصحراء ، فعجزت الخيول عن سلوكه ووحلت فيه ، فلم يخلص منه إلا من كانت فرسه شديدة ، وألقى معظم العسكر نفسه فى دجلة فهلك منهم خلق كثير ، ودخل من نجا منهم بغداد مع الدويدار على أقبح صورة ، وتبعهم الأمير بايجو وعسكره يقتلون فيهم وغنموا سوادهم وكل ما كان معهم ، ونزلوا بالجانب الغربى ، وقد خلا من أهله ، فشرعوا بالرمى بالنشاب إلى الجانب الشرقى ، فكانت السهام تصل إلى الدور السلطانية ، وكان الخليفة فى رواقه وبين يديه صغيرة من مولدات العرب تسمى « عرفة » كانت مدللة مطبوعة مضحكة ، فأصابها سهم دخل من بعض الشبابيك فقتلها ، فانزعج الخليفة لذلك وأحضر السهم بين يديه ، فإذا عليه مكتوب « إذا أراد الله أن ينفذ قضاءه سلب من ذوى العقول عقولهم » فأمر عند ذلك بعمل ما يحول بين شبابيك الدار وبين الرماة فعملت ستائر من ألواح الخشب .

وأما السلطان هولاكو قان فإنه وصل إلى ظاهر بغداد فى ثانى عشر المحرم فى جيش لا يحصى عدده ولا ينفد مدده ، وقد أغلقت أبواب السور ، فعرف بذلك ضعفهم عن لقائه ، فأمر بحفر خندق وبنى بترابه سور محيط ببغداد ، وعمل له أبواب ورتب عليها أمراء المغول ، وشرعوا فى عمل ستائر للمناجيق ، ونصبوا المناجيق والعرادات واستظهروا غاية الاستظهار ، والناس يشاهدون ذلك من السور ، وقد نصبوا أيضًا عليه المناجيق إلا أنها لم تصح ولا حصل بها انتفاع ، ثم إن السلطان [١] أمر بعقد جسر تحت بغداد ليمنع من ينحدر إلى واسط ، فعقد تحت قرية العقاب [٢] ، ولم يعلم أهل بغداد به فكانت السفن تصل إليها فيؤخذ من بها

---

(١) يقصد هولاكو وسوف يتكرر ذلك فى النص وأحيانا يشير إليه بحضرة السلطان .

(٢) لم يذكر فى معجم البلدان قريه تحمل هذا الاسم ، وإنما ذكر رابية العقاب فى قوله عن وادى الزمار أنه : « قرب الموصل بينها وبين دير ميخائيل وهو معشب أنيق وعليه رابية عالية يقال لها رابية العقاب نزهة طيبة تشرف على دجلة والبساتين » .

ويقتل ، فقتل عنده خلق كثير ، فلما كان اليوم الرابع عشر من المحرم ، خرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمى إلى خدمة السلطان فى جماعة من مماليكه وأتباعه ، وكانوا ينهون الناس عن الرمى بالنشاب ويقولون : سوف يقع الصلح إن شاء الله فلا تحاربوا ، هذا وعساكر المغول يبالغون فى الرمى ، وقد اجتمع منهم خلق كثير على برج [1] العجمى الذى عن يمين باب [2] سور الحلبة ، ونصبوا عليه المناجيق ، وواصلوا على السور فى اليوم الحادى والعشرين من المحرم ، وتمكنوا من البلد ، وأمسكوا عن الرمى ، وعاد الوزير إلى بغداد يوم الأحد سابع عشر من المحرم ، وقال للخليفة : قد تقدم السلطان أن تخرج إليه ، فأخرج ولده الأوسط وهو أبو الفضل عبد الرحمن فى الحال فلم يقع الاقتناع به ، فخرج الوزير والخليفة فى يوم الاثنين ثامن عشر المحرم ومعه جمع كثير ، فلما صاروا ظاهر السور منعوا أصحابه من الوصول معه ، وأفردوا له خيمة وأسكن بها ، وخرج مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير . وشهاب الدين سليمان شاه وسائر الأمراء فى أول صفر ، وخرج ابن الخليفة الأكبر أبو العباس أحمد يوم الجمعة ثانى صفر ، ثم دخل الخليفة بغداد يوم الأحد رابع صفر ومعه جماعة من أمراء المغول وخواجه نصير الدين الطوسى ، وأخرج إليهم من الأموال والجواهر والحلى والزركش والثياب وأوانى الذهب والفضة والأعلاق النفيسة جملة عظيمة ، ثم عاد مع الجماعة إلى ظاهر السور بقية ذلك اليوم ، فأمر السلطان بقتله ، فقتل يوم الأربعاء رابع عشر صفر ، ولم يهرق دمه بل جعل فى غرارة ورفس حتى مات ، ودفن وعفى أثر قبره ، وكان قد بلغ من العمر ستًا وأربعين سنة وأربعة أشهر ، وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيامًا ، ثم قتل ولده العباس أحمد ، وكان مولده سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وله من الأولاد أبوالفضل محمد ورابعة وهى التى تزوج بها خواجة هارون بن الصاحب شمس الدين الجوينى ، ومولدها يوم النحر سنة خمس وخمسين ، وأختها ست الملوك ، ثم قتل ابن الخليفة الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن ، ومولده سنة ثلاث

---

(١) قال الشيخ عبد القادر الجيلى ـ رض: أقمت بالبرج الآن ببرج العجمى إحدى عشرة سنة وبطول إقامتى فيه سمى : « برج العجمى » البهجة ص ٦٠

(٢) هو الباب الذى كان معروفا: بباب الطلسم عند العامة .

وثلاثين وله من الأولاد أبو القاسم محمد ، وبنت واحدة ، وأما ولد الخليفة الأصغر مبارك وأخوته فاطمة وخديجة ومريم فإنهم لم يقتلوا بل أسروا ، ثم عين على بعض الأمراء فدخل بغداد ومعه جماعة نائب أستاذ الدار ابن الجوزى ، وجاءوا إلى أعمام الخليفة وأنسابه الذين كانوا فى دار الصخرة ودار الشجرة ، وكانوا يطلبون واحدًا بعد واحد فيخرج بأولاده وجواريه فيحمل إلى مقبرة « الخلال » [1] ، التى تجاه المنظرة فيقتل ، فقتلوا جميعهم عن آخرهم ، ثم قتل مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير ، وأمير الحاج فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسى الدويدار الكبير ، وشهاب الدين سليمان شاه بن برجم ، وفلك الدين محمد بن قيران الظاهرى ، وقطب الدين سنجر البكلبكى الذى كان شحنة [2] بغداد ، وحج بالناس عدة سنين ، وعز الدين أبقرا شحنة بغداد أيضًا ، ومحيى الدين ابن الجوزى أستاذ الدار وولده جمال الدين عبد الرحمن ، وأخوه شرف الدين عبد الله ، وأخوه تاج الدين عبد الكريم ، وشيخ الشيوخ صدر الدين على بن النيار ، وشرف الدين عبد الله ابن أخيه . وبهاء الدين داود بن المختار ، والنقيب الطاهر شمس الدين على بن المختار . وشرف الدين محمد بن طاووس وتقى الدين عبد الرحمن بن الطبال وكيل الخليفة .

وأمر بحمل رأس الدويدار وابن الدويدار الكبير . وسليمان شاه إلى الموصل ، فحملت وعلقت ظاهر سور البلد ، ووضع السيف فى أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر ، ومازالوا فى قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يومًا ، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال ، فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل ، ما عدا النصارى فإنهم عين شحان حرسوا بيوتهم ، والتجأ إليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم .

وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون إلى خراسان وغيرها قد تعلقوا من

---

(١) هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر الحنبلى دفين باب الأزج المعروف اليوم بالشيخ الخلانى . وكانت وفاته فى سنة ٣٦٣هـ .

(٢) أى شرطة .

قبل على أمراء المغول ، وكتب لهم فرامين ، فلما فتحت بغداد خرجوا إلى الأمراء وعادوا ومعهم من يحرس بيوتهم ، والتجأ أيضًا جماعة من جيرانهم فسلموا ، وكذلك دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمى فإنه سلم بها خلق كثير ، ودار صاحب الديوان ابن الدماغانى . ودار حاجب الباب ابن الدوامى ، وما عدا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيه أحد إلا من كان فى الآبار والقنوات ، وأحرق معظم البلد ، وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد ، وكانت القتلى فى الدروب والأسواق كالتلول ، ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول ، فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى ، ثم نودى بالأمان فخرج من تخلف ، وقد تغيرت ألوانهم ، وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التى لا يعبر عنها بلسان ، وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد .

وأما أهل الحلة والكوفة فإنهم انتزحوا إلى البطائح [1] بأولادهم وما قدروا عليه من أموالهم ، وحضر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاووس العلوى إلى حضرة السلطان وسألوه حقن دمائهم فأجاب سؤالهم ، وعين لهم شحنة فعادوا إلى بلادهم ، وأرسلوا إلى من فى البطائح من الناس يعرفون ذلك ، فحضروا بأهلم وأموالهم وجمعوا مالاً عظيمًا وحملوه إلى السلطان فتصدق عليهم بنفوسهم ، وأما واسط فإن الأمير بغاتمر انحدر عليها بعساكره وانتهى فيها إلى قريب البصرة ، فقتل ونهب وسبى ، وكان الولاة والنقباء وأكابر الناس قد انحدروا بأهلهم وأموالهم إلى البصرة والبطائح فسلموا ، قيل إن عدة القتلى ببغداد زادت عن ثمانمائة ألف سنة

---

(١) فى معجم البلدان : « البطائح والبطيحة والبطحاء واحد ، وتبطح السيل إذا اتسع فى الأرض ، وبذلك سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها أى سالت واتسعت فى الأرض ، وهى أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديما قرى متصلة وأرضا عامرة ، فاتفق فى أيام كسرى إبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات أيضا بخلاف العادة ، فعجز عن سدها ، فتبطح الماء فى تلك الديار والعمارات والمزارع ، فطرد أهلها عنها فلما نقص الماء وأراد العمارة أدركته المنية ، وولى بعده ابنه شيرويه فلم تطل مدته ، ثم ولى نساء لم تكن فيهن كفاية ، ثم جاء الإسلام فاشتغلوا بالحروب والجلاء ، ولم يكن للمسلمين دراية بعمارة الأرضين ، فلما ألقت الحروب أوزارها ، واستقرت الدولة الإسلامية قرارها ، استفحل أمر البطائح ، وانفسدت مواضع البثوق ، وتغلب الماء على النواحى ، ودخلها العمال بالسفن ، فرأوا فيها مواضع عالية لم يصل الماء إليها فبنوا فيها قرى » .

عدا من ألقى من الأطفال فى الوحول ، ومن هلك فى القنى والآبار وسراديب الموتى جوعًا وخوفًا ، ووقع الوباء فيمن تخلف بعد القتل من شم روائح الجرحى وشرب الماء الممتزج فى الجيف ، وكان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فإنه ملأ الفضاء ، وكان يسقط على المطعومات فيفسدها ، وكان أهل الحلة والكوفة والسيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك ، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث بأوهى قيمة ، فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير منهم .

## من ( المختصر فى أخـــبار البشر )
## لأبى الفداء إسماعيل

### سنة ست وخمسين وستمائة

### ذكر استيلاء التتر على بغداد

فى أول هذه السنة قصد هولاكو ملك التتر بغداد ، وملكها فى العشرين من المحرم ، وقتل الخليفة المستعصم بالله ، وسبب ذلك أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمى كان رافضًا وكان أهل الكرخ أيضًا روافض ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على جارى عادتهم ، فأمر أبو بكر بن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش ، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى ، وكاتب التتر وأطمعهم فى ملك بغداد ، وكان عسكر بغداد يبلغ مائة ألف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل إلى التتر متحصل إقطاعاتهم ، وصار عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس ، وأرسل ابن العلقمى إلى التتر أخاه يستدعيهم ، فساروا قاصدين بغداد فى جحفل عظيم ، وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمه ركن الدين الدوادار ، والتقوا على مرحلتين من بغداد ، واقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزم عسكر الخليفة ، ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم إلى جهةالشام ، ونزل هولاكو على بغداد من الجانب الشرقى ، ونزل باجو وهو مقدم كبير فى الجانب الغربى على قرية قبالة دارالخلافة ، وخرج مؤيد الدين الوزير ابن العلقمى إلى هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد إلى الخليفة المستعصم وقال إن هولاكو يبقيك فى الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبى بكر ، وحسن له الخروج إلى هولاكو ، فخرج إليهم المستعصم فى جمع من أكابر أصحابه ، فأنزل فى خيمة ، ثم استدعى الوزير الفقهاء والأماثل ، فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون ، وكان منهم محيى الدين بن الجوزى وأولاده ، وكذلك بقى يخرج إلى التتر طائفة بعد طائفة ، فلما تكاملوا قتلهم عن آخرهم ، ثم مدوا الجسر وعدى باجو ومن معه ، وبذلوا السيف فى بغداد وهجموا دار الخلافة ، وقتلوا كل من كانوا فيها من

الأشراف ، ولم يسلم إلا من كان صغيرًا فأخذ أسيرًا ودام القتل والنهب فى بغداد نحو أربعين يومًا ثم نودى بالأمان .

وأما الخليفة فإنهم قتلوه ، ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله ، فقيل خنق وقيل وضع فى عدل ورفسوه حتى مات ، وقيل غرق فى دجلة والله أعلم بحقيقة ذلك .

وكان هذا المستعصم وهو عبد الله أبو أحمد بن المستنصر أبى جعفر منصور بن محمد الطاهر بن الإمام الناصر أحمد . وقد تقدم ذكر باقى نسبه عند ذكر وفاة الإمام الناصر .

كان ضعيف الرأى ، قد غلب عليه أمراء دولته لسوء تدبيره ، تولى الخلافة بعد موت أبيه المستنصر فى سنة أربعين وستمائة ، وكانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة تقريبًا ، وهو آخر الخلفاء العباسيين ، وكان ابتداء دولتهم فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهى السنة التى بويع فيها السفاح بالخلافة وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفاء بنى أمية ، وكانت مدة ملكهم خمسمائة سنة وأربعًا وعشرين سنة تقريبًا ، وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة .

حكى القاضى جمال الدين بن واصل قال : لقد أخبرنى من أثق به أنه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته أن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء بنى أميه عنه أنه يقول : إن الخلافة تصير إلى ولده فأمر الأموى بعلى بن عبد الله فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه : هذا جزاء من يفترى ويقول : إن الخلافة تكون فى ولده .

فكان على بن عبد الله المذكور رحمه الله يقول : أى والله لتكونن الخلافة فى ولدى لا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم ، فوقع مصداق ذلك وهو ورود هولاكو وإزالته ملك بنى العباس .

# المختار من كتاب ( العبر فى خبر من غبر ) للذهبى

## سنة ست وخمسين وستمائة

كان المؤيد ابن العلقمى قد كاتب التتار ، وحرضهم على قصد بغداد ، لأجل ما جرى على إخوانه الرافضة من النهب والخزى . وظن المخذول أن الأمر تم ، وأنه يقيم خليفة علويًا . فأرسل أخاه ومملوكه إلى هولاوو ، وسهل عليه أخذ بغداد ، وطلب أن يكون نائبًا لهم عليها ، فوعدوه بالأمانى . وساروا .

فأخذ لؤلؤ صاحب الموصل يهيىء للتتار الإقامات ، ويكاتب الخليفة سرًا . فكان ابن العلقمى- قبحه الله – لا يدع تلك المكاتبات تصل إلى الخليفة ، مع أنها لو وصلت لما أجدت ، لأن الخليفة كان يرد الأمر إليه .

فلما تحقق الأمر ، بعث ولد محيى الدين بن الجوزى رسولاً إلى هولاوو يعده بالأموال . فركب هولاوو فى خلق من التتار والكرج ، ومدد من صاحب الموصل مع ولده الصالح إسماعيل .

فخرج ركن الدين الدويدار فالتقى ناجوانوين ، وكان على مقدمة هولاوو ، فانكسر المسلمون ، ثم سار ناجو ، فنزل من غربى بغداد ، ونزل هولاوو من شرقيها . فأشار ابن العلقمى على المستعصم بالله أنى أخرج إليهم فى تقرير الصلح .

خرج الخبيث وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن الملك قد رغب فى أن يزوج بنته بابنك الأمير أبى بكر ، وأن تكون الطاعة له ، كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية ثم يترحل . فخرج إليه المستعصم فى أعيان الدولة .

ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ، ليحضروا العقد – بزعمه – فخرجوا . فضربت رقاب الجميع .

وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة ، فتضرب أعناقهم ، حتى بقيت الرعية بلا راع .

ثم دخلت – حينئذ – التتار بغداد ، وبذلوا السيف ، واستمر القتل والسبى ، نيفًا وثلاثين يومًا . فقل من نجا .

فيقال إن هولاوو أمر بعد القتلى ، فبلغوا ألف ألف وثمان مائة ألف وكسر ، فعند ذلك نودى بالأمان .

ثم أمر هولاوو بناجونيون فضربت عنقه ، لأنه بلغه أنه كاتب الخليفة . وأرسل رسولاً إلى الناصر صاحب الشام يهدده ، إن لم يخرب أسوار بلاده . واشتد الوباء بالشام ، ولا سيما بدمشق وحلب لفساد الهواء .

[وفى هذا العام توفى] المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبى جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسى آخر الخلفاء العراقيين . وكانت دولتهم خمسمائة سنة وأربعًا وعشرين سنة .

ولد أبو أحمد سنة تسع وستمائة فى خلافة جد أبيه ، وأجاز له المؤيد الطوسى ، وجماعة وسمع من على بن النيار الذى لقنه الختمة .

روى عن محيى الدين بن الجوزى ، ونجم الدين الباذرائى ، بالإجازة . واستخلف فى جمادى الأولى سنة أربعين . وكان حليمًا كريمًا ، سليم الباطن ، قليل الرأى ، حسن الديانة ، مبغضًا للبدعة فى الجملة . وختم له بخير ، فإن الكافر هولاوو أمر به وبولده أبى بكر ، فرفسا حتى ماتا ، وذلك فى حدود آخر المحرم .

وكان الأمر أشغل من أن يوجد مؤرخ لموته ، أو موار لجسده ، وبقى الوقت بلا خليفة ثلاث سنين .

# المختار من (البداية والنهاية) لابن كثير

## من أحداث سنة ٦٥٦هـ

فيها : أخذت التتار بغداد ، وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة ، وانقضت دولة بنى العباس منها .

استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار ، هولاكو خان ، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل [(١)] يساعدونهم على البغاددة ، وميرته [(٢)] ، وهداياه ، وتحفه ، وكل ذلك خوفًا على نفسه من التتار ، ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى ، وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق ، والعرادات [(٣)] ، وغيرها من آلات الممانعة التى لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئًا ، كما ورد فى الأثر : [لن يغنى حذر عن قدر] [(٤)] . وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [ سورة نوح آية : ٤ ] ، وقال تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [ سورة الرعد آية : ١١ ] ، وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدى الخليفة وتضحكه ، وكانت من جملة خطاياه ، وكانت مولدة تسمى عرفة ، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها ، وهى ترقص بين يدى الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعًا شديدًا ، وأحضر السهم الذى

---

(١) هو بدر الدين لؤلؤ كما تقدم .

(٢) الطعام يمتاره الإنسان وقد مار أهله من باب باع ومنه قولهم ما عنده خير ولا مير .

(٣) فى اللسان « عرد السهم تعريدًا إذا نفذ من الرمية قال ساعدة :

فجالت وخالت أنه لم يقع بها    وقد خلها قدح صويب معرد

أى نافذ . . وعرد الحجر يعرده عردًا رماه رميًا بعيدًا والعرادة شبه المنجنيق صغيرة والجمع العرادات والعراد .

(٤) فى مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ « ومنه الحديث » ( لا يمنع حذر من قدر ) .

أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب ، إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره ، أذهب من ذوى العقول عقولهم ، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت الستائر على دار الخلافة ، وكان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها ، وكانوا نحو مائتى ألف مقاتل إلى بغداد فى ثانى عشر المحرم من هذه السنة ، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذى قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه ، وهو أن هولاكو لما كان أول بروزه من همذان [٧] متوجهًا إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ؛ ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم ، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره [٨] الصغير أيبك وغيره ، وقالوا : إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث بشىء يسير ، فأرسل شيئًا من الهدايا فاحتقرها هولاكو خان ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، وسليمان شاه ، فلم يبعثهما إليه ولا شغل بالاً به ، حتى أزف قدومه ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله ، ولا باليوم الآخر ، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجيوش بغداد فى غاية القلة ، ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، وهم بقية الجيش كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم فى الأسواق ،

---

(١) فى معجم البلدان « قال هشام بن الكلبى . . . سميت بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام ، وهمذان وأصبهان أخوان بنى كل واحد منهما بلدة ، ووجد فى بعض كتب السريانيين فى أخبار الملوك والبلدان أن الذى بنى همذان يقال له كرميس بن حليمون ، وذكر بعض علماء الفرس أن اسم همذان إنما كان نادمه ومعناه المحبوبة ، وروى عن شعبة أنه قال : الجبال عسكر وهمذان معمعتها ، وهى أعذبها ماء وأطيبها هواء ، وقال ربيعة بن عثمان : كان فتح همذان فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان الذى فتحها المغيرة بن شعبة فى سنة ٤٢ من الهجرة ، وفى آخر ، وجه المغيرة بن شعبة ، وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عزل عمار ابن ياسر عنها / جرير بن عبد الله البجلى إلى همذان فى سنة ٣٢ ، فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال أحتسبها عند الله الذى زين بها وجهى ونور لى ما شاء ثم سلبنيها فى سبيله ، وجرى أمر همذان على مثل ما جرى عليه أمر نهاوند ، وذلك فى آخر سنة ٣٢ وغلب على أرضها قسرا » .

(٢) اسم يعنى حامل الدواة . وفى صبح الأعشى« صاحب الرقاعات قال ابن سعيد وهو الذى يتولى إبلاغ الظلامات إلى السلطان وإيصال قصصهم إليه وعرضها عليه ثم يخرج بجوابها عنه قال فى مسالك الأبصار وهذا بمثابة الدوادار يعنى بالديار المصرية » .

وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله ، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمى الرافضى ؛ وذلك أنه لما كان فى السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ، ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتد حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذى لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد ، وإلى هذه الأوقات ، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو ، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه ، فاجتمع بالسلطان هولاكو خان لعنه الله ، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة ، على أن يكون نصف خراج العراق لهم ، ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج فى سبعمائة راكب من القضاة ، والفقهاء ، والصوفية ، ورءوس الأمراء ، والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسًا ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدى هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة ، فيقال : إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفى صحبته خوجة [1] نصير الدين الطوسى [2] ، والوزير ابن العلقمى وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلى والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة ، وقال الوزير : متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين ، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ، ويقال : إن الذى أشار بقتله ابن الوزير العلقمى ، والمولى نصير الدين الطوسى ، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه فى خدمته لما فتح قلاع الألموت ، وانتزعها من أيدى الإسماعيلية ، وكان النصير وزيرًا لشمس الشموس ،

---

(١) فى صبح الأعشى « الخواجا: من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم وهو لفظ فارسى ومعناه السيد » .

(٢) نسبة إلى طوس قرية ببخارى .

ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا يتسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدى ، وانتخب هولاكو النصير ليكون فى خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك ، فقتلوه رفسًا ، وهو فى جوالق [1] لئلا يقع على الأرض شيء من دمه ، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم ، وقيل : بل خنق ، ويقال : بل أغرق ، فالله أعلم ، فباءوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء ، وأولى الحل والعقد ببلاده . . . ، ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ، ودخل كثير من الناس فى الآبار وأماكن الحشوش [2] ، وقنى الوسخ ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار ، إما بالكسر ، وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالى الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب [3] من الدماء فى الأزقة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكذلك فى المساجد والجوامع والربط ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضى ، وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانًا بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم ، وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها ، كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من

---

(١) فى لسان العرب « الجوالِق والجوالَق بكسر اللام وفتحها - الأخيرة عن ابن الأعرابى - وعاء من الأوعية معروف معرب وقوله أنشده ثعلب :

أحب ماوية حبا صادقا    حب أبى الجوالق الجوالقا

أى هو شديد الحب لما فى جوالقه من الطعام ، قال سيبويه : والجمع جوالق بفتح الجيم وجواليق ولم يقولوا جوالقات استغنوا عنه بجواليق . . . وربما جوز الجوالقات غير سيبويه قال ابن برى : قال سيبويه قد جمعت العرب أسماء مذكرة بالألف والتاء لامتناع تكسيرها نحو سجل وإسطبل وحمام فقالوا سجلات وحمامات وإسطبلات ولم يقولوا فى جمع جوالق جوالقات لأنهم قد كسروه فقالوا جواليق » .

(٢) الحش بفتح الحاء وضمها البستان وهو أيضا المخرج لأنهم كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين والجمع حشوش .

(٣) مسايل الماء ، وفى اللسان « وزب الشيء يزب وزوبا إذا سال ، قال الجوهرى الميزاب المثعب فارسى معرب . قال : وقد عرب بالهمز وربما لم يهمز ، والجمع مآزيب إذا همزت وميازيب إذا لم تهمز » .

الناس ، وهم فى خوف وجوع وذلة وقلة ، وكان الوزير ابن العلقمى قبل هذه الحادثة يجتهد فى صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت العساكر فى آخر أيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل ، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر ، فلم يزل يجتهد فى تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف ، ثم كاتب للتتار وأطمعهم فى أخذ البلاد ، وسهل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال ، وذلك كله طمعًا منه أن يزيل السنة بالكلية ، وأن يظهر البدعة الرافضة ، وأن يقيم خليفة من الفاطميين ، وأن يبيد العلماء والمفتيين ، والله غالب على أمره ، وقد رد كيده فى نحره ، وأذله بعد العزة القعساء[1] ، وجعله حوشكاشًا للتتار بعدما كان وزيرًا للخلفاء ، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال ، فالحكم لله العلى الكبير رب الأرض والسماء .

وقد جرى على بنى إسرائيل ببيت المقدس قريب مما جرى على أهل بغداد كما قص الله تعالى علينا ذلك فى كتابه العزيز حيث يقول : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ [ سورة الإسراء آية : ٥ ] ، - الآيات - وقد قتل من بنى إسرائيل خلق من الصلحاء ، وأسر جماعة من أولاد الأنبياء ، وخرب بيت المقدس بعدما كان معمورًا بالعباد والزهاد والأحبار والأنبياء ، فصار خاويًا على عروشه واهى البناء .

وقد اختلف الناس فى كمية من قتل ببغداد من المسلمين فى هذه الوقعة ،

---

(١) فى اللسان « القعس نقيض الحدب وهو خروج الصدر ودخول الظهر ، قعس قعسا فهو أقعس ومتقاعس وقعس ، كقولهم أنكد ونكد ، وأجرب وجرب ، وهذا الضرب يعتقب عليه هذان المثالان كثيرا ، والمرأة قعساء والجمع قعس . . . والقعس فى القوس نتو باطنها من وسطها ودخول ظاهرها ، وهى قوس قعساء ، والجمع قعس وقعساوات على غلبة الصفة . والأقعس الذى فى صدره انكباب إلى ظهره ، والقعاس التواء يأخذ فى العنق من ريح كأنها تهصره إلى ما وراءه . والقعس الثبات وعزة قعساء ثابتة قال : والعزة القعساء للأعز ، ورجل أقعس ثابت عزيز منيع ، وتقاعس العز أى ثبت وامتنع ولم يطأطئ » .

فقيل : ثمانمائة ألف ، وقيل : ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل : بلغت القتلى ألفى ألف نفس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وكان دخولهم إلى بغداد فى أواخر المحرم ، ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يومًا ، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر ، وعُفّى [1] قبره ، وكان عمره يومئذ ستًا وأربعين سنة وأربعة أشهر ، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام ، وقتل معه ولده الأكبر أبو عباس أحمد ، وله خمس وعشرون سنة ، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن ، وله ثلاث وعشرون سنة ، وأسر ولده الأصغر مبارك ، وأسرت أخواته الثلاث فاطمة ، وخديجة ، ومريم ، وأسر من دارالخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر ، فيما قيل ، والله أعلم ، فإنا لله وإنا له راجعون .

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيى الدين يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى ، وكان عدو الوزير ، وقتل أولاده الثلاثة عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، وأكابر الدولة واحد بعد واحد منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك ، وشهاب الدين سليمان شاه ، وجماعة من أمراء السنة ، وأكابر البلد ، وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بنى العباس فيخرج بأولاده ونسائه ، فيذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاه ، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه ، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدرالدين على بن التيار ، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجامعات والجمعات مدة شهور ببغداد ، وأراد الوزير ابن العلقمى قبحه الله ولعنه ، أن يعطل المساجد والمدارس والربط [2] ببغداد ، ويستمر بالمشاهد [3] ، ومحال الرفض وأن يبنى للرافضة مدرسة

---

(١) أخفى حتى اندرس .

(٢) جمع رباط وهو الواحد من مرابط الخيل ، وهو ارتباطها بإزاء العدو فى بعض الثغور ، والعرب تسمى الخيل إذا ربطت بالأفنية وعلفت ربطا ، واحدها ربيط ويجمع الربط رباطا . والمقصود أماكن ينقطع الإنسان فيها للعبادة ، وفى الحديث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » .

(٣) يقصد مقابر أئمة العلويين ببغداد .

هائلة ينشرون علمهم وعلمهم بها وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته عنه ، وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة ، وأتبعه بولده فاجتمعا ، والله أعلم ، بالدرك الأسفل من النار .

ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يومًا بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقتلى فى الطرقات ، كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم ، وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى فى الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو ، وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نودى ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير [1] والقنى والمقابر كأنهم الموتى ، إذا نبشوا من قبورهم ، وقد أنكر بعضهم بعضًا ، فلا يعرف الوالد ولده ، ولا الأخ أخاه ، وأخذهم الوباء الشديد ، فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذى يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى .

وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو خان عن بغداد فى جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه ، وفوض أمر بغداد إلى الأمير على بهادر فوض إليه الشحنكية [2] بها ، وإلى الوزير ابن العلقمى ، فلم يمهله الله ولا أهمله ، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر فى مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سنة ، وكان عنده فضيلة فى الإنشاء ، ولديه فضيلة فى الأدب ، ولكنه كان شيعيًا جلدًا رافضيًا خبيثًا ، فمات جهدًا وغمًا وحزنًا وندمًا « إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم » [3] ، فولى بعده

---

(١) حفر تحفر فى الأرض توسع أسافلها تخبأ فيها الحبوب .

(٢) شرطة بغداد .

(٣) والقشعم والقشعام المسن من الرجال والنسور والرخم لطول عمره وهو صفة والأنثى قشعم قال الشاعر :

تركت أباك قد أطلى ومالت عليه القشعمان من النسور

وقيل : هو الضخم المسن من كل شيء ، قال أبو زيد : كل شيء يكون ضخما فهو قشعم وأنشد : =

الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد ، فألحقه الله بأبيه فى بقية العام ، ولله الحمد والمنة .

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبى وقطب الدين اليونينى أنه أصاب الناس فى هذه السنة بالشام وباء شديد ، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق ، وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام ، والله أعلم .

* * *

= وقـصـع تـكـسـى ثـمـالا قـشـعـمـا

والثمال الرغوة وأم قشعم الحرب وقيل المنية وقيل الضبع وقيل العنكبوت وقيل الذلة . وما فى النص عجز بيت لزهير بن أبى سلمى وتمامه

فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

# المختار من كتاب (السلوك) للمقريزى

## من أحداث سنة ٦٥٦هـ

وفيها ملك هولاكو بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله فى سادس صفر ، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام . وانقرضت بمهلكه دولة بنى العباس من بغداد ، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة؛ فصح حديث بن أبى ثابت ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن رسول الله قام فقال : [يا معشر قريش ! إن الأمر لا يزال فيكم ، وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالاً تخرجكم منه . فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه ، فالتحوكم كما يلتحى القضيب ] [١] .

وقتل الناس ببغداد وتمزقوا فى الأقطار ، وخرب التتر الجوامع والمساجد والمشاهد ، وسفكوا الدماء حتى جرت فى الطرقات ، واستمروا على ذلك أربعين يومًا . وأمر هولاكو بعدِّ القتلى ، فبلغت نحو الألفى ألف قتيل ، وتلاشت الأحوال بها . وملك التتار إربل [٢] ، ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى طاعتهم .

---

(١) أخرج هذا الحديث أحمد فى مسنده بنص « مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ حَبِيبٍ يَعْنِى ابْنَ أَبِى ثَابِتٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ أَوِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِيكُمْ وَإِنَّكُمْ وُلاَتُهُ وَلَنْ يَزَالَ فِيكُمْ حَتَّى تُحْدِثُوا أَعْمَالاً فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ شَرَّ خَلْقِهِ فَيَلْتَحِيكُمْ كَمَا يُلْتَحَى الْقَضِيبُ » . وفى المسند روايات أخر له .

(٢) فى معجم البلدان « إربل بوزن إثمد ولا يجوز فتح الهمزة لأنه ليس فى أوزانهم مثل أفعل إلا ما حكى سيبويه من قولهم أصبع وهى لغة قليلة غير مستعملة ، فإن كان إربل عربيا فقد قال الأصمعى الربل ضرب من الشجر إذا برد الزمان عليه وأدبر الصيف تفطر بورق أخضر من غير مطر يقال تربلت الأرض لا يزال بها ربل ، فيجوز أن تكون إربل مشتقة من ذلك ، وقد قال الفراء الربيال النبات الكثير الملتف الطويل فيجوز أن تكون هذه الأرض اتفق فيها فى بعض الأعوام من الخصب وسعة النبت ما دعاهم إلى تسميتها بذلك ثم استمر كما فعلوا بأسماء الشهور ، فإنهم سموا كل شهر بما اتفق به فصله من حر أو برد فسقط جمادى فى شدة البرد وجمود المياه والربيعان فى أيام الصيف وصفر حيث صفرت الأرض من الخيرات وكانت تسميتها لذلك فى أزمنة متباعدة ولم يكن فى عام واحد متوال ولو كان =

وفيها كثر الوباء ببلاد الشام ، فكان يموت من حلب فى كل يوم ألف ومائتا إنسان . ومات من أهل دمشق خلق كثير ، وبلغ الرطل التمر هندى ستين درهمًا .

= فى عام واحد كان من المحال أن يجيء جمادى وهم يريدون به جمود الماء وشدة البرد بعد الربيع ثم تغيرت الأزمنة ولزمها ذلك الاسم ، وإربل قلعة حصينة ومدينة كبيرة فى فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق عميق وهى فى طرف من المدينة وسور المدينة ينقطع فى نصفها ، وهى على تل عال من التراب عظيم واسع الرأس ، وفى هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة ، وهى شبيهة بقلعة حلب إلا أنها أكبر وأوسع رقعة ، وطول إربل تسع وستون درجة ونصف ، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف وثلث ، وهى بين الزابين تعد من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين » .

# المختار من (النجوم الزاهرة) لابن تغرى بردى

## سقوط بغداد بأيدى المغول

قلت : نذكر سبب أخذ هولاكو لبغداد ثم نعود إلى أمر المصريين والشاميين والبحرية .

فأما أمر هولاكو فإنه هولاكو وقيل : هولاو بن تولى خان بن جنكز خان المغلى .

ولى الملك بعد موت أبيه تولى قان واتسعت ممالكه وعظم أمره وكثرت جيوشه من المغل والتتار ولا زال أمره فى زيادة حتى ملك مدينة ألموت وقتل متوليها شمس الشموس ، وأخذ بلاده ثم أخذ الروم وأبقى بها ركن الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو صورة بلا معنى والحكم والتصرف لغيره .

وكان وزير الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين بن العلقمى ببغداد ، وكان رافضيًا خبيثًا حريصًا على زوال الدولة العباسية ، ونقل الخلافة إلى العلويين ، يدبر ذلك فى الباطن ويظهر للخلفية المستعصم خلاف ذلك ، ولا يزال يثير الفتن بين أهل السنة والرافضة حتى تجالدوا بالسيف ، وقتل جماعة من الرافضة ونهبوا ، فاشتكى أهل باب البصرة إلى الأمير مجاهد الدين الدوادار وللأمير أبى بكر ابن الخليفة ، فتقدما إلى الجند بنهب الكرخ ، فركبوا من وقتهم وهجموا على الرافضة بالكرخ ، وقتلوا منهم جماعة وارتكبوا معهم العظائم ، فحنق الوزير ابن العلقمى ونوى الشر فى الباطن وأمر أهل الكرخ الرافضة بالصبر والكف عن القتال وقال لهم : أنا أكفيكم فيهم .

وكان الخليفة المستنصر بالله قد استكثر من الجند قبل موته حتى بلغ عدد عسكره مائة ألف .

وكان الوزير ابن العلقمى مع ذلك يصانع التتار فى الباطن ويكاتبهم ويهاديهم ، فلما استخلف المستعصم بعد موت أبيه المستنصر ، وكان المستعصم خليًا من الرأى والتدبير ، فأشار عليه ابن العلقمى المذكور بقطع أرزاق أكثر الجند وأنه بمصانعة التتار وإكرامهم يحصل بذلك المقصود ولا حاجة لكثرة الجند ففعل الخليفة ذلك !

قلت : وكلمة الشيخ مطاعة ! ثم إن الوزير بعد ذلك كاتَبَ التتار وأطمعهم فى البلاد سرًا ، وأرسل إليهم غلامه وأخاه وسهل عليهم فتح العراق وأخذ بغداد وطلب منهم أن يكون نائبهم بالبلاد فوعدوه بذلك ، وتأهبوا لقصد بغداد ، وكاتبوا لؤلؤًا صاحب الموصل فى تهيئة الإقامات والسلاح ، فكاتب لؤلؤ الخليفة سرًا وحذره ثم هيأ لهم الآلات والإقامات .

وكان الوزير ابن العلقمى المذكور ليس لأحد معه كلام فى تدبير أمر الخليفة ، فصار لا يوصل مكاتبات لؤلؤ ولا غيره للخليفة ، وعمى عنه الأخبار والنصائح فكان يقرؤها هو ويجيب عنها بما يختار ، فنتج [1] أمر التتار بذلك غاية النتاج ، وأخذ أمر الخليفة والمسلمين فى إدبار ! وكان تاج الدين بن صلايا نائب الخليفة بإربل حذر الخليفه وحرك عزمه ، والخليفة لا يتحرك ولا يستيقظ ، فلما تحقق الخليفة حركة التتار نحوه سير إليهم شرف الدين بن محيى الدين بن الجوزى رسولاً يعدهم بأموال عظيمة ثم سير مائة رجل إلى الدربند [2] يكونون فيه يطالعون الخليفة بالأخبار فمضوا فلم يطلع لهم خبر لأن الأكراد الذين كانوا هناك دلوا التتار عليهم فهجموا عليهم وقتلوهم أجمعين .

ثم ركب هولاكو بن تولى خان بن جنكز خان فى جيوشه من المغل والتتار

---

(١) فى لسان العرب « النتاج اسم يجمع وضع جميع البهائم قال بعضهم هو فى الناقة والفرس وهو فيما سوى ذلك نتج والأول أصح وقيل النتاج فى جميع الدواب والولاد فى الغنم وإذا ولى الرجل ناقة ماخضا ونتاجها حتى تضع قيل نتجها نتجا يقال نتجت الناقة أنتجها إذا وليت نتاجها فأنا ناتج وهى منتوجة ، وقال ابن حلزة :

لا تكسع الشول بأغبارها إنك

لا تدرى من الناتج

وقد قال الكميت بيتا فيه لفظ ليس بالمستفيض فى كلام العرب وهو قوله « لينتجوها فتنة بعد فتنة » والمعروف من الكلام لينتجوها التهذيب عن الليث لا يقال نتجت الشاة إلا أن يكون إنسان يلى نتاجها » .

(٢) لم أهتد لموضع بهذا الاسم نواحى بغداد ، ويبدو أن المراد الدار بند ، بمعنى دار الجند أو الأعلام و سد الماء .وفى اللسان البند « العلم الكبير . . . وجمعه بنود وليس له جمع أدنى عدد والبند كل علم من الأعلام وفى المحكم من أعلام الروم يكون للقائد يكون تحت كل علم عشرة آلاف رجل أو أقل أو أكثر وقال الهجيمى: البند علم الفرسان وأنشد للمفضل » جاءوا يجرون البنود جرا « قال النضر : سمى العلم الضخم واللواء الضخم البند ، والبند الذى يسكر من الماء » .

وقصدوا العراق ، وكان على مقدمته الأمير بايجونوين ، وفى جيشه خلق من أهل الكرخ الرافضة ومن عسكر بركة خان [(١)] ابن عم هولاكو ومدد من صاحب الموصل مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل ، فوصلوا قرب بغداد ، واقتتلوا من جهة البر الغربى عن دجلة ، فخرج عسكر بغداد وعليهم ركن الدين الدوادار ، فالتقوا على نحو مرحلتين [(٢)] من بغداد فانكسر البغداديون وأخذتهم السيوف وغرق بعضهم فى الماء وهرب الباقون .

ثم ساق بايجونوين مقدمة هولاكو ، فنزل القرية مقابل دار الخلافة وبينه وبينها دجلة لا غير .

وقصد هولاكو بغداد من البر الشرقى وضرب سورًا وخندقًا على عسكره وأحاط ببغداد ، فأشار الوزير ابن العلقمى على الخليفة المستعصم بالله بمصانعتهم . وقال له : أخرج إليهم أنا فى تقرير الصلح ، فخرج إليهم واجتمع بهولاكو وتوثق لنفسه ، ورد إلى الخليفة وقال : إن الملك قد رغب فى أن يزوج بنته بابنك الأمير أبى بكر ، ويبقيك على منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم فى سلطنته ، ولا يطلب إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية ، وينصرف هو عنك بجيوشه ، فتجيبه يا مولانا أمير المؤمنين لهذا فإن فيه حقن دماء المسلمين ويمكن أن تفعل بعد ذلك ما تريد ، والرأى أن تخرج إليه ، فسمع له الخليفة وخرج إليه فى جمع من الأعيان من أقاربه وحواشيه وغيرهم .

فلما توجه إلى هولاكو لم يجتمع به هولاكو وأنزل فى خيمة ، ثم ركب الوزير وعاد إلى بغداد بإذن هولاكو واستدعى الفقهاء والأعيان والأماثل ليحضروا عقد بنت هولاكو على ابن الخليفة ، فخرجوا من بغداد إلى هولاكو فأمر هولاكو بضرب أعناقهم ، ثم مد الجسر ودخل بايجونوين بمن معه إلى بغداد ، وبذلوا السيف فيها واستمر القتل والنهب والسبى فى بغداد بضعة وثلاثين يومًا فلم ينج منهم إلا من اختفى .

---

(١) دخل بعد ذلك بركة خان فى الإسلام ، وقاتل هولاكو ، و حرص سلطان مصر الظاهر بيبرس على محالفة الدولة الإسلامية المغولية ، فتبادل مع عاهلها « بركة خان » البعوث والهدايا (٦٦٠ هـ/ ١٢٦١ م- ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣م) ، كما تزوج ابنته ، وأمر بالدعاء له على منابر القاهرة والقدس ومكة والمدينة .

(٢) فى اللسان « المرحلة واحدة المراحل يقال بينى وبين كذا مرحلة أو مرحلتان والمرحلة المنزلة يرتحل منها وما بين المنزلين مرحلة » .

ثم أمر هولاكو بعدِّ القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسرًا .

وقال الذهبى - رحمه الله - فى تاريخ الإسلام : والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف .

ثم نودى بعد ذلك بالأمان فظهر من كان اختفى وهم قليل من كثير .

وأما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد وما اعتقد أن التتار يبذلون السيف مطلقًا فى أهل السنة والرافضة معًا وراح مع الطائفتين أيضًا أمم لا يحصون كثرة ، وذاق ابن العلقمى الهوان والذل من التتار ولم تطل أيامه بعد ذلك كما سيأتى ذكره .

ثم ضرب هولاكو عنق مقدم جيشه بايجونوين ؛ لأنه بلغه عنه من الوزير ابن العلقمى أنه كاتب الخليفة المستعصم لما كان بالجانب الغربى .

وأم الخليفة فيأتى ذكره فى الحوادث على عادة هذا الكتاب فى محله غير أننا نذكره هنا على سبيل الاستطراد .

ولما تم أمر هولاكو طلب الخليفة وقتله خنقًا . وقيل غم فى بساط وقيل جعله هو وولده فى عدلين [(١)] وأمر برفسهما حتى ماتا .

ثم قتل الأمير مجاهد الدين الدوادار والخادم إقبال الشرابى [(٢)] صاحب الرباط بحرم مكة والأستادار [(٣)] محيى الدين بن الجوزى وولداه وسائر الأمراء الأكابر والحجاب والأعيان .

---

(١) العدل : الكيل .

(٢) المختص بشراب الخليفة أو السلطان . وإذا كان من العامة يكون بائع الشراب فى الأسواق . يقول إبراهيم المعمار :

لثمت عذار محبوبى الشرابى حفظت الآنيسون كما سمعنا

فقال تركت لثم الخد عجبا ورحت تضيع الورد المربى

يراجع « ديوان جمال الدين المعمار » تحقيق ودراسة . رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير فى كلية الآداب بينها ١٩٩٦ ص ٢٠٦ .

(٣) عرف من قبل بأنه أستاذ دار الخلافة . والأستادار فى المملكة المصرية صار لها معنى آخر ففى صبح الأعشى « الأستادرية قال فى مسالك الأبصار وموضوعها التحدث فى أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذى يمشى بطلب السلطان ويحكم فى غلمانه وباب داره وإليه أمر الجاشنكيرية وإن كان كبيرهم نظيره فى الإمرة من ذوى المئين وله حديث مطلق =

وانقضت الخلافة من بغداد وزالت أيامهم من تلك البلاد وخربت بغداد الخراب العظيم وأحرقت كتب العلم التى كانت بها من سائر العلوم والفنون التى ما كانت فى الدنيا ، قيل : إنهم بنوا بها جسرًا من الطين والماء عوضًا عن الآجر وقيل غير ذلك .

وكانت كسرة الخليفة يوم عاشوراء من سنة ست وخمسين وستمائة المذكورة ، ونزل هولاكو بظاهر بغداد فى عاشر المحرم وبقى السيف يعمل فيها أربعة وثلاثين يومًا ، وآخر جمعة خطب الخطيب ببغداد كانت الخطبة : الحمد لله هدم بالموت مشيد الأعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار إلى أن قال : اللهم أجرنا فى مصيبتنا التى لم يصب الإسلام وأهله بمثلها وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم عمل الشعراء والعلماء قصائد فى مراثى بغداد وأهلها ، وعمل الشيخ تقى الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليسر شاكر بن عبد الله التنوخى قصيدته المشهورة وهى : البسيط

لسائل الدمع عن بغداد أخبار ... فما وقوفك والأحباب قد ساروا
يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا ... فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذى شرفت ... به المعالم قد عفاه إقفار
أضحى لعطف البلى فى ربعه أثر ... وللدموع على الآثار آثار
يا نار قلبى من نار لحرب وغى ... شبت عليه ووافى الربع إعصار
علا الصليب على أعلى منابرها ... وقام بالأمر من يحويه زنار

ومنها :

وكم بدور على البدرية انخسفت ... ولم يعد لبدور منه إبدار
وكم ذخائر أضحت وهى شائعة ... من النهاب وقد حازته كفار
وكم حدود أقيمت من سيوفهم ... على الرقاب وحطت فيه أوزار

ومنها :

وهم يساقون للموت الذى شهدوا ... النار يا رب من هذا ولا العار

---

= وتصرف تام فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك للمماليك وغيرهم وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة واحد مقدم ألف وثلاثة طبلخاناه وربما نقصوا عن ذلك » .

يا للرجال بأحداث تحدثنا بما غدا فيه إعذار وإنذار
من بعد أسر بنى العباس كلهم فلا أنار لوجه الصبح إسفار
ما راق لى قط شيء بعد بينهم إلا أحاديث أرويها وآثار
لم يبق للدين والدنيا وقد ذهبوا سوق لمجد وقد بانوا وقد باروا
إن القيامة فى بغداد قد وجدت وحدها حين للإقبال إدبار
آل النبى وأهل العلم قد سبيوا فمن ترى بعدهم تحويه أمصار
ما كنت آمل أن أبقى وقد ذهبوا لكن أبى دون ما أختار أقدار

وهى أطول من ذلك . وجملة القصيدة ستة وستون بيتًا .

وقال غيره فى فقد الخلافة من بغداد بيتًا مفردًا وأجاد : الكامل

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

# من ( عقد الجُمان فى تاريخ أهل الزمان )
# لبدر الدين العينى

## فصل فيما وقع من الحوادث
## فى السنة السادسة والخمسين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، وفيها فتنٌ ومصائب ، وأعظمُها قتل الخليفة المستعصم بالله ، وانقراض الخلافة العباسيّة من بغداد ، واستيلاء هلاوُن على بغداد ، وفساد التتار فى البلاد ، ووقوع الحرب بين بنى أيوب وبين المماليك البحرية ، وبين الشامية والمصريّة ، على ما نذكره مفصّلاً .

**ذكر أخذ هلاون بن طلوخان بن جنكزخان مدينة بغداد وقتله الخليفة المستعصم بالله :**

وفى أول هذه السنة قصد هلاون بعساكر التتار بغداد ، وسار إليها فنازلها ، وكان معه من المقدّمين الأكابر ، كُوكك نُوين ، وألكان نُوين ، وكتبغا نُوين ، وقدغان نُوين ، وهَلاجوُ نُوين ، ومَركديْه نُوين ، وصُغُون حاق ، ومن الملوك داود ملك الكرج بجيشه ، وأرسل إلى بَيْجوُ يستدعيه ليشهد هو ومن معه المُحَاصَرة ويستكثرهم فى المُحَاصَرة ، فلما وصل إليه الرسول أزمع التأخير واستشار الأمراء الذين معه فى ذلك ، وهم : أرسلان جوبان ، وصرمون نُوين ، وانْكراث ، فأبوا إلا التوجُّه إلى هلاون ، فاضطرّه الأمر إلى المسير إليه ، إلا أنه أرسل يخبر هلاون بأنّ جمّعا كثيرًا من القراسلية (1) والأكراد والياروقية قد جمعوا لهم فى الطرقات ، ومقدمهم شرف الدين بن بلاش ، وأنهم أخذوا عليهم المضيق ، وسدُّوا دونهم الطريق ، ولا سبيل لهم إلى الخروج [٣٩١] من حدود ديار بكر ، وقصد بَيْجُو بذلك المدافعة ؛ إذ لم يجدْ سبيلا إلى الممانعة ، فجهز هَلاَوُنْ تُومانين (2) من

(*) يوافق أولها الثلاثاء ٨ يناير ١٢٥٨ م .

(1) « القرى تليه » فى نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٨٠ .

(2) « تمانين » فى نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٨٠ .

التوامين الذى صحبته ، أحدهما : مقدّمه قَدَغان ، والآخر : كَتْبُغا نُوين ليفتحا الطرقات لهم ، ويُزيحا عنها الأكراد وغيرهم ، وفى أثناء ذلك أَتَقع الأكراد [1] والقراسُل وقعة عظيمةً ، وجفل [2] منهم أهل أرزنجان ، وتحصّنوا بجبل أرْزُن سُور ، فلما وصل التتار إلى أرزنجان تسلّموها ، وحاصروا كماخ [3] ، وكسروا الأكراد ، وَسَبْوا منهم وقتلوا ، وأقام قَدغَان وكتبغا حتى وصل إليهم بَيْجوُ ومن معه بالجانب الغربى من بغداد ، وهلاون ومن معه بالجانب الشرقى ، وحاصروا بغداد أشدَّ الحصار .

ولما أحاطوا بها ، وخيّموا حولها ، خرج إليهم عسكرها بَعدد وعُددَه ، وحشده ومدده ، صحبة مجاهد الدين أيبك الدودار الصغير [4] ، وكان له شأن عظيم ، وقدر جسيم ، وكان مقدّما على عشرة آلاف فارس ، فندبه الخليفة لقتال التتار ، وكان فى مقدمتهم صُغُون حاق بتُمانه ، فلما التقى المسلمون معهم كانت الكسرة على التتار ، فولّوا الأدبار ، وتبعهم الدوادار ، سحابة ذلك النهار ، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وجمعًا غفيرًا .

وحجز بينهم الليل ، فكفّت المسلمون الذين مُعتقدين أنهم قد استظهروا ، ولأعدائهم قهروا ، فلما أصبحوا لم يشعروا إلا وقد تراجع التتار إليهم ، وحملوا عليهم ، فكسروهم وهزموهم ، لأن أكثرهم كان قد تسّلل فى الليل إلى المدينة مُوقنا بالنصرة .

فلما تمت هذه الكسرة ، ولّى المنهزمون ليرجعوا إلى بغداد ، فحال بينهم وبينها

---

= والنومان أو الطومان : فرقة عسكرية يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل - السلوك ج ١ ص ٩٣٣ هامش [١] .

(١) « أوقع بالأكراد » فى نهاية ج ٢٧ ص ٣٨٠ ، وهو تحريف .
والمقصود وقوع معركة بين الأكراد والفراسل - انظر ماسبق .

(٢) « وجعل » فى نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٨٠ ، وهو تحريف .

(٣) « كماج » فى نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٢٨١ .

(٤) « الدوادار الكبير » فى الأصل والتصحيح مما يلى ص ١٧٥ ، وانظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٨١ هامش [١] .

بَثْقٌ انبثق فى تلك الليلة ، وساحت منه مياه دجلة ، وشملت الطُرُق والمسالك ، وأدركت العسكر ، فأغرقت بعضهم هنالك .

وقتل التتار مجاهد الدين أيبك الدوادار وولده أسد الدين ، وكان مقدّما على خمسة آلاف فارس ، وسليمان بن بَرْجَم [1] أمير علم الخليفة ، وجماعة من الأمراء البغاددة ، وأعيان العسكر ، وأسروا خلقًا .

وأما هؤلاء الثلاثة فإنهم حملوا رءوسهم [٣٩٢] إلى الموصل ، ونصبوها على باب المدينة ترهيبًا لصاحبها ، وتخويفًا لأهلها .

وارتاع الخليفة أشَدّ ارتياع ، وأخذت أسبابُه فى الانقطاع ، وأصبح لا يدرى ، وإن كان حازمًا أقدَّامه خير أم وراءهُ ، وأغلقت أبواب مدينة بغداد ، فأحاط بها التتار وضايقوها بالحصار ، فافتتحوها عنوة ، ودخلوها غدوة فى العشرين من محرم هذه السنة ، فبذلوا فى أهلها المناصل ، وأوردوهم من حياض الموت أمرّ المناهل ، وأكثروا الأيامى واليتامى والأرامل ، ولم يرحموا شيخًا كبيرًا ، ولا طفلاً صغيرًا [2] .

وفى تاريخ النويرى : وكان سبب ذلك أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمى كان رافضيًا ، وكان أهل الكرخ روافض [3] فجرت فتنة بين السنة والشيعة ببغداد على جارى عادتهم فى السنة الماضية ، فأمر أبو بكر [4] بن الخليفة وركن الدين الدوادار العساكر ، فنهبوا الكرخ ، وهتكوا النساء ، وركبوا فيهن الفواحش ، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى ، وكاتب التتار وأطمعهم فى مُلك بغداد ، وكان عسكر بغداد مبلغ مائة ألف فارس ، فقطعهم المستعصم ليحمل إلى التتار متحصل

---

(١) « ابن ترجم » فى نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٨٢ ، وهو تحريف .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٨٠ - ٣٨٢ .

(٣) « كان شيعيًا ، والشيعة يسكنون بالكرخ ، وهى محلة مشهورة بالجانب الغربى من بغداد » - نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٣٢٤ .

(٤) « فأمر الخليفة » فى نهاية الأرب .

إقطاعاتهم ، وبقى عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس ، وأرسل ابن العلقمى إلى التتار [أخاه] [1] يَستَدْعيهم ، فساروا قاصدين بغداد فجرى ما جرى [2] .

وقال ابن كثير فى تاريخه : وأحاطت التتار بدار الخلافة ، يرشُقونها بالنشاب [3] من كل جانب ، حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدى الخليفة وتضحكه ، وكانت من جملة الحظايا ، وكانت مولدة تسمى عرفة ، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهى ترقص بين يدى الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك [وفزع فزعًا [4] ] شديدًا ، وأحضر السهم الذى أصابها بين يديه ، فإذا عليه مكتوب : « إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره [5] سلب ذوى العقول [6] عقولهم » ، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت الستائر على دار الخلافة [7] ، وكان قدم هلاون بجنوده كلها ، وكانوا نحو من مائتى ألف مقاتل فى ثانى عشر المحرم من هذه (٣٩٣) السنة ، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان ما تقدم من الأمر الذى قدره الله وقضاه ، وهو أن هلاون لما كان أول بروزه من همدان متوجهًا إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يُريده من قصد بلادهم ، فخذل الخليفة عن ذلك دواداره أيبك وغيره ، وقالوا : إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليهم من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير ، فأرسل شيئًا من الهدايا ، فاحتقره هلاون ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دواداره المذكور وسليمان شاه ، فلم يبعثهما إليه ، ولا بالى به حتى أزف قدومه ، ووصل إلى بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة ، فجرى ما جرى [8] .

---

(١) [ ] إضافة من المختصر ج ٣ ص ١٩٤ ، للتوضيح .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٣٢٤ .

(٣) « بالنبال » فى البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٠ .

(٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٥) « وقدرته » فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية .

(٦) « أذهب من ذوى العقول » فى البداية والنهاية .

(٧) « وكثرة الستائر عن دار الخلافة » فى الأصل والتصحيح من البداية والنهاية .

(٨) انظر البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

## ذكر خروج الخليفة إلى هلاون وقتله :

ولما غلب التتار على بغداد ، كان أول من برز إلى هلاون الوزير مُؤيدّ الدين بن العلقمى ، فخرج فى أهله وأصحابه ، فاجتمع بهلاون ، ثم عاد ، فأشار على الخليفة بالخروج إليه وبالمثول بين يديه ، لتقع المصالحة ، على أن يكون نصف الخراج من أرض العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج فى سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورءوس الأمراء والدولة والأعيان ، ولما اقتربوا من منزل هلاون حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسا ، فخلص الخليفة بهؤلاء ، وأنزل الباقون عن مراكيبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدى هلاون ، فسأله عن أشياء كثيرة ، وقيل : إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفى صحبته خواجا نصير الدين الطوسى والوزير مؤيد الدين بن العلقمى وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب و الحلى والمصاغ والجوهر والأشياء النفيسة .

وقد أشار أولئك الملاعين الرافضة وغيرهم من المنافقين على هلاون أنْ لا يُصالح الخليفة . وقال الوزير : ولو وقع الصلح على المناصفة لا يستمر [٣٩٤] هذا إلا عامًا أو عامين ، ثم يعودُ الأمر على ما كان عليه قبل ذلك ، وحَسّنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى هلاون أمر بقتله .

ويقال : إن الذى أشار بقتله الوزير بن العلقمى ونصير الدين الطُوسىّ ، وكان النصير عند هلاون حظيًا قد استصحبه فى خدمته لما فتح قلعة الموت وانتزعها من أيدى الإسماعيلية ، وكان النصير وزير شمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا ينتسبون إلى نزار بن المستنصر العُبَيْدى ، وانتخب هلاون النصير يكون فى خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هلاون تهيّب قتل الخليفة ، فهوّنَ عليه قتلَه الوزير والنصير ، فقتلوه رَفْسًا وهو فى جَوْلق لِئلا يقع على الأرض شىءٌ من دمه ، خافوا أن يؤخذ [١] بثأره فيما قيل لهم . وقيل : بل خُنِق . وقيل : بل غُرِق [٢] .

---

(١) « أن لا يؤاخذوا » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من البداية والنهاية .

(٢) انظر البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠١ .

## ذكر ترجمة الخليفة المستعصم بالله :

والكلام فيه على أنواع :

الأول فى بيان اسمه ونسبه : هو أمير المؤمنين أبو أحمد عبد الله[1] بن أمير المؤمنين المستنصر بالله أبى جعفر منصور بن أمير المؤمنين الظاهر بالله أبى نصر أحمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله أبى محمد الحسن بن أمير المؤمنين المستنجد بالله أبى المظفر يوسف ابن أمير المؤمنين المقتفى [٤١٢] لأمر الله أبى عبد الله محمد بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبى القاسم عبد الله بن الأمير الذخرة أبى العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد ابن الأمير الموفق أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله أبى الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبى إسحاق محمد بن أمير المؤمنين الرشيد أبى محمد هارون بن المهدى أبى عبد الله محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم العباسى الهاشمى ، آخر خلفاء بنى العباس بالعراق ، وأمه أم ولد تدعى هاجر ، ولد ضاحى نهار السبت حادى عشر شوال سنة تسع وستمائة ، وبويع له بالخلافة فى العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة .

الثانى فى سريرته وسيرته : كان حسن الصورة ، جيِّد السيرة ، صحيح السريرة ، مقتفيًا بأبيه المستنصر بالله فى المعدلة وكثرة الصلاة والصدقات وإكرام العلماء والعباد ، وقد استجاز من الحافظ بن النجار ، فأجاز له ، وكذلك أجاز له جماعة من مشايخ خراسان منهم : المؤيد الطوسى ، وأبو روح عبد العزيز بن محمد الهروى ، وأبو بكر بن الصغار وغيرهم ، وحدث عنه جماعة منهم : مؤدبه شيخ

---

(١) وانظر ترجمته أيضًا فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ١٦ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٣ ، ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٢٥٣ وما بعدها ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧٠ ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٤ وما بعدها ، نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٣٢٢ وما بعدها ، الجوهر الثمين ص ١٧٥ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٨ ص ٣٦ - ٣٧ .

الشيوخ صدر الدين أبو الحسن على بن محمد بن النيار ، وأجاز هو للإمام محيى الدين بن الجوزى ، وللشيخ نجم الدين البادرائى ، وحدثنا عنه بهذه الإجازة ، وقد كان سنيًا على طريقة السلف واعتقاد الجماعة كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ وضعف رأى ومحبة للمال وجمعه ، ومن جملة ذلك أنه أغل الوديعة التى استودعها إياه الناصر داود بن الملك المعظم ، وكانت قيمتها نحوا من مائة ألف دينار ، فاستقبح هذا من الخليفة وأمثاله .

الثالث فى مقتله : قد ذكرنا أن التتار قتلوه مظلومًا شهيدًا ، وقتل معه ولده وأسر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه ، وشغر منصب الخلافة بعده ، ولم يبق فى بنى العباس من سد مسده ، فكان آخر الخلفاء من بنى العباس الحاكمين بالعدل بين الناس ، ومن يرتجى منهم [٤١٣] النوال ، ويخشى منهم البأس ، وختموا بعبد الله المستعصم ، كما افتتحوا بعبد الله السفاح .

وكانت عدة الخلفاء من بنى العباس إلى المستعصم بالله سبعة وثلاثين خليفة ، وكان أولهم عبد الله السفاح ، بويع له بالخلافة وظهر ملكه وأمره فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، بعد انقضاء دولة بنى أمية ، كما تقدم بيانه ، وآخرهم عبد الله المستعصم ، وقد زال ملكه وانقضت خلافته فى هذا العام ، أعنى سنة ست وخمسين وستمائة ، فجملة أيامهم خمسمائة سنة وأربع و عشرون سنة ، وزالت يدهم [١] عن العراق والحكم بالكلية مدّة سنة وشهور فى أيام البساسيرى [٢] بعد الخمسين والأربعمائة ، ثم عادت كما كانت ، وقد بسطنا ذلك فى موضعه فى أيام القائم بأمر الله .

ولم تكن أيدى بنى العباس حاكمة على جميع البلاد ، كما كانت بنو أمية قاهرة جميع البلاد والأقطار والأمصار ، فإنه قد خرج عن بنى العباس بلاد المغرب ، ملكها فى أوائل الأمر بعض بنى أمية ممن بقى منهم من ذرية عبد الرحمن بن معاوية

---

(١) « وزال ملكهم » فى البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٥ .

(٢) هو أرسلان بن عبد الله البساسيرى ، أبو الحارث ، مقدم الأتراك ببغداد ، الذى خرج على الخليفة العباسى القائم وخطب الخليفة الفاطمى المستنصر بالله - صاحب مصر - حتى قتله عسكر السلطان السلجوقى طغول بك فى ذى الحجة سنة ٤٥١ هـ / يناير ١٠٦٠ م - وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٢ رقم ٨١ .

ابن هشام بن عبد الملك ، ثم تغلب عليه الملوك بعد دهور متطاولة كما ذكرنا ، وقارن بنى العباس دولة جماعة [1] من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب وما هنالك وبلاد الشام فى بعض الأحيان والحرمين فى أزمان طويلة ، واستمرت دولة الفاطميين قريبا من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد [2] الذى مات بعد الستين وخمسمائة فى الدولة الصلاحية الناصرية الأيوبية كما ذكرنا .

وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكًا ، أولهم المهدى وآخرهم العاضد ، ومدة ملكهم تحريرًا من سنة تسع وتسعين ومائتين إلى خمسمائة وخمسة وستين ، فتكون مائتى سنة وست وستين سنة ، وكان مقامهم بمصر مائتى سنة وثمانى سنين .

والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمن رسول الله ﷺ كانت ثلاثين سنة ، كما نطق بها الحديث الصحيح ، فكان فيها أبو بكر وعمر[٤١٤] وعثمان وعلى - رضى الله عنهم - ثم ابنه الحسن بن على - رضى الله عنهما - ستة أشهر حتى كملت بها الثلاثون ، كما قررنا فى دلائل النبوة [3] ، ثم كانت ملكًا ، فكان أول ملوك الإسلام معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية ، ثم ابنه يزيد ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ، وانقرض هذا البطن المفتتح بمعاوية المختتم بمعاوية ، ثم ملك مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ثم ابنه عبد الملك ، ثم الوليد بن عبد الملك ، ثم أخوه سليمان ، ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن زيد بن الوليد ثم أخوه إبراهيم الناقص وهو ابن الوليد أيضًا ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار ، وكان آخرهم فكان أولهم اسمه مروان ، وأخرهم اسمه مروان ، وكان أول خلفاء بنى العباس السفاح واسمه عبد الله ، وكان آخرهم المستعصم بالله واسمه عبد الله ، وكذلك كان أول خلفاء الفاطميين اسمه

---

(١) « دولة المدعين أنهم » - فى البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٥ .

(٢) هو عبد الله بن يوسف ، الخليفة الفاطمى العاضد بن الحافظ ، المتوفى فى المحرم سنة ٥٦٧ هـ / سبتمبر ١١٧١ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٠٩ رقم ٣٥٤ .

(٣) ينقل العينى عن البداية والنهاية قول ابن كثير - ج ١٣ ص ٢٠٦ .

عبد الله المهدى ، وآخرهم عبد الله العاضد ، وهذا اتفاق غريب جدًا قل من يتنبه له [1] .

وقال القاضى بن واصل : واتفق فى بنى العباس اتفاق عجيب وهو أن كل سادس منهم مخلوع أو مقتول ، فأول من ولى السَّفاح ، ثم أخوه المنصور ، ثم ابنه المهدى ، ثم ابنه الهادى ، ثم أخوه الرشيد ، ثم ابنه الأمين وهو سادس خليفة خلع ، ثم قتل ، ثم ولى أخوه المأمون ، ثم أخوه المعتصم ، ثم ابنه الواثق ، ثم أخوه المتوكل ، ثم ابنه المنتصر ، ثم المستعين بالله وهو سادس خلفائهم ، فخلع وقتل ، ثم ولى ابن عمه المعتز ، ثم عمه المهتدى ، ثم ابن عمه المعتمد ، ثم ابن أخيه المعتضد ثم ابنه المستكفى ، ثم أخوه المقتدر وهو سادس خليفة ، خلع مرتين وقتل ، ثم ولى أخوه القاهر ، ثم ابن أخيه الراضى ، ثم ابن أخيه المتقى ، ثم ابن عمه المستكفى ، ثم ابن عمه المطيع ، ثم ابنه الطائع سادس خليفة ، فخلع ثم ولى ابن عمه القادر ، ثم ابنه المقتدر ، ثم ابن ابنه المقتدى ، ثم ابنه المستظهر ثم ابنه المسترشد ، ثم ابنه الراشد وهو سادس خليفة فخلع وقتل ، ثم ولى [٤١٥] عمه المقتفى ، ثم ابنه المستنجد ، ثم ابنه المستضىء ، ثم ابنه الناصر ، ثم ابنه الطاهر ، ثم ابنه المستنصر وهو سادس خليفة ، فحكى وجيه الدين بن سويد وجماعة أنه فصد بمبضع مسموم فمات ، وقتل التتار ابنه المستعصم بالله وهو آخرهم .

وحكى أنه لما ولد على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنهم - أتاه على بن أبى طالب رضى الله عنه مُهَنِّيًا وحنكه ودعا له ورده إليه وقال :

خــذ إلــيــك أبــا الأمــلاك    سميته عليا وكنيته أبا الحسن

وقال ابن واصل : لقد أخبرنى من أثق به أنه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته : أن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء بنى أمية عنه أنه يقول : إن الخلافة ستصير إلى ولده ، فأمر الأموى بعلى بن عبد الله فحمل على جمل ، فطيف به وضرب ، وكان يقال عند ضربه : هذا جزاء من يفترى ، ويقول : إن الخلافة ستكون فى ولده ، وكان على بن عبد الله يقول : إى والله

---

(١) إلى هنا ينتهى مانقله العينى عن ابن كثير فى هذا الموضوع - البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

لتكونن الخلافة فى ولدى ، ولا يزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان ، ويملكهم ، هم الصغار العيون ، والعراض الوجوه ، وينتزعونها منهم ، فوقع مصداق ذلك ، وهو ورود هلاون وإزالته ملك بنى العباس [١] .

وكان على هذا مفرطا فى الطول حتى كان إذا طاف [٢] كأنه راكب والناس يمشون ، وكان إلى منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب .

هذه أرجوزة لبعض الفضلاء نظمها وذكر فيها جميع الخلفاء ، وهى هذه الأبيات :

| | |
|---|---|
| الحمد لله العظيم عرشه | القاهر الفَرْدِ القوى بَطْشهُ |
| مقلب الأيام والدهور | وجامع الأنام للنشور |
| ثم الصلاة بدوام الأبد | على النبى المصطفى محمد |
| وآله وصحبه الكرام | السادة الأئمة الأعلام |
| وبعد هذا هذه أرجوزة [٣] | نظمتها لطيفة وجيزة |
| نظمت فيها الراشدين الخلفا | من قام بعد النبى المصطفى |
| ومن تلاهم وَهُلَّم جرا | جعلتها تبصرةً وذكرا |
| ليعلم العاقل ذو التصوير | كيف جرت حوادث الأمور |
| وكل ذى مقدرة ومُلك | مُعرضًون للفناء والهُلك |
| وفى اختلاف الليل والنهار | تبصرة لكل ذى اعتبار |
| والمُلك [٤] للجبار فى بلاده | يورثه من شاء من عباده |
| وكل مخلوق فللفناء | وكلُّ مُلك فإلى انتهاءِ |

(١) انظر المختصر ج ٣ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) « حتى إذا كان طاف » فى الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

(٣) « وبعد فإن هذه أرجوزة » فى البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٦ .

(٤) « الملك الجبار » فى البداية والنهاية .

ولا يدوم غير ملك البارى سبحانه من ملك قهار
منفرد بالعزِّ والبقاءِ وما سواه فإلى انقضاءِ
أول من بُويع بالخلافة بعد النبى ابن أبى قحافة
أعنى الإمام العادل [١] الصديقا ثم ارتضى من بعده الفاروقا
ففتح البلاد والأمصارا واستأصلت سيوفه الكفارا
وقام بالعدل قياما يُرضي بذلك جبَّار السماء والأرض
ورضى الناس بذى النورين ثم على والد السِّبْطيْنِ
ثم أتت كتائبٌ مع الحسن كادوا بأن يجِدّوا بها الفتن
فأصلح الله على يديه كما عزا نبِّينا إليه
وأجمع [٢] الناس على معاوية ونقل القصة كل راوية
فمهَّد الملك كما يريد وقام فيه بعده يزيد
ثم ابنه وكان برًا راشدا أعنى أبا ليلى وكان زاهدًا
فترك الإمرة لا عن غَلَبَةَ ولم يكن منه إليها طِلْبه [٣]
وابن الزُبير بالحجاز يدْأبُ فى طلب الملك وفيه يَنْصِبُ
وبالشام بايعوا مروانا بحكم من يقول كن فكانا
فلَم يدُم فى الملك غير عَام وعافصته أسهم الحمام
واستوسق [٤] الملك لعبد الملك وثار [٥] نجم سعده فى الفلك
وكل من نازعه فى الملك خَرَّ صريعًا بسيوف الهُلكِ
فقتِل [٦] المصعب بالعراق وسيَّر الحجاجُ ذا الشقاق
إلى الحجاز بسُيُوف النِقَم وابن الزبير لائذ بالحرم

---

(١) « الهادى » فى البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٧ .

(٢) « وجمع » فى البداية النهاية .

(٣) « ولم يكن إليها منه طلبه » فى البداية والنهاية .

(٤) « واستوثق » فى البداية والنهاية .

(٥) « ونار » فى البداية والنهاية .

(٦) « وقتل » فى البداية النهاية .

فجاء [١] بعد قتله فصَلبه ... ولم يخف فى أمره من ربه

وعندما صفت له الأمورُ ... تقلبت لحينِه [٢] الدهور

ثم أتى من بعده الوليد ... ثم سليمان الفتى الرشيدُ

ثم استفاض فى الورى عذْل عمر ... تابع أمر ربه كما أَمَرْ

وكان يدعى بأشج القوم ... وذى الصلاة والتُّقى والصوم

فجاء بالعدل والإحسان [٣] ... وكفّ أهل الظلم والطغيان

مقتديًا بسنة الرسول ... والراشدين من ذوى العقول

فجُرِّعَ الإسلام كأس فقده ... ولم يَرَوْا مثلا له [٤] من بعده

ثم يزيد بعده هشام ... ثم الوليد فُتّ منه الهام

ثم يزيد وهو يُدعى ناقِصًا [٥] ... فجاءه حمامه مُعَافِصًا

ولم يصل مذه إبراهيما ... وكان كل أمره سقيما

وأُسْنِدَ الملك إلى مروانا ... فكان من أموره ما كانا

وانقرض الملك على يديه ... وحادث الدهر سَطَا عليه

وقتلُه قد كان بالصعيد ... ولم تفده كثرة العديد

وكان فيه حتف آل الحكم ... واستُنزِعت عنهم ضروب النعم

ثم أتى ملكُ بنى العباس ... لا زال فينا ثابت الأساس

وجاءت البيعة [٦] من أرض العجم ... وقلدت بيعتهم كل الأمم

فكل [٧] من نازعهم من الأمم [٨] ... خرَّ صريعا لليدين والفم

وقد ذكرت من تولى منهم ... حتى تولى القائم المستعصم

---

(١) « فجار » فى البداية والنهاية .

(٢) « بجسمه » فى البداية والنهاية .

(٣) « والإحسان » فى البداية والنهاية .

(٤) « له مثلا له » فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية .

(٥) « الناقصا » فى البداية والنهاية .

(٦) « الشيعة » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٨ .

(٧) « وكل » فى البداية والنهاية .

(٨) « عن أمم » فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية .

أولـهـم يُـنْـعـت بـالـسـفَّـاح وبعده المنصور ذو الجناح

ثـم أتـى من بـعـده الـمـهـدي يتلوه موسى الهادى الصَفِيّ

وجـاء هـارون الرشـيـد بـعـده ثم الأمين حين ذاق بُعْدَه [١]

وقـام بـعـد قـتـلـه الـمـأمـون وبعده المعتصم المسكين [٢]

واسْتُخْلِفَ الواثق بعد المعتصم ثم أخوه جعفر مُوفٍ كريم [٣]

وأخلص النية فى التوكل [٤] لله ذى العرش القديم الأوّل

فأدحض الباطل [٥] فى زمانه وقـامـت الـسـنـةُ فـى أوانـه

ولـم يُـبَـقِّ بـدعـة [٦] مـضـلـة وألـبـس الـمـعـتـزلـى ذلّـه

فـرحـمـة الله عـلـيـه أبـدًا ما غار نجم فى السماءِ وبدا [٧]

وعندما اسْتُشْهد قام المنتصر والمستعين بعده كما ذكر [٨]

وجـاء بـعـد مـوتـه الـمـعـتـز والمهتدى المكرّمُ [٩] الأعز

وبعده استولى وقام المعتمد ومهّد الملك وساس المعتضد

والمكتفى فى صحف العَلْياء سُطِر وبعده ساس الأمور المقتدر [١٠]

واسْتُوسِق [١١] الملك بعزّ القاهر وبعده الراضى أخو المفاخر

---

(١) « فقده » فى البداية والنهاية .

(٢) « المكين » فى البداية والنهاية .

(٣) « موفى الذمم » فى البداية والنهاية ، وجعفر هو المتوكل على الله .

(٤) « المتوكل » فى البداية والنهاية ، وهو تحريف .

(٥) « البدعة » فى البداية والنهاية .

(٦) « ولم يبق فيها بدعة » فى البداية والنهاية .

(٧) « أوبدا » فى البداية والنهاية .

(٨) يوجد اختلاف فى الترتيب فى البداية والنهاية ، فبدال من هذا البيت يوجد البيت الذى أوله « وبعده استولى وقام المعمد » – وهو لا يتفق وترتيب تولية الخلفاء العباسيين – انظر تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ – ١٣ .

(٩) « الملتزم » فى البداية والنهاية .

(١٠) « فى صحف العلا أسطر » فى البداية والنهاية .

(١١) « واستوثق » فى البداية والنهاية .

والمتقى من بعد والمستكفى [(١)] ثم المطيع ما به من خلف
والطائع الطائع ، ثم القادر القائم الزاهد وهو الشاكر
والمقتدى من بعده المستظهر ثم أتى المسترشِدُ الموقر
وبعده الراشد ، ثم المقتفي وحين مات استنجدوا بيوسف
والمستضىء [(٢)] العادل فى أفعاله الصادق المصدوق [(٣)] فى أقواله
والناصر الشهم الشديد البأس ودام طول مكثه فى الناس
ثم تلاه الظاهر الكريم وعَدْلُه كلٌ به عليم
ولم تطل أيامُه فى المملكة غير شهورٍ واعترضته [(٤)] الهلكه
وعهده كان إلى المستنصر العادل البر الكريم المغتفر [(٥)]
دام يسوس الناس سبع عشرة وأشهرا بعزمات بره
ثم توفى عام أربعينا وفى جُمادى صادف المنونا
وبايع الخلائق المستعصما صلى عليه ربنا وسلما
يبعث نجب الرل فى الآفاق [(٦)] يقضون بالبيعة والوفاق
وشرفوا بذكره المنابرا ونشروا من جوده المفاخرا
وسار فى الآفاق حسن سيرته وعدله الزائد فى رعيته

تمت الأرجوزة :

وقال ابن كثير رحمه الله : وقلت أنا بعد ذلك :

ثم ابتلاه الله بعد [(٧)] بالتتار أتباع جنكز الخان [(٨)] الجبار

---

(١) « من بعد ذا المستكفى » فى البداية والنهاية .

(٢) « المستضى » فى البداية والنهاية .

(٣) « الصدوق » فى البداية والنهاية . ج ١٣ ص ٢٠٩ .

(٤) « واعترته » فى البداية والنهاية .

(٥) « الكريم - العنصر » فى البداية والنهاية .

(٦) « فأرسل الرسل إلى الآفاق » فى البداية والنهاية ج ١٣ ص ٤٠٩ .

(٧) « بعد » ساقط من البداية والنهاية .

(٨) « جنكز خان » فى البداية والنهاية .

صحبة ابن ابن له [١] هُلاَكو فلم يكن من أسره [٢] فكاك
فمزقوا جنوده وشمله وقتلوه نفسه وأهله
ودمروا بغداد والبلادا وقتلوا الأجناد والأولادا [٣]
وانتهبوا المال مع الحريم ولم يخافوا سطوة العظيم
وغرهم إنظارُه وحُلْمُه وما اقتضاه عَدْله وحكمه [٤]

## فصل فيما وقع من الحوادث
## فى السنة السابعة والخمسين بعد الستمائة [*]

استهلت هذه السنة ، وليس للمسلمين خليفة ، والفتن قائمة ، وبنو جنكزخان قد أظهروا الفساد ، وأهلكوا العباد ، وأخربوا البلاد .

وسلطان الديار المصرية : الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز أيبك التركمانى ، ونائبه ومدبر مملكته الأمير سيف الدين قُطزُ .

وصاحب دمشق وحلب وغيرهما : السلطان الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، والحرب قائمة بينه وبين المصريين ، ولكنه رجع عن ذلك لكثرة الأراجيف بقصد التتار الديار الشامية ، حتى أن هلاون أرسل إلى الناصر المذكور يستدعيه إليه ، فأرسل الناصر ولده العزيز ، وهو صغير ، ومعه هدايا كثيرة وتحف سنية ، فلم يحتفل به هلاون ، وغضب على ابنه ؛ إذ لم يقدم إليه أبوه ، وقال : أنا الذى أسير إلى بلاده بنفسى ، فانزعج الناصر لذلك ، وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ، ليُحصنهم بها ، وخاف أهل دمشق خوفًا شديدًا حين بلغهم أن التتار قد قطعوا

(١) « ابن إبنه » فى البداية والنهاية .

(٢) « أمره » فى البداية والنهاية .

(٣) « وقتلوا الأحفاد والأجداد » فى البداية والنهاية .

(٤) لهذه الأرجوزة بقية فى البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(*) يوافق أولها الأحد ٢٩ ديسمبر ١٢٥٨ م .

الفرات ، وصار منهم [1] جماعة كثيرة إلى الديار المصرية فى زمن الشتاء ، ومات كثير منهن ، ونُهِبَ آخرون .

---

(1) « وسار كثير منهم » - السلوك ج ١ ص ٤١٦ .

# من كتاب (تاريخ الخلفاء) للسيوطى

## المستعصم بالله أبو أحمد

المستعصم بالله : أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله ، آخر الخلفاء العراقيين .

ولد سنة تسع وستمائة ، وأمه أم ولد اسمها هاجر ، وبويع له بالخلافة عند موت أبيه ، وأجاز له على يد ابن النجار المؤيد الطوسى وأبو روح الهروى وجماعة ، وروى عنه بالإجازة جماعة : منهم النجم البادرائى ، والشرف الدمياطى ، وخرج له الدمياطى أربعين حديثا رأيتها بخطه ، وكان كريما ، حليما ، سليم الباطن ، حسن الديانة .

قال الشيخ قطب الدين : كان متدينا ، متمسكا بالسنة كأبيه وجده ، ولكنه لم يكن مثلهما فى التيقظ والحزم وعلو الهمة ، وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجى يزيد عليه فى الشجاعة والشهامة ، وكان يقول : إن ملكنى الله الأمر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون ، وأنتزع البلاد من التتار وأستأصلهم ، فلما توفى المستنصر لم ير الدويدار والشرابى والكبار تقليد الخفاجى الأمر ، وخافوا منه ، وآثروا المستعصم للينه وانقياده ؛ ليكون لهم الأمْرُ ؛ فأقاموه ، ثم ركن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين العَلْقَمِيِّ الرافضى ، فأهلك الحرث والنسل ، ولعب بالخليفة كيف أراد ، وباطنَ التتار ، وناصحهم ، وأطمعهم فى المجيء إلى العراق ، وأخْذِ بغداد ، وقطع الدولة العباسية ؛ ليقيم خليفة من آل على ، وصار إذا جاء خبر منهم كتمه عن الخليفة ، ويطالع بأخبار الخليفة التتار إلى أن حصل ما حصل .

وفى سنة سبع وأربعين من أيامه أخذت الفرنج دمياط ، والسلطانُ الملك الصالح مريض ، فمات ليلة نصف شعبان ، فأخفت جاريته أم خليل المسماة « شجرة الدُّرِّ » موتَه ، وأرسلت إلى ولده توران شاه الملك المعظم ، فحضر ، ثم لم يلبث أن قُتِلَ فى المحرَّم سنة ثمان وأربعين وستمائة . وَثَبَ عليه غلمان أبيه فقتلوه ، وأمَّرُوا عليهم جارية أبيه « شجرة الدر » ، وحلف لها الأتراك ولنائبها عز

الدين أيبك التركماني ، فشرعت « شجرة الدر » في الخِلَع للأمراء والأعطيات .

ثم استقلَّ عز الدين بالسلطنة في ربيع الآخر ، ولقب « الملك المعز » ثم تنصل منها ، وحلف العسكر للملك الأشرف بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الكامل ، وله ثمانُ سنين ، وبقى عز الدين أتابِكَهُ ، وخُطِبَ لهما ، وضربت السكة باسمهما .

وفي هذه السنة - أعنى سنة ثمان - استُرِدَّتْ دمياط من الفرنج .

وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة ظهرت نارٌ في أرض عدن ، وكان يطيرُ شَرَرُها في الليل إلى البَحْر ، ويصعد منها دخان عظيم في النهار .

وفيها أبطل المعز اسم الملك الأشرف ، واستقلَّ بالسلطنة .

وفي سنة أربع وخمسين ظهرت النار بالمدينة النبوية .

قال أبو شامة : جاءنا كتُبٌ من المدينة فيها : لما كانت ليلة الأربعاء ، ثالث جمادى الآخرة ظهر بالمدينة دَوِيٌّ عظيم ، ثم زلزلة عظيمة ، فكانت ساعة بعد ساعة إلى خامس الشهر ، فظهرت نار عظيمة في الْحَرَّة قريبًا من قُرَيْظَةَ ، نُبْصِرُها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وسالت أودية منها إلى وادى شطا سَيْلَ الماء ، وطلعنا نبصرها ، فإذا الجبال تسيل نارًا ، وسارت هكذا وهكذا بين نيران كأنها الجبال ، وطار منها شرر كالقَصْر إلى أن أبصر ضوؤها من مكة ومن الفلاة جميعهما ، واجتمع الناس كلهم إلى القبر الشريف مستغفرين تائبين ، واستمرَّت هكذا أكثر من شهر .

قال الذهبي : أمرُ هذه النار متواتر ، وهي مما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث قال : « لا تقومُ الساعة حتى تخرُجَ نارٌ من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناق الإبل ببُصْرَى » [1] . وقد حكى غيرُ واحد ممن كان ببصرى في الليل ورأى أعناق الإبل في ضوئها .

وفي سنة خمس وخمسين وستمائة مات المعز أيبك سلطان مصر ، قتلته زوجته « شجرة الدر » ، وسَلْطَنوا بعده ولده الملك المنصور على هذا ، والتتار جائلون في

---

(١) بصرى - بضم فسكون - بأرض الشام ، وفيها رأى بحيرا الراهب رسول الله ﷺ ، وهو مع عمه أبي طالب في تجارة قريش .

البلاد ، وشرهم متزايد ، ونارهم تستعر ، والخليفة والناس فى غفلة عما يراد بهم ، والوزير العلقمى حريص على إزالة الدولة العباسية ونَقْلها إلى العلوية ، والرسُلُ فى السرِّ بينه وبين التتار ، والمستعصم تائه فى لذاته ، لا يطلع على الأمور ، ولا له غرض فى المصلحة .

وكان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جدًّا ، وكان مع ذلك يصانع التتار ويهادنهم ويرضيهم ؛ فلما استخلف المستعصم كان خليا من الرَّأى والتدبير ، فأشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند ، وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل به المقصود ، ففعل ذلك .

ثم إن الوزير كاتَبَ التتار ، وأطمعهم فى البلاد ، وسَهَّلَ عليهم ذلك ، وطلب أن يكون نائبهم ، فوعَدوه بذلك ، وتأهَّبوا لقصد بغداد .

## شرح حال التتار ملخصًا

قال الموفق عبد اللطيف فى خبر التتار : هو حديث يأكل الأحاديث ، وخبر يطوى الأخبار ، وتاريخ يُنْسِى التواريخ ، ونازلة تُصَغِّرُ كل نازلة ، وفادحة تطبق الأرض ، وتملؤها ما بين الطول والعرض ، وهذه الأمة لغتهم مَشُوبة بلغة الهند ؛ لأنهم فى جوارهم ، وبينهم وبين مكة أربعة أشهر ، وهم بالنسبة إلى الترك عِراض الوجوه ، واسعو الصدور ، خِفاف الأعجاز ، صغار الأطراف ، سُمْر الألوان ، سريعو الحركة فى الجسم والرأى ، تصل إليهم أخبار الأمم ، ولا تصل أخبارهم إلى الأمم ، وقلما يقدر جاسوس أن يتمكن منهم ؛ لأن الغريب لا يتشبه بهم ، وإذا أرادوا جِهَةً كتموا أمرهم ، ونهضوا دفعة واحدة ، فلا يعلم بهم أهلُ بلد حتى يدخلوه ، ولا عسكر حتى يخالطوه ، فلهذا تفسد على الناس وجوه الحيل ، وتضيق طُرُق الهرب ، ونساؤهم يقاتلن كرجالهم ، والغالب على سلاحهم النُّشَّاب ، وأكلهم أيُّ لحم وجد ، وليس فى قتلهم استثناء ولا إبقاء ، يقتلون الرجال والنساء والأطفال ، وكأن قصدهم إفناء النوع ، وإبادة العالم ، لا قَصْد الملك والمال .

وقال غيره : أرض التتار بأطراف بلاد الصين ، وهم سكان برارى ، ومشهورون بالشرِّ والغدر .

وسبب ظهورهم أن إقليم الصين متسع ، دَوْرُه ستة أشهر ، وهو ستُّ ممالك ،

ولهم ملك حاكم على الممالك الستّ ، هو القان الأكبر المقيم بطمغاج ، وهو كالخليفة للمسلمين .

وكان سلطان إحدى الممالك الستّ - وهو « دوش خان » - قد تزوّج بعمة جنكزخان ، فحضر زائرًا لعمته ، وقد مات زوجها . وكان قد حضر مع جنكزخان كشلوخان ، فأعلمتهما أن الملك لم يخلف ولدًا ، وأشارت على ابن أخيها أن يقوم مقامه ، فقام ، وانضمَّ إليه خلقٌ من المغُولِ . ثم سير التقادم إلى القان الأكبر ، فاستشاط غيظًا ، وأمر بقطع أذناب الخيل التى أهديت ، وطردها ، وقتل الرسل ؛ لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك ، إنما هم بادية الصين ، فلما سمع جنكزخان وصاحبه كشلوخان تحالفا على التعاضد وأظهرا الخلاف للقان ، وأتتهما أمم كثيرة من التتار ، وعلم القانُ قوتهم وشرهم فأرسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك أنه ينذرهم ويهددهم ، فلم يغن ذلك شيئًا ، ثم قصدهم وقصدُوه ، فوقع بينهم مَلحمةٌ عظيمةٌ ، فكسروا القان الأعظم ، وملكوا بلاده ، واستفحل شرُّهم ، واستمرَّ الملك بين جنكز خان وكشلوخان على المشاركة .

ثم سارا إلى بلاد شاقون من نواحى الصين فملكاها ، فمات كشلوخان ، فقامَ مقامهُ ولدُه ، فاستضعفه جنكزخان ، فوثبَ عليه وظفرَ به ، واستقلّ جنكزخان ، ودانت له التتار ، وانقادت له ، واعتقدوا فيه الإلهيّة ، وبالغوا فى طاعته .

ثم كان أوّل خروجهم فى سنة ست وستمائة من بلادهم إلى نواحى الترك وفَرْغَانة ، فأرسل خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان الذى أباد الملوك وأخذ الممالك ، وعزم على قصد الخليفة ، فلم يتهيأ له كما تقدم ، فأمر أهل فرغانة والشاش وكاسان وتلك البلاد النزهة العامرة بالجلاء والجفلى إلى سمرقند وغيرها ، ثم خربها جميعًا خوفًا من التتار أن يملكوها ؛ لعلمه أنه لا طاقة له بهم .

ثم صارت التتار يتخطفون ويتنقلون إلى سنة خمس عشرة ، فأرسل فيها جنكزخان إلى السلطان خوارزم شاه رسلا وهدايا ، وقال الرسول : إن القان الأعظم يسلم عليك ويقولُ لك : ليس يخفى على عظم شأنك ، وما بلغت من سلطانك ونفوذ حكمك على الأقاليم ، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندى مثل أعز أولادى ، وغير خاف عنك أننى تملكت الصين ، وأنت أخبر الناس ببلادِى ، وأنها مثارَاتُ العساكر والخيول ، ومعادنِ الذهب والفضة ، وفيها كفاية

عن غيرها ، فإن رأيت أن تعقد بيننا المودة ، وتأمر التجار بالسفر لتعلم المصلحتين فعلت ، فأجابه خوارزم شاه إلى مُلْتَمَسه ، وبشر جنكز خان بذلك ، واستمرَّ الحال على المهادنة إلى أن وصل من بلاده تجار .

وكان خال خوارزم شاه ينوب على بلاد ما وراء النهر ، ومعه عشرون ألف فارس ، فشَرِهَتْ نفسه إلى أموال التجار ، وكاتب السلطان يقول : إن هؤلاء القوم قد جاءوا بِزِيِّ التجار ، وما قصدهم إلا التجسسَ ، فإن أذنت لى فيهم ، فأذن له بالاحتياط عليهم ، فقبض عليهم وأخذ أموالهم ، فوردت رسل جنكزخان إلى خوارزم شاه تقول : إنك أعطيت أمانك التجار فغدرت ، والغدر قبيح ، وهو من سلطان الإسلام أقبح ، فإن زعمت أن الذى فعله خالك بغير أمرك فسلمه إلينا ، وإلا سوف تشاهد منى ما تعرفنى به ، فحصل عند خوارزم شاه من الرعب ما خامر عقله ، فتجلد ، وأمر بقتل الرسُلِ ، فقتلوا .

فيالها من حركة لما أهدرت من دماء المسلمين وأجرت بكل نقطة سيلا من الدم .

ثم سار جنكزخان إليه ، فانجفل خوارزم شاه عن جيحون إلى نيسابور . ثم ساق إلى برج همذان رعباً من التتار ، فأحدق به العدو ، فقتلوا كل مَنْ معهُ ، ونجا هو بنفسه ، فخاض الماء إلى جزيرة ، ولحقته علة ذات الجَنْبِ ، فمات بها وحيدًا فريدًا ، وكفن فى شاش فراش كان معه ، وذلك فى سنة سبع عشرة ، وملكوا جميع مملكة خوارزم شاه .

قال سبط ابن الجوزى : كان أوَّل ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة ، فأخذوا بخارى وسمرقند ، وقتلوا أهلها ، وحاصروا خوارزم شاه . ثم بعد ذلك عَبَروا النهر ، وكان خوارزم شاه قد أباد الملوك من مدن خراسان فلم تجد التتار أحدًا فى وجههم ، فطاروا فى البلاد قتلا وسبيا ، وساقوا إلى أن وصلوا إلى همذان وقزوين فى هذه السنة .

وقال ابن الأثير فى كامله : حادثة التتار من الحوادث العظمى ؛ والمصائب الكبرى ، التى عقمت الدهور عن مثلها ، عمت الخلائق ، وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها .

ومن أعظم ما يذكرون فعل بختنصر ببنى إسرائيل بالبيت المقدس ، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرَّب هؤلاء الملاعين من مدن الإسلام ؟ وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى ما قتلوا ؟ .

فهذه الحادثة التى استطارَ شرُّها ، وعمَّ ضرَرُها ، وسارَتْ فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح ، فإن قومًا خرجوا من أطراف الصين ، فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاد شاغرق ثم منها إلى بخارى وسمرقند فيملكونها ، ويبيدون أهلها ، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان ، فيفرغون منها هلكا وتخريبًا وقتلا وإبادة ، وإلى الرَّىِّ وهمذان إلى حدِّ العراق ؛ ثم يقصدون آذربيجان ونواحيها ، ويخرِّبونها ، ويستبيحونها فى أقل من سنة - أمْرٌ لم يُسْمَعْ بمثله ؛ ثم ساروا من آذربيجان إلى دربند شروان ، فملكوا مُدُنَها وعَبَرُوا من عندها إلى بلاد اللان ، واللكز ، فقتلوا وأسرُوا ، ثم قصدوا بلاد قفجاق ، وهم أكثر من الترك عددًا ، فقتلوا مَنْ وَقف ، وهرب الباقون ، واستولى التتار عليها .

ومضت طائفة أخرى غير هؤلاء إلى غزنةَ وأعمالها ، وسجستان ، وكرمان ، ففعلوا مثل هؤلاء ، بل أشد .

هذا لم يطرق الأَسْمَاعَ مثلُه ، فإن الإسكندر الذى ملك الدنيا لم يملكها فى هذه السرعة ، وإنما ملكها فى نحو عشر سنين ، ولم يقتل أحدًا ، وإنما رضى بالطاعة ، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه وأعمره فى نحو سنة ، ولم يبق أحد فى البلاد التى لم يطرقوها إلا وهو خائف يترقَّبُ وصولَهم إليه .

ثم إنهم لم يحتاجوا إلى مِيرة ، ومَدَدُهم يأتيهم ، فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها ، لا غير .

وأما خيلهم فإنها تحفر الأرض بحوافرها ، وتأكل عروق النبات ، ولا تعرف الشعير .

وأما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يُحَرِّمُونَ شيئًا ، ويأكلون جميع الدوابِّ ، وبنى آدم ، ولا يعرفون نكاحًا بل المرأة يأتيها غيرُ واحد .

ولما دخلت سنة ست وخمسين وصل التتار إلى بغداد ، وهم مائتا ألف ، ويقدمهم هولاكو ، فخرج إليهم عسكر الخليفة ، فهزم العسكر .

ودخلوا بغداد يوم عاشوراء ، فأشار الوزير- لعنه الله !- على المستعصم

بمصانعتهم وقال : أخرج إليهم أنا فى تقرير الصلح ، فخرج وتوثق بنفسه منهم ، وورد إلى الخليفة ، وقال : إن الملك قد رغبَ فى أن يزوِّج ابنته بابنك الأمين أبى بكر ويبقيك فى منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم فى سلطنته ، ولا يريد إلا أن تكون الطاعة كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية ، وينصرف عنك بجيوشه ، فلْيُجِبْ مولانا إلى هذا فإن فيه حَقْنَ دماء المسلمين ، ويمكن بعد ذلك أن تفعلَ ما تريد . والرَّأيُ أن تخرج إليه ، فخرج إليه فى جمع من الأعيان ، فأنزل فى خيمة .

ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد ، فخرجوا من بغداد ، فضربت أعناقهم ، وصار كذلك : تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم ، حتى قتل جميع مَنْ هُناك من العلماء والأمراء والحجاب والكبار .

ثم مُدَّ الجسر ، وبذل السيف فى بغداد ، واستمرَّ القتال فيها نحو أربعين يومًا ، فبلغ القتلى أكثر من ألف ألف نسمة ، ولم يسلم إلا من اختفى فى بئر أو قناة ، وقتل الخليفة رفسًا .

قال الذهبى : وما أظنه دفن ، وقتل معه جماعة من أولاده ، وأعمامه ، وأسر بعضهم ، وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها ، ولم يتم للوزير ما أراد ، وذاق من التتار الذل والهوان ، ولم تطل أيامه بعد ذلك ، وعملت الشعراء قصائد فى مراثى بغداد وأهلها ، وتمثل بقول سبط التعاويذى :

بادت وأهلوها مَعًا فبيوتهم ... ببقاء مولانا الوزير خَرَابُ

وقال بعضهم :

يا عصبة الإسلام نُوحِى وانْدُبِى ... حزنا على ما تم للمستعصم

دَسْتُ الوزارة كان قبل زمانه ... لابن الفرات فصار لابن العلقمى

وكان آخر خطبة خطبت ببغداد . قال الخطيب فى أولها : الحمد لله الذى هدم بالموت مُشَيَّدَ الأعمار ، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار ، هذا والسيف قائم بها .

ولتقى الدين بن أبى اليسر قصيدة مشهورة فى بغداد ، وهى هذه :

لسائل الدمع عن بغداد أَخْبَارُ ... فما وقوفك والأحباب قد ساروا

يا زائرين إلى الزوراء لا تَفِدُوا ... فما بذاك الحمى والدار دَيَّارُ

تاج الخلافة والربع الذى شَرُفَتْ | به المعالم قد عَفَّاه إقفار
أضحى لعصْف البِلى فى ربعه أثر | وللدموع على الآثار آثار
يا نار قلبيَ من نار لحرب وَغىً | شبت عليه ووافى الربعَ إعصار
علا الصليبُ على أعلى منابرها | وقام بالأمر من يَحْويه زُنَّارُ
وكم حريم سبته الترك غاصبةً؟ | وكان من دون ذاك الستر أستار
وكم بدور على البدرية انخسفت؟ | ولم يعد لبدور منه إبدار
وكم ذخائر أضحت وهى شائعة؟ | من النهاب وقد حازته كفار
وكم حدود أقيمت من سيوفهم؟ | على الرقاب وحُطَّتْ فيه أوزار
ناديت والسَّبْىُ مهتوك تجربهم | إلى السِّفَاح من الأعداء دُعَّارُ

ولما فرِغ هولاكو من قتل الخليفة وأهل بغداد ، وأقام على العراق نُوَّابه ، وكان ابن العلقمى حَسَّنَ لهم أن يقيموا خليفة علويا ، فلم يوافقوه واطَّرَحوه ، وصار معهم فى صورة بعض الغلمان ، ومات كمدا - لا رحمه الله ، ولا عفا عنه !-

ثم أرسل هولاكو إلى الناصر صاحب دمشق كتابا صورته : يعلم السلطان الملك الناصر- طال بقاؤه ! - أنه لما توجهنا إلى العراق وخرج إلينا جنودهم ، فقتلناهم بسيف الله ، ثم خرج إلينا رؤساء البلد ومُقَدَّموها ؛ فكان قصارى كلامهم سببا لهلاك نفوس تستحق الإهلاك ، وأما ما كان من صاحب البلدة فإنه خرج إلى خدمتنا ، ودخل تحت عبوديتنا ، فسألناه عن أشياء كَذَبَنَا فيها ، فاستحق الإعدام ، وكان كذبه ظاهرا ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، أجب ملك البسيطة ولا تقولن : قِلاَعى المانعات ، ورجالى المقاتلات ، وقد بلغنا أن شذرة من العسكر الْتَجَأت إليك هاربة ، وإلى جنابك لائذة :

أين المفر ولا مفر لهارب | ولنا البسيطان الثرى والماء

فساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماءها أرضا ، وطولها عرضا ، والسلام .

ثم أرسل له كتابا ثانيا يقول فيه : خدمة ملك ناصر - طال عمره ! - أما بعد ؛ فإنا فتحنا بغداد ، واستأصلنا ملكها وملكها ، وكان قد ظن - وقد فتن بالأموال ، ولم ينافس فى الرجال - أن ملكه يبقى على ذلك الحال ، وقد علا ذكره ونمى

قدره ، فخسف في الكمال بدره :

إذا تم أمر بدا نَقْصُه توقع زوالا إذا قيل تم

ونحن في طلب الازدياد ، على ممر الآباد ؛ فلا تكن كالذين نَسُوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأَبْدِ ما فى نفسك : إما إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان ، أجب دعوة ملك البسيطة تأمن شره ، وتَنَلْ بره ، واسع إليه بأموالك ورجالك ، ولا تعوق رسلنا ، والسلام .

ثم أرسل إليه كتابًا ثالثًا يقول فيه : أما بعد ؛ فنحن جنود الله ، بنا ينتقم ممن عتا وتجبر ، وطغى وتكبر ، وبأمر الله ما ائتمر ، إن عوتب تنمر ، وإن روجع استمر ، ونحن قد أهلكنا البلاد ، وأبَدْنا العباد ، وقتلنا النسوان والأولاد ، فيا أيها الباقون ، أنتم بمن مضى لاحقون ، ويا أيها الغافلون ، أنتم إليهم تساقون ، و نحن جيوش الهَلَكَةَ ، لا جيوش الملكة ، مقصودنا الانتقام ، ومُلْكُنا لا يرام ، ونزيلنا لا يُضَام ، وعدلنا فى ملكنا قد اشتهر ، ومن سيوفنا أين المفر :

أين المفر ولا مفر لهارب ولنا البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الأسودُ ، وأصبحت فى قبضتى الأمراء والخلفاء

ونحن إليكم صائرون ، ولكم الهرب ، وعلينا الطلب :

ستعلم ليلى أى دين تداينت؟ وأى غريم بالتقاضى غريمها ؟

دمرنا البلاد ، وأيتمنا الأولاد ، وأهلكنا العباد ، وأذقناهم العذاب ، وجعلنا عظيمهم صغيرا ، وأميرهم أسيرا ، تحسبون أنكم منا ناجون أو متخلصون ، وعن قليل سوف تعلمون على ما تقدمون ، وقد أعْذَر من أنذر .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين والدنيا بلا خليفة .

وفيها نزل التتار على آمد ، وكان صاحب مصر المنصور على بن المعز صبيا ، وأتابكه الأمير سيف الدين قُطز المعزى مملوك أبيه ، وقدم الصاحب كمال الدين بن العديم إليهم رسولا يطلب النجدة على التتار ؛ فجمع قُطُز الأمراء والأعيان ، فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام- وكان المشار إليه فى الكلام - فقال الشيخ عز الدين : إذا طرق العدو البلاد وَجَبَ على العالم كلهم قتالهم ، وجاز أن يؤخذ من

الرعية ما يستعان به على جهازهم ، بشرط أن لا يبقى فى بيت المال شىء ، وأن تبيعوا ما لكم من الحوائص والآلات ، ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ، وتتساووا فى ذلك أنتم والعامة ، وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا . ثم بعد أيام يسيرة قبض قُطُز على ابن أستاذه المنصور ، وقال : هذا صبى ، والوقت صعب ، ولا بد من أن يقوم رجل شجاع ينتصب للجهاد ، وتسلطن قُطُز ولقب بـ « الملك المظفر » .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ، والوقْتُ أيضًا بلا خليفة .

وفيها قطع التتار الفرات ، ووصلوا إلى حلب ، وبذلوا السيف فيها ، ثم وصلوا إلى دمشق وخرج المصريون فى شعبان متوجهين إلى الشام لقتال التتار ، فأقبل المظفر بالجيوش وشاليشه ركن الدين بيبرس البندقدارى ، فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ، ووقع المصاف ، وذلك يوم الجمعة خامس عشر رمضان ، فهزم التتار شر هزيمة ، وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وقتل من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم ، وجاء كتاب المظفر إلى دمشق بالنصر ، فطار الناس فرحًا ، ثم دخل المظفر إلى دمشق مؤيدًا منصورًا ، وأحبه الخلق غاية المحبة .

# أوراق بغداد

## ( القسم الثانى )

# ديوان بغداد

جمع وتحقيق

د. محمود فؤاد

# مقدمة التحقيق

اعتمد مصنفو الكتب الأدبية والمجاميع الشعرية فى تراثنا العربى محاور عدة يجمعون الشعر الذى يدور حولها فى مصنفاتهم ومجاميعهم؛ فهم يجمعون شعر الفرد أو القبيلة أو الطبقة الفنية أو الفئة الاجتماعية أو العصر أو المكان أو الغرض ، لكننا لا نجد فى مجاميعهم ومصنفاتهم من اتخذ مدينة محورا مضمونيا لمجموعه .

حقا نجد كتبا كثيرة تقوم على المحور المكانى للتصنيف مثل « شعراء البصرة » ، و« شعراء الأندلس » ، و« شعراء أصبهان » ، و« شعراء خراسان » ، و« شعراء بغداد » وغيرها ، لكن هذه المصنفات تعتمد المكان محورا ينتمى إليه شعراؤها ، لا مجالا دلاليا يبدع فيه هؤلاء الشعراء .

وكان نتيجة هذا الفهم أن انصرفت أذهان الباحثين إلى مفهوم مؤداه أن شعر المدينة فى أدبنا العربى حديث ، ظهر نتيجة تأثرنا بالأدب الغربى ، وربما يكون الجزء الأخير صحيحا ، أما أن يكون شعر المدينة حديث فى أدبنا العربى فهذا غير صحيح .

لقد تأثر الشاعر العربى بمدينته ، ونظم فيها مادحا ومتشوقا ومعاتبا ومتذمرا ، بل وهاجيا فى بعض الأحايين ، كما كان الشاعر يرثى مدينته إن ألمت بها نائبة تماما كما يرثى بعض أهله وأصدقائه .

لقد ارتسمت للمدينة العربية صورا عديدة فى تراثنا الشعرى مازال علينا أن نحاول استيضاح معالمها ، رغم أنها قد تخالف صورة المدينة التى ألفناها فى الشعر المعاصر ، فقد كانت المدينة العربية القديمة أكثر إنسانية وأخف وطأة على من يعيش فيها من المدينة الحديثة التى تشبه آلة ضروسا تطحن الإنسان المعاصر .

وشعر المدن فى تراثنا الشعرى كثير ، فالأشعار التى قيلت فى مكة والمدينة المنورة والقدس والقاهرة ودمشق وحلب والقيروان وغيرها لا يقع تحت حصر ، ويمكن للباحثين أن يجمعوا منها مادة صالحة لكل مدينة ، فيصير لكل مدينة ديوانها الشعرى الخاص بها .

واليوم نقدم للقارئ العزيز ديوان بغداد مجموعا ، بغداد التى كانت مركز ثقل الحضارة التى أبدعها الإنسان المسلم لقرون عديدة قبل أن ينتقل هذا الثقل إلى القاهرة . لقد عاشت بغداد أزهى لحظات التاريخ العربى والإسلامى ، كما عانت من أشد لحظاته قتامة وقسوة . وهى الآن تعانى من أبشع هجوم فى التاريخ بكل ما يمتلك المهاجم من أحدث أسلحة العصر فى بداية موجة جديدة من عهود الاحتلال لمنطقتنا العربية التى نست دروس الماضى ، فلم تستعد للمستقبل .

### منهج العمل فى هذا الديوان :

تتبعنا فى هذا الكتاب الأشعار التى قيلت فى مدينة بغداد من خلال كتب التاريخ والجغرافيا والمعاجم وكتب الأدب والمجاميع الشعرية ودواوين الشعراء .

وكانت هناك صعوبة شديدة فى تكوين هذا الديوان ، فقد تجمعت لنا من النصوص كثرة هائلة ، ويكفى على سبيل المثال أن نعرض عليك أمثلة من النصوص التى ورد فيها ذكر مدينة بغداد فى مجموعة من الكتب التى رجعنا إليها ليتخيل القارئ الكريم المشقة التى وقع فيها الباحث :

ورد ذكرها فى كتاب « البداية والنهاية » ٥٧٦ مرة ، وورد فى كتاب « تاريخ بغداد » ٢٧٦٦ مرة ، وورد فى كتاب « ذيل تاريخ بغداد » ٩٣٠ مرة ، وورد فى كتاب « السلوك فى معرفة دول الملوك » ١٥١ مرة ، وورد فى كتاب « الأغانى » ١٥٦ مرة ، وورد فى كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ٢١٧ مرة ، وورد فى كتاب « المستطرف من كل فن مستظرف » ٣٣ مرة ، وورد فى كتاب « البيان والتبيين » ٦ مرات ، وورد فى كتاب « لسان العرب » ٣١ مرة ، وورد فى كتاب « معجم البلدان » ٦٢٩ مرة ، وورد فى كتاب « معجم ما استعجم » ١٩ مرة ، وورد فى كتاب « سير أعلام النبلاء » ٦٥٥ مرة ، وورد فى « ديوان الشريف الرضى » ١٩ مرة ، وورد فى « ديوان أبو نواس » ٧ مرات ، وورد فى « ديوان ابن الرومى » ٢١ مرة ، وورد فى « ديوان البحترى » ١٩ مرة ، وورد فى « ديوان السرى الرفاء » ٨ مرات ، وورد فى « ديوان ابن التعاويذى » ١٥ مرة ، وورد فى « كتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب » ٢٩ مرة ، وورد فى « ديوان الأخرس » ٥٣ مرة ، وورد فى ديوان « معروف الرصافى » ٤٩ مرة .

هذا عن عدد النصوص التى ذكرت فيها بغداد صراحة باللفظ ، أما النصوص التى ذكر فيها لفظ آخر مما يدل عليها أو على جزء منها كالرصافة والكرخ وقصر عيسى ونهر عيسى ونهر الدجاج والطاق وغيرها فحدث ولا حرج . فإذا صرف القارئ وجهه إلى غير هذه الكتب من المراجع تبين إلى أى مدى كانت المشقة فى جمع نصوص هذا الديوان .

وبعد إيراد النصوص المختارة كان علينا أن نضبط ألفاظها وخصوصا أن كثيرا من الكتب والدواوين التى رجعنا إليها وأخذنا منها مادة هذا المجموع قديمة سنة الطبع ، وربما كانت غفلا من التشكيل ، وربما أغفل بعض محققيها ضبط أغلب كلماتها ، ثقة منهم بتعود القارئ على النفس الشعرى لناظم الديوان ، وألفتهم لأسلوبه ، فلم يثقلوا ألفاظ النصوص بالضبط ، لكن الحال فى هذا المجموع من دواوين شتى غير الحال فى قصائد ديوان واحد ، لذا حاولنا ضبط ألفاظ القصائد ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . كما كنا نقارن بين الروايات المختلفة للنص إذا جاء فى أكثر من موضع ، ونثبت ذلك فى حاشية الصفحة ، هذا إذا كانت المصادر التى أخذنا منها النص الشعرى مصادر غير أساسية فى الأدب ككتب التاريخ والبلدان وغيرها ، أما إذا كان النص مأخوذا من ديوان الشاعر ، فلم نكن نشير إلى الاختلافات التى ورد بها النص فى مراجع أخرى ، كى لا نثقل حاشية الكتاب بتفاصيل ربما يكون القارئ فى غنى عنها .

كما عمدنا إلى توضيح معانى بعض ألفاظ القصائد التى رأينا أنها تحتاج إلى توضيح ، وتركنا من الألفاظ المعجمية ما تكفل النص بتوضيحه .

وقدمنا لناظم القصيدة بترجمة متواضعة راعينا فيها دوران اسم صاحب الترجمة فى أذهان القراء المصريين ، فكلما كان دوران اسم العلم أكثر بخلد القراء كلما قلت مساحة الترجمة المخصصة له ، وتزيد المساحة إذا شعرنا بقلة ذكر اسم العلم فى أجهزة الإعلام .

كما وضعنا عنوانا للقصيدة بحيث يكون دالا عليها - أو كذلك أردنا - وإن لم يكن العنوان موجودا بالفعل فى المصدر الذى أخذنا النص منه .

بقى لنا أن نشير إلى المعايير التى حكمت عملية اختيار القصائد ، **فقد كان منها أن يكون ذكر المكان مؤثرا فى بنيته محركا له** ، فأكثر النصوص التى ورد فيها ذكر

المدينة - والتى سبق ذكر نماذج من أعداد ورودها فى بعض المصادر - إنما جاء عرضا ، أو لإثبات معنى غير دال على المدينة ، ومثال ذلك قول ابن الحداد الأندلسى فى ديوانه :

وما كَيَمِينَيْهِ الفُرَاتُ وَدِجْلَةٌ وإنْ حَكَمُوا أَنَّ المَزِيَّةَ بَغْدَانُ

فليس هذا البيت دالا على بغداد التى ذكرها هنا بلفظ بغدان - أحد صور اسمها - ولا الحديث عن دجلة أو الفرات ، وإنما الحديث عن شخص آخر يفضله فى كرمه على ما عداه ، وإن كان المفضل عليه الفرات ودجلة وبغداد . ومن ثم أضربنا عن ذكر مثل هذه النصوص ، وأضرابها كثير .

**والمعيار الآخر الذى كان يحكمنا هو رشاقة النص وحيويته ،** فهناك أرجوزة لابن المعتز يبلغ عدد أبياتها أربعمائة وخمسين بيتا يتردد فيها ذكر بغداد وما طرأ عليها من الحكام وما اعتورها من أحداث الزمن ، لكننا لم نوردها فى هذا الديوان المجموع بين يدى القارئ الكريم لما غلب على تلك الأرجوزة من المباشرة والسرد المعروفين فى النظم التعليمى ، أو على حد تعبير القدماء لما بتلك الأرجوزة من قلة ماء الشعر .

**والمعيار الثالث هو المعيار الخلقى** فلا نورد فى مجموعنا ما يخدش حياء أو يسفل فى اللفظ ، وثمت أشعار فى كتب الأدب عن مغامرات ماجنة فى بغداد أضربنا عنها صفحا لسفل لفظها ، وفجاجة صورها ، ليس ذلك لأننا نرى أن حق هذا الأدب التجاهل والإنكار ، فهو كأى غرض فنى يستحق الدرس والتحليل ، وقد وجد بمدينة بغداد كما وجد فى أغلب المدن الأخرى التى شاهدت بعض ما لبغداد من ثراء وترف ، ولكننا غضضنا الطرف عن هذا الضرب من النظم لأننا نقصد بهذا الكتاب أن يكون فى يد كل مصرى وعربى من كل الأعمار ، أما الأمثلة الأخرى فلها مواضعها ومراجعها فى مكتبتنا العربية يعود إليها الدارسون ، وقتما يشاءون .

**والمعيار الرابع الذى وضعناه أمام أعيننا ألا نورد فى مجموعنا مفاضلة أو مفاخرة بين مدينة وأخرى** وهو ضرب من الكتابة شغل به أدباؤنا شعرا ونظما ، لئلا يخرجنا هذا الضرب من المفاخرات عن قصدنا الذى صرفنا هممنا إليه ، أما القصيدة التى فى الديوان المجموع بين بغداد وسر من رأى فليس من باب المفاخرة بقدر ما هى من قبيل المبالغة فى مدح مدينة سر من رأى ، وبين المفاضلة والمدح فرق واضح .

أما المعيار الأخير الذى حكم عملية اختيار النصوص فكان المعيار الزمنى ، حيث أردنا لنصوص الكتاب أن تكون ممثلة للمدى الزمنى الذى تغطيه سلسلة الذخائر ، وإن اضطررنا إلى التوسع قليلا لتمتد النصوص فى هذا الديوان لتشمل قصائد لأعلام النهضة الحديثة مثل أحمد شوقى وعلى الجارم ، والزهاوى والرصافى وغيرهم ، حتى يصل المشهد الشعرى الذى تستعرضه قصائد المجموع إلى منتصف القرن العشرين .

وجدير بالذكر أن المرحلة الزمنية اللاحقة شهدت ثراء واضحا فى القصائد التى تناولت بغداد ، خصوصا وأن الوعى الوطنى قد نما بشكل حاد خلال هذه الفترة ليحل محل الانتماء للموطن الذى نراه فى الشعر القديم ، وبعد تزايد الإحساس بالظلم نتيجة تعمق الوعى سواء أكان الظلم خارجيا من قسوة الظروف التى فرضت على بغداد العراق من حصار وتجويع ، أو داخليا من قسوة الحكم الشمولى الذى عانته ، نتيجة غياب معنى الديمقراطية الحقيقية والعدالة الاجتماعية ، فظهر الشعر العراقى فى المنفى وهو يعد عنصرا هاما لتفهم المشهد الشعرى العراقى المعاصر ، كما شهدت الأيام المأساوية الأخيرة زخما شعريا هائلا ، حيث لم يجد الشعب العراقى الأعزل ، ومعه بقية الشعوب العربية ، سوى الكلمات يواجهون بها أعتى أسلحة العصر الحديث ، فخرجت قصائد ملتهبة حاولنا جمعها فى مجموع منفصل ، ربما تقدمه إحدى سلاسل الهيئة قريبا إن شاء الله .

# قافية الهمزة

## أمواج دجلة

قال السّرى الرفاء [1] يصف زيادة الماء ببغداد وانقطاع الجسر به :

[الطويل]

أُحَذِّرُكُمْ أمواجَ دجلةَ ،إذ غدَتْ    مُصَنْدَلَةً بالمَدِّ أمواجُ مائِها [2]

وظلَّتْ صِغارُ السُّفن ترقُصُ وسطَها    كَرَقْصِ بَنَاتِ الزِّنجِ عندَ انتشائِها

فكَمْ من غريقٍ قد رأيتُ رِداءَهُ    يَجُولُ مجالَ الطِّرْفِ فوقَ رِدائِها

وما أنسَ من يَوْمٍ ذَممتُ صنيعَه    فما أنسَ يَوْمى واقفاً بفِنائِها

وقد عصفَتْ بالجِسْرِ ريحٌ فأقبلتْ    سفائِنُهُ تَعوَجُّ بعدَ استوائِها

فمن مُهجَةٍ تَرتاعُ عندَ انخفاضِها    وسبَّابَةٍ تهتزُّ عندَ اعتلائِها

تُفرّقُها هُوجُ الرِّيَاحِ ، وتَعتلي    رُبى الموجِ من قُدَّامِها وورائِها

فهنَّ كدُهْمِ الخيلِ جَالتْ صفوفُها    وقد نشَرتَها روعةٌ من ورائِها

ودجلةُ كَذْراءُ الأديمِ سفيهةٌ    تعافُ سجايا حَملِها وصفائِها

كأنَّ صنوفَ الطَّيرِ عاذَتْ بأرضِها    وقد سامَها ضَيْماً أُسودُ سمائِها

أو السَّبَجَ المسوَدَّ حُلَّتْ عقودُه    عَلَى تُربةٍ محمرَّةٍ من فَضائِها [3]

---

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى الموصلى . مدح سيف الدولة ، والوزير المهلبى . وكان بينه وبين الخالديين هجاء وشر ، فآذياه ، حتى احتاج إلى العمل فى نسخ الكتب ، فبقى ينسخ ديوانه ويبيعه . مات سنة نيف وستين وثلاثمائة ببغداد .

(٢) ديوانه ص ٢٠ .

(٣) السبج : خرز أسود .

## قافية الباء

# ليالى بغداد

وقالَ أبو نواس [1] يذكر بغداد فى بعض خمرياته :

[المنسرح]

عفَا الْمُصَلَّى ، وأقْوَتِ الكُثُبُ    مِنِّى ، فالمِرْبدانِ ، فاللَّببُ [2]
فالمسجِدُ الجامعُ المروءةَ والـ    ـدينَ عفا ، فالصُّحانُ ، فالرَّحَبُ [3]
مَنازِلٌ قَد عَمَرْتُها يَفِعاً    حتَّى بَدا فى عِذارِى الشَّهَبُ
فى فتيَةٍ كالسيوفِ ، هزَّهُمْ    شَرْخُ شبابٍ ، وزانهمْ أدبُ [4]
ثُمّ أرابَ الزّمانُ ، فاقْتَسَموا    أَيْدى سَبَا فى البلادِ ، فانْشَعبوا [5]

---

(١) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمى بالولاء ، أبو نواس (١٤٦ - ١٩٨هـ = ٧٦٣ - ٨١٤م) . ولد فى الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد ، فاتصل فيها بالخلفاء من بنى العباس ، ومدح بعضهم ، وخرج إلى دمشق ، ومنها إلى مصر ، فمدح أميرها الخصيب ، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أنْ توفى فيها . وفى تاريخ ولادته ووفاته خلاف ، قيل فى ولادته ١٣٠ و١٣٦ و١٤١ و١٤٥ و١٤٦ وقيل فى وفاته ١٩٥ و١٩٦ و١٩٨هـ . والقصيدة من ديوانه ج ٣ ص ٢٩ - ٣٥ .

(٢) المربد : كل موضع تحتبس فيه الإبل ، ولو كان خشبة بين حائطين . وبه سمى مربد البصرة ، وإنما كان موضع سوق الإبل ، وكذلك كل مَا كان من غير هذا الموضع أيضا إذا حبست فيه الإبل . ومربد البصرة من أشهر محالها ، وكان يكون سوق الإبل فيه قديما ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ، ومجالس الخطباء .

وفى اللسان «اللبب : من الرمل مَا استرق وانحدر من معظمه ، فصار بين الجلد وغلظ الأرض . وقيل لبب الكثيب : مقدمه . قال ذو الرمة :

براقة الجيد واللبات واضحة    كأنّها ظبية أفضى بها لبب

قال الأحمر : معظم الرمل العقنقل ، فإذا نقص قيل كثيب ، فإذا نقص قيل عوكل ، فإذا نقص قيل سقط ، فإذا نقص قيل عداب ، فإذا نقص قيل لبب» .

(٣) الصحان : جمع صحن ، وهو الأرض المستوية .

(٤) الشرخ : الأصل والعرق والحرف الناتىء من الشيء وأول الشباب .

(٥) أراب : أى صار ذا ريبة . وسبأ المذكور هو سبأ بن يشجب الذى تنسب إليه مملكة سبأ اليمنية ، لما أنذروا بسيل العرم ، فخرجوا من اليمن متفرقين فى البلاد ، فقيل لكل جماعة تفرقوا «ذهبوا أيدى سبا» .

لن يُخْلِفَ الدّهْرُ مِثْلَهمْ أبَداً عَلَيَّ ، هَيْهاتَ شأنُهم عَجَبُ

لـمّـا تَـيَـقّـنْـتُ أنَّ رَوْحَـتَـهـمْ لَيسَ لها مَا حَيِيتُ مُنْقَلَبُ

أبليتُ صَبراً ، لم يُبْلِهِ أحَدٌ واقْـتَـسَـمَـتْـنى مـآرِبٌ شُـعَـبُ

كـذاكَ إنّـى ، إذا رُزِئْـتُ أخـاً فـلـيْـسَ بيـنـى وبـيـنَـهُ نـسـبُ

قُطْرَبُّلٌ مَرْبعى ، ولى بِقُرَى الـ كَرْخِ مَصِيفٌ ، وَأُمّى العنبُ [1]

تُرْضِعُنى دَرَّهَا ، وتَلْحَفُني بِظِلّها ، والـهجير يَلْتَهِبُ

إذَا ثَـنَـتْـهُ الـغُـصُـونُ جَـلّـلَـني فَيْنَانُ ، مَا فى أديمهِ جُوَبُ [2]

تَـبِـيـتُ فـى مَـأتَـم حـمـائـمُـهُ كـمـا تُـرَثّـى الـفـواقِـدُ الـسُّـلُـبُ

يهُبُّ شوقى ، وشوقُهُنّ معاً كـأنّـمـا يَـسْـتَـخِـفُّـنـا طَـرَبُ

فقُمْتُ أحْبو إلى الرّضاعِ ، كما تـحـامَـلَ الـطّـفْـلُ مَـسّـهُ سَـغَـبُ

حـتّـى تـخـيَّـرْتُ بِـنْـتَ دَسْـكَـرَةٍ قَد عَجَمتْها السّنونَ والحِقَبُ [3]

هتكتُ عنها ، والليلُ مُعْتَكِرٌ مُهَلْهَلَ النّسْج ، مَا لَهُ هُدُبُ

منْ نَسج خرْقاءَ ، لا تُشَدّ لها آخِيَةٌ فى الثّرى ، ولا طُنُبُ [4]

ثمّ تَوَجّأتُ خَصْرَها بشَبا الـ إشْفَى؛ فجاءَتْ كأنّها لَهَبُ [5]

فاسْتَوْسَقَ الشّرْبُ للنّدامى ، وأجـ راهَا علينا اللّجينُ والغَرَبُ [6]

أقُـولُ لَـمّـا تَـحَـاكَـيَـا شَـبَـهـاً : أيُّـهـمـا ، لـلـتّـشـابُهِ ، الـذّهَـبُ

هـمـا سـواءٌ ، وفَـرْقُ بـيـنِـهـمـا أنـهـمـا جـامِـدٌ ، ومُـنْـسَـكِـبُ

مُـلْـسٌ ، وأمْـثـالُـهـا مـحـفّـرَةٌ صُوَرَ فيها القُسوسُ والصُّلُبُ

---

(١) فى معجم البلدان « قطربل : هى طسوج (ناحية) من طساسيج سواد العراق ، ويتصل بطسوج مسكن ، ينسب إليه جيد الخمر » ، وتشمل كل ما يوجد غرب نهر عيسى .

(٢) الجوب : جمع جوبة ، وهى : الثقب ، والفجوة بين البيوت .

(٣) عجمتها : اختبرتها بمرور الزمن عليها .

(٤) خرقاء أى لا تحسن النسج . والآخية : واحدة الأواخى ، وهو مثل عروة تشد إليها الدابة ، وهى أيضا الحرمة والذمة . والطنب : الوتد يضرب فى الأرض ، ويشد إليه طرف الخيمة .

(٥) توجأت : قطعت ، وطعنت . والشبا : الحد من السلاح ونحوه . والإشفى : السكين .

(٦) اللجين : الفضة . والغرب : الذهب .

يَتْلونَ إنجيلَهم ، وفوقَهُم سماءُ خَمرٍ ، نجومُها الْحَبَبُ [1]
كأنَّها لُؤلُؤٌ تُبَدِّدُهُ أيْدى عَذَارَى أفْضَى بِها اللّعِبُ

## دير الأعلى

ومن ديوان الخالديين [2] :

[الكامل]

واستشرفَتْ نفسِى إلى مُسْتَشرَفٍ لِلدَّيْر تاهَ بِحُسنهِ وبِطيبهِ [3]
متفرّقٌ آذِىُّ «دجلةَ» تحتَهُ بغديرهِ وخليجهِ وقليبهِ [4]
فنَعِمْتُ بينَ رياضهِ وغِياضهِ وسكرتُ بينَ شروقهِ وغُروبهِ
غنَّى الجمالُ به فزادَ الثَّغرَ مِنْ تفضيضهِ والخدَّ مِنْ تذهيبهِ
واهتزَّ غُصْنُ البانِ فى زُنَّارِهِ وأضاءَ جيدُ الرّيم تحتَ صليبهِ

## نزهة على شاطئ دجلة

السّرى الرفاء [5] :

[المتقارب]

---

(١) الحبب : مَا يعلو الماء والخمر من فقاعات الهواء . يقول الشاعر الجاهلى أوس بن حجر :

تَذَكَّرَ عَيْناً مِن غُمازَةَ ماؤها لَهُ حَبَبٌ تسْتَنّ فيهِ الزّخارِفُ

(٢) الخالديان أبو بكر محمد(ت٣٨٠هـ) ، وأبو عثمان سعيد(ت٣٩٠ ،٣٩١هـ) ، ابنا هاشم الخالديان ، وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب ، فهما فى الموافقة والمساعدة . يحييان بروح واحدة . ويشتركان فى قرض الشعر . ولا يكادان يفترقان فى الحضر والسفر ، ويؤلفان كتبهم معا ، ومن هذه الكتب «كتاب التحف والهدايا» ، و «حماسة شعر المحدثين» ، و«كتاب أخبار الموصل» ، و «كتاب أخبار أبى تمام ومحاسن شعره» ، و «اختيار شعر البحترى» ، و «اختيار شعر ابن الرومى» ، و «اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره» ، و«كتاب الديارات» ، و «اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه» .

(٣) ديوانهما ص ٢٩ .

(٤) الآذِىّ : الموج الشديد ، والجمع أواذى .

(٥) ديوانه ٧٢ .

ألا غَادِها مُخطِئاً ، أو مُصِيبا        وسِرْ نحوَها داعياً أو مجيبا

وخذْ لَهَباً حَرُّه فى غدٍ        إذا الحَرُّ قارنَ يَوْماً لَهِيبا

دعانا الخريفُ إلى مَوْطِنٍ        يفوقُ المواطنَ حُسناً وطِيبا

وقد جُمِعَ الحُسْنُ فى روضةٍ        وفرَّقَ دِجلةُ فيه شُعوبا

وَمُضطَرِبٍ وشى أبرادِه        يُضاحكُ وَشْى النِّجادِ القَشيبا

نُشيِّدُهُ إنْ نزلنا ضُحىً        ونَهدِمُه إنْ رحلْنا الغُروبا

كأنَّا ارتبَطنا بهِ نافراً        من الخيلِ يُفرِقُ شخصاً مَهيبا

فبِتْنا ، وبات نسيمُ الصَّبا        يُدَرِّجُ فى جَانبيه الكَتِيبا

يكادُ عَلَى ضُعفِ أنفاسِه        يُطيرُ عَلَى الشَّربِ تلكَ الشُّروبا

وقد حجبَ الأرضَ ريحانُنا        فلم يُبْقِ للعينِ منها نَصيبا

كأنَّا عَلَى صفحَتى لُجَّةٍ        تُلاقى الشَّمالُ عليها الجَنوبا

فمن طَرَبٍ يستفزُّ النُّهى        ومن أدبٍ يَستَرِقُّ القُلوبا

وساقٍ يقابلُ إبريقَه        كما قابلَ الظَّبى ظبياً رَبِيبا

يطوفُ علينا بِشمسِيَّةٍ        يروعُ بها الشمسَ ،حتَّى تغيبا

وينشُرُ صيَّادُنا حولَنا        لُباباً من الصيدِ يُرضى اللَّبيبا

شَبابيطَ تُخبِرُ أجسامُها        بأنْ قد رَعَيْنَ جَناباً خَصيبا

نَواعمَ لو أنها باشَرَتْ        هواءً لأحدثَ فيها نُدوبا

فلولا الدّروعُ التى قُدِّرَت        لأبدانِها أوشكَتْ أنْ تَذُوبا

وتُبْعَثُ للبرِّ وحشيَّةٌ        تسوقُ إلى الوحشِ يَوْماً عَصيباً

مُؤدبةٌ يُرتَضى فعلُها        و لم نرَ ليثاً سِواها أديبا

وتُركيَّةُ الوَجهِ تُبدى لَنا        إخاءً فصيحاً ووجهاً جَلِيبا

تُعانِقُ إنْ وثَبتْ صيدَها        عناقَ المحبِّ يُلاقى حبيبا

طِراداً صحيحاً و خُلقاً صَبيحاً        و وَثباً مليحاً و أمراً عَجيبا

فقد ملَكتْ وُدَّ أربابِها        فكلٌّ يخافُ عليها شَعوبا

---

(١) الغروب : جمع غرب ، وهو الدلو العظيمة .

وللماءِ من حولِنا ضَجَّةٌ إنِ الماءُ كافحَ تلكَ الغُروبا [1]
جبالٌ تؤلِّفُها حِكمةٌ فتَحبو البحارَ بها لا السُّهوبا
تُقابِلنا فى قميصِ الدُّجى إذا الأفقُ أصبحَ منه سَليبا
حيازيمُها الدَّهرَ منصوبةً تُعانِقُ للماءِ وَفْداً غريبا [2]
عَجِبْتُ لها شاحباتِ الخدو دِ لم يُذهِبِ السُّرى عنها الشُّحوبا
إذا ما همَمْنا بغِشْيَانِها رَكِبْنا لها وَلَداً أو نسيبا
تُغَنِّى الشُّكورُ لَنا بينَها غناءً نَشُقُّ عليه الجُيوبا
يُجاورُها كلُّ ساعٍ يَرى وإنْ جدَّ فى السَّيرِ ، منها قَريبا
خَلى الفؤادِ ، ولَكنَّه يَحِنُّ ، فيُشجى الفُؤادَ الطَّروبا
فيا حبَّذا الدَّيرُ من منزلٍ هَصَرْنا به العيشَ غضّاً رطيبا
إذا ما استَحَمْنا به نزهةً حمَتْنا بدائعُه أنْ نَخيبا

## جمال بغداد

قالَ الباخزرى [22] :

[الطويل]

أبالرَّىِّ أثوى أم أسيرُ معَ الرَّكبِ؟ أسيرُ ، لأنَّ السَّيرَ أدنى إلى قلبى [3]

---

(١) فى لسان العرب « الحيزوم : الصدر ، وقيل : الوسط ، وقيل : الحيازيم ضلوع الفؤاد ، وقيل الحيزوم ما استدار بالظهر والبطن ، وقيل : الحيزومان ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر » .

(٢) أبو الحسن على بن الحسن الباخَرْزى (ت ٤٦٧هـ) ، أديب من الشعراء الكتاب . من أهل باخرز من نواحى نيسابور ، تعلم بها وبنيسابور ، وقام برحلة واسعة فى بلاد فارس والعراق . وقتل فى مجلس أنس بباخرز . كان من كتاب الرسائل . وله علم بالفقه والحديث . اشتهر بكتابه (دمية القصر وعصرة أهل العصر) وهو ذيل ليتيمة الدهر للثعالبى . والقصيدة من ديوانه ص ٦٩ يهجو فيها معاصره الحداد .

(٣) فى معجم البلدان : « الرى بلدة لها زينة فى عيشها المتواتر ، . . قال جعفر بن محمد الرازى : لما قدم المهدى الرى فى خلافة المنصور ، بنى مدينة الرى التى بها الناس اليوم ، وجعل حولها خندقا وبنى فيها مسجدا جامعا ، وجرى ذلك على يد عمار بن أبى الخصيب ، وكتب اسمه على حائطها ، وتم عملها سنة ١٥٨هـ . . وسماها المحمدية ، . . وكانت الرى تدعى فى الجاهلية أزارى » .

إذا كانَ مِن عَزمى التقدُّمُ فى العُلا فليسَ مِن الحَزم التّخلفُ عَنْ صحبى
أدورُ عَلَى جَنبى مخافةَ أنّني أرى الجارَ جارَ السّوءِ لزقا إلى جَنبى
ولستُ لأرضِ الهُونِ حِلساً وإنْ أرُم سماءً منَ الجاهِ الرّفيعِ فأجدرُ بى [(١)]
وما أنا مُغرًى بالكواعِبِ مُغرَماً ولا غَزلاً أستنُّ مِنَ مرح الحبّ
أتشغلُنى خَودٌ تكعَّبَ ثديُها عن الذُروةِ الشّمَاءِ أُعلى بِها كعبى [(٢)]
سلامٌ عَلَى وكرى وإنْ طُوِى الحَشا عَلَى حَسراتٍ مِن فراخٍ بِها زُغْب
ووالهةٍ عَبرى إذا اشتكتِ النّوى سَقَتْ مِن جَناها الوردَ باللؤلؤ الرّطب [(٣)]
أأذكرُ أيامَ الحِمَى؟ لا ، وحقِّها بلى أتناسى ، إنَّ ذكرَ الحِمى يُصبى
ألم تَرنى وَترتُ بالشوقِ عزمةً رمتنى كالسهمِ المَريشِ إلى الغَرْبِ [(٤)]
وطيّرتُ نفسى فهىَ أسرَى منَ القَطا وعهدى بِها مِن قبلُ أرسَى مِن القُطب [(٥)]
وجبتُ طريقاً ذا خطوبٍ طوارقٍ فمِن حَرجٍ ضَنكٍ ومِن ضَرسٍ صَعب
ودستُ جبالاً كذنَ يعطبْنَ مُهجتى بما ندفتَ فيها الثّلوج مِن العَطْب [(٦)]
وفارقتُ بيتى كالمهنَّدِ دالقاً مِن الغمدِ واستبدلتُ شعباً سِوَى شَعبى [(٧)]
فَها أنا فى بَغدادَ أرعَى رِياضَها وأرتعُ منها فى الرّفاهةِ والخِصبِ
وأسحبُ أذيالى عَليها ، وكرخُها مظِنَّةُ إطرابى ، ودَجْلتُها شربي

---

(١) الحلس : كساء يكون على ظهر البعير تحت البرذعة ، وكل ما يبسط فى البيت من حصير ونحوه ، وجمعه أحلاس . والمقصود به هنا : الذى لا يبرح بيته ، ولا يفارق بيته .

(٢) فى اللسان : «الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ، مَا لم تصر نصفا . وقيل : الجارية الناعمة . والجمع خودات ، وخُود» .

(٣) عادة مَا يصف الشعراء اللؤلؤ بأنه رطب للدلالة على نفاسته وجودته ، يقول أبو تمام :

مُفَصَّلَةٌ باللُّؤلُو المُنْتَقَى لهَا من الشعْر إلاّ أنَّهُ اللُّؤلُؤُ الرطْبُ

(٤) المريش : السهم تزاد لَهُ ريش من حديد فى أسفله .

(٥) فى مختار الصحاح : «القطب كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك . قلت : قال الزهرى : وهو صغير أبيض لا يبرح مكانه أبدا ، وإنما شبه بقطب الرحى ، وهى الحديدة التى فى الطبق الأسفل من الرحيين يدور عليها الطبق الأعلى ، فكذا تدور الكواكب على هذا الكواكب» .

(٦) فى القاموس : «ندف القطن يندفه ضربه بالمندف ، والمندفة أى خشبته التى يطرق بها الوتر ليرق القطن» . . وندفت السماء بالمطر : نطفت ، وندفت بالثلج : رمت به» .

(٧) فى مختار الصحاح : «الاندلاق التقدم وكل مَا ندر خارجا فقد اندلق» .

وأسبأُ مِن حاناتِها عِكبريّةً أرقَّ مِن الإعتابِ فى عُقَبِ العَتْبِ [1]
فلو صُبَّ فى الأجبالِ حُمْرُ كؤوسِها لمعْنَ الصّخورُ السّودُ خضراً مِن العُشب
يطوفُ بِها ساقٍ يُسيغُكَ شربَها بنُقْلِ شَهِيٍ مِن مُقبّلِهِ العَذْبِ

## الوزير الجائر

قالَ سبط ابن التعاويذى [2] :

[الكامل]

يَا قَاصِداً بَغْدَادَ جُزْ عَنْ بَلْدَةٍ لِلْجَوْرِ فِيهَا زَخْرَةٌ وَعُبَاب [3]
إنْ كُنْتَ طَالِبَ حَاجَةٍ فَارْجِعْ فَقَدْ سُدَّتْ عَلَى الرَّاجِى بِهَا الأبْوَابُ
لَيْسَتْ وَمَا بَعُدَ الزَّمَانُ كَعَهْدِهَا أَيَّامَ يَعْمُرُ رَبْعَهَا الطُّلاَّبُ
وَيَحِلُّهَا السَّرَوَاتُ مِنْ سَادَاتِهَا والْجِلَّةُ الرُّؤسَاءُ وَالْكُتَّابُ [4]
وَالدَّهْرُ فِى أُولَى حَدَاثَتِهِ وَلِـ لأَيَّام فِيهَا نَضْرَةٌ وَشَبَاب
وَالْفَضْلُ فى سُوقِ الْكِرَام يُبَاعُ بِالْـ غَالى مِنَ الأَثْمَانِ ، وَالآدَابُ
بَادَتْ وَأَهْلُوهَا مَعاً فَبُيُوتُهُمْ بِبَقَاءِ مَوْلاَنَا الْوَزِيرِ خَرَابُ [5]
وَارَتْهُمُ الأَجْدَاثُ أَحْيَاءً تُهَا لُ جَنَادِلٌ مِنْ فَوْقِهَا وتُرَابُ
فَهُمُ خُلُودٌ فِى مَحَابِسِهِمْ يُصَبْـ بُ عَلَيْهِمُ بَعْدَ الْعَذَابِ عَذَابُ
لاَ يُرْتَجَى مِنْهَا إِيَابُهُمُ وَهَلْ يُرْجَى لِسُكَانِ الْقُبُورِ إِيَابُ

---

(١) فى القاموس : « سبأ الخمر – كجعل – سبئا وسباء ومَسْبأ : شراها كاستبأها ، وبيّاعها السبّاء » .

(٢) سبط بن التعَاوِيذِى (٥١٩ – ٥٨٣ هـ) ، محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، أبو الفتح ، المعروف بابن التعاويذى : شاعر العراق فى عصره ، من أهل بغداد ، مولده ووفاته فيها . ولى بها الكتابة فى ديوان المقاطعات ، وعمى سنة ٥٧٩ هـ ، وهو سبط الزاهد أبى محمد بن التعاويذى . كان أبوه مولىً اسمه (نُشْتِكين) فسمى (عبيد الله) . لَهُ (ديوان شعر) وكتاب (الحجبة والحجاب) . والقصيدة من ديوانه ص ٤٧ .

(٣) فى القاموس « العُباب : معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه ، وأول الشىء » .

(٤) السروات جمع سراة ، والسراة من كل شىء أعلاه .

(٥) هو الوزير ابن البلدى على ما هو مذكور فى ديوانه .

وَالنَّاسُ قَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُمْ وَلا أَنسَابَ بينَهُمُ وَلاَ أَسْبَابُ [1]
وَالمَرْءُ يُسْلِمُهُ أَبُوهُ وَعِرْسُهُ وَيَخُونُهُ الْقُرَبَاءُ وَالأَصحَابُ
لاَ شَافِعٌ تُغْنِى شَفَاعَتُهُ وَلاَ جَانٍ لَهُ مِمَّا جَنَاهُ مَتَابِ
شَهِدُوا مَعَادَهُمُ فَعَادَ مُصَدِّقاً مَنْ كانَ قَبْلُ بِبَعْثِهِ يَرْتَابُ
حَشْرٌ وَمِيزَانٌ وَعَرْضُ جَرَائِدَ وَصَحَائِفٌ مَنْشُورَةٌ وَحِسَابُ
وَبِهَا زَبَانِيَةٌ تُبَثُّ عَلَى الْوَرَى وَسَلاَسِلٌ وَمَقَامِعٌ وَعَذَابُ [2]
مَا فَاتَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا وُعِدُوا بِهِ فِى الْحَشْرِ إلاَّ رَاحِمٌ وَهَّابُ

## جيرة الفرات

قال السيد حيدر الحلى [3] :

[البسيط]

يا ثاويينِ إلى جنبِ الفراتِ معاً لدَى (مقام نبىِّ الله أيوبِ) [4]
أورثتُمانى وَجْداً يَوْمَ بَيْنِكما ماعشتُ فى الدَّهرِ يحكى وجدَ يعقوبِ

(١) من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ﴾ [ سورة المؤمنون : آية ١٠١ ] .

(٢) المقامع : واحدتها مِقمعة – كمِكنسة – عمود من حديد ، يضرب به رأس الفيل ، وخشبة يضرب بها الإنسان على رأسه .

(٣) حيدر بن سليمان بن داود الحلى الحسينى (١٢٤٦ – ١٣٠٤هـ = ١٨٣١ – ١٨٨٦م) ، مولده ووفاته فى الحلة ، ودفن فى النجف .

(٤) ديوانه ص ٨٠ .

# اغتيال بغداد

معروف الرصافى [1] :

[الطويل]

هوَ الدّهرُ لم يرحمْ إذا شدَّ فى حربِ ... ولم يتئدْ إمّا تمخضَ بالخطبِ

يُزمجرُ أحياناً ويضحكُ تارةً ... فيظهرُ فى بُردينِ للجِدِّ واللَّعْبِ

فلا هوَ فى سَلم فنأمَنُ بطشَهُ ... ولا هوَ فى حربٍ فنقعدَ للحربِ

يسالمُ حتَّى تأخُذَ القومَ غِرَّةٌ ... فيهجمُ زَحفاً فى زَعازِعِه النُّكبِ [2]

أرى الدّهرَ كالميزانِ يصعدُ بالحصى ... ويهبطُ بالموزونِ ذو الثّمنِ المُربى

أدالَ مِن العُربِ الأعاجمَ بعدَما ... أدالَ بنى عباسِها مِن بنى حربِ [3]

---

(١) معروف بن عبد الغنى البغدادى الرصافى (١٢٩٤ - ١٣٦٤ هـ = ١٨٧٧ - ١٩٤٥م) شاعر العراق فى عصره ، من أعضاء المجمع العلمى العربى (بدمشق) ، ولد ببغداد ، ونشأ بها فى (الرصافة) وتتلمذ لمحمود شكرى الألوسى ، واشتغل بالتعليم ، ورحل إلى الأستانة ، فعُين معلماً للعربية فى المدرسة الملكية ، وانتخب نائباً فى مجلس (المبعوثان) العثمانى ، وهجا دعاة (الإصلاح) و(اللامركزية) من العرب ، وانتقل بعد الحرب الأولى (سنة ١٩١٨) إلى دمشق . ثم عين أستاذاً للأدب العربى فى دار المعلمين بالقدس ، وعاد إلى بغداد ، فعُين نائباً لرئيس لجنة (الترجمة والتعريب) ، ثم أصدر جريدة (الأمل) يومية (سنة ١٩٢٣) . وعين مفتشاً فى المعارف ، فمدرساً للعربية وآدابها فى دار المعلمين ، فرئيساً للجنة الاصطلاحات العلمية . واستقال من الأعمال الحكومية سنة ١٩٢٨ ، فانتخب (عضواً) فى مجلس النواب . وزار مصر سنة ١٩٣٦ ، وقامت ثورة رشيد عالى الكيلانى ببغداد ، فنظم (أناشيدها) وكان من خطبائها . وفشلت ، فعاش بعدها فى شبه انزواء عن الناس إلى أنْ توفى ببيته فى الأعظمية ببغداد . لَهُ كتب ، منها (ديوان الرصافى) ، و(دفع الهجنة) رسالة فى الألفاظ العربية المستعملة فى اللغة التركية ، و(دفع المراق فى لغة العامة من أهل العراق) نشر متسلسلاً فى مجلة لغة العرب ، و(رسائل التعليقات) فى نقد كتاب النثر الفنى ، وكتاب التصوف الإسلامى للدكتور زكى مبارك ، و(نفح الطيب فى الخطابة والخطيب) و(محاضرات فى الأدب العربى) جزآن ، و(ديوان الأناشيد المدرسية) ، و(آراء أبى العلاء) و(على باب سجن أبى العلاء) نشر بعد وفاته .

(٢) فى القاموس « الزعازع : الشدائد من الدهر ، والزعزعة تحريك الريح الشجرة ونحوها أو كل تحريك شديد ، وريح زعزع وزعزعان وزعزاع وزعازع بالضم تزعزع الأشياء ، والزعزاعة الكتيبة الكثيرة الخيل وسير زعزع فيه تحرك والمزعزع بالفتح الفالوذ ، وتزعزع تحرك » .

(٣) أدال : نصر من بعد انكسار . وفى شعر العباس بن الأحنف :

سُبحانَ من لوْ شاء سوَّى بيننا ... وأدال منكِ لقد أطَلتِ عَذابى

| | |
|---|---|
| ولـم أرَ لـلأيـام أشـنـعَ سُـبـةً | لعَمرُكَ مِن مِلكِ العلوجِ عَلَى العربِ [1] |
| صَفَتْ لبنى العباسِ أحواضُ عزِّهم | زماناً وعادَتْ بعدُ مخلبةَ الشُّربِ |
| عَنتْ لهم الدُّنيا فساسُوا بلادَها | بعدلٍ أضاءَ الملكِ فى سالفِ الحُقبِ |
| فكانوا طفاحَ الأرضِ عزًّا ومنعةً | خلائفَ ساسُوا بالسيوفِ وبالكتبِ [2] |
| لقَد ملكُوا مُلكاً بَكَتْ أُخرَياتُهُ | بدمعٍ عَلَى المستعصمِ الشهمِ مُنصبِّ |
| تشاغلَ باللذَّاتِ عَنْ حَوطِ مُلكِهِ | فدارَتْ عَلَى ابنِ العلقمى رَحَى الشَّغبِ |
| أطالَ هُجوداً فى مضاجعِ لهوِهِ | عَلَى ترفٍ والدهرُ يقظانُ ذو أَلَبِ [3] |
| لقَد غرَّهُ أنَّ الخطوبَ روابضٌ | ولم يدرِ أنَّ اللَّيثَ يَربضُ للوثبِ |
| فكانَ كمروانَ الحمارِ إذا انقضَتْ | بِهِ دولةٌ مدَّت يدَ الفتحِ للغَربِ [4] |
| جرَتْ فتنةٌ مِن شيعةِ الكرخِ جَلَّحَتْ | عَلَى شِيعةٍ فى الكرخِ بالقتلِ والنهبِ [5] |
| فقامَت لدَى ابنِ العلقميِّ ضغائنٌ | تحجَّرنَ مِن تحتِ النِّياطِ عَلَى القلبِ [6] |
| فأضمرَ للمستعصمِ الغدرَ وانطوَى | عَلَى الحقدِ مدفوعًا إلى الغشِّ والكذبِ |
| وخادعَهُ فى الأمرِ وهوَ وزيرُهُ | مواربةً إذْ كانَ مستضعفَ الإربِ [7] |

(١) فى القاموس : « العلج : بالكسر العير ، والحمار ، وحمار الوحش السمين القوى ، والرغيف الغليظ الحرف ، والرجل من كفار العجم . ج علوج وأعلاج » .

(٢) فى القاموس : « طفح الإناء كمنع طفحا وطفوحا امتلأ وارتفع وطفحه وطفحه وأطفحه ومنه سكران طافح . . . وطفاح الأرض بالكسر ملؤها » .

(٣) فى القاموس : « ألب القوم إليه أتوه من كل جانب وألب الإبل يألبها ويألبها : ساقها » والمعنى هنا أن الدهر منقلب ذو خديعة .

(٤) هو مروان بن محمد بن مروان وهو آخر خلفاء بنى أمية ، ومن يده استلب الخلافة العباسيون . وسمى بالحمار لكثرة مَا تحمل من أعباء الدولة المنهارة . كما يلقب بمروان الجعدى . راجع « البداية والنهاية » لابن كثير ج٦ ص ٣٣٠ .

(٥) فى لسان العرب : « جلح الشجر يجلحه جلحا – بالفتح – وجلحه : أكله . وقيل : أكل أعلاه ، وقيل : رعى أعاليه وقشره ، ونبت إجليح : جلحت أعاليه وأكل ، والمجلح المأكول الذى ذهب فلم يبق منه شىء » .

(٦) فى لسان العرب : « نياط كل شىء معلقه كنياط القوس والقربة ؛ تقول : نطت القربة بنياطها نوطا ، ونياط القوس معلقها ، والنياط الفؤاد ، والنياط عرق علق به القلب من الوتين ، فإذا قطع مات صاحبه ، وهو النبط أيضا » .

(٧) لم يهنأ ابن العلقمى بفعلته ، فبعد أن مكن التتار من بغداد أشركوا معه غيره فى منصبه ، وكانوا =

فأبعدَ عنهُ فى البلادِ جنودَهُ　　وشتَّتهم مِن أوبِ أرضٍ إلى أوبِ[1]
ودسَّ إلى الطاغى هُلاكو رسالةً　　مُغلغلةً يدعوه فيها إلَى الحربِ[2]
وقالَ لَهُ إنْ جئتَ بَغْدادَ غازيًا　　تملَّكتَها مِن غيرِ طعنٍ ولا ضربِ
فثارَ هُلاكو بالمغولِ تؤمُّهُ　　كتائبُ خُضرٍ تضربُ السّهلَ بالصعبِ
وقادَ جيوشاً لم تمرَّ بمخصبٍ　　مِن الأرضِ إلاَّ عادَ ملتهبَ الجدبِ
جُيوشٌ تردُ الهضبَ فى السّيرِ صفصفاً　　وتعرُكُ فى تسيارِها الجنبَ بالجنبِ[3]
فما عتمَتْ حتَّى بَنتْ بغبارِها　　سماءً عَلَى أرضِ العراقِ مِن التّربِ
وحتَّى أبادَتْ جيشَ بَغْدادَ هالكًا　　عَلَى رَغمِ فتحِ الدّينِ قائدِهِ النّدبِ
أقامَتْ عَلَى أسوارِ بَغْدادَ بُرهةً　　تعَضُّ بِها عَضَّ الثّقافِ عَلَى الكعبِ[4]
فضاقَ عليها بالحِصارِ خِناقُها　　وغصتْ بكربٍ يا لَهُ لله مِن كربِ

---

= يهينونه ، وشوهد وهو واقف على قدميه ، وبعض غلمان التتر يحادثه من فوق فرسه ، وبال الفرس ، فأصاب ذلك ابن العلقمى فلم يتحرك ، وهو يظهر الصبرعلى ذلك . وورد فى كتاب «العبر فى خبر من غبر» للذهبى فى وفيات ٦٥٦هـ «ابن العلقمى الوزير المبير مؤيد الدين محمد بن محمد بن على بن أبى طالب البغدادى الرافضى - ولى وزارة العراق أربع عشرة سنةً - وكان ذا حقد وغل على أهل السنة . قرر مع التتار أمورًا انعكست عليه ، وأكل يده ندمًا ، وبقى بعد تلك الرتبة الرفيعة يركب إكديشًا (حمارا) فصاحت امرأة : يا ابن العلقمى : أهكذا كنت تركب فى أيام أمير المؤمنين؟! ولى وزارة التتار على بغداد مشاركًا لغيره ، ثم مرض بعد قليل ومات غمًا وغبنا» .

(١) الأوب : الناحية .

(٢) فى النهاية فى غريب الأثر «المغلغلة - بفتح الغينين - الرسالة المحمولة من بلد الى بلد ، وبكسر الغين الثانية المسرعة من الغلغلة سرعة السير» ولا يقال مغلغلة إلا إذا كانت محمولة من بلد إلى بلد ، وإلا فهى رسالة ، وفى طبقات فحول الشعراء . :

فلأهدين مَعَ الرياح قصيدة　　منى مغلغلة إلى القعقاع

وفى البيان والتبيين : قال همام الرقاشى :

أبلغ أبا مسمع عنى مغلغلة　　وفى العتاب حياة بين أقوام

(٣) الصفصف : المستوى من الأرض .

(٤) الثقاف مَا تسوى به الرماح وتثقيفها تسويتها . والكعب كل مفصل للعظام ، والعظم الناشز فوق القدم ، والناشزان من جانبيها ، ج أكعب وكعوب وكعاب ، والذى يلعب به كالكعبة ج كعب وكعاب وكعبات وما بين الأنبوبين من القصب والكتلة من السمن وقدر صبة من اللبن واصطلاح للحساب والشرف والمجد وبالضم الثدى وكعبته تكعيبا ربعته .

| | |
|---|---|
| وقَد حُمَّ فيها الأمنُ بالرعبِ فانبرت | له رُحضاء مِن عيونِ أولى الرّعب (١) |
| هناكَ دَعَا المستعصمُ القومَ باكيًا | بدمع عَلَى لحبيبِهِ مُنهمِلٍ سَكبِ |
| فأبدَى لَهُ ابنُ العلقمى تحزُّناً | طَوى تحتَهُ كشحاً عَلَى المكرِ والخلب (٢) |
| وقالَ لَهُ قَد ضاقَ بالخطبِ ذرعُنا | وأنتَ ترى مَا للمغولِ مِن الخطبِ |
| فكَمْ نحنُ نبقى والعدوُ محاصِرٌ | نذِلُّ ونشقَى فى الدّفاعِ وفى الذّبِّ |
| وماذا عَسَى تجدى الحصونُ بأرضنا | وهم قَد أقامُوا راصدينَ عَلَى الدّرب |
| فدعْ يا أميرَ المؤمنينَ قتالَهم | عَلَى هُدنة تبقيكَ ملتئمَ الشَّعبِ |
| ولسْنا وإنْ كانتْ كبارًا قصورُنا | نرد هُلاكو بالقتال عَلَى العقب |
| فهادنْهُ واخرجْ فى رجالِكَ نحوَهُ | وصاهره واشدد منه أزركَ بالقربِ |
| وإلاّ فإنَّ الأمرَ قَد جدَّ جِدُّه | ولَيسَ سوَى هَذَا لصدعكَ مِن رأب |
| فلمَّا رأى المستعصمُ الخرقَ واسعًا | وأن لَيسَ للداءِ الذى حلَّ مِن طبٍّ (٣) |
| مشَى كارِهًا والموتُ يُعجلُ خطوَهُ | يؤمُّ لفيفًا مِن بنينَ ومِن صحبِ |
| وراحَ بعقدِ الصّلحِ يجمعُ شملَهُ | كَما راحَ بينَ النّونِ يجمعُ والضبِّ (٤) |
| فأمسَكَهُ رهْنًا وقتَّلَ صحبَهُ | هُلاكو ولم يسمعْ لهم قطُّ مِن عتبِ |
| وأغرَى ببَغْدادَ الجنودَ كما غدا | بأدماءَ يُغرِى كلبَهُ صاحبُ الكلبِ |

---

(١) الرُّحَضَاء : العرق إثر الحمى ، أو عرق يغسل الجلد كثرة .

(٢) الكشح : والمراد أبطن وأخفى . وفى معلقة زهير بن أبى سلمى :

| | |
|---|---|
| وكانَ طَوَى كَشْحاً على مُستكِنةٍ | فَلا هُوَ أبْداها وَلـم يَتَـقَدَّمِ |

والخلب : الخديعة .

(٣) فى البيت إشارة إلى قول الشاعر :

| | |
|---|---|
| من مُبلغٌ عنى الإمامَ الذى | قـام بـأمـرٍ بـيِّـنٍ سـاطـع |
| إنـى نـذيـرٌ لـكَ مـن دَولـةٍ | قـام بـهـا ذو رحِـم قـاطِـع |
| والثوبُ إنْ أنهَجَ فيه البِلَى | أعيا على ذى الحيلةِ الصانعِ |
| كُنَّا نداريها فقد مُزقَت | واتسع الخرقُ على الراقع |

(٤) فى البيت نظر لقول عروة بن أذينة (ت١٣٧هـ) :

| | |
|---|---|
| مَنَّتْكَ نَفْسُك أمراً لا تُؤَلِّفُهُ | حتَّى تُؤَلِّفَ بين الضَّبُّ والنُّونِ |
| النُّونُ يَهْلِكُ فى بَيْدَاءَ مُقْفِرة | الضَّبُّ يَهْلَكُ بينَ الماءِ والطينِ |
| لا تَغْضَبَنَّ فإنِّى غيرُ مُغتِبِهِ | مَنْ كنتُ أولَيْتُهُ مَا كانَ يُولِينى |

فظلَّتْ بهم بَغْدادُ ثكلَى مُرِنَّةً ... تفجَّعُ بينَ القتلِ والسَّبى والنهبِ
وجاسُوا خلالَ الدّورِ ينتهبونَها ... وصبُّوا عليها بطشَهم أيَّما صبِّ
وأمسَى بهم قصرُ الخلافةِ خاشعًا ... مهتكةً أستارُهُ خائفَ السِّرْبِ
وباتَتْ بِهِ مِن واكفِ الدّمعِ بالبُكا ... عيونُ المها شتراءَ منزوعةَ الهُدْبِ (١)
وراحتْ سبايا للمغولِ عقائلٌ ... مِن اللاءِ لم تمدّد لهن يدُ الثّلبِ (٢)
لقَد شربُوا بالهونِ أوشالَ عزِّها ... وما أسأرُوا شيئاً لَعمرُكَ فى القعبِ (٣)
فقُلِّصَ ظلٌّ كانَ فى الملكِ وارفاً ... وأمحلَ ملكٌ كانَ مغلولبَ العشبِ (٤)
لقَد باتَ إذْ ذاكَ الخليفةُ جاثماً ... عَلَى الخسفِ مرقوبًا بربعةِ غُلْبِ
وخارتْ قواهُ بالسُّعارِ لمنعِهِ ... ثلاثةَ أيامٍ عَنِ الأكلِ والشُّربِ
فقالَ وقَد نقتْ ضفادعُ بطنِهِ ... ألا كسرةٌ يا قومُ أَشفى بِها سَغبى (٥)
فقالَ هلاكو عاجلوه بقَصعَةٍ ... مِن الذّهبِ الإبريزِ واللؤلؤِ الرّطبِ
وقولُوا لَهُ كلْ مَا بدا لكَ إنَّها ... لآلئُ لم تعبثْ بهنَّ يدُ الثّقبِ
ألَسْتَ لهَذَا اليَوْم كنتَ ادّخرتَها ... فدونَكَ فانظرْ هَل تنوب عَن الحَبِّ
وكنتَ بِها دونَ المماليكِ مُعجَباً ... وفاتكَ أنَّ المقتَ مِن ثمرِ العجبِ
ولو كنتَ فى عزِّ البلادِ أهنتَها ... وأنزلتَ منها الجدَّ فى منزلٍ خصبِ
لما أكلَتْكَ اليَوْمَ حربى وإنْ غدتْ ... تذيبُ لظاها عنصرَ الحجرِ الصُّلبِ
سأبذلُها دونَ الجنودِ أزيدُهم ... صِيالاً بِها فوقَ المطهمةِ القُبِّ (٦)

---

(١) الشتر : القطع ، وانقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه أو استرخاء أسفله .

(٢) فى المعجم « العقيلة كريمة الحى ، وكريمة الإبل ، وعقيلة كل شيء أكرمه ، والدرة عقيلة البحر » .
وثلبه : صرح بالعيب فيه ، وتنقصه وبابه ضرب ، والمثالب العيوب ، الواحدة مثلبة بفتح اللام .

(٣) أوشال جمع وشل ، وهو الماء المنحدر من الجبل يقال جبل واشل يقطر منه الماء ، وفى المثل « لا يكون بالرمل وشل » : يضرب عند قلة الخير وللشيء لا يوثق به وللبخيل لا يجود بشيء . وأسأر : أبقى وترك . والقعب : القدح .

(٤) أمحل : أجدب . ومغلولب من الفعل اغلولب على صيغة افعوعل من الفعل غلب ، وهى بناء مبالغة وتوكيد ، فاخشوشن ، واعشوشبت الأرض ، واحلولى الشيء : مبالغات فى خشن وأعشبت وحلا .

(٥) فى مجمع الأمثال ج٢ ص ٣٤٥ : « نقَّت ضفادع بطنه : يضرب لمن جاع ، ومثله صاحت عصافير بطنه » .

(٦) فى النهاية فى غريب الأثر ج ٣ ص ١٤٧ : « المطهم المنتفخ الوجه . وقيل الفاحش السمن . وقيل : النحيف الجسم ، وهو من الأضداد » .

وسوفَ - وإنْ لم يبقَ إلاَّ حديثُنا - تميزُ ملوكُ الأرضِ دابكَ مِن دأبى
هنالكَ والطوسىُّ أفتى بقتلِهِ قَرَوه بقتلِ آدِبٍ أفجعَ الأدبِ [1]
أشارَ هلاكو نحوَ علجٍ فتلَّهُ فخَرَّ صريعاً للَيدينِ وللجنبِ
فأدرجَ فى لِبدٍ وديسَ بأرجلٍ إلى أنْ قضى بالرفسِ ثَمَّةَ والضربِ [2]
وقَد أثخنتْ بَغْدادَ مِن بعدِ قَتلِهِ جروحُ بوارٍ جاءَ بالحججِ الشُّهبِ
وما اندملَتْ تلكَ الجروحُ وإنَّما ببَغْدادَ منها اليَوْمَ ندبٌ عَلَى ندبِ

---

(١) يقصد بالطوسى : الشيخ نصير الدين الطوسى (ت٦٧٢هـ) ، من كبار علماء الشيعة وله كتاب « تجريد الاعتقاد » ، وقد هاجمه الشيخ ابن تيمية وحمل عليه بشدة ، وكان مما قال عنه : « هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنّه كان وزير الملاحدة الباطنية الإسماعيليّة فى الألموت ، ثمّ لمّا قدم الترك المشركون إلى بلاد المسلمين ، وجاؤوا إلى بغداد دار الخلافة ، كان هذا منجّماً مشيراً لملك الترك المشركين هولاكو ، أشار عليه بقتل الخليفة وقتل أهل العلم والدين ، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه فى الدنيا ، وأنّه استولى على الوقف الذى للمسلمين ، وكان يعطى منه ما شاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من البخشية السحرة وأمثالهم » راجع كتابه « منهاج السنة » ج٣ ص ٤٥١ وما بعدها .

والآدب : الداعى إلى الطعام ، ومنه قول طرفة بن العبد فى قصيدته التى مطلعها :

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعر

يقول فيها :

نحنُ فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

(٢) اللبد : فى القاموس : واحد اللبود ، واللبدة أخص منه ، قلت : وجمعها لبد . ومنه قوله تعالى « كادوا يكونون عليه لبدا » ، واللبادة مَا يلبس منه للمطر » .

# حكومة الانتداب

قالَ الرصافى :

[السريع]

دعْ مزعجَ اللّوم وخلِّ العتابْ | واسمعْ إلى الأمرِ العجيبِ العُجابْ
مِن قصةٍ واقصةٍ غصَّةٍ | تُضحكُ بَلْ تدعو إلى الانتحابْ (١)
فى الكرخِ مِن بَغْدادَ مرَّتْ بنا | يَوْماً فتاةٌ مِن ذواتِ الحجابْ
لبَّتُها مُوقَرةٌ بالحُلَى | وكفُّها مشْبعةٌ بالخضابْ (٢)
ووجهُها يَطمسُ سحناءَه | عنَّا ظلامٌ مِن سوادِ النّقابْ
تمشى العرَضنى فى جلابيبها | مِشيةَ إحدى الموسِاتِ القِحابْ (٣)
تختلبُ النّاسَ بأوضاعِها | وكلُّ مَا يصدرُ منها خِلابْ
قَد وضعتْ تاجاً عَلَى رأسِها | يلمعُ فى الظاهرِ لمعَ الشّهابْ
يحسَبُ مِن دُرٍّ بتمويهِهِ | وهوَ إذا حققتَه مِن سِخابْ (٤)
كاسيةُ الجسم أرقَ الكُسي | مَوشِيةُ الثّوبِ بوشيٍ كِذابْ
قَد غُولطَ النَّاسُ بأثوابِها | فى أنَّها مِن معملِ الانتخابْ
وهى لعمرى دونَمَا ريبةٍ | منسوجةٌ فى منسجِ الاغتصابْ

---

(١) فى اللسان : « الوقص قصر العنق ، كأنما رد فى جوف الصدر ، وهو أوقص وامرأة وقصاء وأوقصه الله ، وقد يوصف بذلك العنق ، فيقال عنق أوقص وعنق وقصاء ، حكاها اللحيانى : وقص عنقه يقصها وقصا كسرها ودقها ، قال : ولا يكون وَقَصت العنقُ نفسَها إنما هو وُقِصت . ووقص البعير - فهو موقوص - إذا أصبح داؤه فى ظهره لا حراك به ، وكذلك العنق والظهر فى الوقص ، ويقال : وقص الرجل فهو موقوص » .

(٢) اللبة : وسط الصدر والمنحر والجمع لبات ولباب .

(٣) فى لسان العرب : « العرضنة الاعتراض فى السير من النشاط والفرس تعدو العرضنى والعرضنة والعرضناة أى معترضة مرة من وجه ومرة من آخر وناقة عرضنة بكسر العين وفتح الراء معترضة فى السير للنشاط » .

(٤) فى اللسان : « السخاب : قلادة تتخذ من قرنفل ومحلب لَيسَ فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء ، والجمع سخب . وقال الأزهرى : السخاب عند العرب كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن . . . وقال ابن الأثير هو خيط ينظم فيه خرز وتلبسه الصبيان والجوارى » .

فالغشُّ فى لُحمتِها والسَّدى   وكلُّ مَا يدعو إلى الارتيابْ [1]
قالَ جليسى يَوْمَ مرَّتْ بنا   مَن هَذِهِ الغادةُ ذاتُ الحجابْ
قلتُ لَهُ تلكَ لأوطانِنا   حكومةٌ جادَ بِها الانتدابْ
تحسبُها حسناءَ مِن زِيِّها   وما سِوَى (جنبولُ) تحتَ الثِّيابْ
ظاهرُها فيه لَنا رحمةٌ   والويلُ فى باطنِها والعذابْ [2]
مصابُنا أمسَى فظيعاً بها   ياربُّ مَا أفظعَ هَذَا المصابْ
تاللهِ قَد حقَّ لَنا أنَّنا   نَحثُو عَلَى الأرؤسِ كلَّ الترابْ

## لَنا عودة

قالَ أبو الحسن على بن محمد الغزنوى مولدا الأصبهانى فى بغداد :
[المتقارب]

سقَى الله بَغْدادَ مجنَى العلوِ   ومغنَى الأمانى ومثوى الأدبْ [3]
عَلَى أنَّها حَسْرةُ المفلسيـ   ـنَ وجنةُ عدنٍ لأهلِ النَّشبْ
إذا مَا استتبتْ لَنا عودةٌ   إليها قضيْنا أقاصى الأرَبْ

## ذكرى حبيب فى بغداد

وقال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز [4] :

---

(١) السدى من الثوب : خيوط نسيجه التى تمتد طولا ، وهى خلاف اللحمة ، واللحمة : التى هى خيوط النسيج العرضية ، والمعنى أن قوامها على الغش .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [ سورة الحديد/ ١٣ ]

(٣) فى اللسان : « المغانى المنازل التى كان بها أهلوها واحدها مغنى ، وقيل المغنى المنزل الذى غَنِى به أهله ثم ظعنوا عنه » .

(٤) القاضى العلامة ، أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى ، الفقيه الشافعى الشاعر ، صاحب

[البسيط]

مِن أينَ للعارضِ السّارى تلهبُهُ | وكيفَ طبَّقَ وجهَ الأرضِ صيِّبُهُ (١)
هَل استعانَ جفونى فهى تُنجدُهُ | أم استعارَ فؤادى فهوَ يلهبُهُ
بجانبِ الكرخِ مِن بَغْدادَ لى سكنٌ | لَولا التّجمُّلُ مَا أنفكُّ أندبُهُ
وصاحبٍ مَا صَحبتُ الصّبرَ مُذْ بَعُدَتْ | ديارُهُ وأرانى لستُ أصحبُهُ
فى كلِّ يَوْمٍ لعينى مَا يؤرِّقُها | مِن ذكرِهِ ولقلبى مَا يعذبُهُ
ما زالَ يبعِدُنى عَنهُ وأتبعُهُ | ويستمرُّ عَلَى ظلمى وأعتبُهُ
حتّى لوتْ لى النّوى مِن طولِ جفوتِهِ | وسهَّلَتْ لى سبيلاً كنتُ أرهبُهُ
وما البعادُ دهانى بَلْ خلائقُهُ | ولا الفراقُ شجانى بَلْ تجنبُهُ (٢)

## غربة عربى فى وطنه

قالَ عبد الحسين الحويزى (٣) :

[الكامل]

زانَ الشّبيبةَ عنفوانُ شبابى | والشيبُ طرَّزَ بالعفافِ ثيابى
ونشأتُ فى الشّعبِ المقدسِ فهوَ لى | وطنٌ أنستُ بِهِ مَعَ الأحباب
لم أتخذْ غيرَ «الإخاءِ» بشيمتى | حزباً سما شرفاً عَلَى الأحزاب
نفسى بـ«ياسينَ» تبرُّ يمينُها | إنْ شاءَ أعطى فى اليمينِ كتابى

---

= الديوان المشهور ، . . ورد نيسابور فى صباه فى سنة سبع وثلاثين وسمع الحديث . وقد أبان عن علم غزير فى كتابه « الوساطة بين المتنبى وخصومه » ، ولى قضاء الرّى مدة . وله تفسير كبير ، وكتاب « تهذيب التاريخ » . توفى فى الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ٣٩٦ ، ووَهِمَ ابن خلكان ، وصحح أنه توفى سنة ٣٦٦ ، وإنما ذاك آخر وهو : المحدث أبو الحسن : على بن أحمد بن عبد العزيز الجرجانى .

(١) فى اللسان « الصيب السحاب ذو الصوب ، وصاب أى نزل » .

(٢) كتاب قرى الضيف ج ٤ ص ١٥ .

(٣) عبد الحسين الحُوَيْزى (١٢٨٧ - ١٣٧٦هـ = ١٨٧٠ - ١٩٥٧م) : شاعر من شيوخ النجف ، مولده بها . لَهُ (فريدة البيان) ملحمة شعرية ، و(ديوان شعر) جزآن . نسبته إلى الحويزة (شرقى دجلة) .

زكَّيتُها لمَّا بلغتُ بسعيها رُشداً وما قاربتُ حدَّ نصابى
يا شعبُ إنْ تنكرْ عُلاى فهُزَّنى هزَّ القنا ليناً لتعرفَ مَا بى
أبناءُ يَعرُبَ حينَ أُنسَبُ أسرتي غرُّ الوجوهِ كريمةُ الأحسابِ
أسماؤها كرُمَتْ ففاهَ بِها الإبا أنفتْ تمسُّ تنابزَ الألقابِ
فهم الرّؤوسُ لكلِّ مَنقبةٍ سَمَتْ والناسُ مِثلُ بقيةِ الأذنابِ (١)
فخرُ الرّسالةِ والصحابةِ فيهم كالشمس طالعة بغير حجابِ
ومِن العجائبِ أمّةٌ عربيةٌ مالتْ طبائعُها إلى الأجنابِ
نجحَتْ بِها الرّؤساءُ حينَ تجنَّستْ وبِها استبانَتْ خيبةُ الأعرابِ
غرباءُ فى الوطنِ العزيزِ تأهَّلَتْ سامتْ جميعَ العربِ ذُلَّ رقابِ
فُتِحَتْ لها أبوابُ كلِّ وظيفةٍ وبقيتُ مرتهناً وراءَ البابِ
ومِن العروبةِ تستمدُ قريحتي فهمتْ معانيها أولو الألبابِ
ما ميَّزَتْ نصحى مسامعُ عُصبةٍ طلبتْ ذُرى العليا بِجدٍّ كابى (٢)
وتفرّسَتْ فعَدتْ بِنا بعزيمة فى كلِّ نائبةٍ كَهام نابى
أضحتْ بشعبِ العربِ فارسُ فارساً للسبقِ مكَّنَ رجلَهُ بركابِ
قَد أشبهتْ غرفَ الملوكِ بيوتُهم محفوفةَ الأبوابِ بالحجَّابِ
أكلوا العراقَ وأهلَه بنواجذٍ وفَرَوا فؤادَ العصرِ بالأنيابِ
وتدرَّعوا بإهابِ شاءٍ واسعٍ وعَلَى القطيعِ عدَوا كعدوِ ذئابِ (٣)
إنْ حدَّثُوا وهتْ القلوبُ رطانةً بحديثِهم ظَنَّ الطنينُ ذبابِ
ويريكَ أورغُهم إذا حاورتَهُ روغانَ ثعلبِ أكمةٍ وثابِ (٤)

---

(١) فى البيت نظر لقول الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

(٢) من قولهم «كبا الفرس» أى عثر .

(٣) تدرعوا : أى لبسوها كالمدرعة . والإهاب الجلد .

(٤) فى اللسان «الأكمة القف من حجارة واحدة ، وقيل : هو دون الجبال وقيل هو الموضع الذى هو أشد ارتفاعا مما حوله» . وفى الديوان المنسوب للإمام على كرم الله وجهه وهو ينصح ابنه الحسين :

يُعْطِيْكَ مَا فَوْقَ المنى بِلِسَانِهِ وَيَرُوْغُ مِنكَ كما يروغ الثَّعْلَب

وفى الديوان نفسه يرد التعبير مرة أخرى فى قوله :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة وَيَرُوْغُ مِنكَ كما يروغ الثَّعْلَب

والعُربُ فى الضّراءِ أنحلها الطَّوى    لم تخلُ راحتُها مِن الأتعابِ
عشقَتْ عيونُ الدّهرِ حسنَ طباعِهم    فأطالَ فيها النعتَ بالإطنابِ
مُزِجَتْ مطاعمُهم بأطيبِ مطعم    وشرابُهم جارٍ بعذبِ شرابِ
فإذا أرتنى بلدةٌ مِن أهلِها    عدمَ الإخاءِ وقلةَ الأصحابِ
بادرتُ عنها بالخروجِ مبكراً    أُزجى الخُطى عجلاً بكور غراب [1]
تأبَى الحميَّةُ أنْ أقيمَ بذلَّةٍ    وأحطُّ فى دارِ الهوانِ رِكابى
والعزُّ ألبسنى البرودَ وإنْ أكن    خرِقَ القميصِ ممزَّقَ الجلبابِ
عاتبتُ دهرى فاستهلَّ بوجههِ    عرَقُ الحيا خجلاً بمسِّ عتابِ
قشرتُ لجوزاءِ السّماءِ بنانَه    ثوباً فزيَّنتها بلبِّ لبابِ
واليَوْمَ صَدَّ بوجههِ فتراجَعَتْ    عنِّى مواهبُهُ عَلَى الأعقابِ
فتجمَّلتْ نفسى ببردِ عفافِها    وكففتُ عَنْ نيلِ الأمورِ طِلابى
فقعدْتُ عَنْ طلبِ المُنى ونجائبى    قَد صنتُ أوجهَها عَن الأنجابِ

## براحتِها جلبتْ ضرَّها

قالَ عبد الحسينِ الحويزى :    [المتقارب]

أترجو حيا البارقِ الخلَّبِ    ولمعَ السَّرابِ عَن المشربِ [2]
مفيقاً يمرُّ عليكَ الخيا    لُ فهَل قلتَ ماذا الذى مرَّ بى
غُررتَ بآمالِكَ الكاذبا    بِ إذا قُلنَ ويلَكَ لا تكذبى
أمانٍ تريكَ طريقَ الأما    بِ بمربضِ ليثِ الثرى المُرهبِ [3]

---

(١) يضرب بالغراب المثل فى التبكير ؛ لأنه يصحو قبل الفجر . وفى « ثمار القلوب » ص ٤٦٢ « قال بعض العلماء تعلموا من الغراب بكوره وحذره وإخفاءه للسفاد . وقيل لبزرجمهر : بم أدركت ما أدركت؟ قال : ببكور كبكور الغراب ، وصبر كصبر الحمار ، وحرص كحرص الخنزير . قال الشاعر :

لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه    وغدوا لحاجتهم بكور غراب »

(٢) فى اللسان « البرق الخُلَّب الذى لا غيث فيه ، كأنه خادع ، يومض حتّى تطمع بمطره ، ثم يخلفك » .

(٣) المربض : مأوى الغنم وغيرها من الدواب ، وكل ما تأوى إليه وتستريح لديه من أم وزوج وبنت وقرابة وبيت وغيره ، والمقصود هنا ربوض الأسد .

عَلَى الرّوحَ منكَ بعبءِ الهوا ... نِ مثقَّلةٌ عَرَضَ المنكبِ
ضحكتَ مِن الدّهر ضحكَ المشيـ ... ـبِ بمفرقِ بادى العنا أشيبِ
عَلَى أمةٍ غُصِبَتْ حقَّها ... وقالتْ مِن الخوفِ لم أُغصَبِ
براحتِها جلَبَتْ ضرَّها ... فألقتْهُ فى جنبِها المُتعَبِ
تُمنِّى عزيمتَها فتكةً ... أيفتكُ سيفٌ بلا مضربِ؟
وتصبو إذا حدثتْها الظنو ... نُ وذاكَ لَعمرُكَ شأنُ الغبى
فلم ترَ يَوْماً سِوَى هيكلٍ ... غريبٍ بأخلاقِهِ مُعجبِ
إلى المجدِ يُدنى مقامَ الدّنىِّ ... ويبعدُ عنه مقامَ الأبى
لهاجيهِ يُبدى جزيلَ العطا ... ءِ ويُغضى عَن المادحِ المطنبِ
وعهدى بِهِ لمسيءُ الفِعا ... لِ يُجيزُ ويعفو عَن المذنبِ
وأنّى ادخرتُ جميلَ الثنا ... ءِ لرهطِ العُلا مِن بنى يَعرُبِ
بنى المجد مَنْ يردعُ الحادثا ... تِ ويأنفُ عزًّا عَن المهربِ
ألستم قساورةَ المعضلا ... تِ غَلبتم بباعٍ لكم أرحبِ
تجنبتمُ أمرَ شعبِ العرا ... قِ وأعطيتُم الأمرَ للأجنبى
ذهبتم وما فى نواديكمُ ... سِوَى الخلفِ كلٌّ إلى مذهبِ
فلا فرقَ مَا بينَنا بالأصو ... لِ ورشدِ الوصولِ إلى المطلبِ
إلهٌ ودينٌ لَهُ واحدٌ ... وبيتٌ وقرآنه والنبى
ولا لومَ أنْ يتبرَّى الصّحى - ... -حُ ليسلمَ مِن حكمِهِ الأجربِ
فقدْنا الصّنائعَ فى كسبِنا ... فلم نجدِ الرّبحَ فى المكسبِ
فلم تبقَ إلاَّ صغارُ العقو ... لِ تروحُ وتغدو إلى المكتبِ
فما الأمر فى ضربِ عمروٍ إذا ... عفا عنه زيدٌ ولم يضربِ
يذودُ عَن الشّعبِ وقعَ الخطو ... بِ شبا السّيفِ أم لفظُه المعربِ
أتحسنُ تكوينَ سيارةٍ ... وطيارةٍ لذُرى الكوكبِ
أجَلْ لو قدرْنا عَلَى مدفعٍ ... فلَلْنا بِهِ جانبَ الموكبِ [1]

---

(١) الفل : الثلم فى السيف ، وفى المحكم الثلم فى أى شيء كان .

وهَل نحنُ نعرفُ حربَ البحو ... رِ وضربَ البنادقِ فى المركبِ
فلم نستطعْ نسجَ ثوبٍ فهلْ ... ترى لم يَرَثَّ ولم يُسلَبِ
بخفضِ المعيشةِ يهوِى الفتى ... ويأبَى التّرفعَ فى المنصبِ
عجَجْنا كما عجَّتِ المسنتو ... نَ مِن الغرث فى عامها المجدب (١)
وأيامُنا أطرِبتْ باللحو ... نِ وهَل عيبَ لحنٌ عَلَى مطربِ
بنو الجهلِ يمشونَ مِثْلَ السّوا ... مِ خماصاً إلى المرتعِ المعشبِ (٢)
ونحنُ انتخبْنا لجدِّ الأمو ... رِ رجالاً فعادتْ إلى الملعبِ
أواعيةَ الدّهرِ لا تفرحي ... بمدحى وبالذم لا تغضبى
فإنّى امرؤٌ شأنى العدلُ لا ... أميل إلى الجانب المخصب
أيا دهرُ إنْ شابَ منى القذا ... لُ فقَد هاجَ عزمى نشاطَ الصَّبى (٣)
فلا عيبَ بالسيفِ بادى النّحو ... لِ حوَى الفخرَ فى ظهرِهِ الأحدبِ
ومِن قصبٍ واهنٍ فى الآجا ... مِ تقدَّمَ مطَّردَ الأكعبِ (٤)
وحسبى أنِّى بفخرِ القري- ... ضِ تفوقتُ بالأكذبِ الأعذبِ (٥)
وكذبُ اللّسانِ يُهين الفتى ... وينزله عَنْ عُلا المنصبِ
وقومى الأولى أمراء الكلام ... سموا كالبزاة عَلَى المرقب (٦)
مقامهم عندَ صيد الملوك ... بعيد المدى قط لم يطلب
وألسنة الهجو منهم متى ... تذلق فلتْ شبا المقضب (٧)
وما عادتى غير نعت الرّجال ... ولم أتخذ عادة العقرب

---

(١) « الغرث : أيسر الجوع ، وقيل شدته وقيل هو الجوع عامة غرث بالكسر يغرث غرثا فهو غرث وغرثان والأنثى غرثى وغرثانة » .

(٢) فى اللسان : « السائمة كل أبل ترسل ترعى ولا تعلف فى الأصل وجمع السائم السائمة سوائم » .

(٣) فى اللسان : «القذال جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا والجمع أقذلة » .

(٤) الآجام : جمع الأجمة الشجر الكثير الملتف والجمع أجم ، وآجام .

(٥) فى المثل السائر لابن الأثير وعند الحديث عن قضية الكذب والصدق فى الشعر «إنَّ أحسن الشعر أكذبه ، بل أصدقه أكذبه » . ج٢ ص ٣١٣ .

(٦) البزاة جمع بازى وهو نوع من الصقر يستخدم فى الصيد .

(٧) شبا جمع شباة . وهو من كل شيء حد طرفه والجمع الشبا والشبوات . المقضب : السيف القاطع .

## قافية التاء

## حسرة عَلَى أيام ببغداد

قالَ ابن عنين [١] :

[الطويل]

سَقَى الله أيامًا ببَغْدادَ لى مضَتْ خَلتْ فألذَّتْ وانقضَتْ فأمضَّتِ
ولم يكُ إلاَّ عقدَ عمرى وعُلقةً تقضَّى فكانتْ عيشتى قَد تقضَّتِ [٢]

## عبرة

كتب شمس الدينِ محمد بن عبيد الله الكوفى الواعظ [٣] لمَّا شاهد تُرَبَ الرُّصافة بعدَ هجوم التتار عَلَى بَغْداد ، وقَد نُبشَتْ قبورُ الخلفاء ، وأحرقتْ تلكَ الأماكن ، وأبرزتْ الرؤوس والعظام ، كتب عَلَى بعض الحيطان [٤] :

[الخفيف]

إنْ تُرِدْ عِبرةً فتلكَ بنو الـ ـعباس حلَّتْ بهم الآفاتُ

---

(١) أبو المحاسن ، شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن بن عنين (٥٤٩ - ٦٣٠هـ) ، مولده ووفاته فى دمشق . وكان هجّاءً ، قلّ من سلم من شره فى دمشق ، حتّى السلطان صلاح الدين والملك العادل . ونفاه صلاح الدين ، فذهب إلى العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والهند واليمن ومصر . وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين ، فمدح الملك العادل ، وتولى الكتابة للملك المعظم ، بدمشق ، فى آخر دولته ، ومدة الملك الناصر ، وانفصل عنها فى أيام الملك الأشرف ، فلزم بيته إلى أنْ مات . له (ديوان شعر) ، و(مقراض الأعراض) قصيدة فى نحو ٥٠٠ بيت ، و(التاريخ العزيزى) فى سيرة الملك العزيز .

(٢) قرى الضيف ٤ ص ٥٢٠ .

(٣) فى فوات الوفيات ج٤ ص١٠٢ : « محمود بن أحمد ، ولد عام٦٢٣هـ ، واشتهر بالوعظ ، وعمل فى التدريس ، وتوفى عام ٦٧٥هـ » .

(٤) ابن الفوطى : « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » ص ٣٣٥ .

استُبيحَ الحريمُ إذْ قُتلَ الأحـ ـياءُ منـهـم وأُحـرقَ الأمـواتُ

## نقص القادر عَلَى الكمال

قالَ الرُّصافى يزرى على العراق تخلفه عن الانتفاع بخيراته ، ويصف ما نكبتْ به بغداد من ماء السيول بدلا من الإفادة منه :

[الكامل]

بَغْدادُ حسبُكِ رقدةٌ وسُباتُ أوَ مَا تمُضُّكِ هَذِهِ النَّكباتُ
وَلعتْ بكِ الأحداثُ حتَّى أصبحتْ أدواءُ خطبكِ مَا لهنَّ أساةُ
قلبَ الزّمانُ إليكِ ظهرَ مجنَّةٍ أفكانَ عندكِ للزمانِ تراتُ [(1)]
ومِن العجائب أنْ يمسَّكِ ضرُّهُ مِن حيثُ ينفع لو رعتكِ رعاة
إذْ مِن ديالةَ والفُرَاتِ ودِجلَةٍ أمستْ تحلُّ بأهلِكِ الكرباتُ [(2)]
إنَّ الحياةَ لفى ثلاثةِ أنهرٍ تجرى وأرضُكِ حولَهنَّ مَواتُ
قَد ضلَّ أهلُكِ رشدَهم وهَلْ اهتدَى قومٌ أجاهلُهم هم السَّرواتُ
قومٌ أضاعُوا مجدَهم وتفرَّقُوا فتراهم جمعاً وهم أشتاتُ
لقَد استهانُوا العيشَ حتَّى أهملوا سَعياً مغبةُ تركِهِ الإعناتُ
يا صابرينَ عَلَى الأمورِ تسُومُهم خسفاً عَلَى حينِ الرّجالُ أباةُ
لا تهملُوا الضّررَ اليسيرَ فإنَّه إنْ دامَ ضاقَتْ دونَه الفلواتُ
فالنارُ تلهبُ مِن سقوطِ شرارةٍ والماءُ تجمعُ سيلَه القطراتُ
لا تستنيمُوا للزمانِ تَوكُّلاً فالدَّهرُ نزَّاءٌ لَهُ وثبَاتُ
فإلى متى تستهلكونَ حياتَكم فوضَى وفيكم غفلةٌ وأَناةُ
تالله إنَّ فعالَكم بخلافِهِ نزلَ الكتابُ وجاءَتْ الآياتُ

---

(1) « قلب لهم ظهر المجن » كناية عن تغيير المودة ، واستحالتها إلى عداوة . الترات : جمع ترة ، وهى الثأر .

(2) هكذا فى الديوان بالتاء المربوطة . وفى معجم البلدان : « ديالى (بفتح أوله وإمالة اللام) نهر كبير بقرب بغداد ، وهو نهر بعقوبا الأعظم ، يجرى فى جنبها ، وهو الحد بين طريق خراسان والخالص » .

أفتزعمونَ بأنَّ تركَ السّعى في هـذى الـحـيـاةِ تـوكُّـلٌ وتُـقـاةُ
إنْ صحَّ نقلُكُم بذاكَ فبيِّنوا أو قامَ عندَكم الدّليلُ فهاتُوا
لم تلقَ عندَكم الحياةُ كرامةً فـى حـالـةٍ فـكـأنَّـكـم أمـواتُ
شقيَتْ بكم لمَّا شقيتُم أرضُكُم فلها بكم ولكم بِها غمراتُ
وجهلتُهمُ النّهج السَّوىَّ إلى العُلَى فترادفتْ منكم بِها العثراتُ
بـالـعـلـم تـنـتـظـمُ الـبلادُ فإنَّه لـرُقـىِّ كـلِّ مـديـنـةٍ مـرقـاةُ
إنَّ البـلادَ إذا تـخـاذل أهـلـهـا كـانَـتْ مـنـافـعُـهـا هـى الآفـاتُ
تلكَ الرُّصافة والمياهُ تحفها والكرخُ قَد ماجَتْ بِهِ الأزماتُ
سـالـتْ مـيـاهُ الـواديـيـنِ جـوارفًا فـطـفـحـنَ والأسـدادُ مؤتـكـلاتُ
فتهاجَمَ الماءانِ مِن ضفتَيهما فـتـنـاطـحـا وتـوالَـتْ الـهـجـمـاتُ
حتَّى إذا اتصلَ الفُرَاتُ بدِجلَةٍ وتـسـاوَتْ الـوهـداتُ والـربـواتُ
زحفَتْ جيوشُ السّيلِ حتَّى أصبحَتْ بـالـكـرخِ نـازلـةً لـهـا ضـوضـاةُ
فسقَتْ بيوتَ الكرخِ شرَّ مُقَيِّئٍ منـهـا فَـقـاءَتْ أهـلَـهـا الأبـيـاتُ
واستنقعَتْ فيها المياهُ فطحلبَتْ بالمكثِ ترغو تحتَها الحمآت
حتَّى استحالَ الكرخُ مشهدَ أبؤسٍ تـبـكـى بِـهِ الـفـتـيـانُ والـفـتـيـاتُ
طـرقـانُـهُ مـسـدودةٌ وديـارُهُ مـهـدومـةٌ وعِـراصُـه قـذراتُ
يا كرخُ عزَّ عَلَى المروءَةِ أنَّه لُجَجُ المياهِ عليكَ مزدحماتُ
فلئن أماتَتكِ السّيولُ فإنَّما أمـواجـهـنَّ عـلـيـكِ مـلـتـطـماتُ
مَنْ مبلغُ المنصورِ عَنْ بَغْدادِهِ خبراً تفيضُ لمِثْلِهِ العبراتُ
أمسـتْ تـنـاديـهِ وتـنـدبُ أربُـعـاً طَمسَتْ رسومَ جمالِها الهبواتُ
وتقولُ : يا لأبى الخلائف لو ترى أركانَ مجدى وهى منهدماتُ
لغدوتَ تُنكرنى وتبرحُ قائلاً بـتـعـجـبٍ مَـا هَـذِهِ الـخَـربـاتُ
أيـنَ الـبـروجُ بـنـيـتـهـنَّ مـشـيـدةً أينَ القصورُ علتْ بِها الشّرفاتُ
أينَ الجنانُ بحيثُ تجرى تحتَها الْـ -أنـهـارُ يـانـعـةٌ بِـهـا الـثّـمـراتُ
أترى أبـو الأمنـاءِ يـعـلـمُ بـعـدَه بَغْدادَ كيفَ تروعُها النّكباتُ [1]

---

(١) هو هارون الرشيد ، سمى بذلك لأنه أبو الأمين والمأمون والمؤتمن .

لا دِجلَةٌ - يا للرزيةِ - دِجلَةٌ بعدَ الرّشيدِ ولا الفُرَاتُ فُرَاتُ
كانَ الفُرَاتُ يمدُّ دجلَةَ ماؤه بجداولٌ تُسقَى بِها الجناتُ
إذْ بينَ دِجلَةَ والفُرَاتِ مصانعٌ تفترُّ عَنْ شنبٍ بِها السّنواتُ
يا نهرَ عيسى أينَ منكَ مواردٌ عذُبتْ وأينَ رياضُك الخضلاتُ
ماذا دهى نهرَ الرُّفيْلِ مِن البلى حيثُ المجارى منه مُندرساتُ
إذ قصرُ عيسى كانَ عندَ مصبِّهِ وعليه منه أطلَّتِ الغرُفاتُ
أم أينَ بركةُ زُلزلٍ وزلالُها السّـ ـلطانُ تسرحُ حَولَه الظبياتُ
يا نهرَ طابقٍ لا عدمتُك منهلاً أينَ الصّراةُ تحفُّها الرّوضاتُ
أم أينَ كرخايا تمدُّ مياهُهُ نهرَ الدّجاجِ فتكثرَ الغلاتُ [1]
أم أينَ نهرُ الملكِ حينَ تسلسَلَتْ فيهِ المياهُ وهنَّ مطّرداتُ
قَد كانَ تزدرعُ الحبوبُ بأرضِهِ فتسحُّ فيه بفيضِها البركاتُ
أم أينَ نهرُ بطاطيا تأتيه من نهرِ الدُّجيلِ مياهُهُ المجراةُ
ولهُ فروعٌ أصلهنَّ لشارعِ الْـ كبشِ المجارى منه منتهياتُ
تنمو الزّروعِ بسقيهِ فغلالُهُ كلُّ العراقِ ببعضِها يقتاتُ
لهفى عَلَى نهرِ المُعلَّى إذْ غدَتْ لا تستبينُ جنانُهُ النّضراتُ
نهرٌ هوَ الفردوسُ تدخلُ منه فى قصرِ الخلافةِ شعبةٌ وقناةُ
كالسيفِ منصلتاً تُضاحِكُ وجهَهُ الْـ أنوارُ وهىَ عليه مُلتمِعاتُ
إذْ «نهربينُ» عندَ كلواذى بِهِ مُلدُ الغصونِ تهزُّها النّسماتُ [2]
وبقربِهِ مِن نهرِ بُوقٍ دارةٌ تنفى الهمومَ مروجُها الخضراتُ
يا قصرَ بابِ التّبرِ كنتَ مُقرّنا والنفىُ يصدرُ منكَ والإثباتُ
أيّامَ تطلعُكَ العدالةُ شمسَها وترفُّ فوقَكَ للهدى راياتُ
أيامَ تبصرُكَ الحضارةُ فى العُلَى بدرًا عليكَ مِن الثّنا هالاتُ
أيامَ تنشدُكَ العلومُ نشيدَها فتعودُ منكَ عَلَى العلوم صلاتُ
أيامَ تقصدُكَ الأفاضلُ بالرجا فتفيضُ منكَ لهم جدًاً وهِباتُ

---

(١) كرخايا : مورد يفيض منه الماء من نهر عيسى .

(٢) «نهربين» إحدى كور الأهواز السبعة . ذكرها البكرى فى «معجم ما استعجم» ج١ ص ٢٠٦ .

أيامَ يأتيك الشكئُ بأمرِهِ فيروحُ عنكَ وما لديهِ شَكاةُ
تمضى الشهورُ عليكَ وهى أنيسةٌ وتمرُّ باسمةً بكَ السَّاعاتُ
ماذا دهاكَ مِن الهوانِ فأصبحَتْ آثارُ عزِّكِ وهى مُنطمِساتُ
قَد ضيَّعَتْ بَغْدادُ سابقَ عزِّها وغدَتْ تجيشُ بصدرِها الحسراتُ
كَمْ قَد سقاها السّيلُ مِن أنهارِها ضررًا وهنَّ منافعٌ وحياةُ
واليَوْمَ قلتْ بجانبيها أرخوا دفقَ السّيولُ فماجَتْ الأزماتُ

## قافية الجيم

# أيُّها المقتول

قالَ عمرو الوراق [1] فى خراب بغداد أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون :

[مجزوء الرمل]

ذهـبـتْ بـهـجـةُ بَـغْـدا دَ وكـانـتْ ذاتَ بـهـجـةْ
فـلـهـا فـى كـلِّ يَـوْمٍ رجَّـةٌ مِـن بـعـدِ رجَّـةْ
ضـجَّـتْ الأرضُ إلى الـلَّـ ـهِ مِـن الـمـنـكـرِ ضـجَّـةْ
أيُّـهـا الـمـقـتـولُ مَـا أنـ ـت عَـلَـى دينِ الـمـحـجَّـةْ [2]
لَيْـتَ شعرى مَا الذى نلـ ـتَ وقَـد أَدلـجـتَ دَلـجَـةْ
أإلـى الـفـردوسِ وُجِّـهـ ـتَ أم الـنـارِ تُـوجَّـهْ
حـجـرٌ أرداكَ أم أر ديـتَ قـسـراً بـالأزجَّـةْ [3]
إنْ تـكُـنْ قـاتـلـتَ بِـرًّا فـعـلـيـنـا ألـفُ حـجَّـةْ

---

(1) أحد شعراء العصر العباسى ، توفى عام مائتين ، والقصيدة من تاريخ الطبرى ج٨ ص ٤٧٠ .

(٢) المحجة جادة الطريق مفعلة من الحج ، وهو : القصد والميم زائدة ، وجمعها المحاج بتشديد الجيم .

(٣) فى اللسان : «الزج زج : الرمح والسهم ، قال ابن سيده : الزج الحديدة التى تركب فى أسفل الرمح ، والسنان يركب عاليته الزج تركز به الرمح فى الأرض ، والسنان يطعن به والجمع أزجاج وأزجة وزجاج وزججة . قال الجوهرى : جمع زج الرمح زِجاج - بالكسر - لا غير» .

# قافية الحاء

## نواح دجلة

قال الرصافى بعد سقوط بغداد أثناء الحرب العامة جواباً عَن قصيدة الشاعر التركى سليمان نظيف :

[الخفيف]

هِى عينى ودمعُها نضَّاحُ ... كلُّ حُزنٍ لمائها يَمْتاحُ [1]

كيفَ لا أذرُفُ الدّموعَ وعزّى ... بيدِ الذلِّ هالكٌ مُجتاحُ

قد رمتنِى يدُ الزمانِ بخطبٍ ... جلَلٍ ما لليلِهِ إصباحُ

حَيْثُ غَمَّت عَلىَّ وجهُ سَمَائِى ... ظُلماتٌ تخفى بها الأشباحُ

وتوارَى عَن أعينى مضمحلاً ... شَرَفٌ فى مواطنى وضاحُ

يَوْمَ أمسيتُ لا حُماةٌ تذود الضّـ ... ـيم عنى ولا ظُبىً ورماحُ

فأنا اليَوْمَ كالسّفينةِ تجري ... لا شِراعٌ لها ولا مَلاحُ

ضقتُ ذَرعاً بمحنتى فتراءتْ ... قِيدَ شِبرٍ لِى الفِجاجُ الفِساحُ

أخرسَ الحزنُ مَنْطقى بنحيبٍ ... ألسنُ الدّمعِ فيه ذُلْقٌ فِصاحُ

نحْتُ حتّى رَثَى العدوُّ لحالى ... واعترانى مَن العويلِ بُحاحُ

فمياهى هِىَ انسكاب دموعي ... وخريرى هوَ البكا والنُّواحُ

أوَ ما تبصرُ اضطرابى إذا ما ... خَفقتْ فى جوانبى الأرواحُ

ليسَ ذا الموجُ فىَّ موجاً ولكن ... هوَ منى تنهدٌ وصياحُ

إنَّ وجدى هوَ الجحيمُ ولولا ... أدمعى أحرقتنى الأتراحُ

لو درَى منبعى بما أنا فيه ... من أسًى جفَّ ماؤه الضَّحْضَاحُ

علَّه قد درىَ بذاكَ فهذا ... هوَ باكٍ ودمعُه سفَّاحُ

أينَ أهلُ الحفاظِ هل تركونى ... نهبةً فى يدِ العدوِّ وراحُوا

برحوا وادىَ السَّلامِ عِجالاً ... أفجِدٌ برَاحُهمْ أم مُزاحُ

---

(١) ديوانه ص ٤١٨ .

ما مالَهم يَبعدونَ عنى انتزاحاً وعزيزٌ منهم عَلَيَّ انتزاحُ
أوَ ما يعلمونَ أنَّ حريمى للمعادينَ بعدَهم مستباحُ
فلئن يبعدوا فإنَّ فؤادى لإليهم بوِدِّه طمَّاحُ
تركونى من الفراقِ أُقاسى ألماً ما تطيقُهُ الأرواحُ
لو رأونى سِباً بأيدى الأعادى لبكوا مثلما بكيتُ وَناحُوا
لا مسائى بعدَ البعادِ مساءٌ يَوْمَ بانوا ولا الصباحُ صباحُ
أتمنَّى بأنْ أطيرَ إليهم بجَناحٍ وأينَ منى الجَناحُ
أنا أدرى بأنَّهم بعدَ هجري لم يذوقوا غمضاً ولم يرتاحُوا
بل هم اليَوْمَ عازمونَ عَلَى الزَّحفِ بجيشٍ به تَغصُّ السِّطاحُ
إنْ تَأنَّوا فربضةُ الليثِ تأتى بعدَها وثبةٌ له وكفاحُ
كيفَ يغُضونَ عَن إغاثةِ وادٍ زانَه من ودادِهم أوضاحُ
فعليه من فخرِ عثمانَ تاجٌ وله رايةُ الهلالِ وشاحُ[1]
أنا باقٍ عَلَى الوفاءِ وإنْ كانَت بقلبى ممَّن أحبُّ جراحُ
فإليهم ومنهم اليَوْم أشكو بلغيهم شكايتى يا رياحُ

(١) يقصد السلطان الغازى عثمان خان بن أرطغول بن سليمان شاه بن قيا ألب الذى بفضله تكونت الدولة العثمانية (ت٧٢٦) هـ .

# قافية الخاء

## ليلة بالكرخ

قالَ أبو نواس فى وصف تمتعه ببعض نواحى بغداد :

[السريع]

يا ليلةً بالكرْخِ كَمْ لذّةٍ سِيقَتْ إلينا ، ليلةَ الكرْخ
سُقيتُها صَهْباءَ ، مشمولَةً كريمَةَ الجدّيْنِ والسِّنْخ [1]
سُلافَةً ، تضحكُ فى كأسها عذراءَ ، صانوها عَن الطبْخِ

## بكُرهى فراق بغداد

قالَ أبو على محمد بن عمر البلخى الزاهر فى التحسر على فراق بغداد . ويروى لأبى الحسن على بن محمد الغزنوى [2] :

[الطويل]

أقولُ وقَد فارقتُ بَغْدادَ مُكرَهًا سلامٌ عَلَى عهدِ القطيعةِ والكرخ
هوايَ ورائى ، والمسيرُ خلافُهُ فقلبى إلى كرخٍ ووجهى إلى بلخِ [3]

---

(١) فى اللسان : « السنخ : الأصل من كل شيء ، والجمع أسناخ وسنوخ . وسنخ كل شيء أصله » .

(٢) قرى الضيف ٤ ص ٤٧٨ . وفى معجم البلدان ج٤ ص ٤٤٨ : « قال محمد بن داود الأصبهانى :

يَهيمُ بذكر الكرخِ قلبى صبابةً ولستُ أبالى بالرَّدى بعد فقدهم
وما هو إلا حبّ من حل بالكرخ وهل يجزع المذبوحُ من ألم السّلخ

وأضاف إليهما عبيد الله بن عبد الله الحافظ بيتين آخرين وهما :

أقول وقد فارقت بغداد مكرها هواى ورائى والمسير خلافه
سلام على أهل القطيعة والكرخ فقلبى إلى كرخ ووجهى إلى بلخ

(٣) فى معجم البلدان : « بلخ من أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيرا وأوسعها غلة ، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم ، وقيل : إن أول من بناها لهراسف الملك لما خرب صاحبه بخت نصر بيت المقدس ، وقيل : بل الإسكندر بناها وكانت تسمى الإسكندرية قديما بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخا ، ويقال لجيحون نهر بلخ ، بينهما نحو عشرة فراسخ ، فافتتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه » .

## قافية الدال

# سلام على أهل بغداد

روى أنَّ الرشيد حج فى بعض الأعوام - وقيل فى عام سبع وسبعين بعد المائة - فلمَّا أشرف على الحجاز تمثل بقول الشاعر [1] :

[الطويل]

أقولُ وقَد جزْنا زرودَ عشيَّةً ... وراحتْ مطايانا تؤمُّ بِنا نجدا [2]

عَلَى أهلِ بَغْدادَ السّلامُ فإنَّنى ... أزيدُ بسيرى عَنْ بلادِهم بعدا [3]

# أمنية

قالَ آخر :

[الطويل]

ولـمَّا تجاوزتُ المدائنَ سائراً ... وأيقنتُ يا بَغْدادُ أنِّى عَلَى بعدِ

علمتُ بأنَّ اللهَ بالغُ أمرِهِ ... وأنَّ قضاءَ الله ينفذُ بالعبدِ

وقلتُ وقلبى فيه مَا فيه مِن جوًى ... ودمعى جارٍ كالجُمانِ عَلَى خدِّى [4]

ترى الله يا بَغْدادُ يجمعُ بيْننا ... فألقَى الذى خلفتُ فيكِ عَلَى العهدِ [5]

---

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٤٦٢ .

(٢) فى معجم البلدان : « زرود يجوز أنْ يكون من قولهم جمل زرود أى بلوع ، والزرد البلع ، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب ، لأنَّها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة ، . . . وتسمى زرود العتيقة ، وهى دون الخزيمية بميل » .

(٣) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ص ١٩ .

(٤) فى اللسان : « الجمان هنوات تتخذ على أشكال اللؤلؤ من فضة ، فارسى معرب ، واحدته جمانة وتوهمه لبيد لؤلؤ الصدف البحرى ، فقال يصف بقرة :

وتُضىءُ فى وجهِ الظّلامِ منيرةً كجُمانةِ البحرى سلَّ نظامُها

قال الجوهرى : الجمانة حبة تعمل من الفضة » .

(٥) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ص ٢٠ ، ٢١ .

## ضحايا لا ناقة لهم ولا جمل

يقول الشاعر الأعمى – وهو المعروف بعلى بن أبى طالب – فى الواقعة التى كانت بين جنود الأمين والمأمون :

[الرجز]

وقعةُ يَوْمَ الأحدِ كانتْ حديثَ الأبدِ (1)
كَمْ جسدٍ أبصرتَهُ ملقىً وكَمْ مِن جسدِ
وناظرٍ كانَتْ لَهُ منيَّةٌ بالرصدِ
أتاهُ سهمٌ غائرٌ فشقَّ جوفَ الكبدِ
وآخرٌ ملتهبٌ مِثْلَ التّهابِ الأسدِ
وقائلٍ قَد قتلوا ألفاً ولمَّا يزدِ
فقالَ : أكثرٌ ، بل ما لهم مِن عددِ
قلتُ لمطعونٍ وفيهِ طعنةٌ لم تئدِ
مَنْ أَنْتَ يا ويلكَ يا مسكينُ مِنْ محمدِ (2)
فقالَ : لا مِن نسبٍ دانٍ ولا مِن بلدِ
ولا أَنا للغيِّ قاتلتُ ولا للرَّشدِ
ولا لشيءٍ عاجلٍ يصيرُ منه فى يدِى

## جسر على نهر دجلة

أنشد لبعض الشعراء فى جسور بغداد التى على دِجلَة :

[الكامل]

يَوْمٌ سرقْنا اللهو فيه خِلسةً فى مجلسٍ بفناءِ دِجلَةَ مفردِ

---

(1) كانت هذه الوقعة بين الأمين والمأمون فى الفتنة التى وقعت بينهما وانتهت بمقتل الأمين واستيلاء المأمون على بغداد .

(2) هو محمد الأمين بن هارون الرشيد .

رقَّ الهواءُ برقَّةٍ وقدامةٍ فغدوتُ رقًّا للزمانِ المسعدِ
فكأنَّ دِجلَةَ طيلسانٌ أبيضٌ والجسرُ فيها كالطِّرازِ الأسودِ (١)

## دار الأنس

وقالَ آخر (٢) فى مدح بغداد والتحسر على فراقها :

[الكامل]

يا دارَ دَارَ الأنسِ والإسعادِ بَغْدادُ سُقياً لكِ مِن بلادِ
وقطعِ وادٍ وورودِ وادٍ بُدّلتُ منكَ وحشةَ البوادى

## محل للملوك

وكانَ عبد الله بن المبارك (٣) إذا ذكرت بغداد يقول (٤) :

[الخفيف]

قُلْ لمَنْ أظهرَ التّنسكَ فى النّا سِ وأمسى يعدُ فى الزّهادِ
الزمْ الثّغرَ والتّواضعَ فيه لَيسَ بَغْدادُ منزلَ العبادِ
إنَّ بَغْدادَ للملوكِ محلٌ ومناخٌ للقارئ الصّيادِ (٥)

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ ص ١٤١ .

(٢) تاريخ بغداد ج١ ص ٦٠ .

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء ، التيمى ، المروزى (١١٨ - ١٨١هـ) اهتم بجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس . كان من سكان خراسان ، ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم . له كتاب فى (الجهاد) - وهو من أوائل من صنفوا فيه - و فى كتاب (الرقائق) .

(٤) تاريخ بغداد ج١ ص ٣ ، ومعجم البلدان .

(٥) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ص ٢٢ .

## أفنان الشباب

قالَ ابن الرومى [1] :

[الكامل]

بلدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبيبة والصِّبا ولبستُ فيه العيْشَ وهوَ جديدُ
فإذا تمثَّلَ فى الضَميرِ رأيتُه وعليه أفنانُ الشَّبابِ تميدُ

## دار الخلافة

قالَ ابن الرومى :

[الطويل]

رقدْتُ وما ليلُ الغريبِ براقدِ وما راقدٌ لم يرْعَ نجماً كساهدِ [2]
وكيفَ رُقاد الصَّبِّ مَا بينَ سائقٍ مِن الشَّوْقِ يَقريه النِّزاعَ ، وقائدِ
إذا مَا تدانيْنا مُنعتُ ، وإنْ تَبِنْ جَزِعْتُ ، وما فى المنْعِ عذرٌ لواجِدِ
تبيتُ ذراعى لى وساداً ومُنْصُلى ضجيعاً إذا مَا بتُّ فَوقَ الوسائدِ
أحنُّ إلى بَغْداذَ ، والبيدُ دونَها حنينَ عميدِ القلبِ حَرَّانَ فاقِدِ [3]

---

(١) هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج الرومى (٢٢١- ٢٨٣هـ) . رومى الأصل كان جده من موالى بنى العباس . ولد ونشأ ببغداد ، ومات فيها مسموماً ، قيل : دس لَهُ السمّ القاسم بن عبيد الله (وزير المعتضد) وكان ابن الرومى قد هجاه . قال المرزبانى : لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس ، إلا وعاد إليه فهجاه . له (ديوان شعر) طبع فى القاهرة بتحقيق د .حسين نصار ، واختصر كامل الكيلانى الديوان وسمى المختصر (ديوان ابن الرومى) ولأحمد بن عبيد الله الثقفى (المتوفى سنة ٣١٩) كتاب (أخبار ابن الرومى والاختيارات من شعره) ولعباس محمود العقاد (ابن الرومى : حياته من شعره) . والقصيدة من ديوانه ص ٤٦٩ .

(٢) ديوانه ج٢ ص ٧٨٩ .

(٣) كثيرا مَا كان يرد اسم بغداد بالذال فى أشعار العباسيين من ذلك قول أبى نواس :

وقائلٍ : هل تُريدُ الحجّ؟ قلتُ له: نعم ، إذا فَنِيَتْ لذَّاتُ بغداذِ

وقول أبى تمام :

لقَدْ أقامَ على بغداذ ناعِيها فَلْيَبْكِها لِخَرابِ الدَّهرِ باكِيها

وأتركُها قصْداً لآمِدَ طائعاً ... وقلبى إليها بالهوى جِدُّ قاصِدِ [1]
ألا هلْ لأيام تعلَّلْتُ عيشَها ... بِها عودةٌ أم لَيسَ دهرٌ بعائدِ
بلى ، رُبَّما عَادَ الزمانُ بمِثْلِ ما ... بدا فحمدْنا فعلَه غيرَ عامدِ
فما مِثْلُها للمُلْكِ دارُ خلافةٍ ... أجَلْ ، لا ولا للطيبِ مرتادُ رائدِ
وما خِلْتُنا مستبدِلِى بقعةٍ بها ... مِن الأرضِ لَولا شؤْمُ صاحبِ آمِدِ
أظنَّ أميرَ المؤمنينَ كغيرِهِ ... مِن النَّاسِ تَبًّا للغوى المعانِدِ
ألم يرَ أنَّ الأمرَ فى الأرضِ أمرُهُ ... وأن الذى يعصيه لَيسَ بخالدِ
وما عذرُ مَنْ ضلَّ الهُدَى وأمامَهُ ... ضياءُ شهابٍ فى دُجى اللّيلِ واقدِ
لقَد رأبَ الله الثَّأىَ ، وجلَّى العمى ... بمعْتَضِدٍ بالله ، للدينِ عاضد [2]
حليم ، عليم ، للرَّعيةِ ناظرٍ ... رؤوفٍ بهم ، يحنو عليهم كوالدِ
يريحُهُمْ إتعَابُهُ نفسَه لهم ... ويُسْهِرُهُ إصلاحُ أحوال هاجدِ
إذا مَا العِدا لم يستجيرُوا بعفوه ... ويُلْقُوا إليه -خُضَّعاً- بالمقالدِ
سرى جَحْفَلٌ مِن بأسِهِ قاصداً لهم ... فساقهمُ قهراً كسوْق الطَّرائِدِ
وإنْ أرْصدُوا منه لإدراكِ غِرَّةٍ ... لقُوا دونَها أسْيافَه بالمراصدِ
وما غَرَّهم- لا يُبْعِدُ اللَّهُ غيرَهُمْ- ... بلَيْثٍ عَلَى لجْبِ المحجَّة صائدِ
إذا مَا انتضى للعزمِ صارمَ رأيه ... رأيتَ جميعَ النَّاسِ فى مَسْك واحدِ
ويكشف أعقابَ الأمورِ صدورُها ... له فيراها غائباً كمشاهدِ [3]

---

(١) فى معجم البلدان : « آمد بكسر الميم ، وما أظنها إلا لفظة رومية ، ولها فى العربية أصل حسن لأن الأمد الغاية ، ويقال أمد الرجل يأمد أمدا إذا غضب فهو آمد نحو أخذ يأخذ فهو آخذ ، والجامع بينهما أن حصانتها مع نضارتها تغضب من أرادها ، وتذكيرها يشار به إلى البلد أو المكان ، ولو قصد بها البلدة أو المدينة لقيل آمدة ، كما يقال آخذة ، والله أعلم ، وهى أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا . . وهو بلد قديم حصين ركين مبنى بالحجارة السود على نشز دجلة ، محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال ، وفى وسطه عيون وآبار قريبة نحو الذراعين ، يتناول ماؤها باليد ، وفيها بساتين ونهر يحيط بها السور » .

(٢) فى لسان العرب : « الثأى : الإفساد كله ، وقيل هى الجراحات والقتل ونحوه من الإفساد ، وأثأى فيهم قتل وجرح » .

(٣) من قول أوس بن حجر الجاهلى :

الألْمَعِى الّذى يَظُنُّ بكَ الظَّـ ... ـنَّ كَأنْ قَدْ رَأى وَقَدْ سَمِعا

أَلَسْتَ الذى سادَ الورى وحَوى العلا ... عَلَى رغم أنف مِن عدو وحاسدِ

منعتَ حِمى الإسلام ممَّنْ يكيدُه ... وضاربتَ عنه قائماً غير قاعد

وباشرتَ فيه كلَّ لينٍ وشدَّةٍ ... وجاهدتَ عنه فوقَ جَهْد المجاهدِ

غلاماً أميراً ، ثم كهلاً خليفةً ... بهمَّة ماضى العزم يقظانَ ماجد

وكَمْ مارقٍ مِن ربقةِ الدِّينِ خائنٍ ... لنعمى الإله عنده فيك جاحد

دَلَفْتَ إليه فاستبحتَ حَرِيمَهُ ... بجيشٍ لُهام كالمُدُود الزَّوائدِ

وأسلفتَ إنذاراً ، وقدّمت عِذْرَةً ... لتقويم مُعَوَّج وإصلاح فاسدِ

ولو شئتَ أطعمتَ المنيةَ رُوحَه ... بأدنى غلامٍ أو بأصغر قائدِ

وقَد فَغرَتْ فاهاً لَهُ غيرَ أنَّها ... تراقب إذناً منكَ غير مساعدِ

فلم يعصمْ ابنَ الشيخ تَشْييدُ سُورِه ... عَلَى رأس نيقٍ بالصَّفا والجلامدِ (1)

بل اغترَّ بالإحْصارِ منه ، وسوَّلتْ ... له النفس غَيّاً ، لَيسَ غاوٍ كراشدِ

وما الحازمُ النِّحريرُ إلاَّ الذى يرى ... مصادر مَا يأتيه قبل المواردِ

وقَد كانَ فى الغيثِ المُواصلِ غوْثُهُ ... يدافعنا عنه دفاعَ المُكايدِ

فلمَّا تقضَّى حيْنُه وتفرَّغتْ ... عَزاليه ثُرنا كالليوث اللَّوابد

فجادتْهُ مِن وُبلِ السِّهام سحابةٌ ... تسحُّ ذُعافاً مِن سمام الأساودِ

وأمطرَهُ جذْبُ المجانيقِ جنْدلاً ... وناراً تلظَّى كانقضاض الفراقدِ

ودبَّ إليه الموتُ غضبانَ مسرعاً ... بباباته مِن محكماتِ المصائد

ثلاثَةُ أيام فَقَطْ عُددتها ... بِهِ ساهراً فى ليله غيرَ راقدِ

فأخرَجْتهُ مستخزياً راجلاً بما ... بَثَثْتَ عليه مِن صنوف المكايدِ

ولو لم يَعُذْ بالعفوِ منك لأزْلَقَتْ ... إليه المنايا فى رؤوس المطارد

فأثبتَّهُ لمَّا استقادَ وقَد دنَتْ ... ظباتُ السيوف مِن مَناط القلائدِ

وأصبحتَ تحوى أرضَه وديارَه ... وكلَّ طريف مِن حماهُ وتالدِ

أباحَ وما قامتْ عليه لسفكِه ... شهادةُ قاضٍ فهوَ أعدلُ شاهدِ

بنقضِ شروطٍ كانَ أحمقَ ناقضٍ ... عُراها ولكنْ كنتَ أحزم عاقدِ

---

(١) هو ابن عيسى بن الشيخ أحد الخارجين على الخليفة . راجع خبره متفرقا فى « البداية والنهاية » لابن كثير ج١١ ص ٣٣ ، ١١٠ ، ٣٧٠ .

فآبَ ذميمَ الفعلِ خزيانَ نادماً وأُبتَ كريم العفو جمَّ المحامدِ
وأُبنا عِزازَ النّصرِ تشكو ركابُنا وَجاها ، ونشكو طولَ هجر الخرائد
بـأيـة مـلأ مـغـنـمـاً وسـلامـةً حواها رفيعَ العيش خوضُ الشّدائدِ
ولَيسَ كإغْذاذِ المسيرِ وحثّه لتقريب لُقْيانِ الصّديق الأباعدِ
ولم أرَ مِثْل الشّعر يَنْظم للعُلا فنون الحُلى لو أنّه غيرُ كاسدِ

## أندية الهوى فى بغداد

قالَ الشريف الرضى [1] :

[الطويل]

أَقُولُ وَقَد جازَ الرّفاقُ بذِى النّقَا وَدُونَ الـمَـطَـايَـا مُـرْبَـخٌ وَزَرُودُ [2]
أَتَطْلُبُ يا قَلْبى العِرَاقَ مِن الحِمَى لِيَهْنَكَ مِنْ مَرْمَى عَلَيْكَ بَعيدُ
وَإنّ حَدِيثَ النّفْسِ بالشّيْءِ دُونَهُ رِمَالُ النّقَا مِنْ عالج ، لَشَدِيد
تَرَى اليَوْمَ فى بَغْدادَ أَنْدِيَةَ الهَوَى لهَا مُبْدِيءٌ مِنْ بَعْدِنَا وَمُعِيدُ
فمِن وَاصِفٍ شوْقاً وَمِن مُشتكٍ حشا رَمَتْهُ الـمَـرَامِـى أعْـيُـنٌ وَخُـدُودُ
تَلَفّتَ حَتّى لَمْ يَبِنْ مِنْ بِلادِكم دُخـانٌ وَلا مِـنْ نـارِهِـنّ وَقُـودُ

---

(١) أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) مولده ووفاته فى بغداد . انتهت إليه نقابة الأشراف فى حياة والده . له (ديوان شعر) فى مجلدين ، وعدة كتب ، منها (الحَسَن من شعر الحسين) ، وهو مختارات من شعر ابن الحجاج ، مرتبة على الحروف ، و(المجازات النبوية) ، و(مجاز القرآن) باسم (تلخيص البيان من مجازات القرآن) ، و(مختار شعر الصابئ) ، و(مجموعة مَا دار بينه وبين أبى إسحاق الصابئ من الرسائل) طبعت باسم (رسائل الصابى والشريف الرضى) ، و(حقائق التأويل فى متشابه التنزيل) ، و(خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب) ، و(رسائل) نشر بعضها . ولزكى مبارك (عبقرية الشريف الرضى) . والقصيدة من ديوانه ص ٣٤٠ .

(٢) فى معجم البلدان : « مربخ رمل بالبادية بعينه ، وقال أبو الهيثم : سمى جبل مربخ مربخا لأنه يُربخ الماشى فيه من التعب والمشقة ، أى يذهب عقله . . . وقال الليث : ربخت الإبل فى المربخ أى فترت فى ذلك الرمل من الكلال ، . . وقال نصر : مربخ رمل مستطيل بين مكة والبصرة . . . وقال العمرانى : مربخ (بفتح الميم والباء) : رمل من رمال زرود ، وعن جار الله بضم الميم وكسر الباء » .

وَإنَّ التِفَاتَ القَلْبِ مِنْ بَعدِ طَرْفه طَوَالَ اللّيَالى نَحْوَكُمْ لَيَزِيدُ
وَلمّا تَدَانَى البَيْنُ قَالَ لى الهَوى : رُوَيداً! وَقالَ القَلْبُ : أينَ تُرِيدُ
أتَطْمَعُ أنْ تَسْلُو عَلَى البُعدِ وَالنّوَى وَأنتَ عَلى قُرْبِ المَزَارِ عمِيدُ
وَلَوْ قالَ لى الغادونَ : مَا أنتَ مُشتَهٍ غَداةَ جَزَعْنا الرّملَ ، قُلتُ : أعُودُ
أأصْبرُ ، وَالوَعْسَاءُ بَيْنى وَبَينَكُم وَأعْلامُ خَبْتٍ؟ إنّنى لجَلِيدُ [1]

## غارة الجليد على بغداد

قالَ الشريف الرضى فى سقوط الثلج ببغداد الذى يرى مثله وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٩٨ :

[الوافر]

أرَى بَغدادَ قَدْ أخنَى عَلَيهَا وَصَبّحَهَا بِغَارَتِهِ الجَلِيدُ [2]
كَأنّ ذُرَى مَعَالِمِهَا قِلاصٌ نَوَاءٍ كُشّطَتْ عَنهَا الجُلُودُ [3]
كَأنّ بِهِ لُغَامَ العِيسِ بَاتَتْ تُسَاقِطُهُ عِجَالُ الرّجعِ قُودُ [4]
غَطَى قِمَمَ النّجادِ ، فكلُّ وَادٍ عَلى نَشَزَاتِهِ سِبٌّ جَدِيدُ [5]
كمَا تَعرَى بِهِ الغِيطانُ مَحْلاً وَتَغْبَرُّ التّهَايِمُ وَالنّجُودُ
فَمَهما شِئْتَ تَنظُرُ مِنْ رُبَاهَا إلى بِيضٍ عَوَاقِبُهُنّ سُودُ

---

(١) فى لسان العرب : « الوعساء والأوعس والوعس والوعسة كله : السهل اللين من الرمل ، وقيل هى الأرض اللينة ذات الرمل ، وقيل هى الرمل تغيب فيه الأرجل » . « والخبت : المتسع من بطون الأرض » .

(٢) ديوانه ص ٤٠٦ .

(٣) فى لسان العرب : « القلوص أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثنى فإذا أثنت فهى ناقة ، والقعود أول ما يركب من ذكور الإبل إلى أن يثنى ، فإذا أثنى فهو جمل ، وربما سموا الناقة الطويلة القوائم قلوصا ، قال وقد تسمى قلوصا ساعة توضع ، والجمع من كل ذلك قلائص وقلاص » .

(٤) فى لسان العرب : « اللغام من البعير بمنزلة البزاق أو اللعاب من الإنسان ، ولغم البعير يلغم لغامه لغما إذا رمى به » .

(٥) السب : القطع .

أقُولُ لَهُ ، وَقَدْ أمْسَى مُكِبّاً عَلى الأقطَارِ يَضْعُفُ ، أوْ يَزِيدُ :
وَرَاءَكَ ، فَالخَوَاطِرُ بَارِداتٌ عَلى الإحْسانِ ، وَالأيدِى جُمودُ
وَإنكَ لَوْ تَرُومُ مَزِيدَ بَرْدٍ إلى بَرْدٍ ، لأعْوَزَكَ المَزِيدُ

## قصر الخلافة

وقال ابن عربى [1] فى ديوانه « ترجمان الأشواق » :

[الكامل]

القصر ذو الشُّرفاءِ مِن بَغدادِ لا القصر ذو الشّرفاتِ مِن شدّادِ [2]
والتّاجُ مِن فوْقِ الرّياضِ كأنّهُ عَذْرَاءُ قَد جُلِيتْ بأعطَرِ ناد
والرّيحُ تلعبُ بالغُصُون ، فتنثَنِي فكأنّهُ منها عَلَى مِيعَادِ
وَكَأنّ دِجلَةَ سِلكُها فى جِيدِها والبَعلَ سَيّدُنا الإمامُ الهادى
النّاصرُ المنصُورُ خيرُ خليفَة لا يَمتطى فى الحَرْبِ مَتنَ جَوادِ
صَلى عليهِ الله مَا صَدَحَتْ به وَرْقَا مُطوَّقَةٌ عَلَى مَيّادِ
وكذاكَ مَا بَرِقَتْ بُرُوقُ مَبَاسِم سحّتْ لهَا مِن مُقلتَى عَوادِى
مِن خُرّدٍ كالشمس أقلَعَ غيثُها فبدَتْ بأنوَرَ مستنيرٍ بادى

---

(١) محمد بن على بن محمد بن عربى ، أبو بكر الحاتمى الطائى الأندلسى ، المعروف بمحيى الدين بن عربى ، الملقب بـ الشيخ الأكبر(٥٦٠- ٦٣٨ هـ) . ولد فى مرسية (بالأندلس) ، وانتقل إلى إشبيلية ، وزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز . وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه ، فعمل بعضهم على إراقة دمه ، وحبس ، فسعى فى خلاصه على بن فتح البجائى (من أهل بجاية) فنجا . واستقر فى دمشق ، فتوفى فيها . وهو ، كما يقول الذهبى : قدوة القائلين بوحدة الوجود . له نحو أربعمائة كتاب ورسالة ، منها (الفتوحات المكية) ، و(محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) ، و(ديوان شعر) ، و(فصوص الحكم) و(مفاتيح الغيب) و(التعريفات) و(عنقاء مغرب) .

(٢) فى شعر الأسود بن يعفر « والقصر ذى الشرفات من سنداد » . وفى معجم البلدان « منابض موضع بنواحى الحيرة قال المسيب بن علس - وقيل المتلمس - :

ألك السدير وبارق ومنابض ولك الخورنق
والقصر من سنداد ذى الشرفات والنخل المنبق
والثعلبية كلها والبدر من عان ومطلق » .

## حنين

وقال ابن عربى [1] :

[الهزج]

ألا يـا بَـانَـةَ الـوَادِى بِشـاطـى نَـهْـرِ بَـغْـدَادِ
شـجـانـى فـيـكِ ميّـادٌ طَـرُوبٌ فـوْقَ مَـيّـادِ
يُـذكّـرُنـى تَـرنُّـمُـهُ تَـرنُّـمَ رَبّـةِ الـنّـادى
إذا استَـوَتْ مَثَـالِـثُهـا فلا تذْكُرْ أخا الهادى [2]
وإنْ جـادَتْ بِنَغْـمَتِهـا فمَنْ أنجشَةُ الحادى؟! [3]
بذى الخَضَمَاتِ مِن سَلمى يـمِـيـنـاً ثـمّ سِـنْـدَادِ
لقَد أصْبحتُ مَشغُوفاً بِمَنْ سَكَنَتْ بأجْيَادِ
غلِطْنا إنّما سَكَنَتْ سُوَيْدا خِلْبِ أكْبَادِ
لقَد تاهَ الجَمالُ بها وفَاحَ المِسْكُ والحادى

---

(١) من ديوانه « ترجمان الأشواق » .

(٢) المثالث ضرب من العزف .

(٣) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان فى بعض أسفاره وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال لَهُ : « يا أنجشة رويدك بالقوارير » .

## لسنا أقل من الغرب

وقال إبراهيم الزهاوى [1] :

[الطويل]

لَنا مِثل مَا للغاصبينَ سواعدُ ... فما بالُنا عَنْ مجدِنا لا نجالدُ [2]

وأىُّ حيـاةٍ هَـذِهِ فـنـلـذُّهـا ... لأيسرَ منها يشتهى الموتَ خالدُ

وإنَّا لفى عصرٍ تيقظ أهلُهُ ... فأدركَ معنى العيشِ حتَّى الخرائدُ

فلا تُطمِعَنَّ الغربَ فينا فنونُهُ ... فما هى إلاَّ رغبةٌ وعوائدُ

لَنا أصلُها النَّامى وهَل مِن عجيبةٍ ... إذا انتقلتْ منه إليْنا الزَّوائدُ

فنحنُ الأُلى لَولا نتاجُ عقولِنا ... لما كانتْ الدّنيا عَلَى مَا نشاهدُ

لئن قابلونا بالإساءةِ والأذى ... فما عرفَتْ غيرَ العضاضِ الأساودُ

جزَى اللَّهُ عنا الحادثاتِ فإنَّها ... تقاربُ مَا بينَ الورى وتباعدُ

فيثبتُ ودٌّ بينَ شعبينِ خالصٌ ... ويمحقُ ودٌّ بينَ شعبينِ فاسدُ

فلا يربحُوا مِن بعدِ هَذَا ودادَنا ... لقَد خابتْ الآمالُ والتركُ شاهدُ

خرجْنا عليها وهى منَّا قريبةٌ ... إنْ اختلف الأصلانِ فالدِّين واحدُ

فهَل وضعَتْ أغلالَها عَنْ رقابِنا ... لتخلفَها أغلالُهم والمقاودُ

فأينَ ادعاءاتٌ لهم يدَّعونَها ... أتلكَ ثعابينٌ وهذى قلائدُ؟

أتوا أرضَنا مِن خلفِ بحرٍ ومهمهٍ ... يحرضُ بعضٌ بعضَه ويساعدُ

فجاءُوا إليْنا مظهرينَ ودادَهم ... وإنهم للعربِ زندٌ وساعدُ

---

(١) إبراهيم أدهم بن صالح الزهاوى (١٣٢٠ - ١٣٨٢هـ = ١٩٠٢ - ١٩٦٢م) شاعر عراقى . مولده ووفاته ببغداد . تعلم بمدارسها ثم بجامعة آل البيت . قال على الخاقانى صاحب شعراء بغداد : كان من أعنف الشباب الذين تقمصوا الوطنية وراحوا يثيرون الحماسة فى نفوس المواطنين بالقصائد اللاهبة ، وتناول أقطاب الحكم وعلى رأسهم البيت المالك ، مما جعلهم يطاردونه ويعذبونه ، حتّى كسر فكه الأسفل ولحقه شالل ، وصار يعتزل الناس ويتكلم منفرداً . جمع لنفسه ديواناً سماه (النفثات) ثم أتلفه فجمع عبد الله الجبورى مَا بقى من شعره فى الصحف والمجلات فى (ديوان) وله (أبطال اللانهاية) فى الفلسفة .

(٢) ديوانه ص ١٥٠

فكانَ دليلُ الودِّ صوتَ عِصِيِّهم | فما انفكَّ مجلودٌ ولا كَلَّ جالدُ
مشاهدُ مَا مرَّتْ ببالى ساعةً | ولم امتقعْ حتَّى كأنِّى أشاهدُ
يريدونَ أنْ يطفُوا بقيةَ عزَّةٍ | علَيْنا بِها ربُّ السّمواتِ شاكدُ [١]
فثرْنا عليهم ثورةً يذكرونَها | فما عهدُنا مِن عهدهم متباعدُ
فغصَّتْ بفرسانِ البيانِ مساجدٌ | وضاقتْ بفرسانِ الطعانِ فدافدُ [٢]
ويا لكَ مِن يَوْمٍ شهدناهُ مرةً | فأعلمنا أنَّ الحياة تساندُ
وإن شعوباً لم تُذُدْ عَنْ كيانِها | فهيهات أنْ تحنو عليها الأباعدُ
فمَنْ مُخبرٌ عنا صناديدَ يَعرُبٍ | وإنْ حال مِن دُونِ اللّقاء المراقدُ
بأنَّا حصدْنا غيرَ مَا كانَ مُرتجَى | مهازل مَا كُنَّا عليها نجاهدُ
وقَد خاذلتْنا ثُلةٌ (أشعبية) | نكابدُ مِن أحكامها مَا نكابدُ [٣]
أباحتْ لها مَا تشتهى مِن عقوبةٍ | فما يأمنُ التّغريمَ والسجنَ ناقدُ
فكَمْ عُطِّلتْ مِن أجلِ نقدِ صحائفٌ | وكَمْ عوقبَتْ مِن أجل رأيٍ أماجدُ
أتونا بِها والغبنُ ملءَ بنودِها | ولكنَّ طرفَ القومِ عنهن راقدُ
أرادُوا لهم غدرًا فأضحكَ قولُهم | قويٌّ يداريه ضعيفٌ يعاهدُ
وما ضرَّهم أنْ لا يكونَ تعاهدٌ | وما شأنُهم أنْ لا يكونَ تعاقدُ
وهلا اكتفُوا بالذودِ دونَ حقوقِهم | ليظهر للناس الفريق المعاندُ
فلا يخدعُ الدّنيا بإنصافِ أهلِها | فربتما راجتْ عليها المكايدُ
وكيفَ استقلَّتْ بالأُمورِ ديارُنا | إلى أُمةٍ منا ونحنُ نعاضدُ
توجهُ منها الطائراتِ ورُبَّما | وفيها لهم جندٌ وفيها قواعدُ

---

(١) فى اللسان « الشكد بالضم العطاء ، وبالفتح المصدر شكده يشكده شكدا أعطاه أو منحه وأشكد لغة ، قال ابن سيده وليست بالعالية . قال ثعلب : العرب تقول منا من يشكد ويشكم والاسم الشكد وجمعه أشكاد ، والشكد مَا كان موضوعا فى البيت من الطعام والشراب والشكد مَا يعطى من التمر عند صرامه ، ومن البر عند حصاده ، والفعل كالفعل ، والشكد الجزاء والشكد كالشكر (يمانية) يقال إنَّه لشاكر شاكد » .

(٢) فى اللسان : « الفدفد المكان المرتفع فيه صلابة ، وقيل الفدفد الأرض المستوية » .

(٣) نسبة إلى أشعب بن جبير المدنى ، يعرف بابن أم حميدة ، ومن يضرب بطمعه المثل . مات سنة أربع وخمسين ومائة .

معاذَ أُباةَ العربِ نُنضى سيوفَنا ونـوردُهـا والأقـربـونَ الـمـواردُ
لئن فرقُوا مَا بيننا باقتسامِهم فما افترقتْ غاياتُنا والمقاصدُ
فـغـايـةُ كـلٍّ وحـدةٌ عـربـيـةٌ يدبرُها مِن قادةِ العربِ راشدُ
فـودِّعْ جـهـودَ الأجنبينَ فإنَّها مراضٌ فما ترجو شفاها العوائدُ
حسابُ أُناسٍ فرَّطُوا فى حقوقِنا غدًا وَغدٌ عما قريبٍ لـواردُ

## سؤال إلى مياه دجلة

قالَ معروف الرصافى : [الخفيف]

نـحنُ مِن أرضِنا عَلَى مُنطادِ جـائـلٍ فـى شـواسـعِ الأبـعـادِ (١)
طائرٍ فى الفضاءِ عرضاً وطولاً بـجـنـاحٍ مِـن الـقـوى غـيـرِ بـادِ
أيُّها الأرضُ سرتُ سيرَكِ مَثنى ذا يـنـتـاجـيـنِ فـى زمـانٍ أحـادِ
فـتـقـلّـبـتُ فـى نـهـارٍ ولـيـلٍ ذا مُضِلٌّ وذَاكَ لـلـنـاس هـادِ
فـى بـلادٍ يـكـونُ سيرُك تأويـ ـباً عَلَى أنَّه سُرى فـى بـلادِ (٢)
فيكِ دفعٌ وفيكِ يا أرضُ جذبٌ لك ذا سائقٌ وذا لَكِ حادِى؟
فلكٌ دائرٌ عَلَى الشمسِ طوراً فـى اقـتـراب وتـارة فـى ابـتـعـادِ
لَيتَ شعرى وما حصَلتُ مِن الآ راء إلاّ عَلَـى خـلاف الـسَّـدادِ
لـبـقـاء تُقلنا الأرض فى تسـ ـيـارهـا أم تـقـلـنـا لـنـفـادِ
نـحنُ فى عـالـم تـقـصـفُ فـيـه عـارضُ الـنَّـائـبـاتِ بـالإرعـادِ
شأنُنا العجزُ فيه نوجدُ أنَّى قـذفـتْـنـا يـدُ الـخـطـوبِ الـشِّـدادِ
ضاعَ جَذرُ الحياة عنَّا فخِلنا أنَّـهـا كـالأصـمِّ فـى الأعـدادِ
شـغـلـتْـنـا الـدّنيا بلهوٍ ولعْبٍ فـغـفـلْـنـا والـمـوتُ بـالـمِـرصـادِ
ضلَّ مَنْ رامَ راحةً فى حياةٍ نحنُ منها فى معركٍ وجلادِ
إنَّـمـا هَـذِهِ الـحـيـاةُ جـروحٌ أثخنتْنا والموتُ مِثْلُ الضّمادِ

---

(١) ديوانه ص ١٧ وما بعدها .

(٢) فى اللسان : «التأويب فى السير نهارا نظير السُّرى فى السير ليلا ، والتأويب أنْ يسير النهار أجمع وينزل الليل ، وقيل هو تبارى الركاب فى السير» .

كلُّ أسرٍ يهونُ إنْ أُطلقَتْ أر ... واحنا المُوثقاتُ بالأجسادِ
لا تلُمنى إذا جَزعتُ فإنِّى ... ما ملكتُ الخيارَ فى إيجادِى
طالَ عتبى عَلَى عِداتِ اللّيالى ... مِثْلما طالَ مطلُها بمرادِى
كدَّرتْ عيشى الحوادثُ حتَّى ... لا أرى الصَفوَ غيرَ وقتِ الرّقادِ
صاحِ مَا دلَّ فى الأمورِ عَلَى الأشـ ... ـكالِ إلاَّ تفحُّصُ الأضدادِ
فاعتَبِرْ بالسفيهِ تمسَ حليمًا ... وتعرّف بالغىِّ طرْقَ الرّشادِ
واللبيبُ الذى تعلَّمُ إتيا ... نَ المعالى مِن خِسةِ الأوغادِ
أيُّها الغِرُّ لا تغرُّكَ دنيا ... كَ بكونِ مصيرُهُ لفسادِ
خفَّ مَنْ غاصَ فى الغرورِ كما فى ... لُجَّةِ الماءِ خفَّ ثِقلُ الجمادِ
يا خليلىَّ والخليلُ المُواسى ... منكما مَنْ يقومُ فى إسعادِى
خابَ قومٌ أتوا وغى العيشِ عُزلا ... مِن سلاحَىْ تعاونٍ واتحادِ
قَد جفتْنا الدّنيا فهلاَّ اعتصمنا ... مِن جفاءِ الدّنيا بحبلِ وِدادِ
لو عقلْنا لمَا اختشى قطُّ محسو ... دٌ دونَ وقع الأذاةِ مِن حُسادِ
فمتاعُ الحياةِ أحقرُ مِن أن ... يستفزَّ القلوبَ بالأحقادِ
أنا والله لا أريدُ بأنْ أُو ... قِعَ شرًّا ولو عَلَى مَنْ يعادِى
إنَّ لى إنْ سمعتُ أنَةَ محزو ... نٍ أنيناً مُرَجعاً فى فؤادِى
إنَّ نفسى عَنْ همِّها ذاتُ شغلٍ ... بهموم العبادِ كلِّ العبادِ
لا أحبُّ النّسيمَ إلاَّ إذا هبَّ ... عَلَى كل حاضر أو بادِ
أيُّها النّاس إنَّ ذا العصرَ عصرُ الـ ... ـعلم والجدِّ فى العُلى والجهادِ
عصرُ حكمِ البخارِ والكهربائيـ ... ـةِ والماكناتِ والمُنطادِ
بُنيَتْ فيهِ للعلوم المبانى ... وأُقيمَتْ للبحثِ فيها النّوادِى
فاضَ فيضُ العلوم بالرغم ممَّن ... ضربُوا دونَهنَّ بالأسدادِ
إنَّ للعلم فى الممالكِ سيراً ... مِثْلُ سيرِ الضّياءِ فى الأبعادِ
أطلعَ الغرْبُ شمسَه فحبا الشّر ... قَ اقتباساً مِن نورِها الوقادِ
إنَّ للعلم دولةٌ خضعَتْ دو ... نَ عُلاها عوالمُ الأضدادِ
ما استفادَ الفتى وإنْ ملكَ الأر ... ضَ بأعلى مِن علمِه المستفادِ
لا تُسابقْ فى حَلبةِ العزِّ ذا العلـ ... ـم فما للهجينِ شأوُ الجوادِ

إنَّ أمواتَ أمةِ العلمِ أحيا ء حياة الأرواح والأجسادِ
وكأيِّنْ فى النّاسِ مِن ذى خمولٍ صارَ بالعلم كعبةَ القصّادِ
ربَّ يَوْمٍ وردتُ دِجلَةَ فيهِ مورداً خالياً عَن الورّادِ
حيثُ ينصَبُّ فى سكوتٍ عميقٍ ماؤها لاثماً ضفافَ الوادِى
وهبوبُ النّسيم يكتبُ فى الما ءِ سطوراً مُهتزَّةً فى اطرادِ
يَمَّحى بعضُها ويظهرُ بعضٌ فهى تنسابُ بينَ خافٍ وبادِ
وتئنُ المياهُ لى بخريرٍ كَأنينِ السّقيم للعُوَّادِ
قمتُ فى وجهِها أردِّد طرفى ساكناً والضميرُ منِّى ينادِى
واقفاً تحتَ سَرحةٍ ناحَ فيها طائرٌ فوقَ غصنِها الميَّادِ
منشداً فى النّواح شعراً غريزيـ ـاً حزيناً كأنّه إنشادِى
جاوبتْهُ أفنانُها بأنينٍ مِن حفيفِ الأوراقِ والأعوادِ
أيُّها الطائرُ المرجِّعُ فوقَ الـ ـغصْنِ هَل أنْتَ نائحٌ أم شادِ
بينَ ماءٍ جارٍ ولحِنٍ شجىٍّ منكَ يا طائرُ استطارَ فؤادِى
يا مياهاً جرت بدِجلَةَ تجتا زُ مروراً بجانبى بَغْدادِ
إنَّ نفسى إلى الحقيقةِ عَطْشَى أفتشفينَ غُلةً من صادِ
كنتِ تجرينَ والرّصافةُ والكر خُ خَلاءٌ مِن رائحٍ أو غادِ
أيُّها الماءُ أينَ تجرى ضَياعاً وحواليك قاحلاتُ البوادِى
فمتى تفطنُ النّفوسُ فيحيا بك سقياً مواتُ هذى البلادِ
لو زرعْنا بك البقاعَ حبوباً لحصدْنا النُّضارَ يَوْمَ الحصادِ
أفيدرى خليجُ فارس ماذا فمُه مغْكَ بالغٌ بازدرادِ
أنْتَ والله عسجدٌ ولُجينٌ لو أتيْنا الأمورَ باستعدادِ
فاجرِ يا ماءُ إنْ جريتَ رويداً بأناةٍ ومُهْلةٍ واتِّآدِ
علَّنا نستفيقُ مِن رقدةِ الفقـ ـرِ فنَغْنَى بفيضِك المزدادِ
سلكتكَ السّما ينابيعَ فى الأر ضِ أمدّتكَ أيّما إمدادِ
فتفجَّرتَ فى السّفوحِ عيوناً نبعَتْ مِن مخازنِ الأطوادِ
وإذا مَا انتَهيتَ فى جرَيانٍ عُدت للبدءِ فى مُتونِ الغوادِى
هكذا دارَ دائرُ الكونِ مِن حيـ ـثُ انتهى عادَ راجعاً للمبادِى

## شوق إلى بغداد

قالَ على بن مُحَمَّد بن حَبِيب قال : كتب إلى أخى من بغداد ، وأنا بالبصرة شعرًا يتشوقنى فيه يقول :

[الهزج]

شَـرِبْـنـا مـاءَ بَـغْـدادا عَـلَـى الأيـامِ مـشـتـدا [1]
ولـكـن ذكـرُكـم أضـحـى يُـقـاسـى فـيـكَـم جُـهـدًا
فـلا نـنـسـى لـكـم ذكـرًا ولا نَـطـوِى لـكـم عـهـدا
ولَـولا وجـدُ مـشـتـاقٍ إذا مَـا ذكـرُكـم جـدّا
ومـا بـالـقـلـبِ مِـن نـارٍ إلـى الـبـصـرةِ قَـد جَـدًّا
لـقـلْـنـا قـولَ مـشـتـاقٍ فـأنـسـانـاكـمُ جِـدّا

## أسف لفراق بغداد

وقالَ إسحاق بن إبراهيم الموصلى [2] :

[الطويل]

أتبكى عَلَى بَغْدادَ وهى قريبةٌ فكيفَ إذا مَا ازددتَ منها غدًا بعدا [3]
لَعمرُكَ مَا فارقتُ بَغْدادَ عَنْ قِلى لو أَنا وجدْنا عَنْ فراقٍ لها بُدّا
إذا ذُكِرَتْ بَغْدادُ نفسى تقطَّعَت مِن الشّوقِ أو كادَتْ تموتُ بِها وجدا
كفى حَزَنا أنْ رحتُ لم أستطعْ لها وداعًا ولم أُحدِثْ بساكنِها عهدا

---

(١) تاريخ بغداد ج١ ص ٥١ .

(٢) أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمى الموصلى الأخبارى ، ولد سنة بضع وخمسين ومائة ، برع فى الموسيقى ، والشعر والتصانيف الأدبية والفقه واللغة ، وأيام الناس ، والحديث ، ونادم الخلفاء . مات سنة خمس وثلاثين ومائتين .

(٣) الأغانى ج٩ ص ٢٨٥ .

## ما أشبه الليلة بالبارحة

قالَ أحمد الكاشف [1] :

[الخفيف]

هاتِ يا لندنُ الأحاديثَ سودا واجعلى النّارَ حولَها والحديدا
وانفثيها عَلَى البرىءِ سمومًا وابعثيها عَلَى الأمينِ رُعودا
حملتْها الجنودُ مِن قبلُ مَا يحمـ لُها البرقُ خاطفاً والبريدا
كلماتُ الرّسولِ أم سيفُ جلا دٍ نرى بينَما تعدُّ العهودا
قَد بلوْنا خفىَّ أمرِكِ مِن قبـ لُ فلم نلقَ بعدُ شيئاً جديدا
زادَ مَا تطلبينَ مِن مدنِ المـ لكِ وقَد كنتِ تطلبينَ الحدودا
وهَل النّيلُ مطلقٌ فى مجاريـ هِ غدا بعدَ مَا أقمتِ السّدودا
تمنعينَ الخصيبَ سَقياً إذا شئـ تِ وترويـنَ إنْ أردت البيدا
غيِّرى رأىَ مَنْ أنَبْتِ وأعليـ ه سفيرًا أو أرجعيه عميدا
مَنْ أبَى أنْ يكونَ جودُكِ قيداً كيفَ يُرضيه فى الهوانِ قيودا
إنْ أجزتِ الجحودَ بعدَ اعترافٍ فمِن العدلِ أنْ يجيزَ الجحودا
عفَّ عمَّا عرضتِهِ بعدَما را حَ يراهُ لقتلِهِ تمهيدا
وأبَتْ مصرُ أنْ تُباعَ وتُشرَى وترى الحرَّ مُوثَقاً مَصفودا
وخليقٌ بالحرِّ أنْ يدعَ المو جودَ إنْ لم يعُد بِهِ المفقودا
ما تمنَّى العسيرَ مَنْ طلبَ الحقْـ قَ صريحًا ولا أراد البعيدا
ما الذى يُكرِهُ الصّحيحةَ دعوا ه عَلَى أنْ يحاول الجلمودا
وإلى مَا الذى وسيلتُهُ الصّد ق إلى مَا أراد يمشى وئيدا
غيرُ مغنٍ أخو البصيرةِ والرأ ى إذا لم يَكُنْ جريئًا جليدا
أحريصاً عَلَى المواثيقِ مختا راً تريدينَ أم مسوقًا مقودا

---

(1) أحمد بن ذى الفقار بن عمر الكاشف (١٢٩٥ - ١٣٦٧هـ = ١٨٧٨ - ١٩٤٨م) شاعر مصرى ، من أهل القرشية (من الغربية بمصر) مولده ووفاته فيها . قوقازى الأصل . اتهم بالدعوة إلى إنشاء خلافة عربية يشرف عرشها على النيل ، فأمر بالإقامة فى قريته (القرشية) ، فكان لا يبرحها إلا مستترا ، لَهُ (ديوان شعر) فى جزءين .

فإذا أخلدَ استهنتِ وإنْ ثا ... ر تمثُّلتِهِ أثيماً مريدا
ماطلتهُ الأيامُ حتَّى تناهَتْ ... فإذا وعدُ مصرَ عادَ وعيدا
وإذا دولةُ المساواةِ عادَتْ ... تقسِمُ النّاسَ سادةً وعبيدا
أكذا يغرسُ المودةَ مَن شاءَ ... حليفًا عَلَى الزّمانِ عتيدا
لا يدومُ الصّديقُ إلاّ إذا كا ... ن مفيداً بودِّه مستفيدا
أى حقٍّ ننالُه مِن غريم ... لا يبالى بالعالمينَ شهودا
أىُّ قومٍ يغرى بِنا بعد مَا أغْ ... رى بأهلِ العراقِ جارًا عنيدا
لحقَت مصرُ بالعراقِ وأضحى الـ ... ـنيل مِثْل الفُرَاتِ يجرى صديدا
سيرَى صبرَنا عليه جميلا ... إنْ يَكُنْ بأسُه علينا شديدا
وسيلقى بعدَ الأبىِّ أباةً ... ووفودَ الجهاد تتلو الوفودا
ويرى المستبدُّ إنْ كانَ مَا سا ... ر إليه ممكنًا أم مبيدا
لا يفوتُ الضّعيفَ للدهرِ تحويـ ... ـل ولا يضمنُ القوىُّ الخلودا
وانهزامُ الجيوشِ شرٌّ مِن الرّأ ... ىِ يُلاقى التّكيرَ والتفنيدا

## ريف العراق

قالَ مهيار [١] :

[الكامل]

ولقَد أحنُّ إلى زرودَ وطينتى ... مِن غيرِ مَا جُبلَتْ عليه زرودُ
ويَشوقنى عجفُ الحجازِ وقَد طفا ... ريفُ العراقِ وظلُّهُ المدودُ [٢]
ويغرِّدُ الشّادى فلا يهتزُّ بى ... وينالُ منِّى السّابقُ الغريدُ
ما ذَاكَ إلاّ أنَّ أقمارَ الحِمى ... أفلاكُهنَّ إذا طلعنَ البيدُ

(١) أبو الحسن بن مَرْزَوَيْه الديلمى ، الفارسى . كان مجوسيا ، فأسلم ، على يد الشريف الرضى . ويعرف بذى البلاغتين ، توفى سنة ثمان وعشرين وأربع مائة .

(٢) العجف : الهزال . والعجفاء : الأرض التى لا خير فيها . وعجف الحجاز هنا بمعنى : جدب الأرض ، وقلة زرعها .

## ربيع العراق

صفى الدين الحلى [1] :

[الكامل]

وَرَدَ الرَّبيعُ ، فمرحَباً بوُرُودِهِ ... وبِنُورِ بَهجَتِهِ ، ونَوْرِ وُرُودِهِ

وبحُسنِ مَنظَرِهِ وطيب نَسيمِهِ ... وأنيقِ مَلبَسِهِ وَوَشْى بُرُودِهِ

فَصلٌ ، إذا افتَخَرَ الزّمانُ ، فإنّهُ ... إنسانُ مُقلَتِهِ ، وبَيتُ قَصيدِهِ

يُغنى المِزاجَ عَن العِلاجِ نَسيمُهُ ... باللّطفِ عندَ هُبُوبِهِ ورُكُودِهِ

يـا حَبّـذا أزهـارُهُ وثِـمـارُهُ ... ونَباتُ ناجِمِه وحَبُّ حَصيدِهِ

وتَجاوُبُ الأطيارِ فى أشجارِهِ ... كَبَناتِ مَعبَدَ فى مَواجِبِ عُودِهِ

والغصنُ قد كُسِى الغَلائلَ ، بعدما ... أخَذَتْ يَدا كانونَ فى تَجرِيدِهِ

نالَ الصِّبَا بعدَ المَشيبِ ، وقد جَرَى ... ماءُ الشّبيبَةِ فى مَنابِتِ عُودِهِ

والوَردُ فى أعلى الغُصونِ ، كأنّهُ ... مَلِكٌ تَحُفّ بِهِ سَراةُ جُنودِهِ

وكأنّما القَدّاحُ سِمطُ لآلِىءٍ ... هوَ للقَضيبِ قِلادَةٌ فى جِيدِهِ

والياسَمينُ كعاشِقٍ قد شَفّهُ ... جَورُ الحَبيبِ بهَجرِهِ وصُدودِهِ

وانظُرْ لنرجِسِهِ الشّهِى كأنّهُ ... صَرفٌ تَنَبه بعدَ طولِ هجودِهِ

واعجَبْ لأذَريُونِهِ وبَهارِهِ ... كالتّبرِ يَزهُو باختلافِ نُقُودِهِ

وانظُرْ إلى المَنظُومِ من مَنثُورِهِ ... مُتَنَوّعاً بفُصولِهِ وعُقُودِهِ

أوَما تَرَى الغَيمَ الرّقيقَ ، وما بَدا ... للعَينِ من أشكالِهِ وطُرُودِهِ

والسّحبُ تَعقُدُ فى السّماءِ مآتماً ... والأرضُ فى عُرسِ الزّمانِ وعيدِهِ

نَدَبَتْ ، فشَقّ لها الشّقيقُ جُيوبَهُ ... وازرَقّ سَوسَنُها للَطمِ خُدودِهِ

---

(1) عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم السنبسى الطائى (٦٧٧ - ٧٥٠هـ) . ولد ونشأ فى الحلة (بين الكوفة وبغداد) واشتغل بالتجارة ، فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها فى تجارته ، ويعود إلى العراق . وتوفى ببغداد . له (ديوان شعر) ، و(العاطل الحالى) رسالة فى الزجل والموالى ، و(الأغلاطى) معجم للأغلاط اللغوية ، و(درر النحور) وهى قصائده المعروفة بالأرتقيات ، و(صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء) ، و(الخدمة الجليلة) رسالة فى وصف الصيد بالبندق . وللشيخ على الحزين المتوفى سنة ١١٨١ كتاب (أخبار صفى الدين الحلى ونوادر أشعاره) . والقصيدة من ديوانه ص ٥٥١ .

والماءُ فى تَيّارِ دِجلَةَ مُطلَقٌ    والجسرُ فى أصفادِهِ وقُيُودِهِ
والغَيمُ يَحكى الماءَ فى جَرَيانِهِ    والماءُ يَحكى الغَيمَ فى تَجعيدِهِ
فابكُرْ إلى رَوضٍ أنيقٍ ظِلُّهُ    فالعَيشُ بَينَ بَسيطِهِ ومَديدِهِ
وإذا رأيتَ جَديدَ روضٍ ناضرٍ    فارشُفْ عَتيقَ الرّاحِ فوقَ جَديدِهِ
من كَفِّ ذى هَيَفٍ يُضاعِفُ خُلقُهُ    سُكرَ المُدامِ بشَدوِهِ ونَشيدِهِ
صافى الأديم تَرَى ، إذا شاهَدتَهُ    تِمثالَ شَخصِكَ فى صَفاءِ خُدودِهِ
وإذا بَلَغتَ من المُدامَةِ غايَةً    فأقلِلْ لتُذكى الفَهمَ بعدَ خُمودِهِ
إنّ المُدامَ ، إذا تَزايَدَ حَدُّها    فى الشّربِ ، كانَ النّقصُ فى محدودِهِ

## تونس وبغداد

وقال الرصافى [1] فى حفلة الترحيب بالزعيم التونسى الأستاذ عبد العزيز الثعالبى [2] :

[الوافر]

أتونِسُ إنَّ فى بغدادَ قوماً    تَرِفُّ قلوبُهم لكِ بالوِدادِ [3]
ويجمعُهم وإياكِ انتسابٌ    إلى من خُصَّ مَنطِقُهم بضادِ
ودينٌ أوضحتْ للناس قبلاً    نواصعُ آيِهِ سبلَ الرشادِ
فنحنُ عَلَى الحقيقةِ أهلُ قُرْبَى    وإنْ قضتِ السّياسةُ بالبعادِ
وما ضَرَّ البِعادُ إذا تَدانَتْ    أواصرُ من لسانٍ واعتقادِ
وإنَّ المسلمينَ عَلَى التآخِي    وإنْ أغرى الأجانبُ بالتعادِى
أتونِسُ إنَّ مجدَكِ ذو انتماءٍ    إلى عُليا نِزارٍ أو إيادِ

---

(١) الديوان ص ١٣٤ .
(٢) الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الثعالبى (١٨٧٤ -١٩٤٤م) ، مفكر إسلامى من رواد النهضة الحديثة . ولد بتونس من أسرة جزائرية الأصل ، من مؤسسى حزب تونس الفتاة الذين برزوا على سطح الأحداث بتونس ، وخصوصا بعد قرار الحكومة الفرنسية المحتلة للبلاد بتجنيس اليهود ، وبعد حل الحزب ، رحل إلى القاهرة ، وطرابلس ، والآستانة ، وأسس عدداً من الجرائد الإصلاحية .
(٣) ديوانه ص ١٣٤ .

لَنا بثعالبيِّكِ خيرُ مُلْقٍ   عَلَى أشتاتِنا حبلَ اتحادِ
وأكبرُ حاملٍ بيدِ اعتزامٍ   لحبٌ بلادِه عَلَمَ التفادِي
وأسمى من سَما أدباً وعِلماً   وأفصحُ من تكلَّمَ عَن سدادِ
دع القولَ المُريبَ وقائليهِ   وسلْ عنه المنابرَ والنوادِي
تجدهُ خطيبَها فى كلِّ خَطبٍ   ومِدْرَهها لدى كل احتشادِ [(1)]
فتًى صَرُحتْ عزائمُه وجلَّتْ   عن الرَّوَغانِ فى طلبِ المرادِ
تغرَّبَ ضارباً فى الأرضِ يبغى   مَدًى من دونِهِ خَرْطُ القتادِ [(2)]
فأوغلَ فى المَفاوزِ والمَوامِى   وطوَّفَ فى الحواضرِ والبوادِي
وكانَ طوافُه شرقاً وغرباً   لغيرِ تكسُّبٍ وسِوَى ارتفادِ
ولكنْ ساحَ لاستنهاضِ قومٍ   حَكَوا بجمودِهم صفةَ الجمادِ
يغارُ عَلَى العُروبةِ أنْ يراها   مهددةَ المَصالحِ بالفسادِ
فأنَّى سارَ كانَ لهُ هديرٌ   يهُزُّ دَويُّه أقصَى البلادِ
وكَمْ قد قامَ فى نادٍ خطيباً   بمُحكمةِ المقاصدِ والمَبادِي
تُنيرُ بكَهْرُبائى المعانى   أموراً كن كالظُّلَمِ الدّآدِي [(3)]
تحلُّ من القلوبِ إذا وعتها   مَحَلَّ الحُبِّ من شَغَفِ الفؤادِ
إلى أنْ جاءَ حاضرةً نماها   أبو الأمَناءِ ذو الشرَفِ التِّلادِ
فكانَ نزولُهُ فى ساكنيها   نزولَ الماءِ فى المُهَجِ الصوادِي
فيا عبدَ العزيزِ أقم عزيزاً   بحيثُ الأرضُ طيبَةُ المَرادِ
يُحييكَ العراقُ برافِدَيه   تحيةَ مخلصٍ لكَ فى الوِدادِ

---

(١) فى لسان العرب : « مدره القوم هو الدافع عنهم ، وقال ابن سيده : المدره السيد الشريف سمى بذلك ؛ لأنه يقوى على الأمور ويهجم عليها مشتق من ذلك ، والمدره المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال . وقيل هو رأس القوم والمدافع عنهم » .

(٢) فى ثمار القلوب : « من أمثال العرب فى الأمر دونه مانع قولهم من دون ذلك خرط القتاد ، لأن شوك القتاد مانع من خرط ورقه ، وشوك القتاد مضروب به المثل فى الخشونة والشدة » .

(٣) فى لسان العرب : « الدأداء والدئداء : ليلة خمس وست وسبع وعشرين . وقال ثعلب : العرب تسمى ليلة ثمان وعشرين وتسع وعشرين الدآدىء ، والواحدة دأداءة . وفى الصحاح : الدآدىء ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالى المحاق ، والمحاق آخرها ، وقيل هى هي » .

## تحية من القاهرة

قال أحمد شوقى [(١)] :

[هذه القصيدة غناها محمد عبد الوهاب بين يدى ملك العراق فيصل الأول [(٢)]
بمناسبة زيارته للعراق فى سنة ١٩٣١] [الخفيف]

يا شراعاً وراءَ دِجلةَ يَجري فى دموعى تجنبَتكَ العَوادى [(٣)]
سِر عَلَى الماءِ كالمسيح رُويداً واجْر فى اليمِّ كالشعاع الهادى
وأْتِ قاعاً كرفرَفِ الخلَدِ طِيباً أو كَفِرْدَوْسِهِ بشاشةَ وادي
قِفْ ، تمهَّلْ ، وخُذ أَماناً لقلبى من عيونِ المهَا وراءَ السَّوادِ
والنُّواسِى والنَّدامَى؛ أَ مِنْهُمْ سامرٌ يملأُ الدُّجَى أَو نادِ؟
خَطَرتْ فوقَه المِهارةُ تعدو فى غُبارِ الآباءِ والأَجداد

---

(١) أحمد شوقى بن على بن أحمد شوقى (١٢٨٥ - ١٣٥١هـ = ١٨٦٨ - ١٩٣٢م) : أمير الشعراء . مولده ووفاته بالقاهرة .

(٢) هو فيصل بن الحسين بن على الحسنى الهاشمى ، ولد فى الطائف ، ونشأ فى خيام بنى عتيبة فى بادية الحجاز ، ورحل مع أبيه حين أبعد إلى الآستانة سنة ١٨٨١م ، وعاد معه سنة ١٩٠٩م ، فأخذ يتنقل بين الحجاز والأستانة ، وزار دمشق سنة ١٩١٦م ، فأقسم «يمين الإخلاص» للجمعية «العربية الفتاة» السرية ، وثار والده على الترك سنة ١٩١٦م ، فتولى فيصل قيادة الجيش الشمالى ، ثم سمّى قائدا عاماً على الجيش العربى المحارب فى فلسطين إلى جانب القوات البريطانية ودخل سوريا سنة ١٩١٨م ، بعد جلاء الأتراك عنه ، فاستقبله أهلها استقبال المنقذ ، وسافر إلى باريس نائباً عن أبيه فى مؤتمر الصلح ، وعاد إلى دمشق فى أوائل سنة ١٩٢٠م ، فنودى به ملكاً دستورياً على البلاد السورية سنة ١٩٢٠م ، وكانت وقعة ميسلون فى ٢٤ تموز ١٩٢٠م ، واحتل الجيش الفرنسى سوريا ، ورحل الملك فيصل الى أوربا ، فأقام فى إيطاليا مدة ثم غادرها إلى انجلترا ، وكانت الثورة فى العراق ضد الأنجليز لا تزال مشتعلة ، فدعته الحكومة البريطانية لحضور مؤتمر عقدته فى القاهرة سنة ١٩٢١م ، برئاسة ونستون شرشل ، وتقرر ترشيحه لعرش العراق ، فانتقل إلى بغداد ونودى به ملكاً على العراق فى ١١ تموز ١٩٢١م ، فانصرف إلى الإصلاح الداخلى بوضع الدستور للبلاد ، وأنشأ مجلساً للأمة ، وأقام العلاقات بين العراق وبريطانيا على أسس معاهدات ١٩٢٢ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٣٠م ، وأصلح ما بين العراق وجيرانه «السعودية وإيران وتركيا» ، وزار العاصمة التركية والعاصمة البريطانية ثم قصد سويسرا للاستجمام ، فتوفى بالسكتة القلبية فى عاصمتها «برن» فى ٨ أيلول ١٩٣٣م ونقل جثمانه إلى بغداد ودفن فيها .

(٣) ديوانه ص ٨٨ .

أُمَّةٌ تُنشِىء الحياةَ ، وتَبنى كَبِنَاءِ الأُبوَّةِ الأَمجاد
تحتَ تاجٍ من القرابة والمُلـ ـكِ عَلَى فَرْقِ أَرْيحى جواد
ملكِ الشطِّ ، والفراتيْنِ ، والبطـ ـحاءِ ، أَعظِمْ بِفَيْصَل فى البلاد

## منارة المجد

قال على الجارم [1] :

[ألقيت هذه القصيدة فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى ببغداد فى ٩فبراير سنة١٩٣٨م]

[مجزوء الكامل]

بَغْدَادُ ، يَا بَلَدَ الرَّشِيدِ! وَمَنَارَةَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ! [2]
يَا بَسْمَةً لَمَّا تَزَلْ زَهْرَاءَ فى ثَغْرِ الْخُلُودِ
يَا مَوْطِنَ الْحُبِّ الْمقِيـ ـمِ وَمَضرِبَ الْمَثَلِ الشَّرُودِ
يَا سَطْرَ مَجْدٍ لِلْعُرُو بَةِ خُطَّ فى لَوْحِ الْوُجُودِ
يَا رَايَةَ الإِسْلامَ ، والْـ إِسْلامُ خَفَّاقُ الْبُنُود
يَا مَغْرِبَ الأَمَلِ الْقَديـمِ وَمَشْرِقَ الأَمَلِ الْجَدِيدِ
يَا بِنْتَ دِجْلَةَ ، قَدْ ظَمِئْـ ـتُ لِرَشْفِ مَبْسِمِك الْبَرُودِ
يَا زَهْرَةَ الصحراءِ ، رُدِّ ى بَهْجَةَ الدُّنْيَا وزِيدى
يَا جَنَّةَ الأَحْلامَ ، طَا لَ بِقَوْمِنَا عَهْدُ الرُّقُودِ
يَا بُهْرَةَ الْمُلْكِ الْفَسِيحِ وَصَخْرَةَ الْمُلْكِ الْوَطِيدَ
يَا زَوْرَةً تُحْيِى الْمُنَى إِنْ كُنْتِ صَادِقَةً فَعُودى
بَغْدَادُ يَا دَارَ النُّهَى وَالْفَنِّ ، يا بَيْتَ الْقَصِيدِ

---

(١) على بن صالح بن عبد الفتاح الجارم (١٢٩٩ - ١٣٦٨هـ = ١٨٨١ - ١٩٤٩م) ، من رجال التعليم بمصر . له شعر ونظم كثير . ولد فى رشيد ، وتعلم بالقاهرة وانجلترا . وعمل كبيراً لمفتشى اللغة العربية بمصر ، فوكيلاً لدار العلوم ، حتى سنة ١٩٤٢م . ومثل مصر فى بعض المؤتمرات العلمية والثقافية . وكان من أعضاء المجمع اللغوى .

(٢) ديوانه ص ١٨٢ .

نبتَ الْقَريضُ عَلَى ضِفَا ... فِكِ بَيْنَ أفْنَانِ الْوُرُودِ
سَرَقَ التَدَلُّلَ مِنْ «عِنَا ... نِ» والتَفَنُّن مِنْ «وَحِيدِ» [1]
يَشْدُو كَأنَّ لَهاتَه ... شُدَتْ عَلَى أوتارِ عُود
بَغْدَادُ ، أيْنَ الْبُحْتُرِى ... ىُ؟ وَأيْنَ أيْنَ ابْنُ الْوَلِيدِ؟ [2]
وَمَجَالِسُ الشُعَرَاءِ فِي ... بَيْتِ ابْنِ يَحْيَى وَالرَشِيد؟
أيْنَ الْقِيانُ الضَاحِكَا ... تُ يَمِسْنَ فى وَشْى الْبُرُودِ؟
السَّاحِرَاتُ الْفَاتِنا ... تُ النُجْلُ مِنْ هِيفٍ وَغِيدِ
السَّاهِرَاتُ مَعَ النُجُو ... مِ الآنِفَاتُ مِنَ الْهُجُودِ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطلَى ... مَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ رُودِ
يَخْطِرْنَ حَتى تَعْجَبَ الْ ... أغْصَانُ مِنْ لِينِ الْقُدُودِ
وَإذَا سَفَرْنَ فَأيْنَ ضَوْ ... ءُ الشمْسِ مِنْ شَفَقِ الْخُدُودِ؟
يَعْبَثْنَ بِالأيَّامِ والْ ... أيَّامُ أعْبَثُ مِنْ وَلِيدِ!

---

(١) هى عنان جارية النطافى ، ومعشوقة أبى نواس وله معها أخبار كثيرة مبثوثة فى كتب الأدب . وقد بلغت من الجمال والدلال مبلغا عظيما ، وحكى صاحب الأغانى : « أن الرشيد طلب من الناطفى جاريته ، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار ، فقال أعطيك مائة ألف دينار على أن تأخذ بالدينار سبعة دراهم ، فامتنع عليه ، وأمر أن تحمل إليه . فذكروا أنها دخلت مجلسه ، فجلست فى هيئتها تنتظره ، فدخل عليها فقال : لها ويلك إنَّ هذا قد اعتاص على فى أمرك . قالت : وما يمنعك أن توفيه وترضيه . فقال ليس يقنع بما أعطيه وأمرها بالانصراف . فبلغنى أن الناطفى تصدق بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه ، فلم تزل فى قلب الرشيد حتى مات مولاها ، فلما مات ، بعث مسرورا الخادم ، فأخرجها إلى باب الكرخ ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيدى قد جللها ، فنودى عليها من يزيد؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها ، وقال : هذه كبد رطبة؛ وعلى الرجل دين . فأشاروا ببيعها . قال : فبلغنى أنها كانت تقول وهى فى المصطبة : أهان الله من أهاننى ، وأذل من أذلنى ، فلكزها مسرور بيده ، وبلغ بها مسرور مائتى ألف درهم ، فجاء رجل فقال : على زيادة خمسة وعشرين ألف درهم . فلكزه مسرور وقال : أتزيد على أمير المؤمنين . ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألفا وأخذها له . قال : ولم يكن فيها شيء يعاب ، وطلبوا لها عيبا ، لئلا تصيبها العين ، فأوقعوا بخنصر رجلها شيئا ، وأولدها ابنين . قال : أظنهما ماتا صغيرين . ثم خرج بها إلى خراسان فمات هناك ، وماتت عنان بعده » راجع : الأغانى ج٢٣ ص ٩٩ .

(٢) يقصد مسلم بن الوليد ، وأبوه الوليد مولى الأنصار ثم مولى أبى أمامة أسعد بن زرارة الخزرجى ، يلقب صريع الغوانى ، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة ، وينسب إليه مذهب البديع .

خَبَأَ الْجمالُ لَهُنَّ كَنْزاً بَيْنَ سالِفَةٍ وَجِيدِ
كَمْ جَاشَ جَيْشُكَ بِالْفَوَا رِسِ مِنْ أَسَاوِرَةٍ وَصِيدِ!
لِلنصْرِ فِى أَعْلاَمِهِمْ صِلَةٌ بِأَبْنَاءِ الْغُمُود
مُلْكٌ إذَا صَوَّرْتَهُ عَجَزَ الْخَيَالُ عَنِ الصُعُودِ
وجُهُودُ جَبَّارِينَ تَصْغُرُ دُونَهَا شُمُّ الْجُهُودِ
الرُسْلُ تَتْلُو الرسْلَ مِنْ بِيضٍ صَقَالِبَةٍ وَسُودِ
سَارُوا «لِقَصْرِ الْخُلدِ» يُغْشى طَرْفُهُمْ وَهَجُ الحَدِيدِ
يَتَعَثَّرُونَ ، كَأَنَّهُمْ يَمْشُونَ فى حَلَقِ الْقُيُودِ
الْجَوُّ يَسْطَعُ بالظُبَا والأرْضُ تَزْخَرُ بِالْجُنُودِ
حَتَّى إذَا رَجَعُوا بَدَا جِجِبَاهِهِمْ أَثَرُ السَجُودِ
الْفَلْسَفَاتُ عَرَفْتِهَا وَالْعِلْمُ طِفْلٌ فى الْمُهُودِ
وَالْغَرْبُ يَنْظُرُ فى خُمُودٍ نَحْوَ قاتِلَةِ الْخُمُودِ
كَمْ مَوْئِلٍ لِلْمُستَجِيرِ وَمَنْهَلٍ لِلْمُستَفِيدِ
وَ«الْجَاحِظُ» الْمَرِحُ اللَعُو بُ يَغُوصُ لِلدُرِّ الْفَرِيدِ
بَغْدَادُ ، ياوَطَنَ الأَدِيبِ وَأَيْكَةَ الشعْرِ الغرِيدِ
جَدَّدَتِ أَحْلاَمِى ، وَكُنْتُ صَحَوْتُ مِنْ عَهْدٍ عَهِيدِ
جَمَحَ الْخَيَالُ فَما اطْمَأَنَّ وَلا اسْتَقَرَّ إلَى خُلُودِ
جَازَ الْقُرونَ النَّائِيَا تِ ، وَفَكَّ أَسْرَارَ الْعُقُودِ
ذَكَرَ الْعُهُودَ فَأَنَّ لِلذِّ كْرَى ، وَحَنَّ إلَى الْعُهُودِ
وَاهْتَاجَهُ الطيْفُ الْبَعِيدُ فَجُنَّ لِلطيْفِ الْبعِيد
وَصَبَا إلَى ظِلِّ الْعُرُو بَةِ فى حِمَى الْمُلْكِ الْعَتِيد
يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ ارْكُضِي مِلءَ الْعِنَانِ ، وَلاَ تَهِيدِي
سُودِى ، فآمَالُ الْمُنَى مَالْعَبْقَرِيَّةِ أَنْ تَسُودِى
هَذَا أَوَانُ الْعَدْوِ لاَ الْـ إِبْطَاءِ وَالْمَشْى الْوَئِيدِ
الْمَجْدُ أَنْ تَتَوَثَّبِى وَإذَا وَثَبْتِ فَلا تَحِيدِي
وَتُحَلِّقِى فَوْقَ النُجُو م بلاَ شَبِيهٍ أَوْ نَدِيدِ
وَإذَا شَدَا الْكَوْنُ الْمَفَا خِرَ كُنْتِ عُنْوَانَ النَشِيدِ

لاَ تـخـطِـئـى حَـدَّ الْـعُـلاَ ... مَا لِلْمَعَالِى مِنْ حُدُودِ!
مَنْ يَصْطَدِ النمِرَ الْوَثُو ... بَا لِلْمَعَالِى مِنْ حُدُودِ!
هـذِى طَـلاَئِـعُ نَـهْـضَـةٍ ... ذَهَـبَـتْ بِـآثَـارِ الـركُـودِ
بَـغْـدَادُ أَشْـرَقَ نَـجْـمُـهَـا ... وَبَدَا بِهَا سَعْدُ السّعُودِ
سَلَكَتْ إِلَى الْمَجْدِ الْقَدِيم ... مَحَجَّةَ النَهْجِ السَدِيدِ
وَزَهَتْ بِأَقْمَارِ الْهُدَى ... وسَطَتْ بِأَظْفَارِ الأُسُودِ
بَغْدَادُ ، إِنَّا - وَفْدَ مِصْرَ ... فَيضٌ بِالشَوْقِ الأَكِيدِ
جِئنا نُحَى العلمَ والـ ... آداب فى العددِ العديدِ
مَـرَآكِ عِـيـدٌ لِـلْـمُـنَـى ... فُزْنَا بِهِ فِى يَوْمِ عِيدِ
أَهْلُوكِ أَهْلُونَا ، وَأَبْنَا ... ءُ الْعَشِيرَةِ والْجُدُودِ
بَيْنَ الْقُلُوبِ تَشَوُّفٌ ... كَتَشَوُّفِ الصبِّ الْعَمِيدِ
حَتَّى يَكَادَ يحِبُّ نَخلَكِ ... نَخلُ أَهْلِى فى رَشِيدِ
شَطَّتْ مَنَازِلُنَا ، وَمَا ... احْتَاجَ الْفُؤَادُ إِلَى بَرِيدِ
الرَافِدَانِ تَمَازَجَا ... فِى الْحُبِّ بِالنِّيلِ السَّعِيدِ
وَتَعَانَقَ الظِّلاَّنِ : ظِلُّ ... الطاقِ والْهَرَمِ الْمَشِيدِ
جِئْنَاكِ نَسْتَبِقُ الْخُطَا ... أَنْضَاءَ أَوْدِيَةٍ وَبِيدِ
طَالَتْ بِنَا الصَّحْرَاءُ حَتَّـ ... ى خِلْتُهَا أَبَدَ الأَبِيدِ
يَتَخَلَّص الْمَرْمَى المَدِيـ ... دُ بِهَا إِلَى مَرْمىً مَدِيدِ
كَتَخَلُّصِ الْحَسْنَاءِ مِنْ ... وَعْدٍ طَوَتْهُ إِلَى وُعُودِ
بَحْرٌ بِلاَ شَطَّيْنِ يَزْ ... خَرُ بِالتَنَائِفِ وَالنُجُودِ
وَسَفِينَتِى «نَرْنٌ» بِهَا ... مَا فِى فُؤَادِى مِنْ وُقُودِ
جِئْنا إِلَى الْغَازِى سَلِيلِ ... الْعُرْبِ وَالْحسَبِ الْمَجِيدِ
نَختَالُ بَيْنَ هِبَاتِهِ ... فِى ظِلِّ إِحْسَانٍ وَجُودِ
أَحْيَا الْمُنَى بِالْعَزْمِ وَالتَّـ ... دْبِيرِ والسَّعْى الْحَمِيدِ
وغَدَتْ بِهِ سُوحُ الْعُرُو ... بَةِ مَنهلاً عَذْبَ الورودِ

فِي نَهْضَةِ «الْفارُوقِ» والْـ   غَـازى غِـنـىً لِلْـمُـسْـتَـزِيـدِ [1]
«فـاروقُ» مُـنْـبَـثَـقُ الـرَجَـا   ءِ ومُلْتَقَى الرُكْنِ الشَـديدِ
عَـاشَـا وَعَـاشَ الـشَرْقُ فـيِ   عِـزٍّ وَفـى عَـيْـشٍ رَغِـيـدِ

(١) يقصد فاروق الأول ملك مصر وقتذاك .

# قافية الراء

## الطبيعة فى شهر آزار

بين دير مار مخايل وبين الموصل ، »وادى الزمّار« ،عليه رابية تعرف بـ»رابية العقاب« تشرف على »دجلة« حيث البساتين والأنهار ، وهى غاية فى الربيع فقال أحد الخالديّين فيه :

[المتقارب]

ألستَ ترى التّلَّ يُبدى لَنا ... طرائفَ من صُنعِ آذارِهِ [1]
ويلبِسُ مِن « ما نخاياله ... حُلِيّاً عَلَى» « تل زمَّارِهِ»
وقد نقَّط الزَّهرُ خدَّ الثَّرى ... بدرهمِهِ وبدينارِهِ
وكتَّب فى لازوَرْدِ الدُّجى ... بزنجفرِهِ وبزِنْجارِهِ
فلا تلْقَ كأساً بِتأخِيرها ... ولا يَوْمَ لهو بإنْظارِهِ

### دعاء لبغداد

قالَ القاضى الجرجانى :

[الطويل]

سَقَى جانبى بَغْدادَ أخلافُ مزنةٍ ... تُحاكِى دموعِى صوبَها وانحدارَها [2]
فلى فيهما قلبٌ شجانى اشتياقُه ... ومهجةُ نفسٍ مَا أملُّ ادِّكارَها
سأغفرُ للأيامِ كلَّ عظيمةٍ ... لئن قرَّبَت بعدَ البعادِ مزارَها [3]

---

(١) ديوانهما ص ٦٢ .

(٢) الأخلاف :جمع خلف ، وهو ضرع الناقة .

(٣) قرى الضيف ج٤ ص ١٤ .

## يا صاحب المنجنيق

قالَ شاعر من الجانب الشرقى لبغداد عام ١٩٧هـ فى فتنة المأمون والأمين ولم يعرف اسمه (١) :

[المنسرح]

لا تقربْ المنجنيقَ والحَجَرا فقَد رأيتَ القتيلَ إذْ قبرا

باكرَ كىْ لا يفوتَهُ خبرٌ راحَ قتيلاً وخلَّفَ الخبرا

ماذا بِهِ كانَ مِن نشاطٍ ومِن صحةِ جسم بِهِ إذا ابتكرا

أرادَ ألاَّ يُقالُ كانَ لَه أمرٌ فلم يدْرِ مَنْ بِهِ أمرا

ياصاحبَ المنجنيقِ مَافعلَتْ كفَّاكَ ، لم تُبقيا ولم تَذرا

كانَ هواهُ سِوَى الذى قُدِرا هيهاتَ لن يغلبَ الهوى القدرا

## حصاد الشر

قالَ على الأعمى فى المعارك التى دارت بين الأمين والمأمون ببغداد :

[الخفيف]

خرَّجَتْ هَذِهِ الحروبُ رجالاً لا لقحطانَ ، لا ، ولا لنزارِ (٢)

معشرٌ فى جواشنِ الصّوفِ يغدو نَ إلى الحرب كالليوث الضوارِى (٣)

لَيسَ يدرونَ مَا الفرارُ إذا مَا الـ أبطالُ عاذُوا مِن الفنا بالفرارِ

واحدٌ منهم يشدُّ عَلَى ألـ فينِ عريانَ مَا لَهُ مِن إزارِ

ويقولُ الفتى إذا طَعنَ الطعـ نة : خُذها مِن الفتى العيَّارِ (٤)

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٨ ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٢ ص ٣٢١ .

(٣) الجواشن : جمع جوشن وهو الصدر أو الدرع .

(٤) والعيار فى اللغة الكثير التجول والطواف ، والذى يتردد بلا عمل ، يخلى نفسه وهواها ، والمِعار بالكسر الفرس الذى يحيد عن الطريق براكبه ، والعيَّار : الذكى كثير التطواف . راجع كتاب « حكايات الشطار والعيارين » د . محمد رجب النجار ص ٨ .

## فاجعة بغداد

قالَ الخريمى [1] : [المنسرح]

قالوا : ولم يلعب الزمانُ ببغـ ـدادَ وتعثرْ بِها عواثرُها
إذْ هى مِثْلُ العروسِ باطنُها مشوقٌ للفتى وظاهرُها
جنةُ خلدٍ ودارُ مَغبَطَةٍ قلَّ مِن النائباتِ واترُها
درَّت خلوفُ الدنيا لساكنها وقل معسورُها وعاسرُها
وانفرجت بالنعيم وانتجعت فيها بلذاتِها حواضرُها
فالقومُ منها فى روضةٍ أُنُفٍ أشرقَ غبُّ القطار زاهرُها
مَنْ غرَّه العيشُ فى بلنهيةٍ لو أنَّ دنيا يدومُ عامرُها
دارُ ملوكٍ رست قواعدُها فيها وقرَّت بِها منابرُها
أهلُ العلا والندى وأنديةُ الـ ـفخرِ إذا عُدَّت مفاخرُها
أفراخُ نعمى فى إرثِ مملكةٍ شدَّ عُراها لها أكابرُها
فلم يزلْ والزمانُ ذو غيرٍ يقدحُ فى ملكِها أصاغرُها
حتَّى تساقَت كأسًا مثملةً مِن فتنةٍ لا يقالُ عاثرُها
وافترقت بعدَ ألفةٍ شيعاً مقطوعةً بينها أواصرُها
ياهَل رأيتَ الأملاكَ مَا صنعَت إذْ لم يرعها بالنصحِ زاجرُها
أوردَ أملاكُنا نفوسَهم هوةَ غيٍّ أعيَتْ مَصادرُها
ما ضرَّها لو وَفَت بموثقِها واستحكمَت فى التُّقى بصائرُها
ولم تسافكْ دماءَ شيعتِها وتبتعث فتيةً تكابرُها

---

(١) إِسْحَاق بن حَسَّان بن قوهى ، أبو يَعْقُوب الشَّاعِر المعروف بالخُرَيْمِى ، نزل بغداد . وأصله من خراسان من أبناء السغد ، وكان متصلا بخريم بن عَامِر المرى وآله فنسب إليه ، وقيل كان اتصاله بعُثْمَان بن خريم ، وكان قائدًا جليلاً ، وسيدا شريفًا ، وأبو خريم الموصوف بالناعم . فأما أبو يَعْقُوب فشاعر محسن، وله مدائح فى مُحَمَّد بن مَنْصُور بن زِيَاد ، ويَحْيى بن خَالِد ، وغيرهما وكان يتأله ويتدين . وقال أبو حَاتِم السجستانى : الخريمى أشعر المولدين ، وروى عنه شيئًا يسيرًا من شعره أبو عُثْمَان الجاحظ ، وأَحْمَد بن عُبَيْد بن ناصح ، وذكر أنهما سمعا منه(ت٢١٢هـ) . راجع فى « تاريخ بغداد » ج٦ ص ٣٦٢ .

وأقنعتها الدنيا التى جمعت لها ورعبُ النفوسِ ضائرُها
مازالَ حوضُ الأملاكِ يحفرُهُ مسجورُها بالهوى وساجرُها
تبغى فضولَ الدنيا مكاثرةً حتَّى أُبيحَت كرهًا ذخائرُها
تبيعُ مَا جمعَ الأبوةُ للـ أبناءِ لا أُربِحَتْ متاجرُها
يا هَل رأيتَ الجنانَ زاهرةً يروقُ عينَ البصيرِ زاهرُها
وهَل رأيتَ القصورَ شارعةً تكن مِثْلَ الدمى مقاصرُها
وهَل رأيتَ القرى التى غرسُ الـ أملاكُ مخضرةً دساكرُها
محفوفةٌ بالكروم والنخلُ والر يحانِ مَا يستقلُّ طائرُها
فإنَّها أصبحَت خلايا مِن الـ إنسانِ قَد أدميَتْ محاجرُها
قفرًا خلاءَ تعوى الكلابُ بها ينكرُ منها الرسومَ زائرُها
وأصبحَ البؤسُ مَا يفارقُها إلفًا لها والسرورُ هاجرُها
يزنوردِ والياسريةِ والشطّ ين حيثُ انتهت معابرُها
ويا ترلحى والخيزرانيةَ الـ عليا التى أشرفَت قناطرُها
وقصرَ عبدويه عبرةٌ وهدى لكلِّ نفسٍ زكَتْ سرائرُها
فأينَ حراسُها وحارسُها وأينَ مجبورُها وجابرُها
وأينَ خصيانُها وحشوتُها وأينَ سكانُها وعامرُها
أينَ الجراديةُ الصقالبُ والـ أحبشُ تعدو هدلاً مشافرُها
ينصدعُ الجندُ عَنْ مواكبِها تعدو بِها سربًا ضوامرُها
بالسندِ والهندِ والصقالبِ والـ -نوبةِ شِيبَت بِها برابرُها
طيرًا أبابيلَ أرسلت عبثاً يقدمُ سودانُها أحامرُها
أينَ الظباءُ الأبكارُ فى روضةِ الـ ملكِ تهادى بِها غرائرُها
أينَ غضارتُها ولذَّتُها وأينَ محبورُها وحابرُها
بالمسكِ والعنبرِ اليمانِ والـ يلنجوجِ مشبوبةٌ مجامرُها [1]
يرفلنَ فى الخزِّ والمجاسدِ والـ موشّى محطومةً مزامرُها

(١) اليلنجوج : عود طيب الرائحة يتبخر به .

فأينَ رقّاصُها وزامرُها يجُبنَ حيثُ انتهت حناجرُها
تكادُ أسماعُهم تُسكُّ إذا عارضَ عيدانَها مزاهرُها
أمسَت كجوفِ الحمارِ خاليةً يسعرُها بالجحيم ساعرُها [1]
كأنَّما أصبحَت بساحتِهم عادٌ ومسَّتهم صَراصرُها
لا تعلمُ النفسُ مَا يُبايتُها مِن حادثِ الدهرِ أو يباكرُها
تضحى وتمسى دريَّةً غرضاً حيثُ استقرَّت بِها شراشرُها
لأسهم الدهرِ وهوَ يرشقُها محنطُها مرةً وباقرُها
يا بوسَ بَغْدادَ دارَ مملكةٍ دارَت عَلَى أهلِها دوائرُها
أمهلَها الله ثم عاقبَها لما أحاطَت بِها كبائرُها
بالخسفِ والقذفِ والحريقِ وبالـ حربِ التى أصبحَت تساورُها
كَمْ قَد رأيْنا مِن المعاصى ببَغْدا د فهَل ذو الجلالِ غافرُها
حلَّت ببَغْدادَ وهى آمنةٌ داهيةٌ لم تكن تحاذرُها
طالعَها السوءُ مِن مطالعِهِ وأدركَت أهلَها جرائرُها
رقَّ بِها الدينُ واستخفَّ بذى الـ فضلِ وعزَّ النسَّاكَ فاجرُها
وخطمَ العبدُ أنفَ سيدِهِ بالغمِّ واستعبدَت حرائرُها
وصارَ ربَّ الجيرانِ فاسقُهم وابتزَّ أمرَ الدروبِ ذاعرُها
مَنْ يرَ بَغْدادَ والجنودُ بها قَد ربقَت حَولَها عساكرُها
كلُّ طحونٍ شهباءَ باسلةٍ تسقطُ أحبالَها زماجرُها
تلقى بغيِّ الردَى أوانسُها يرهقُها للقاءِ طاهرُها [2]

(١) فى مجمع الأمثال ص ١٣٥ : « تركته جوف حمار : قال الأصمعى : معناه لا خير فيه ، ولا شيء ينتفع به ، وذلك أن جوف الحمار لا ينتفع منه بشيء » ، وفى ص ٢٥٧ : « أخرب من جوف حمار : قالوا هو رجل من عاد ، وجوفه واد كان يحله ذو ماء وشجر ، فخرج بنوه يتصيدون ، فأصابتهم صاعقة ، فأهلكتهم ، فكفر ، وقال : لا أعبد ربا فعل ذا ببني ، ثم دعا قومه إلى الكفر ، فمن عصاه قتله ، فأهلكه الله ، وأخرب واديه ، فضربت العرب به المثل في الخراب والخلاء ، وقالوا : أخرب من جوف حمار ، وأخلى من جوف حمار ، وأكثرت الشعراء ذكره فى أشعارهم » .

(٢) طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق ، مقدم جيوش المأمون ، لقب بذى اليمينين ، وكنيته أبو طلحة الخزاعى ، قام بنصر خلافة المأمون ، بعد أن ندبه لحرب أخيه الأمين، فحاصر الأمين ، فظفر به ، وقتله صبرا ، فمقته الناس لتسرعه في قتله . مات كهلا سنة سبع ومائتين .

والشيخُ يعدو حزمًا كتائبَه يقدمُ أعجازَها يعاورُها

ولزهيرٍ بالفِرْكِ مأسدةٌ مرقومةٌ صلبةٌ مكاسرُها [(١)]

كتائبُ الموتِ تحتَ ألويةٍ أبرحَ منصورُها وناصرُها

يعلمُ أنَّ الأقدارَ واقعةٌ وقعًا عَلَى مَا أحبَّ قادرُها

فتلكَ بَغْدادُ مَا يبنى مِن الذلْ لَةِ فى دُورِها عصافرُها

محفوفةٌ بالرَّدى منطَّقةٌ بالصغرِ محصورةٌ جبابرُها

ما بينَ شطِّ الفُرَاتِ منه إلى دِجلَة حيثُ انتهَت معابرُها

بارك هادى الشقراءِ نافرَه تركضُ مِن حَولَها أشاقرُها

يحرقُها ذا وذَاكَ يهدمُها ويشتفى بالنهابِ شاطرُها

والكرخُ أسواقُها معطَّلةٌ يستنُّ عيَّارُها وعائرُها

أخرجَت الحربُ مِن سواقطِها آسادَ غيلٍ غلبًا تساورُها

مِن البوراى تِراسُها ومِن الـ خوصِ إذا استلأَمَت مغافرُها

تغدو إلى الحربِ فى جواشنها الصوفِ إذا مَا عدَت أساورُها

كتائبُ الهرشِ تحتَ رايتِهِ ساعدَ طرارَها مقامرُها [(٢)]

لا الرزقَ تبغى ولا العطاءَ ولايحشرُها للقاءِ حاشرُها

فى كلِّ دربٍ وكلِّ ناحيةٍ خطارةٌ يستهلُّ خاطرُها

بمِثْلِ هامِ الرجالِ مِن فلقِ الـ صخرِ يزودُ المقلاعَ باثرُها

كأنَّما فوقَ هامِها فرقٌ مِن القطا الكدرِ هاجَ نافرُها

والقومُ مِن تحتِها لهم زَجَلٌ وهى ترامى بِها خواطرُها

بل هَل رأيتَ السيوفَ مصلتةً أشهرَها فى الأسواقِ شاهرُها

والخيلُ تستنُّ فى أزقتِها بالتركِ مسنونةٌ خناجرُها

والنفطُ والنارُ فى طرائقِها وهابيًا للدخانِ عامرُها

والنهبُ تعدو بِهِ الرجالُ وقد أبدَت خلاخيلَها حرائرُها

---

(١) يقصد زهير بن المسيب أحد قادة المأمون . راجع خبره فى سير أعلام النبلاء للذهبى . ترجمة المأمون .

(٢) الطرَّار : الذى يشق كمَّ الرجل ، ويسل ما فيه ، من الطرِّ ، وهو القطع والشق .

معصوصياتٍ وسطَ الأزقةِ قد أبرزَها للعيونِ ساترُها
كلُّ رقودِ الضحى مخبأةٌ لم تبد فى أهلِها محاجرُها
بيضةُ خدرٍ مكنونةٌ برزَت للناسِ منشورةٌ غدائرُها
تعثرُ فى ثوبِها وتعجلُها كبَّةُ خيلٍ ريعَت حوافرُها
تسألُ أينَ الطريقُ والهةً والنارُ مِن خلفها تبادرُها
لم تجتلِ الشمسُ حسنَ بهجتِها حتَّى اجتلتها حربُ ناشرها
يا هَل رأيتَ الثَّكلى مولولةً فى الطرقِ تسعى والجهدُ باهرُها
فى إثرِ نعشٍ عليه واحدُها فى صدرِهِ طعنةٌ يساورُها
فرغاءُ ينفى الشَّنارَ مربدُها يهزُّها بالسنانِ شاجرُها
تنظر فى وجهِهِ وتهتفُ بالثـ كلِ وجارى الدموعِ حادرُها
غرغرَ بالنفسِ ثم أسلمَها مطلولةً لا يخافُ ثائرُها
وقَد رأيتَ الفتيانَ فى عرصةِ الـ ـمعركِ معفورةٌ مناخرُها
كلُّ فتًى مانعٌ حقيقتَه تشقى بِهِ فى الوغى مساعرُها
باتتَ عليه الكلابُ تنهشُهُ مخضوبةٌ مِن دم أظافرُها
أما رأيتَ الخيولَ جائلةً بالقوم منكوبةٌ دوائرُها
تعثرُ بالأوجهِ الحسانِ مِن الـ قتلى وغُلَّت دمًا أشاعرُها
يطأنَ أكبادَ فتيةٍ نُجُدٍ يفلقُ هاماتِهم حوافرُها
أما رأيتَ النساءَ تحتَ المجا نيقِ تعادى شعثًا ضفائرُها
عقائلُ القومِ والعجائزُ والـ عنسُ لم تحتبِرْ معاصرُها
يحملَن قوتًا مِن الطحينِ عَلَى الـ أكتافِ معصوبةٌ معاجرُها
وذاتُ عيشٍ ضنكٍ ومقعسةٍ تشدخُها صخرةٌ تعاورُها
تسألُ عَنْ أهلِها وقَد سُلِبت وابتزَّ عَنْ رأسِها غفائرُها [1]
يا لَيْتَ شعرى والدهرُ ذو دولٍ يُرجى وأخرى تُخشى بوادرُها
هَل ترجعَنْ أرضُنا كما غَنيَتْ وقَد تناهَت بِنا مصائرُها

---

(١) جمع غفيرة ، وهو الشعر على جانبى الأذن .

| | |
|---|---|
| مَنْ مبلغ ذا الرياستينِ رسا | لاتٍ تأتّى للنصح شاعرُها [1] |
| بأنَّ خيرَ الولاةِ قَد علمَ الن | اسُ إذا عُـدِّدتْ مـآثـرُهـا |
| خليفةُ الله فى بريتِه الـ | ـمأمونُ منتاشُها وجابرُها |
| سـمَـت إلـيـه آمـالُ أمَّـتِـه | مـنـقـادةً بـرُّهـا وفـاجـرُهـا |
| شامُوا حيا العدل مِن مخايِلِهِ | وأصحرَت بالتقى بصائرُها |
| وأحمدُوا منكَ سيرةً جلَتْ الـ | شكَّ وأخرى صحَت معاذرُها |
| واستجمعتَ طاعةً برفقِكَ للمأ | مـونِ نـجـديُـهـا وغـائـرُهـا |
| وأنْتَ سمعٌ فى العالمينَ له | ومـقـلـةٌ مَـا يـكـلُّ نـاظـرُهـا |
| فاشكرْ لذى العرشِ فضلَ نعمتِهِ | أوجبَ فضلَ المزيدِ شاكرُها |
| واحذرْ ، فداءٌ لكَ الرعيةُ والـ | أجـنـادُ مـأمـورُهـا وآمـرُهـا |
| لا تَرِدَنْ غَمْرَةً بنفسِكَ لا | يصدرُ عنها بالرأيِ صادرُها |
| عليكَ ضحضاحَها فلا تلجِ الغمـ | ـرةَ مـلـتـجَّـةً زواخـرُهـا [2] |
| والقصدَ إنَّ الطريقَ ذو شُعَبٍ | أشـأمُـهـا وعـثُـهـا وجـائـرُهـا |
| أصبحتْ فى أمَّةٍ أوائلُها | قَد فارقَت هديَها أواخرُها |
| وأنْتَ سُرسورُها وسائسُها | فهَل عَلَى الحقِّ أنْتَ قاسرُها [3] |
| أدِّبْ رجالاً رأيتَ سيرتَهم | خالفَ حكمَ الكتابِ سائرُها |
| وامددْ إلى الناسِ كفَّ مرحمةٍ | تسدُّ منهم بِها مفاقرُها |
| أمكنكَ العدلُ إذْ هممتَ بِهِ | ووافـقَـتْ مـدَّه مـقـادرُهـا |
| وأبصر الناسَ قصدَ وجهِهم | ومـلَّـكـت أمـةً أخـايـرُهـا |
| تشرعُ أعناقَها إليكَ إذْ الـ | ساداتُ يَوْمًا جمَّت عشائرُها |
| كَمْ عندنَا مِن نصيحةٍ لكَ فى اللـ | ـهِ وقـربـى عـزَّت زوافـرُهـا |

---

(١) هو الوزير الفضل بن سهل أخو الوزير الحسن بن سهل . أسلم أبوهما على يد المهدى ، وأسلم الفضل سنة تسعين ومائة على يد المأمون . وكان يلقب بـ « ذى الرئاستين » لأنه تقلد الوزارة والحرب . وقتله خال المأمون فى حمام سرخس فى شعبان سنة اثنتين ومائتين .

(٢) الضحضاح : الماء القليل يكون في الغدير وغيره .

(٣) فى جمهرة الأمثال ص ٣٨» : « ابن سرسورها » أى العالم بالشىء .

وحرمةٍ قربت أواصرُها منك ، وأخرى هل أنت ذاكرُها؟
سعىُ رجالٍ فى العلم مطلبُهم رائحُها باكرٌ وباكرُها
دونكَ غراءَ كالوذيلةِ لا تفقدُ فى بلدةٍ سوائرُها
لا طمعًا قلتُها ولا بطراً لكلِّ نفسٍ هوىً يؤامرُها
سيَّرَها الله بالنصيحةِ وال خشيةِ فاستدمجت مرائرُها
جاءتكَ تحكى لكَ الأمورَ كما ينشرُ بَزَّ التجارِ ناشرُها
حمَّلتُها صاحبًا أخا ثقةٍ يظلُّ عُجبًا بِها يحاضرُها

## دعاء

قالَ ابن المعتز [1] :

[الرجز]

سقَى الإلَهُ سُرَّ مَن را القَطَرا والكرخَ والخمسَ القرى ، والجسرَا [2]
قَد عَجَمُوا عُودى ، وكنتُ امْرأً حُرّاً ، إذا لم يَكُ حرٌّ حرّا
لا تَأمَنُوا مِن بَعدِ حِلمٍ شَرّا كَم غُصنٍ أخضرَ صارَ جَمرَا

---

(١) هو أبو العباس عبد لله بن محمد المعتز بالله (٢٤٧ - ٢٩٦هـ) ، ولد فى بغداد ، وأولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم . وصنف كتباً ، منها (الزهر والرياض) ، و(البديع) ، و(الآداب) ، و(الجامع فى الغناء) ، و(الجوارح والصيد) ، و(فصول التماثيل) ، و(حلى الأخبار) ، و(أشعار الملوك) .

(٢) ورد فى معجم البلدان : « مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة ، وقد خربت وفيها لغات : سامراء ممدود ، وسامرا مقصور ، وسر من رأ مهموز الآخر ، وسر من را مقصور الآخر ، . . وقال أبو سعد : سامراء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخا ، يقال لها : سر من رأى ، فخففها الناس ، وقالوا : سامراء ، . . . وبها السرداب المعروف في جامعها الذى تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه ، . . وقال إبراهيم الجنيدى : سمعتهم يقولون إن سامراء بناها سام بن نوح عليه السلام ، ودعا أن لا يصيب أهلها سوء ، فأراد السفاح أن يبنيها فبنى مدينة الأنبار بحذائها ، وأراد المنصور بعدما أسس بغداد بناءها ، وسمع في الرواية ببركة هذه المدينة ، فابتدأ بالبناء في البردان ، ثم بدا له وبنى بغداد ، وأراد الرشيد أيضا بناءها فبنى بحذائها قصرا وهو بإزاء أثر عظيم قديم كان للأكاسرة ، ثم بناها المعتصم ونزلها في سنة ١٢٢هـ » . [ والأبيات من ديوان ابن المعتز ص ٢٠٣ ]

# ليتني أعود إليها

قالَ ابن المعتز يتشوق إلى داره ببعض نواحى بغداد :

[البسيط]

سَقياً لدارٍ بنَهرِ الكَرخِ ، مِن دارِ ... تركتُ فيها لُباناتى وأوطارِى [1]
مِن عَهدِ عامَينِ لم أُلمِم بساحَتِها ... دارَتْ علَيها رَحى الدّنيا بأطوارِ
كَمْ فيكِ يا دارُ مِن عَصرٍ لهَوتُ به ... يا لَيتَهُ لى مِن عُمرى بأعصارِ
يَرَونَ فيها الظّباءَ الأُدمَ سانحَةً ... يُشبِهنَ شُزًّا بأعناقٍ وأبصارِ
ثمّ التَفَتُّ إلى شَيبى ، فذكّرَني ... حِلمى ، فأُبتُ إلى يأسٍ وإقصارِ
كأنّنى ؛ وقُتودى فوقَ ذى جُدَدٍ ... مُبَكِّرٌ بَينَ إظلام وإسفارِ
فَراعَنى صائحٌ يَعدو بأكلُبَةٍ ... مُطَوّقاتٍ بأسيارٍ وأوتارِ
مِن كلِّ أغضَفَ خالى النّحضِ مُحتبِلٍ ... يُطالبُ الشّرَّ فى أطواقِه ضارِى
كَمْ سَخطَةٍ بِتُّ أُخفيها علَيهِ ، كما ... تُخفى الحِجارَةُ فيها مَسكِنَ النّارِ
ألا سَبيلٌ إلى وافٍ أُواصِلُهُ ... فقَد تَجَنّبَ وُدّى كلُّ غَدّار

---

(١) ديوانه ج٢ ص ٦٣

## حنين وشوق

قالَ جحظة البرمكى [1] :

[الطويل]

سَلاَمٌ عَلَى تلكَ الطّلُولِ الدّواثِرِ ... وَإِنْ أقفَرَتْ بَعْدَ الأنيسِ المجاورِ [2]
غرائرُ ما فَتَّرْنَ فى صيدِ غافِلٍ ... بألحاظِهنَّ السّاجياتِ الفواتِرِ
سَقَى الله أيَّامى برَحْبَةِ هاشمٍ ... إلى دارِ شِرشِيرِ محلِّ الجآذِرِ
سَحَائِبُ يَسْحَبْنَ الذّيولَ عَلَى الثّرىَ ... ويُضحى بهنَّ الزَّهْرُ رَطْبَ المحاجِرِ
مَنَازِلُ لـذَّاتـى وَدَارُ صـبـابـتـي ... وَلَهْوى بأمثالِ النُّجُوم الزّواهِرِ
رَمَتْنا يَدُ المقدورِ عَنْ قوسِ فُرقَةٍ ... فَلَمْ يُخْطِنَا للحَيْنِ سهمُ المقادِرِ
ألاَ هَلْ إلى فيءِ الجزيرةِ بالضّحى ... وَطِيبِ نَسيم الرَّوضِ بَعْدَ الظَّهائِرِ
وأَفْنَانِها والطّيرُ تَنْدُبُ شجْوَها ... بأشجارِها بَيْنَ المياهِ الزَّواخِرِ
وَرِقَّةِ ثوبِ الجوِّ والرِّيحُ لدْنَةٌ ... تُسَاقُ بمبسوطِ الجناجينِ ماطِرِ
سَبيلٌ وَقَدْ ضاقَتْ بى السُّبْلُ حيرَةً ... وَشَوْقاً إلى أفيائها بالهواجِرِ

---

(١) أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك ، (٢٢٤ - ٣٢٤هـ) ، نديم أديب مغن ، من بقايا البرامكة ، من أهل بغداد . كان فى عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة ، فلزمه اللقب . وكان كثير الرواية للأخبار ، متصرفاً فى فنون من العلم كاللغة والنجوم ، عارفاً بالموسيقى ، لم يكن أحد يتقدمه فى صناعة الغناء . نادم ابن المعتز والمعتمد العباسيين ، وصنف كتباً قليلة منها (المشاهدات) فى الأخبار واللطائف ، و(ما صح مما جربه علماء النجوم) و(أخبار الطنبوريين) وله ديوان شعر وأخباره كثيرة . ولادته فى بغداد ووفاته فى جيل (وهى قرية من أعمال بغداد) ، ولأبى الفرج الأصفهانى كتاب (أخبار جحظة البرمكى) .

(٢) ديوانه ص ١٠٧

## كَلِفٌ ببغداد

قالَ الأبيوردى [1] :

[الكامل]

لَكَ مِن غَليلِ صَبابَتى مَا أُضمِرُ وَأُسِرُّ مِنْ أَلَمِ الغَرَامِ وَأُظْهِرُ [2]
وَتَذَكُّرى زَمَنَ العُذَيْبِ يَشِفُّنى وَالوَجْدُ مَمْنُوٌّ بِهِ المُتَذَكِّرُ [3]
إذْ لِمَّتى سَحْماءُ مَدَّ عَلَى التُّقى أَظْلالَها وَرَقُ الشَّبابِ الأَخْضَرُ
هُوَ مَلْعَبٌ شَرِقَتْ بِنا أَرْجاؤُهُ إذْ نَحنُ فى حُلَلِ الشَّبِيبَةِ نَخطِرُ
فَبِحَرِّ أَنْفاسى وَصَوْبِ مَدامِعى أَضْحَتْ مَعالِمُهُ تُراحُ وَتُمْطِرُ
وأُجِيلُ فى تِلْكَ المَعاهِدِ ناظِري فَالقَلبُ يَعْرِفُها وَطَرْفى يُنْكِرُ
وَأَرُدُّ عَبْرتِى الجَموحَ لأَنَّها بِمَقيلِ سِرِّكَ فى الجَوانِحِ تُخْبِر
فَأَبِيتُ مُحْتَضِنَ الجَوى قَلِقَ الحَشى وَأَظَلُّ أُعْذَلُ فى هَواكَ وَأُعْذَرُ
غَضِبَتْ قُرَيْشٌ إذْ مَلَكْتُ مَقادَتى غَضَباً يكادُ السُّمُ مِنْهُ يَقْطُرُ
وَتَعاوَدَتْ عَذْلى فَما أَرْعَيْتُها سَمْعاً يَقِلُّ بِهِ المَلامُ وَيَكْثر
وَلَقَدْ يَهونُ عَلَى العَشيرَةِ أَنَّنى أَشْكو الغَرامَ فَيَرْقُدونَ وَأَسْهَرُ
وَبِمُهْجَتى هَيْفاءُ يَرْفَعُ جِيدَها رَشَأٌ ، وَيَخْفِضُ ناظِرَيْها جُؤْذَرُ
طَرَقَتْ وَأَجْفانُ الوُشاةِ عَلى الكَرَى تُطْوَى ، وَأَرْدِيَةُ الغَياهِبِ تُنْشَرُ
وَالشُّهْبُ تَلْمَعُ فى الدُّجى كَأَسِنَّةٍ زُرْقٍ يُصافِحُها العَجاجُ الأَكْدَرُ

---

(١) أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموى (ت ٥٠٧ هـ) . شاعر ، مؤرخ ، عالم بالأدب ، ولد فى أبيورد (بخراسان) ومات مسموماً فى أصبهان كهلاً . من كتبه (تاريخ أبيورد) ، و(المختلف والمؤتلف) فى الأنساب ، و(طبقات العلماء فى كل فن) ، و(أنساب العرب) ، و(ديوان شعره) ، و(زاد الرفاق) فى المحاضرات .

(٢) ديوانه ص ٣٣٩ .

(٣) فى معجم البلدان : « العذيب : تصغير العذب ، وهو الماء الطيب ، وهو ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال ، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا . وقيل : هو واد لبنى تميم ، وهو من منازل حاج الكوفة . وقيل : هو حد السواد . وقال أبو عبد الله السكونى : العذيب يخرج من قادسية الكوفة إليه » .

فَنِجادُ سَيْفى مَسَّ ثِنْى وِشاحِها   بِمَضاجِعٍ كَرُمَتْ وَعَفَّ المِئْزَرُ

ثُمَّ افْتَرَقْنا وَالرَّقيبُ يَروعُ بي   أَسَداً يُوَدِّعُهُ غَزالٌ أَحْوَرُ

وَالدُّرُّ يُنْظَمُ ، حينَ يَضْحَكُ ، عِقْدُهُ   وإِذا بَكَيْتُ فَمِنْ جُفونى يُنْثَر

فَوَطِئْتُ خَدَّ اللَّيْلِ فَوْقَ مُطَهَّمٍ   هُوجُ الرِّياحِ وَراءَهُ تَسْتَحْسِرُ

طَرِبَ العِنانِ ، كَأَنَّهُ فى حُضْرِهِ   نارٌ بِمُعْتَرَكِ الجِيادِ تَسَعَّرُ

وَالعِزُّ يُلْحِفُنى وَشائِعَ بُرْدِهِ   حَلَقُ الدِّلاصِ وَصارِمى وَالأَشْقر (1)

وَعَلامَ أَدَّرِعُ الهَوانَ وَمَوْئِلِي   خَيْرُ الخَلائِفِ أَحْمَدُ المُسْتَظْهِرُ

هُوَ غُرَّةُ الزَّمنِ الكَثيرِ شِياتُهُ   زُهِىَ السَّريرُ بِهِ وَتاهَ المِنْبَرُ

وَلَهُ كَما اطَّرَدَتْ أَنابيبُ القَنا   شَرَفٌ وَعِرْقٌ بِالنُّبُوَّةِ يَزْخَرُ

وَعُلاً تَرِفُّ عَلى التُّقى ، وَسَمَاحَةٌ   عَلِقَ الرَّجاءُ بِها ، وَبَأْسٌ يُحْذَرُ

اتَنْفَعُ الصَّلَواتُ مَنْ هُوَ ساحِبٌ   ذَيْلَ الضَّلالِ ، وَعَنْ هَواهُ أَزْوَرُ

وَلَوِ اسْتُميلَتْ عَنْهُ هامَةُ مارِق   لَدعا صَوارِمَهُ إِلَيْها المِغْفَرُ (2)

فَعُفاتُهُ حَيْثُ الغِنى يَسَعُ المُنى   وَعُداتُهُ حَيْثُ القَنا يَتَكَسَّرُ

وَبِسَيْبِهِ وَبِسَيْفِهِ أَعْمارُهُمْ   فى كلِّ مُعْضِلَةٍ تَطولُ وَتَقْصُرُ

وَكَأَنَّهُ المَنْصورُ فى عَزَماتِهِ   وَمُحَمَّدٌ فى المَكرُماتِ وَجَعْفَرُ

وإِذا مَعَدٌّ حُصِّلَتْ أَنْسابُها   وَهُمُ الذُّرا وَالجَوهَرُ المُتَخَيَّرُ

وَلَهُمْ وَقائِعُ فى العِدا مَذْكورَةٌ   تَروى الذِّئابُ حَديثَها وَالأَنْسُرُ

وَالسُّمْرُ فى اللَّبّاتِ راعِفَةٌ دَماً   وَالبِيضُ يَخْضِبُها النَّجيعُ الأَحْمَرُ

وَالقِرْنُ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ثَمِلَ الخُطا   وَالأَعْوَجِيَّةُ بِالجَماجِمِ تعثر

وَدَجا النَّهارُ مِنَ العَجاجِ ، وَأَشْرَقَتْ   فيهِ الصَّوارِمُ ، وَهْوَ لَيْلٌ مُقْمِرُ

يابْنَ الشَّفيعِ إِلى الحَيا مَا لامْرِئٍ   طامَنْتَ نَخْوَتَهُ المَحَلُّ الأَكْبَرُ

أَنا غَرْسُ أَنْعُمِكَ الَّتى لاتُجْتَدى   مَعَها السَّحائِبُ ، فَهْى مِنْها أَغْزَرُ

وَالنُّجْحُ يَضْمَنُهُ لِمَنْ يَرْتادُها   مِنْكَ الطَّلاقَةُ وَالجَبينُ الأَزْهَرُ

---

(١) الدلاص : اللين البراق الأملس من الدروع .

(٢) فى لسان العرب : « المغفر والمغفرة والغفارة زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة » .

وَإنْ اقْتَرَبْتُ أَو اغْتَرَبْتُ فَإنَّني لَهِجٌ بِشُكْرِ عَوارِفٍ لا تُكْفَرُ
وَعُلاكَ لى فى ظِلِّها مَا أَبْتَغي مِنْها ، وَمِنْ كَلِمى لَها مَا يُذْخَرُ
يُسْدى مَديحَكَ هاجِسى ، وَيُنيرُهُ فِكْرى ، وَحَظّى فى امْتِداحِكَ أَوْفَرُ
بَغْدَاذَ أَيَّتُها المَطِى ، فَواصِلي عَنَقاً تَئِنُّ لَهُ القِلاصُ الضُّمَّرُ
إنّى وَحَقِّ المُسْتَجِنِّ بِطَيْبة كَلِفٌ بِها وَإلى ذَراها أَصْوَرُ
وَكَأَنَّنى ، مِمّا تُسَوِّلُهُ المُنى وَالدّارُ نازِحَةٌ ، إليها أَنْظُرُ
أَرْضٌ تَجُرُّ بِها الخِلافَةُ ذَيْلَها وَبِها الجِباهُ مِنَ المُلوكِ تُعَفَّرُ
فَكَأَنَّها - جُلِيَتْ عَلَينا - جَنَّةٌ وَكَأَن دِجْلَةَ - فاضَ فيها - الكَوْثَرُ
وَهَواؤُها أَرِجُ النَّسيم ، وَتُرْبُها مِسْكٌ تَهاداهُ الغَدائِرُ أَذْفَرُ
يَقْوى الضَّعيفُ بِها ، وَ يأْمَنُ خائِفٌ قَلِقَتْ وِسادَتُهُ ، وَيُثْرى المُقْتِرُ
فَصَدَدْتُ عَنْها إذْ نَبانى مَعْشَري وَبَغى عَلَى مِنَ الأَراذِلِ مَعْشَر
مِنْ كُلِّ مُلْتَحِفٍ بِما يَصِمُ الفَتى يُؤذى وَيَظْلِمُ أَوْ يَخونُ وَيَغْدر
فَنَفَضْتُ مِنْهُ يدى مَخَافَةَ كَيْدِهِ إنَّ الكَريمَ عَلَى الأَذَى لايَصْبِرُ
وَأَبى لِشِعْرى أَنْ أُدَنِّسَهُ بِهِمْ حَسَبى وَحَسَبُ ذوى الخَنا أَنْ يُحْقَروا
قابَلْتُ سَيِّءَ مَا أَتَوْا بِجَميلِ ما آتِى ، فَإنِّى بِالمَكارِمِ أَجْدَرُ
وَأَبادَ بَعْضَهُمُ المَنونُ ، وَبَعْضُهُمْ فى القِدِّ ، وَهْوَ بِما جَناهُ أَبْصَرُ
وَالأَبيَضُ المَأْثُورُ يَخْطِمُ بِالرَّدى مَنَ لا يُنَهْنِهُهُ القَطيعُ الأَسْمَرُ
فَارْفَضَّ شَمْلُهُمُ ، وَكَمْ مِنْ مَوْرِدٍ لِلظّالِمينَ وَلَيْسَ عَنْهُ مَصْدَرُ
وَإلى أَميرِ المؤمنينَ تَطَلَّعَتْ مِدَحٌ كَما ابْتَسَمَ الرِّياضُ تُحَيَّرُ
ويقيمُ مائِدَهُن لَيْلٌ مُظْلِمٌ وَيَضُمُّ شارِدَهُنَّ صُبْحٌ مُسْفِرُ
فَبِمِثْلِ طاعَتِهِ الهِدايَةُ تُبْتَغَى وَبِفَضْلِ نائِلِهِ الخَصاصَةُ تُجبَرُ

## أمنية

وجد عَلَى حائط فى جزيرة قبرس [(١)] :

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٤٦٢

[الطويل]

فهَل نحوَ بَغْدادٍ مزارًا فيلتقى مشوقٌ ويحظى بالزيارةِ زائرُ
إلى الله أشكو لا إلى النّاسِ إنّه عَلَى كشفِ مَا ألقى مِن الهمِّ قادرُ

## جنة الدنيا

وقالَ آخر [١] :

[الطويل]

أبَغْدادُ يا دارَ الملوكِ ومجتنى صنوفِ المُنَى يا مستقرَ المنابرِ
ويا جنةَ الدّنيا ويا مُجتنى الغِنى ومنبسطَ الآمالِ عندَ المتاجرِ

## البلدة الحسناء

قالَ الخازن طاهر بن المظفر بن طاهر : [الطويل]

سَقَى الله صوبَ الغادياتِ محلةً ببَغْدادَ بينَ الخلدِ والكرخِ والجسرِ [٢]
هى البلدةُ الحسناءُ خُصّت لأهلِها بأشياءَ لم يُجمعنَ مُذ كُنَّ فى مصرِ [٣]
هواءٌ رقيقٌ باعتدالٍ وصحةٍ وماءٌ لَهُ طعمٌ ألذُّ مِن الخمرِ
ودجلتُها شطّانِ قَد نُظما لنا بتاجٍ إلى تاجٍ وقصرٍ إلى قصرِ
تراها كمسكٍ والمياهُ كفضّةٍ وحصباؤها مِثْلُ اليواقيتِ والدرِّ

## هواؤها وهواها

قالَ القاضى على بن محمد الماوردى البصرى الشّافعى (ت ٤٥٠ هـ) [٤] :

---

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٤٦٢

(٢) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ط ١ ص ١٩ ، ٢٠

(٣) فى لسان العرب : « واحد الأمصار ، والمصر الكورة ، والجمع أمصار ، ومصّروا الموضع : جعلوه مصرا ، وتمصر المكان صار مصرا ، . . وقال الليث : المصر فى كلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود ، ويقسم فيها الفيء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة ، وكان عمر - رضى الله عنه - مصر الأمصار منها البصرة والكوفة » .

(٤) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى الشافعى حدث عنه : . أبو بكر الخطيب ،

[البسيط]

طيبُ الهواءِ ببَغْداد يُشوِّقُنى  قدمًا إليها وإنْ عاقَت معاذيرُ
وكيفَ صبرىَ عنها بعدَما جمعَت  طيبَ الهوائينِ ممدودٌ ومقصورُ [1]

## عتاب لأهل بغداد

ولسبط ابن التعاويذى :

[البسيط]

يَا أَهْلَ بَغْدَادَ مَا لِى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ  كَأَنَّنِى مَسْجِدٌ بِالْكَرْخِ مَهْجُورُ
مُحَلأٌ عَنْ عَطَايَاكُمْ عَلَى ظَمَإٍ  تُهْدَى الثِّيَابُ لِغَيْرِى وَالدَّنَانِيرُ

## نكبة بغداد

قالَ تقى الدينِ ابن أبى اليسر [2] :

[البسيط]

لسائلِ الدّمعِ عَنْ بَغْدادَ أخبارُ  فما وقوفُكَ والأحبابُ قَد سارُوا
يا زائرينَ إلى الزّوراءِ لا تفدوا  فما بذاكَ الحِمى والدارِ ديَّارُ
تاجُ الخلافةِ والرَّبعُ الذى شَرُفَتْ  بِهِ المعالمُ قَد عفَّاهُ إقفارُ
أضحى لعطفِ البلى فى ربعِهِ أثرٌ  وللدموعِ عَلَى الآثارِ آثارُ
يا نارَ قلبى مِن نارٍ لحربِ وغًى  شبَّتْ عليهِ ووافى الرَّبعَ إعصارُ
علا الصَّليبُ عَلَى أعلى منابرِها  وقامَ بالأمرِ مَنْ يحويهِ زُنَّارُ [3]

---

= ووثقه ، وقال : مات فى ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة ، وولى القضاء ببلدان شتى ، ثم سكن بغداد . وقال أبو إسحاق فى « الطبقات » : ومنهم أقضى القضاة الماوردى ، تفقه على أبى القاسم الصيمرى بالبصرة ، وارتحل إلى الشيخ أبى حامد الإسفراييني ، ودرس بالبصرة وبغداد سنين ، وله مصنفات كثيرة فى الفقه والتفسير ، وأصول الفقه والأدب ، وكان حافظا للمذهب . مات ببغداد .

(١) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ص ٢٠ ، ٦٤ .

(٢) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٣) فى لسان العرب : « الزنار والزنارة ما على وسط المجوسى والنصرانى ، وفى التهذيب ما يلبسه الذمى يشده على وسطه » . وقد ذكر ابن الفوطى فى تاريخه وكذلك ابن كثير : « أن التتار لم يتعرضوا =

وكَمْ حريم سبتهُ التّركُ غاصبةً ... وكانَ مِن دونِ ذاكَ السّتر أستارُ
وكَمْ بدورٍ عَلَى البدريةِ انخسفَتْ ... ولم يعد لبدورٍ منه إبدارُ [1]
وكَمْ ذخائرَ أضحَتْ وهى شائعةٌ ... مِن النّهابِ وقَد حازَتْه كفّارُ
وكَمْ حدودٍ أُقيمَتْ مِن سيوفِهم ... عَلَى الرّقابِ وحطّت فيه أوزارُ
ناديتُ والسبىُ مهتوكٌ تجرُّهُم ... إلى السّفاحِ مِن الأعداءِ دعّارُ

ومنها : [2]

وهم يساقونَ للموتِ الذى شهدوا ... النارُ يا رب [نصلاها] ولا العارُ [3]
يا للرجالِ لأحداثٍ تُحدِّثُنا ... بما غدا فيه إعذارٌ وإنذارُ
مِن بعدِ أسرِ بنى العباسِ كلِّهم ... فلا أنارَ لوجهِ الصّبحِ إسفارُ
ما راقَ لى قطُّ شىءٌ بعدَ بينِهم ... إلاّ أحاديثُ أَرويها وآثارُ
لم يبقَ للدينِ والدنيا وقَد ذهبوا ... شوقٌ لمجدٍ وقَد بانُوا وقَد بارُوا
إنَّ القيامةَ فى بَغْداد قَد وُجدت ... وحدُّها حينَ للإقبال إدبارُ
آلُ النّبىّ وأهلُ العلمِ قَد (سُبِيُوا) ... فمَنْ ترى بعدَهم تَحويه أقدارُ
ما كنتُ آملُ أنْ أبقَى وقَد ذهبوا ... لكن أبى دونَ مَا أختارُ أقدارُ [4]

---

= لبيوت النصارى ، بل إنهم على بيوتهم شحان (حراس) ، وقد نجا كثير من المسلمين عندما لجأوا إل بيوتهم . وذلك لأن زوج هولاكو « دفور خاتون » كانت نصرانية ، ولذا كان هولاكو يعطف على النصارى إرضاء لها » . راجع : شوقى ضيف « عصر الدول والإمارات » ص ٢٤٢

(١) البدرية : نسبة إلى بدر مولى الخليفة المعتضد الذى زاد فى القصر مسقطات عرفت بالبدرية . راجع : هامش النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٢ .

(٢) التكملة من النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) مَا بين المعقوفتين اجتهاد من محقق النجوم . الزاهرة .

(٤) يعلق ابن تغرى بردى على هذا الجزء قائلا : وهى أطول من ذلك وجملة القصيدة ستة وستون بيتا ، ولكن لم نجد بقية القصيدة فى باقى الكتب التى بين أيدينا .

## دمعة حرَّى على بغداد

قالَ سعد الدينِ الشّيرازى [1] :

[الطويل]

حَبستُ بجفنيَّ المدامعَ لا تجرِى ... فلمَّا طغى الماءُ استطالَ عَلَى السّكرِ [2]

نسيمُ صَبا بَغْدادَ بعدَ خرابِها ... تمنيتُ لو كانَت تمرُّ عَلَى قبرِى

لأنَّ هلاكَ النّفسِ عندَ أولى النُّهى ... أحبُّ لَهُ مِن عيشٍ منقبضِ الصّدرِ

زجرتُ طبيباً جسَّ نبضى مداوياً ... إليكَ فما شكوايَ مِن مرضٍ تُبرِى

لزمت اصطبارًا حيثُ كنت مفارِقا ... وهَذَا فراقٌ لا يعالجُ بالصبرِ

تسائلنى عما جرى يَوْم حصرِهم ... وذَلكَ مما لَيسَ يدخلُ فى الحصرِ [3]

بكَت جدرُ المستنصريةِ ندبةً ... عَلَى العلماءِ الرّاسخينَ ذوى الحِجرِ [4]

نوائبُ دهرٍ ليتنى متُّ قبلَها ... ولم أرَ عدوانَ السّفيهِ عَلَى الحَبْرِ

محابرُ تبكى بعدَهم بسوادِها ... وبعضُ قلوبِ النّاسِ أحلكُ مِن حِبْرِ

لحَى الله مَنْ يُسدَى إليه بنعمةٍ ... وعندَ هجومِ النّاسِ يألفُ بالغدرِ

مررتُ بصمِّ الرّاسياتِ أجوبُها ... كخنساءَ مِن فرطِ البكاءِ عَلَى صخرِ

أيا ناصحى بالصبرِ دعنى وزَفرتى ... أ موضعُ صبرٍ والكبودُ عَلَى الجمرِ

تهدَّمَ شخصى مِن مداومةِ البكا ... وينهدمُ الجرفُ الدوارِسُ بالمخرِ

---

(١) الشاعر الإيرانى سعدى الشيرازى ولد فى شيراز عام ١١٨٩م ، وتلقى تعليمه فى نظامية بغداد وكان من مريدى الإمام الصوفى الزاهد عبد القادر الجيلانى ، وله عدة مؤلفات منها البستان والديوان ونقلت معظم أعماله إلى عدة لغات . توفى الشيرازى عام١٢٩١م (= ٦٩١ هـ) .

(٢) السكر : ما يوضع على مجرى الماء لمنع جريانه كالسد ونحوه .

(٣) فى الديوان المطبوع « بالحصير » وهو خطأ بالتأكيد ، المراد « الحصر » بدون ياء ، وما أثبتناه هو الصواب خاصّةً بالنظر للمعنى وللمحسن البديعى .

(٤) المدرسة المستنصرية تقع فى جانب الرصافة ببغداد ، شيدها الخليفة العباسى المستنصر بالله سنة (٦٢٥هجرية - ١٢٢٧م) وتكاملت فى سنة (٦٣١ هجرية - ١٢٣٣م) ، حيث أنفق على بنائها نحو سبعمائة ألف دينار ذهب ، وكانت مازال شاخصة بسعتها وفخامة بنائها ، وكثرة غرفها ، وأروقتها ، وجمال نقوشها ، حتى الغزو الأمريكى البريطانى للعراق .

- والحجر : العقل ، قال الله تعالى : ﴿ هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ .

وقفتُ بعبَّادانَ أرقبُ دجلةً كمِثْلِ دم قانٍ يسيلُ إلى البحرِ

وفائضُ دمعى فى مصبٍّ واسعٍ يزيدُ عَلَى مدِّ البحيرةِ والجزرِ

فَجَرْتُ مياهَ العينِ فازددتُ حرقةً كما احترقَتْ جوفُ الدّميلِ بالفجرِ

ولا تسألنى كيفَ قلبُكَ و النَّوى جراحةُ صدرِى لا تُبيَّنُ بالسَّبرِ

وهبْ أنَّ دارَ الملكِ ترجعُ عامراً ويغسلُ وجهُ العالمينَ مِنَ العفرِ

فأينَ بنو العباس مفتخر الورى ذوو الخلقِ المرضى والغُررِ الزّهرِ [(١)]

غدا سمرًا بينَ الأنام حديثهم وذا سمرٌ يُدمى المسامعَ كالسُّمرِ [(٢)]

وفى الخبرِ المروى دين محمد يعودُ غريبًا مِثْلَ مبتدأِ الأمرِ [(٣)]

وأغرب مِن هَذَا يعود كما بدا وسبىُ ديارِ السّلم فى بلدِ الكفرِ

فلا انحدرت بعد الخلائف دِجلَة وحافاتُها لا أعشبَت ورقَ الخضرِ

كأنَّ دمَ الأخوينِ أصبحَ نابتاً بمذبحِ قتلى فى جوانبِها الحمرِ [(٤)]

بكت سمراتُ البيدِ والشّيح والغضا لكثرةَ مَا ناحَت أغاربةُ القفرِ [(٥)]

أيذكرُ فى أعلى المنابرِ خطبةٌ ومستعصمٌ بالله لم يكُ فى الذّكرِ

ضفادعُ حَولَ الماءِ تلعبُ فرحةً أصبرٌ عَلَى هَذَا ويونسُ فى القعرِ

تزاحمَت الغربانُ حَولَ رسومِها فأصبحَت العنقاءُ لازمةَ الوكرِ [(٦)]

أيا أحمدَ المعصومَ لستَ بخاسرٍ وروحُكَ والفردوسُ عسرٌ مَعَ اليسرِ

وجناتُ عدنٍ حففتُ بمكارهٍ فلابدَّ مِن شوكٍ عَلَى فننِ البسرِ

تهنَّا بطيبِ العيشِ فى مقعدِ الرِّضا ودعْ جيفَ الدّنيا لطائفةِ النّسرِ [(٧)]

---

(١) فى الديوان المطبوع « مفتخرو الورى »

(٢) فى الديوان المطبوع « الام » .

(٣) أورد الدارمى فى سننه قال « حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ أَبِي الأَحْوَص عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا – أَظُنُّ حَفْصًا قَالَ : فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ . قِيلَ : وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»

(٤) فى الديوان المطبوع « كان » .

(٥) فى الديوان المطبوع « بكت سمرات والنبيد الشخ والغضا » .

(٦) فى الديوان المطبوع « النعقاء » .

(٧) فى الديوان المطبوع « لدنيا ».

ولا فرقَ مَا بينَ القتيلِ وميتٍ ... إذا قمتَ حيًا بعدَ رمسِكَ والنحرِ
تحيةَ مشتاقٍ وألفَ ترَحُّم ... عَلَى الشّهداءِ الطاهرين مِن الوزرِ
هنيئًا لهم كأسُ المنيةِ مُترعًا ... وما فيه عندَ الله مِن عظمِ الأجرِ
فلا تحسبنَّ الله مُخلفَ وعدَهُ ... بأنَّ لهم دارَ الكرامةِ والبشرِ
عليهم سلامُ الله في كلِّ ليلةٍ ... بمقتلِ زوراءَ إلى مطلعِ الفجرِ
أأبلغُ مِن أمرِ الخلافةِ رتبةً ... هَل أنظِرُوا مَا كانَ عاقبةُ الأمرِ
فلَيْتَ صُماخي صُمَّ قبلَ استماعِهِ ... بهتكِ أساتيرِ المحارمِ في الأسرِ
عدونَ حُفاتًا سبسبًا بعدَ سبسبٍ ... رخائمَ لا يسطعنَ مشيًا عَلَى الحبرِ (١)
لَعمرُكَ لو عاينتَ ليلةَ نفرِهِم ... كأنَّ العذارى في الدُّجى شُهُبٌ تسرِي
وإنَّ صباحَ الأسرِ يَوْمَ قيامةٍ ... عَلَى أمم شُعثٍ تُساقُ إلى الحشرِ
ومستصرِخٍ يا للمروءةِ فانصروا ... ومَنْ يُصرِّخُ العصفورَ بينَ يدى صقرِ
يساقونَ سَوقَ المعزِ في كبدِ الفلا ... عزائزُ قوم لا تعودنَّ بالزجرِ
جبينُ سبايا سافراتٍ وجوهُها ... كواعبُ لا يبرزنَ مِن خللِ الخدرِ
وعترةُ قنطوراءَ في كلِّ منزلٍ ... يصيحُ بأولادِ البرامكِ مَنْ يشرِى (٢)
تقومُ وتجثو في المحاجرِ واللوى ... وهَل يختفى مشىُ النَواعم في الوعرِ
لقَد كانَ فكرِى قبلَ ذَلكَ مائزاً ... فأحدثَ أمرٌ لا يحيطُ بِهِ فكرِى؟
وبينَ يدى صَرفِ الزّمانِ وحكمِهِ ... مغلّلةٌ أيدى الكياسةِ والخبرِ
وقفْتُ بعبَّادانَ بعدَ سَراتِها ... رأيتُ خضيبًا كالمنى بدمِ النَحرِ
محاجرُ ثكلى بالدموعِ كريمةٌ ... وإنْ بخلَتْ عينُ الغمائمِ بالقطرِ
نعوذُ بعفوِ الله مِن نارِ فتنةٍ ... تأجّجُ مِن قُطرِ البلادِ إلى قُطرِ

---

(١) في الديوان المطبوع « سبيا بعد سبب »

(٢) القنطوراء : الترك . وفي لسان العرب « قنطوراء هو الترك ، وذكرهم حذيفة فيما روى عنه في حديثه فقال : يوشك بنو قنطوراء أن يخرجوا أهل العراق من عراقهم ، ويروى أهل البصرة منها كأني بهم خزر العيون خنس الأنوف عراض الوجوه ، قال : ويقال إنَّ قنطوراء كانت جارية لإبراهيم على نبينا وعليه السلام ، فولدت له أولادا والترك والصين من نسلها ، وفي حديث ابن عمرو بن العاص يوشك : بنو قنطوراء أن يخرجوكم من أرض البصرة ، وفي حديث أبي بكرة : إذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء وقيل بنو قنطوراء هم السودان » .

كأنَّ شياطينَ القيودِ تفلَّتَتْ فسالَ عَلَى بَغْدادَ عينٌ مِن القطرِ

بدا وتعالى مِن خراسانَ قسطلٌ فعادَ رُكامًا يزولُ عَن البدرِ [(١)]

إلام تصاريفُ الزّمانِ وجورُهُ تكلِّفُنا مَا لا نطيقُ مِن الإصرِ

رعى الله إنسانًا تيقَّظَ بعدَهم لأنَّ مصابَ الزّيدِ مَزْجَرَةُ العمرِو

إذا كانَ للإنسانِ عندَ خطوبِهِ يزولُ الغنى طوبى لمملكةِ الفقرِ

ألا إنَّما الأيامُ ترجعُ بالعطا ولم تَكسُ إلاَّ بعدَ كسوتِها تُعرِى

وراءَكَ يا مغرورُ خنجرُ فاتكٍ وأَنْتَ مطاطا لا تفيقُ ولا تدرِى

كناقةِ أهلِ البدوِ ظلَّتْ حَمولةً إذا لم تُطقْ حِملاً تُساق إلى العقرِ

وسائرُ مُلكٍ يقتفيه زوالُهُ سِوَى ملكوتِ القائمِ الصّمدِ الوترِ

إذا شمَتَ الواشى بموتى فقلْ له رويدَكَ مَا عاشَ امرؤٌ أبدَ الدّهرِ

ومالكُ مفتاحِ الكنوزِ جميعِها لدى الموتِ لم تخرجْ بداءٍ سِوَى صفرِ

إذا كانَ عندَ الموتِ لا فرقَ بينَنا فلِمَ تنظرونَ النّاسَ بالنظرِ الشّزرِ؟!

وجاريةُ الدّنيا نعومةُ كفِّها مُحبَّبةٌ لكنَّها كلبُ الظفرِ

ولو كانَ ذو مالٍ مِن الموتِ فالتاً لكانَ جديراً بالتعاظمِ والكبرِ

ربحتَ الهدى إنْ كنتَ عاملَ صالحٍ وإنْ لم تكن والعصرِ إنَّكَ فى خسرِ

كما قالَ بعضُ [(٢)] الطاعنينَ لقرنِهِ : بسمرِ القنا نِيلَتْ معانقةُ السّمرِ

لمدخرِ الدّنيا وتاركِها أسًى لدارِ غدٍ إنْ كانَ لابدَّ مِن ذُخرِ

عَلَى المرءِ عبءٌ كثرةُ المالِ بعدَه وإنَّكَ يا مغرورُ تجمعُ للفخرِ

عفا الله عنَّا ما مضى مِن جريمةٍ ومَنَّ علينا بالجميلِ مِن الصّبرِ

وصانَ بلادَ المسلمينَ صيانةً بدولةِ سلطانِ البلادِ أبى بكرِ

مليكٌ غدا فى كلِّ بلدةٍ اسمُهُ عزيزًا ومحبوبًا كيوسفَ فى مصرِ [(٣)]

لقَد سعدَ الدّنيا بِهِ دامَ سعدُهُ وأيده المولى بالولاية والنصر

كذَلكَ منشا ليِّنةٍ هوَ عرقُها وحسنُ نباتِ الأرضِ مِن كرمِ البذرِ

---

(١) القسطل : الغبار الساطع .

(٢) فى الديوان المطبوع « بعش » .

(٣) يقصد : صلاح الدين يوسف بن أيوب بطل حطين ومحرر بيت المقدس .

لو كانَ كسرى فى زمانِ حياتِهِ    لقالَ إلهى اشددْ بدولتِهِ [1] أزرِى
بشكرِ الرّعايا صينَ مِن كلِّ فتنةٍ    وذَلكَ أنَّ اللّبَّ يُحفظُ بالقشرِ
يبالغُ فى الإنفاقِ والعدلِ والتقى    مبالغةَ السّعدىِّ فى نكتِ الشّعرِ
وما الشّعرُ ايمُ الله لَسْتُ بمدعٍ    ولو كانَ عندى مَا ببابلَ مِن سحرِ
هنالكَ نقّادونَ علمًا وخبرةً    ومَنْ انتخبُوا القولَ الجميلَ مِن الهُجرِ
جرَت عبراتى فوقَ خدِّى كَسَابةٍ    فأنشأتُ هَذَا فى قضيةِ مَا يجرِى
ولو سبقتنى سادةٌ جلَّ قدرُهُم    وما حسنُت منى مجاوزةُ القدرِ
ففى السّمطِ ياقوتٌ ولعل وجاجة    وإنْ كانَ لى ذنبٌ يكفر بالعذرِ [3]
وحرقةُ قلبى هيَّجتنى لنشرِها    كما فعلَت نارُ المجامرِ بالعطرِ
سطرتُ ولَولا غضُّ عينى عَلَى البكا    لرقرقَ دمعى حسرةً فمحا سطرِى [4]
أحدِّثُ أخبارًا يضيقُ بِها صدرى    وأحملُ آصارًا ينوءُ بِها ظهرِى
ولا سيما قلبى رقيقٌ زجاجُهُ    ممتنعٌ وصلُ الزّجاجِ لدى الكسرِ
ألا إنَّ عصرى فيه عيشى منكّدٌ    فلَيْتَ عشاءَ الموتِ بادرَ فى عصرِى
خليلى مَا أحلى الحياةَ حقيقةً    وأطيبَها لَولا المماتُ عَلَى الأثرِ
وربُّ الحجى لا يطمئنُّ بعيشةٍ    فلا خيرَ فى وصلٍ يردَّفُ بالهجرِ

## الجنة المزخرفة

قالَ صفى الدينِ الحلى :

[المنسرح]

ما بَعدَ بَغْدادَ للنّفوسِ هوًى    رَقّ هَـواهـا وراقَ مَـنـظـرُهـا [5]
كـأنّـهـا جَـنّـةٌ مـزَخـرَفـةٌ    ونَـهرُ عيسَى النّميرُ كَوثَرُها

(١) فى الديوان المطبوع : « بدوليه » .
(٢) فى الديوان المطبوع « مَا أحد حلى الحيوة حقيقة » .
(٣) كذا فى الديوان المطبوع ، والشطر الأول غامض .
(٤) فى الديوان المطبوع « حسرت » .
(٥) الديوان ص ٢٧٨

## ليالى بغداد

خليل بك مردم [1] : [الطويل]

لياليكِ يا بَغْدادُ فى الحسنِ كالفجرِ ... معطّرة الأنفاسِ طيّبة النّشرِ
وللنورِ والسحرِ المبينِ سوادُها ... كذَاكَ سوادُ العينِ للنورِ والسحرِ
وما روعةُ الإشراقِ أو رونقُ الضّحى ... بأحسن مِن لألآءِ أنجمِها الزُّهر
ففى كلِّ شطرٍ مِن صفاءِ سمائِها ... يلاقيكِ وجهٌ بالطلاقةِ والبشرِ
وما القبةُ الزّرقاءُ لَولا نجومُها ... ولَولا ازدهارٌ للهلالِ وللبدر
إذا الرّيحُ مرَّت فوقَ دِجلَةَ رفرفَتْ ... بأجنحةٍ فيها الزّوارقُ إذْ تجرى
وباتَ شعاعُ النّورِ فى الماءِ شُعلةً ... تشبُّ بأحشاءِ المياه وتستشرى
وربَّ فتى أمسى عَلَى الشّطِّ منشداً ... عيونُ المها بينَ الرُّصافةِ والجسر [2]
فأوردنى مَا قَد تحاميتُ وِردَه ... زماناً وهاجَ الوجدَ والشعرَ فى صدرى
فيا ليلةً مِن دونِها ألفُ ليلةٍ ... سأذكرُها بالخيرِ مَا مُدَّ فى عمرى
شهدتُ بِها مَا يملأُ النّفسَ بهجةً ... ويقضى عَلَى العينينِ والقلبِ بالأسر
كأنَّ الحسانَ الغيدَ يخطُرنَ بيننا ... ملائكةُ الرّحمنِ فى ليلةِ القدر
فكَمْ غادةٍ تُصبى الحليمَ بسحرِها ... تضيءُ ظلامَ اللّيلِ كالكوكبِ الدّرى
تَفَتَّحَ أعلى الثّوبِ عَنْ غضٍّ جسمِها ... كما انشقَّ كمُّ الزّهرِ عَنْ ناضرِ الزّهر
تقلَّصَ عَنْ صدرٍ وظهرٍ سوادُه ... كما انشقَّ ليلٌ عَن عمودٍ مِن الفجر
تشبَّث لمَّا زلَّ أعلاهُ عنهما ... بناهِد ثدييها ودار عَلَى الخصر

---

(١) خليل بن أحمد مختار مردم بك (١٣١٣ - ١٣٧٩هـ = ١٨٩٥ - ١٩٥٩م) ، رئيس المجمع العلمى العربى فى دمشق ، وأحد شعرائها . مولده ووفاته بها . وكان من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق (سنة ١٩٢٥) وانتخب أميناً لسره (١٩٤١) ، وعين وزيراً للمعارف (١٩٤٢) .كما عين وزيراً مفوضاً للحكومة السورية فى بغداد (١٩٥١) ، فوزيراً للخارجية (١٩٥٣) ، وانصرف عن الوزارة فانتخب رئيساً للمجمع ، بعد وفاة رئيسه الأول محمد كرد على (١٩٥٣) ، واستمر إلى أنْ توفى . والقصيدة من ديوانه ص٩٥ .

(٢) العجز صدر بيت مشهور لعلى بن الجهم ، وعجزه :

« جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى » .

تموّج دونَ الكشح وانداحَ ذيلُه فكانَتْ كمَنْ يطفو عَلَى لجج خضرِ
يزيدُ بريقاً عقدُهاَ فوقَ نحرِها فنورٌ عَلَى نورِ حُلاها عَلَى النّحر
إذا رطَنَتْ كانَتْ لكسرَى وقيصرٍ وإنْ أعربَتْ فهى الصّريحةُ مِن فهر
أرى سهرى فيها ألذَّ مِن الكرى بعينى طليح مِن سهادٍ ومِن سكر
وما أنسَ مِن شئٍ فلا أنسَ ليلةً تبسّم فيها الأفقُ عَنْ بارقٍ يسرى
بدا مِن أهاضيبِ السّحابِ كأنه خوافقُ راياتٍ عَلَى عسكرٍ مُجرِ
تألّقَ فى الأفقِ الشّآمى موهناً يضيءُ ويخبو كالمشيرِ إلى أمرِ
فحيًّا قباباً فى العراقِ منيفةً وأيقظَ مِن نوم أبا الهولِ فى مصر
رجوتُ لبَغْداد رجاءَ المحبِّ أن تعودُ لياليها بأيّامها الغرِّ

## أينَ حماة بغداد

قالَ الأعمى المعروف بعلى بن أبى طالب : [الطويل]

تقطَّعَتِ الأرحامُ بينَ العشائرِ وأسلَمهم أهلُ التّقى والبصائرِ
فذَاكَ انتقامُ الله مِن خلقِهِ بهم لما اجترموه مِن ركوبِ الكبائرِ
فلا نحنُ أظهرْنا مِن الذّنبِ توبةً ولا نحنُ أصلحْنا فسادَ السّرائرِ
ولم نستمعْ مِن واعظٍ ومذكرٍ فينجعُ فينا وعظُ ناهٍ وآمرِ
فنبكى عَلَى الإسلام لمَّا تقطَّعَتْ رجاهُ ورجَّى خيرَها كلُّ كافرِ
فأصبحَ بعضُ النّاسِ يقتلُ بعضَهم فمِن بينِ مقهورٍ ذليلٍ وقاهرِ
وصارَ رئيسُ القومِ يحملُ نفسَهُ وصارَ رئيسًا فيهم كلُّ شاطرِ
فلا فاجرٌ للبرِّ يحفظُ حرمةً ولا يستطيعُ البرُّ دفعًا لفاجرِ
فمِن قائم يدعو إلى الجهدِ عامداً ومِن أولٍ قَد سنَّ عنا لآخرِ
تراهم كأمثالِ الذّئابِ رأَتْ دما فأمَّتْهُ لا تلوَى عَلَى زجرِ زاجرِ
إذا هدمَ الأعداءُ أولَ منزلٍ بسعيهم قامُوا بهدمِ الأواخرِ
فأصبحَت الأغتامُ بينَ بيوتِهم تحثُّهم بالمرهفاتِ البواترِ [1]

(١) فى لسان العرب : « الغتمة : عجمة في المنطق ، ورجل أغتم وغتمى : لا يفصح شيئا ، . .والقوم غتم وأغتام . . ووقع فلان فى أحواض غتيم : أي وقع فى الموت ، . . والغتيم الموت » .

وأصبحَ فسَّاقُ القبائلِ بينَهم ... تشدُّ عَلَى أقرانِها بالخناجرِ
فنبكى لقتلى مِن صديقٍ ومِن أخٍ ... كريم ومِن جارٍ شقيقٍ مجاورِ
ووالدةٍ تبكى بحزنٍ عَلَى ابنِهَا ... فيبكِى لها مِن رحمةٍ كلُّ طائرِ
وذاتِ خليلٍ أصبحَت وهى أيِّمٌ ... وتبكى عليه بالدموعِ البوادرِ
تقولُ لهُ : قَد كُنتَ عزًّا وناصرًا ... فغُيِّبَ عنِّى اليَوْمَ عزِّى وناصرِى
وأبتَ لإحراقٍ وهدمِ منازلٍ ... وقتلٍ وإنهابِ اللُّهى والذخائرِ
وإبرازِ ربَّاتِ الخدورِ حواسرا ... خرجنَ بلا خُمُرٍ ولا بمآزرِ
تراها حيارى لَيسَ تعرفُ مذهباً ... نوافرَ أمثالَ الظباءِ النّوافرِ
كَأنْ لم تكن بَغْدادُ أحسنَ منظراً ... وملهًى رأته عينُ لاهٍ وناظرِ
بلى ، هكذا كانَتْ فأذهبَ حسنَها ... وبدَّد منها الشَّملَ حكمُ المقادرِ
وحلَّ بهم مَا حلَّ بالناسِ قبلَهم ... فأضحُوا أحاديثًا لبادٍ وحاضرِ
أبَغْدادُ يا دارَ الملوكِ ومجتنى ... صنوفِ المنى يا مستقرَّ المنابرِ
ويا جنَّةَ الدّنيا ويا مطلبَ الغنى ... ومستنبطَ الأموالِ عندَ المتاجرِ
أبينى لَنا : أينَ الذينَ عهدتِهم ... يحلُّونَ فى روضٍ مِن العيش زاهرِ
وأينَ الملوكُ فى المواكبِ تغتدى ... تشبَّهُ حسنًا بالنجومِ الزّواهرِ
وأينَ القضاةُ الحاكمونَ برأيهم ... لوردِ أمورٍ مشكلاتِ الأوامرِ
أو القائلونَ النّاطقونَ بحكمةٍ ... ورصفِ كلام مِن خطيب وشاعرِ
وأينَ مراحٌ للملوكِ عهدتِها ... مزخرفةٌ فيهَا صنوفُ الجواهرِ
تُرَشُّ بماءِ المسكِ والوردِ أرضُها ... يفوحُ بِها مِن بعدِ رِيحِ المجامرِ
وراحَ النّدامى فيه كلَّ عشيةٍ ... إلى كلِّ فيَّاضٍ كرِيمِ العناصرِ
ولهوِ قيانٍ تستجيبُ لنغمِها ... إذْ هوَ لبَّاها حنينُ المزاهرِ
فما للملوكِ الغرِّ مِن آلِ هاشم ... وأشياعِهم فيها اكتفُوا بالمفاخرِ
يروحونَ فى سلطانِهم وكَأنَّهم ... يروحونَ فى سلطانِ بعضِ العشائرِ
تخاذلَ عمَّا نالَهم كبراؤهم ... فنالَهم بالكرهِ أيدى الأصاغرِ
فأقسمَ لو أنَّ الملوكَ تناصروا ... لذلَّت لها خوفًا رِقابُ الجبابرِ (١)

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٢ . ص ٣١٧ - ٣١٨ .

## بينَ بغداد و« سُرَّ من رأى »

قالَ أبو عيسى بن المنجم فى مدح مدينة سُرَّ مَن رأى وتفضيلها على بغداد [1] :

[الطويل]

هى الجارُ قَد عمَّ الأقاليمَ نورُها ... ولو قدرَت بَغْدادُ كانَت تزورُها
ولو خُبِّرَت دارُ الخلافةِ بادرَتْ ... إليها وفيها تاجُها وسريرُها
ولو قَد تبقَّتْ سرَّ مَنْ را بحالِها ... لسارَ إليها دورُها وقصورُها
لتسعدَ فيها يَوْمَ حانَ حضورُها ... وتشهدَ دُنيا لا يُخافُ غرورُها
فما حلمَتْ عينُ الزّمانِ بمِثْلِها ... وحاشا لها مِن أنْ يُحسَّ نظيرُها
يقولُ الألى قَد فوجئوا بدخولِها ... وحيَّرَهم تحبيرُها وحبيرُها
أفى كلِّ قطرٍ غادةٌ وحليُّها ... وفى كلِّ بيتٍ روضةٌ وغديرُها
وأبوابُها أثوابُها مِن نفوسِها ... فلا ظلمَ إلاَّ حينَ تُرخى ستورُها
معظَّمةٌ إلاَّ إذا قيس سَمْكُها ... بهمةِ بانيها فتلكَ نظيرُها
هى الهمَّةُ الطُولى أجالَت بفكرِها ... مبانى تكسوها العلا ويعيرُها
فجاءَ بدارٍ دارَ بالسعدِ نجمُها ... وجُنِّبَت المحذورَ لَيسَ يطورُها
وقالَ لها الله الوفىُّ ضمانُه ... سأحميكِ مَا ضمَّ اللّيالى كرورُها
أهنيكِ بالعمرانِ ، والعمرُ دائمٌ ... لبانيكِ مَا أفنى الدّهورَ مرورُها
وقَد أسجلَ الإقبالُ عهدةَ ملكِها ... وخُطَّ بأقلام السّعودِ سطورُها
ودارَتْ لها الأفلاكُ كيفَ أدرتَها ... ودانَت إلى أنْ قيلَ أَنْتَ مديرُها
وهاكَ ابنةُ الفكرِ التى قَد خطبتَها ... وقُدِّمَ مِن قبلِ الزّفافِ مهورُها
فإنْ كانَ للدارِ التى قَد بنيتَها ... نظيرٌ ففى عرضِ القريضِ نظيرُها
وإلاَّ جررتَ الذّيلَ فى ساحةِ العلا ... وقلتَ القوافى قَد أُعيدَ جريرُها

---

(1) قرى الضيف ج ٣ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

## اللهو فى بغداد

وقالَ آخر :

[مجزوء الكامل]

اخـلـعْ بـبَـغْـدادَ الـعـذارا    ودع الـتّـنـسُّـكَ والـوقـارا
فـلـقَـد بُـلـيـتُ بـعُـصـبـةٍ    مـا إنْ يـرونَ الـعـارَ عـارا
لا مـسـلـمـيـنَ ولا يـهـو    دَ ولا مجوسَ ولا نصارى [1]

## ظبى ببغداد

وقالَ الشريف المرتضى [2] :

[البسيط]

بجانبِ الكرخِ مِن بَغْدادَ عَنَّ لَنا    ظَبىٌ ينفِّرُهُ عَنْ وصلِنا نفرُ [3]
ذُؤابتاهُ نجادَا سيفِ مقلتِهِ    وَجَفنُهُ جِفنُهُ وَافِرِندُهُ الحَوَرُ
ضفيرتاهُ عَلَى قتلى تظافرتا    يا مَنْ رأى شاعرًا أودى بِهِ الشَّعرُ

---

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٤٦٦

(٢) على بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم ،أبو طالب (ت٤٣٦هـ) ، مولده ووفاته ببغداد . له تصانيف كثيرة ، وديوان شعر ، يقال : إنَّ فيه عشرين ألف بيت . وكثير من مترجميه يرون أنه هو جامع (نهج البلاغة) لا أخوه الشريف الرضى .

(٣) ديوانه ص ٧٥ ، والنص فى خزانة الأدب ص ٦٥ بدون البيت الأوسط .

# قافية الزاى

## بين الصراة والفرات

قال أبو العلاء [1] :

[الرجز]

أهاجَكَ البَرْقُ ، بذاتِ الأمْعَزِ بينَ الصَّرَاةِ والفراتِ يَجْتَزى [2]
مِثْلَ السّيوفِ هَزَّهُنّ عارِضٌ والسّيْفُ لا يَرُوعُ إنْ لم يُهْزَزِ
بدَتْ لَنا ، حامِلَةً أغمادَها حَمائِلٌ مِنَ الدّجَى لم تُخْرَزِ
فى بَلْدَةٍ نَهارُها ليلٌ ، سِوى كواكبِ إلى النهارِ تَعْتَزي
كأنّها سِرْبُ حَمامٍ واقِعٌ فى شَبَكٍ ، من الظلامِ ، تَنتزي
جرّدَتِ الحَيّاتُ فيها لُبْسَها وطَرّحَتْ ، للرّيحِ ، كلَّ مِعْوَزِ
إنْ نَفَخَتْ فيه الصَّبا رأيْتَهُ مِثلَ عَمُودِ الذهَبِ المُخَرزِ
وعَدْتَنى يا بدْرَها شمسَ الضّحى والوَعدُ لا يُشْكَرُ إنْ لم يُنْجَزِ
متى يقول صاحبى لِصاحبى : بَدَا الصّباحُ مُوجِزاً فأوْجِزِ
ويطلُعُ الفجْرُ ، وفَوْقَ جَفْنِهِ مِن النّجوم ، حِلْيَةٌ لم تُخْرَزِ
لا يُدْرِكُ الحاجاتِ إلاّ نافِذٌ إنْ عَجزَتْ قِلاصُه لم يَعْجَزِ
يَستقْصِرُ العيسَ ، عَلَى بُعدِ المدى وهُنَّ أمْثالُ الظّباءِ النُّقَّزِ
والبَدرُ قد مَدَّ عِمادَ نُورِهِ والليلُ مِثلُ الأدْهَمِ المُقَفزِ
بالله ، يا دَهْرُ ، أذِقْ غُرابَه مَوْتاً ، من الصّبْحِ ببازٍ كُرَّزِ

---

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ، ولد فى سنة ثلاث وستين وثلاث مائة بمعرة النعمان . وأصيب بالجدرى وله أربع سنين وشهر ، ومات فى أوائل شهر ربيع الأول من سنة تسع وأربعين وأربع مائة وعاش ستا وثمانين سنة .

(٢) سقط الزند ص ٢٠٥

## جسر دجلة

وقال صفى الدين الحلى فى صفة جسر وقد قطعته الريح :

[مجزوء الكامل]

وكـأنّ دِجـلَـةَ ، والـرّيـا حُ تُغيرُ كالخَيلِ النّوازِى [1]
والجِسرُ واهى السّلكِ من فَـرطِ اضـطـرابٍ واهـتـزازِ
ثَـوبٌ تُـجَـنـدِرُهُ الـرّيـا حُ ، وقد أضرّتْ بالطّرازِ [2]

---

(١) ديوانه ص ٢٧٩

(٢) تجندره : أى تجدده ، وجندر الثوب : أعاد وشيه بعد ذهابه .

# قافية السين

## بغداد هى الدنيا

قالَ محمد بن زريق الكوفي الكاتب [1] :

[البسيط ]

سافرتُ أبغى لبَغْدادٍ وساكنِها   مِثْلاً فحاولتُ شيئًا دونَه اليأسُ [2]
هيهاتَ بَغْدادٌ الدّنيا بأجمعِها   عندى وسكانُ بَغْدادَ هم النّاسُ

## للأغنياء فقط

قالَ أيضًا أبو يعلى بن الهبارية [3] : أنشدنى معدان التّغلبى لنفسه :

[السريع]

بَغْدادُ دارٌ طيبُها آخذٌ   نسيمُهُ منى بأنفاسى [4]
تصلحُ للموسرِ لا لامرئٍ   يبيتُ فى فقرٍ وإفلاسِ
لو حلَّها قارونُ ربُّ الغنى   أصبحَ ذا همٍّ ووسواسِ
هى التى توعدُ لكنَّها   عاجلةٌ للطاعمِ الكاسى
حورٌ وولدانٌ ومِن كلِّ ما   تطلبُهُ فيها سِوَى النّاسِ

---

(١) كان منقطعا إلى أبى العباس بن محمد ، وكانت بينه وبين أبى سليمان المنطقى السجستانى صحبة ، وكان كثيرا ما ينشد أبو سليمان أشعاره ، توفى عام ٤٢٠هـ . راجع أخباره فى الأغانى ج ٤ ص ٣٧٦، ٣٧٩ ، وقرى الضيف ج٢ ص ٤٤٢ ، وثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ص ٥١٢ .

(٢) الثعالبى : « ثمار القلوب » ص ٥١٣ ، و« قرى الضيف » ج٢ ص ٤٤٢ .

(٣) هو محمد بن صالح بن حمزة العباسى ، خدم نظام الملك وكان أثيرا عنده ، وقد نظم كتاب « كليلة ودمنة » شعرا . مات بكرمان سنة أربع وخمس مائة .

(٤) معجم البلدان ج١ ص ٤٦٧ .

## دير ببغداد

يقول محمد بن عبد الرحمن الثّرواني :

[السريع]

اشربْ عَلَى قرعِ النّواقيسِ فى ديرِ أشمونى بتفليسِ [1]

لا تخلِ كأسَ الشّربِ والليلُ فى حديثِ نُعمى لا ولا بوسِ

إلاّ عَلَى قرعِ النّواقيس أو صوتِ قسّانِ وتشميسِ

وهكذا فاشرَبْ وإلاّ فكنْ مجاورًا بعضَ النّواويسِ [2]

(١) فى معجم البلدان « أشمونى امرأة بنى الدير على اسمها ، ودفنت فيه ، وهو بقطربل ، وكان من أجلّ متنزهات بغداد » .

(٢) معجم البلدان ج ١ ص ٤٩٨

## قافية الصاد

### أينَ المفر؟

قالَ رجل مِن المحمدية [1] :

[الطويل]

لَنا كلَّ يَوْم ثَلمةٌ لا نَسدُّها ... يزيدونَ فيما يطلبونَ وننقصُ
إذا هدمُوا دَارًا أخذْنا سقوفَها ... ونحنُ لأخرى مِثْلها نتربصُ
يثيرونَ بالطبلِ القنيصَ وإنْ بدا ... لهم وجهُ صيدٍ مِن قريبٍ تقنَّصوا
وقَد أفسدُوا شرقَ البلادِ وغربَها ... علينا فما ندرِى إلى أينَ نشْخَصُ
إذا حضرُوا قالُوا بما يبصرونَه ... وإنْ لم يروا شيئًا قبيحًا تخرَّصوا
وقَد رَخَّصت قُرَّاؤنا فى قتالِهم ... وما قتلَ المقتولَ إلاَّ المُرَخِّصُ [2]

---

(١) نسبة إلى محمد الأمين بن هارون الرشيد .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢ ص ٣٢١ .

# قافية الضاد

## صفاء العيش ببغداد

قالَ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى (١) :

[الطويل]

أعاينتَ فى طولٍ مِن الأرضِ أو عرضِ ... كبَغْدادَ مِن دارٍ بِها مسكنُ الخفضِ

صفى العيشُ فى بَغْدادَ واخضرَّ عودُهُ ... وعيشُ سواها غيرُ خفضٍ ولا غضِّ

تطولُ بِها الأعمارُ إنَّ غذاءَها ... مرىءٌ وبعضُ الأرضِ أمرأُ مِن بعضِ

قضى ربُّها أنْ لا يموتَ خليفةٌ ... بِها إنَّه مَا شاءَ فى خلقِهِ يقضى (٢)

تنامُ بِها عينُ الغريبِ ولا ترى ... غريبًا بأرضِ الشّام يطمعُ بالغمضِ

فإنْ جُزيَت بَغْدادُ منهم بقرضِها ... فما أسلفت إلاَّ الجَميلَ مِن القرضِ

وإنْ رُميَتْ بالهجرِ منهم وبالقِلا ... فما أصبحَتْ أهلاً لهجرٍ ولا بُغضِ (٣)

---

(١) قال عنه صاحب الأغانى « يكنى أبا عقيل ، شاعر مقدم فصيح ، وكان يسكن بادية البصرة ، ويزور الخلفاء فى الدولة العباسية ، فيجزلون صلته ، ويمدح قوادهم وكتابهم ، فيحظى منهم بكل فائدة ، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة . . . ختمت الفصاحة به » .

(٢) فى اللسان : « وكان من أعجب العجب أنْ المنصور مات وهو حاج ، والمهدى ابنه خرج إلى نواحى الجبل . فمات بماسبذان ، بموضع يقال لَهُ الرد والهادى ابنه مات بعيساباد ، قرية أو محلة بالجانب الشرقى من بغداد ، والرشيد مات بطوس ، والأمين أخذ فى شبارته وقتل بالجانب الشرقى ، والمأمون مات بالبذندون من نواحى المصيصة بالشام ، والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر وباقى الخلفاء ماتوا بسامراء ، ثم انتقل الخلفاء إلى التاج من شرقى بغداد كما ذكرناه فى التاج وتعطلت مدينة المنصور منهم » . وانظر الكلام عن مدينة بغداد فى معجم البلدان .

(٣) ذكر ابن الخطيب هذه الأبيات فى تاريخ بغداد ، ونسبها إلى عقيل ، وعلق قائلا : « وقد رويت هذه الأبيات لمَنْصُور النمرى ، والله أعلم » ج١ ص ٦٧ ؛ وابن منظور : « لسان العرب » مادة بغدد؛ وياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ص ١٨ .

# قافية العين

## شوق إلى بغداد

قال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى مِن قصيدة يتشوق فيها بغداد ويصف موضعه بناحية رامهرمز ويمدح صديقًا لَهُ مِن أهلها :

[الطويل]

أراجعةٌ تلكَ اللّيالى كعهدِها ... إلى الوصلِ أم لا يُرتجى لى رجوعُها [(١)]

وصحبةُ أقوامٍ لبستُ لفقدِهم ... ثيابَ حدادٍ مستجد خليعُها

إذا لاح لَى مِنْ نحوِ بَغْدادَ بارقٌ ... تجافَت جفونى واستطيرَ هجوعُها

وإنْ أخلفتها الغادياتُ رعودَها ... تكلّفَ تصديقَ الغمامِ دموعُها

سَقَى جانبىْ بَغْدادَ كلُّ غمامةٍ ... يحاكى دموعَ المستهامِ هموعُها

معاهدُ مِن غزلانِ أنسٍ تحالفَتْ ... لواحظُها أنْ لا يُداوىَ صريعُها

بِها تسكنُ النّفسُ النّفورُ ويغتدى ... بآنسَ مِن قلبِ المقيمِ نزيعُها

يحنُّ إليها كلُّ قلبٍ كأنَّما ... يُشادُ بحباتِ القلوبِ ربوعُها

فكلُّ ليالى عيشِها زمنُ الصّبا ... وكلُّ فصولِ الدّهرِ فيها ربيعُها

وما زلتُ طوعَ الحادثاتِ تقودنى ... عَلَى حكمِها مُستكرهًا فأطيعُها

ومنها :

فلمَّا حللتُ القصرَ قصرَ مسرتى ... تفرقنَ عنى آيساتٍ جموعُها

بدارٍ لها يَسلى المشوقُ اشتياقَه ... ويأمنُ ريبَ الحادثاتِ مروعُها

بِها مسرحٌ للعيْنِ فيها يروقُها ... ومُستروَحٌ للنفسِ مما يروعُها

يرى كلُّ قلبٍ بينها مَا يسرُّهُ ... إذا زهرَت أشجارُها وزروعُها

كأنَّ خريرَ الماءِ فى جنباتِها ... رعودٌ تلقَّت مزنةً تستريعُها

إذا ضربتها الرّيحُ وانبسطَتْ لها ... ملاءةُ بدرٍ فصَّلتها وشيعُها

رأيتَ سيوفًا بينَ أثناءِ أدرعٍ ... مذهبةً يغشى العيونَ لميعُها

---

(١) من كتاب : « قرى الضيف » ج ٤ ص ١٤ .

فمِن صنعةِ البدرِ المنيرِ نصولُها ومِن نسجِ أنفاسِ الرّياحِ دروعُها
صفا عيشُنا فيها وكادَت لطيبِها تمازجُها الأرواحُ لو تستطيعُها

## فى بغداد لى قمر

قالَ ابن زريق :

[البسيط]

لا تعذليهِ فإنَّ اللومَ يولعُه قَد قلتِ حقًّا ولكن لَيسَ يسمعُهُ [1]
جاوزتِ فى لومِهِ حدًّا أضرَّ بِهِ مِن حيثُ قدّرتِ أنَّ اللومَ ينفعُهُ
فاستعملى الرفقَ فى تأنيبِهِ بدلاً مِن عذلِهِ فهوَ مُضنى القلبِ موجعُهُ
قَد كانَ مضطلعًا بالخطبِ يحملُه فضلّعت مِن خطوبِ الدهرِ أضلعُهُ
يكفيه مِن لوعةِ التفنيدِ أنَّ لَه نِ النّوى كلَّ يَوْمٍ مَا يروعُهُ
ما آبَ مِن سفرٍ إلاَّ وأزعجَه رأىٌ إلى سفرٍ بالَبينِ يجمعُهُ
تأبى المطالبُ إلاَّ أنْ تُجشمَه للرزقِ كَدحًا وكَمْ ممَّنْ يودعُهُ
كأنَّما هوَ مِن حلٍّ ومرتحلٍ موكَّلٍ بفضاءِ الأرضِ يذرعُهُ
إنَّ الزمانَ أراهُ فى الرحيلِ غنىً ولو إلَى السدِّ أضحى وهوَ يزمعُهُ
وما مجاهدةُ الإنسانِ واصلةً رزقًا ولا دعةُ الإنسانِ تقطعُهُ
قَد وزَّعَ الله بينَ الخلقِ رزقَهم لم يخلق الله مِن خلقٍ يضيِّعُهُ
لكنهم كلفُوا حرصًا فلستَ ترَى مسترزقًا وسِوَى الغاياتِ تقنعُهُ
والحرصُ فى الرزقِ والأرزاقُ قَد قُسمت بغىٌ ألا إنَّ بغىَ المرءِ يصرعُهُ
والدهرُ يعطى الفتى مِن حيثُ يمنعُه إرثًا ويمنعُهُ مِن حيثُ يطمعُهُ
أستودعُ الله فى بَغْدادَ لى قمراً بالكرخِ مِن فلكِ الأزرارِ مطلعُهُ
ودعتُه وبودِّى لو يودِّعنى صفوُ الحياةِ وأنِّى لا أودعُهُ

(١) ورد فى « كشف الظنون » ج٢ ص ١٣٢٩ : « إن من قرأ لأبى عمرو ، يعنى الجاحظ ، وتدين بمذهب الشافعى ، وكان أشعرى العقيدة ، ولبس البياض ، وتختم بالعقيق ، وحفظ قصيدة ابن زريق ، فقد استكمل الظرف » .

كَمْ قَد تشفَّعَ بى أنْ لا أفارقَه وللضرورةِ حالٌ لا تشفِّعُهُ
وكَمْ تشبَّثَ بى خوفَ الفراقِ ضُحى وأدمعى مستهلاتٌ وأدمعُهُ
لا أكذبُ الله ثوبُ الصبرِ منخرقٌ عنِّى بفرقَتِه لكن أرقِّعُهُ
إنِّى أوسِّعُ عُذرى فى جنايتِه بالبينِ عنِّى وجُرمى لا يوسعُهُ
رزقتُ ملكًا فلم أُحسن سياستَه وكلُّ مَنْ لا يسوسُ الملكَ يُخلعُهُ
ومَنْ غدا لابسًا ثوبَ النعيم بلا شكرٍ عليه فإنَّ الله ينزعُهُ
اعتضتُ مِن وجهِ خلِّى بعدَ فرقتِهِ كأسًا أُجرَّعُ منه ما أُجَرَّعُهُ
كَمْ قائلٍ لى ذقتَ البينَ قلتُ لَه الذنبُ والله ذنبى لَسْتُ أدفعُهُ
ألا أقمتَ فكانَ الرشدَ أجمعَه لو أنَّنى يَوْمَ بانَ الرشدُ أتبعُهُ
إنى لأقطعُ أيامى وأنفدُها بحسرةٍ منه فى قلبى تُقطعُهُ
بمَنْ إذا هجعَ النوامُ بتُّ له بلوعةٍ منه ليلى لَسْتُ أهجعُهُ
لا يطمئنُ لجنبى مضجعٌ ، كذا لا يطمئن لَهُ مُذ بنتُ مضجعُهُ
ما كنتُ أحسبُ أنَّ الدهرَ يَفجعُنى بِهِ ولا أنَّ بى الأيامَ تفجعُهُ
حتَّى جرَى البينُ فيما بيَنَنا بيدٍ عسراءَ تمنعُنى حظِّى وتمنعُهُ
قَد كنتُ مِن ريبِ دهرى جازعًا فرقاً فلم أوقَّ الذى قَد كنتُ أجزعُهُ
بالله يا منزلَ العيشِ الذى درست آثارُهُ وعفت مُذ بنتُ أربعُهُ
هَل الزمانُ معيدٌ فيكَ لذَّتنا أم الليالى متى أمضته ترجعُهُ
فى ذمَّةِ الله مَنْ أصبحتَ منزلَهُ وجادَ غيثٌ عَلَى مغناكَ يمرعُهُ
مَنْ عندَه لى عهدٌ لا يضيِّعُه كما لَهُ عهدُ صدقٍ لا أضيعُهُ
ومَنْ يصدعُ قلبى ذكرُه وإذا جرى عَلَى قلبِهِ ذكرى يصدعُهُ
لأصبرنَّ لدهرٍ لا يُمتِّعُنى بِهِ ولا بى فى حالٍ يُمتعُهُ
علمًا بأن اصطبارى معقبٌ فرجاً فأضيقُ الأمرِ إنْ فكرتَ أوسعُهُ
عَسَى الليالى التى أضنتْ بفرقتِنا جسمى ستجمعُنى يَوْمًا وتجمعُهُ
وإنْ تغُلْ أحدًا منا منيَّتُهُ فما الذى بقضاءِ الله يصنعُهُ

## حزن لفراق بغداد

قالَ الأبيوردى :

[الرمل]

عَرَضَتْ ناشِئَةُ المُزْنِ لَنا فَاسْتَهَلَّتْ مِنْ أُصَيْحابِى دُموعُ [1]
هَزَّهُمْ بِالمَزْجِ ذِكْرى بابِلٍ أنَّها مَرْمى عَلَى العِيسِ شَسُوعُ
فَتَجاذَبْنا عَلَى أكْوارِها ذِكَراً تَنْقَدُّ مِنْهُنَّ الضُّلُوعُ
وَسَرى الطَّيْفُ فَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ مُقَلٌ لَمْ يَسْرِ فيهِنَّ الهُجوعُ
يَسْتَعِيرُ المَاءَ مِنْ أجْفانِها عَارِضٌ دَانى الرَّبَابَيْنِ هَمُوعُ
وَمِنَ النَّارِ التى تُضْمِرُها أضْلُعِى ، يَقْتَبِسُ البَرْقُ اللَّمُوعُ
لا سُقِيتُنَّ الحَيا مِنْ إبِلٍ تَذْرَعُ الأرْضَ بِصَحْبى وَتَبوعُ
فَارَقْتُ بَغْدادَ وَالقَلْبُ بِها كَلِفٌ ، لا فَارَقَتْهُنَّ النُّسوع
وَبِنا شَوْقٌ إلَيْها ، وَبِها مِثْلُهُ ، لا أجْدَبَتْ مِنْها الرُّبوعُ
وَغَدَتْ تَمْرى بِها أخْلافَها سُحُبٌ تَشْرَقُ مِنْهُنَّ الضُّروعُ
وَلَئِنْ غِبْنا فَكَمْ مِنْ ظَاعِنٍ وَلَهُ بَعْدَ تَنائِيهِ رجُوعُ
إنَّما نَحنُ بُدورٌ ، وَكَذا شِيمَةُ البَدْرِ مَغِيبٌ وَطُلوعُ

## شوق إلى الكرخ وأسف على العراق

قالَ الرصافى :

[الطويل]

لقَد طوَّحتنى فى البلادُ مُضاعَا طوائحُ جاءت بالخطوبِ تِباعا
فبارحتُ أرضاً مَا ملأت حقائبي سِوى حبِّها عندَ البرَاحِ مَتاع
عَتبتُ عَلَى بَغْدادَ عتَب مودَع أمضَّته فيها الحادثاتُ قِراعا
أضاعتنى الأيامُ فيها ولو دَرَت لعزَّ عليها أنْ أكونَ مضاعا

---

(1) ديوانه ص ١٩ .

لقَد أرضعتنى كلُّ خَسفٍ وإننى  لأشكرُها أنْ لم تُتم رَضاعا
وما أنا بالجانى عليها وإنَّما  نهضتُ خِصاماً دونَها ودفاعا
وأعملتُ أقلامى بِها عَربية  فلم تُبدِ إصغاءً لها وسماعا
ولو كنتُ أدرى أنَّها أعجميةٌ  تخذت بِها السّيفَ الجُرازَ يَراعا
ولو شئتُ كايلتُ الذينَ انطوَوْا بها  عَلَى الحِقد صاعاً بالعداءِ فصاعا
ولكن هى النّفسُ التى قَد أَبت لها  طباعُ المعالى أنْ تسوءَ طِباعا
أبَيتُ عليهم أنْ أكونَ بذلّةٍ  وتأبى الضّوارى أنْ تكونَ ضباعا
عَلَى أننى داريتُ مَا شاءَ حقدَهم  فلم يجدِ نفعاً مَا أتيتُ وَضاعا
وأشقى الورى نفساً وأضيعُهم نُهى  لبيبٌ يُدارى فى نُهاهُ رعاعا
تركتُ مِن الشّعرِ المديحَ لأهلِهِ  ونزَّهتُ شِعرى أنْ يكونَ قِذاعا
وأنشدتُه يجلو الحقيقةَ بالنُّهى  ويكشِفُ عَنْ وجهِ الصّوابِ قِناعا
وأرسلته عفواً فجاءَ كما ترَى  قوافى تجتابُ البلادَ سِراعاً
وقفتُ غداةَ البينِ فى الكرخِ وقفةً  لها كربت نفسى تطيرُ شَعاعا
أودِّعُ أصحابى وهم محدِقونَ بي  وقَد ضِقتُ بالبينِ المُشِتِّ ذراعا
وكنتُ أظنُّ البينَ سهلاً فمُذ أتى  شَرَى البينُ منى مَا أرادَ وباعا
وإنى جَبانٌ فى فِراقِ أحبتى  وإنْ كنتُ فى غيرِ الفراقِ شجاعا
كأنّى وقَد جدَّ الفِراقُ سفينةٌ  أشالت عَلَى الرّيحِ الهَجوم شِراعا
فمالَت بِها الأرواحُ والبحرُ مائجٌ  وقَد أوشكَت ألَواحُها تَتداعى
فتحسبنى مِن هِزَّة فى أفدعاً  ترقىَّ هِضابًا زُلزلت وتِلاعا
فما أنا إلاَّ قوْمةٌ وانحناءةٌ  وسرٌّ أذاعته الدّموعُ فذاعا
رعى الله قوماً بالرصافةِ كلَّما  تذكرتُهم زادَ الفؤادُ نزاعا
أبيتُ وما أقوى الهمومَ بمضجعٍ  تصارعُنى فيه الهمومُ صِراعا
وألهو بذكراهم عَلَى السّيرِ كلَّماً  هبطتُ وِهاداً أو علوتُ يَفاعا
هم القومُ أما الصّبرُ عنهم فقَد عَصى  وأما اشتياقى نحوَهم فأطاعا
لقَد حكّمونى فى الأمورِ فلم أكنْ  لأنطقَ إلاَّ آمراً ومطاعا
فلستُ أبالى بعد أنْ جَدَّ بينهم  زجرتُ كلاباً أم قحمتُ سِباعا
سلام عَلَى وادى السّلام وإنَّنى  لأجعلُ تسليمى عليه وداعا

له الله   مِن وادٍ تكاسلَ أهلُهُ    فباتُوا عِطاشًا حَولَه وجياعا
رآهـم عـبـيـداً فـاسـتـبـدَّ بـمـائـهِ    ولم يجد بينَ المجدباتِ مُشاعا
جرى شاكراً صنعَ الطبيعةِ إنَّها    أبانت يداً فى جانبيه صَناعا
وما أنْسَ لا أنْسَ المياهَ بدَجلة    وإنْ هى تجرى فى العراقِ ضَياعا
ولو أنَّها تسقى العراقَ لما رَمَت    بِهِ الشَمسُ إلاَّ فى الجَنانِ شُعاعا
وما وجَدْت ريحٌ وإنْ قَد تناوحَت    مَـهـبـاً بِـهِ إلاَّ قُـرى وضِـيـاعـا
سأجرى عليها الدّمعَ غيرَ مضيع    وأندبُ فاعاً من هناك فقاعا
وأذكرُ هاتيكَ الرِّباعَ بحسنِهاً    فنعمت عَلَى شَحطِ المَزارِ رباعا

# قافية الفاء

## شمس بغداد

قال العباس بن الأحنف [1] :

[المنسرح]

يا شمسَ بَغدادَ إنَّنى دَنِفُ إذ ماتَ منكِ الودادُ واللَّطَفُ [2]
كلِفتُ بالشّمسِ ، مَن رأى رَجلاً بالشّمسِ يا قَوْمُ قلبُهُ كَلِفُ
قَد قُلتُ لمّا فَقَدتُ كُتْبَكُمُ كَعَهدِكُمْ والزّمانُ مُؤتَلِفُ
يا لَيتَ أنّ الرياحَ جاريةٌ تَسعَى بحَاجاتِنا وتَختَلِفُ
لا كانَ قَلبى فقَد شَقِيتُ بهِ يُخفى وَجِيباً وتَارَةً يَجِفُ
يَهذى بظَبيٍ مُنَعَّمٍ تَرِفٍ أحوَى بثَوْبِ الجَمالِ مُلتَحِفُ
ظَبى غَريرٍ يَزِينُهُ شَنَفٌ لا بَلْ به قَد تَزيّنَ الشَّنَفُ
أطاعَهُ الحُسنُ والبَهاءُ فقَدْ زَهاهُ ، عُجْباً بنَفسِهِ ، صَلَفُ
حالَتْ مَقاديرُ دونَ رُؤيَتِهِ ليتَ المَقاديرَ غالَها تَلَفُ
يا قَمَراً عُطِّلَ الظّلامُ بهِ يا دُرّةً لم يُكِنْها الصَّدَفُ
يا جَنّةً لا يموتُ ساكِنُها كُلُّ ضَميرٍ إليكِ يَنصَرِفُ

---

(١) أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفيّ اليمامي (ت١٩٢هـ) ، أصله من اليمامة (في نجد) ، وكان أهله في البصرة ، وبها مات أبوه . ونشأ هو ببغداد ، وتوفي بها ، وقيل بالبصرة .

(٢) ديوانه ص ٢١٣ .

## دير ببغداد

قالَ أبو الحسينِ بن أبى البغل [١] الشاعر ، وقد اجتاز بدير الأعلى [٢] يريد الشام :

[البسيط]

أنظرْ إلىَّ بأعلى الدّيرِ مشترفاً ... لا يبلغُ الطرفُ مِن أرجائه طرفا
كأنّما غُرِيَت غرُّ السّحابِ به ... فجاءَ مختلفًا يلقاك مؤتلفا
فلستَ تبصرُ إلاَّ جدولاً سرباً ... أو جنَّةً سدفًا أو روضةً أُنفا
كما التقت فرقُ الأحبابِ مِن حرقٍ ... مِن الوشاةِ فأبدى الكلُّ مَا عرفا
باحُوا بما أضمرُوا فاخضرَّ ذا حسداً ... واحمرَّ ذا خجلاً واصفرَّ ذا أسفا
هذى الجنانُ فإنْ جاؤوا بآخرةٍ ... فلَسْتُ أتركُ وجهًا ضاحكًا ثَقِفا

## تسليم الوداع

قالَ القاضى عبد الوهاب [٣] عندَ رحيله مِن بغداد : [البسيط]

سلامٌ عَلَى بَغْدادَ فى كلِّ منزلٍ ... وحقٌّ لها منى السّلامُ المضاعفُ [٤]
فوالله مَا فارقتُها عَنْ قِلًى لها ... وإنِّى بشاطى جانبيها لعارفُ
ولكنَّها ضاقَت عَلَى برحبِها ... ولم تكن الأرزاقُ فيها تساعفُ
فكانَت كخلٍّ كنتُ أهوى دنوَّه ... وأخلاقُهُ تنأى بِهِ وتخالفُ

---

(١) شاعر وكاتب من العصر العباسى ، وكان معاصرا للزيات . راجع أخباره فى قرى الضيف ج ٣ ص ٣٦٤ ، وصبح الأعشى ج٩ ص ١٦٨ .

(٢) فى معجم البلدان : « دير الأعلى بالموصل فى أعلاها على جبل مطل على دجلة يضرب به المثل فى رقة الهواء وحسن المستشرف » .

(٣) أبو محمد ، عبد الوهاب بن على بن نصر بن أحمد بن حسين بن هارون بن أمير العرب مالك بن طوق ، التغلبى العراقى ، الفقيه المالكى ، من أولاد صاحب الرحبة . ذكره أبو بكر الخطيب ، فقال : كان ثقة ، روى عن الحسين بن محمد بن عبيد العسكرى ، وعمر بن سَبَنْك . ولى قضاء بادرايا وباكسايا . وقيل : كان ذهابه إلى مصر لإفلاس لحقه . فمات بها فى شهر صفر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وله ستون سنة . والأبيات منسوبة فى قرى الضيف ٥ج ص ٧٤ إلى القاسم واسمه عبد الرحمن بن محمد .

(٤) معجم البلدان ج ١ ص ٤٦٢ .

## سيعود يوما

لمّا ولى اليمن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وعزم على الخروج من بغداد قال :

[الوافر]

أيرحلُ آلفٌ ويقيمُ إلفُ وتحيى لوعةٌ ويموتُ قصفُ [1]
عَلَى بَغْدادَ دارِ اللّهوِ منِّى سلامٌ مَا سجى للعينِ طرفُ
وما فارقتُها لقلًى ولكن تناولنى مِن الحدثانِ صرفُ
ألا روحٌ ألا فرجٌ قريبٌ ألا جارٌ مِن الحدثانِ كهفُ
لعلَّ زمانَنا سيعودُ يَوْما فيرجعُ آلفٌ ويسرُّ ألفُ

## مواطن السرور

قالَ على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى يذكر ديارات الأسقف [2] :

[مجزوء الكامل]

كَمْ وقفةٍ لكَ بالخورنقِ مَا توازى بالمواقفْ [3]
بينَ الغديرِ إلى السّديرِ إلى دياراتِ الأساقفْ [4]

---

(١) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ص ٢٠ .

(٢) ديارات الأساقف : الديارات جمع دير ، والأساقف جمع أسقف وهم رؤساء النصارى ، وهذه الديارات بالنجف ظاهر الكوفة ، وهو أول الحيرة ، وهى قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير عن يمينه قصر أبى الخصيب وعن شماله السّدير .

(٢) ورد فى « المستطرف من كل فن مستظرف » ج٢ ص ٣٠٥ : « ومن المباني العجيبة الخورنق الذي بناه النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر ، بناه في عشرين سنة ، فلما انتهى أعجبه فخشي أن يبنى لغيره مثله ؛ فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع ، واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار » . وموضع القصر فى الحيرة على فرات الكوفة . وقيل فى سبب بنائه إن « يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مرىء صحيح من الأدواء ، فذكر له ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان ، وأمره ببناء الخورنق مسكنا له ، فبناه في عشرين حجة » راجع معجم ما استعجم ج٢ ص ٥١٦ .

(٤) فى أدب الكاتب ص ٣٨٩» السدير : فارسى معرب ، وأصله سادلى ، أى : « قبة فى ثلاث قباب متداخلة » . وفى معجم البلدان ما يدل على على اختلاف الناس فى المسمى بهذا الاسم ، فيقول صاحب « معجم البلدان » : هو نهر ، ويقال قصر ، . .وقال أبو عمرو بن العلاء : السدير العشب =

فـمـدارج الـرّهـبـانِ فـ ـى أطمارِ خائفةٍ وخائفْ
دمـنٌ كَـأنَّ ريـاضَـهـا يـكسينَ أعلامَ المطارفْ
وكـأنّـمـا غـدرانُـهـا فيها عشورٌ فى مصاحفْ
بـحـريـةٌ شـتـواتُـهـا بـريّـةٌ فـيـهـا المـصـائـفْ

## نسيم النَّجف

قالَ إسحاق الموصلى فى النجف [1] : [البسيط]

يا راكبَ العيسِ لا تعجل بِنا وقفِ نحىّ دارًا لسعدى ثم ننصرفِ
لم ينزل الناسُ فى سهلٍ ولا جبلٍ أصفى هواءً ولا أغذى مِن النجفِ
حُفَّتْ ببرٍّ وبحرٍ فى جوانبِها فالبرُّ فى طرفٍ والبحرُ فى طرفِ
ما إنْ يزالُ نسيمٌ مِن يمانيةٍ يأتيك منها بريًّا روضةٍ أُنُفِ

## سوء الكيل

قالَ عبد الحسين الحويزى :

[البسيط]

نهضاً بنى العربِ للعلياءِ والشرفِ فأنتم الخَلَفُ الباقى عَن السَّلفِ [2]
وأنتمُ كبدورِ التمِّ قَد لبست بُرْدَ السنا وغدَت متروعةَ الكُلَفِ
وأنتمُ الجوهرُ الغالى بقيمتِهِ بالسُّوم يقصرُ عنه لؤلؤُ الصدفِ
ترضونَ أنْ تنزلَ الأعدا معاقلَكم وينعمونَ بروضِ الريفِ والترفِ
حلُّوا مَعَ العزِّ مِن أوطانِكم وسطاً وقَد أحلُّوكمُ بالذلِّ فِى طرفِ

---

= وقال العمرانى : السدير موضع معروف بالحيرة ، وقال : السدير نهر ، وقيل : قصر قريب من الخورنق ، كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم » . وراجع «المزهر فى علوم اللغة» للسيوطى ص ٢٢٢

(١) الأغانى : ج ٩ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) نظمت على إثر صدور قرار الجامعة العربية بتحريك الجيوش نحو فلسطين للقضاء على العصابات الصهيونية ١٩٤٧م .

وقَد جنوا مِن ذُرى نخلِ العُلَى رُطَباً    وصيَّرُوكم لسوءِ الكيلِ والحشفِ
قومٌ لكم قبلَ هَذَا اليَوْمِ صاغرةً    تُوفِى بجزيتِها بالوهنِ والضعفِ
غلَّت عَن الدفعِ أيديهم وَقَد لُعنوا    واللَّهُ بيَّنها فِى مُحكمِ الصحفِ
أبناءَ يعربَ هبوا مِن مضاجعِكم    مِن راكبٍ صهوةَ العليَا ومرتدفِ
هذى (فِلسطينُ) لا طابَت حياتُكم    إنْ لم تسوقُوا لها الأرواحُ للتلفِ
وتجعلونَ نحوراً منكم نُصبَتْ    لأسهمِ الموتِ فِى الهيجاءِ كالهدفِ
فالعربُ تعلو متى أبدَت مظاهرُه    فِى كَربلاءَ وفِى الزوراءِ والنجفِ
وحقّ للشعبِ أنْ يُدمى أناملَه    عَلَى ديارِ العُلَى بالحزنِ والأسفِ
الذُّل طوَّقَ أبناءَ الحفاظِ به    والضيمُ قَد صِيغَ للآذانِ كالشنفِ
قَد عزَّ قومٌ (رسولُ الله) محتدُهُ    منهم وفِيهم سراجُ الرشدِ منه خفِى

## قافية القاف

## السلاح الغبى

قالَ عمرو بن عبد الملك العترى (١) :

[مجزوء الرمل]

يــا رمــاةَ الــمــنـجـنـيــقِ كــلُّــكــم غــيــرُ شــفــيــقِ (٢)
مــا تــبــالــونَ صــديــقــاً كــانَ أو غــيــرَ صــديــقِ
ويــلَــكــم تــدرونَ مَــا تــر مــونَ مُــرَّارَ الــطــريــقِ
رُبَّ خَــودٍ ذاتِ دلٍّ وهــى كــالــغــصــنِ الــوريــقِ
أُخرجَت مِن جوفِ دُنيا هــا ومِــن عــيــشٍ أنــيــقِ
لــم تــجــد مِــن ذَاكَ بــداً أُبــرزَتْ يَــوْمَ الــحــريــقِ

## صراع ودمار

قالَ الشاعر فى وقعة دار الرّقيق (٣) وما أصاب بغداد يومها :

[الوافر]

بكيتُ دمًا عَلَى بَغْدادَ لمَّا فقدتُ غضارةَ العيشِ الأنيقِ (٤)
تبدلْنا همومًا مِن سرورٍ ومِن سعةٍ تبدَّلْنا بضيقِ
أصابتها مِن الحسادِ عينٌ فأفنتْ أهلَها بالمنجنيقِ (٥)

---

(١) تاريخ الطبرى ج٨ ص ٤٤٦ .

(٢) المنجنيق : آلة حربية عرفت فى الحروب القديمة ، كانت تستخدم لإلقاء الأحجار الضخمة ، وربما كرات النار المشتعلة على حصون العدو ومدنه .

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٢ ص ٣٢٠ ، وتاريخ الطبرى ج٨ ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(٤) فى مروج الذهب للمسعودى « بكت عينى » .

(٥) فى مروج الذهب للمسعودى « أصابتنا » .

(٦) فى مروج الذهب للمسعودى « قصرا » .

فقومٌ أُحرِقُوا بالنارِ قسراً    ونائحةٍ تنوحُ عَلَى غريقِ [٦]
وصائحةٍ تُنادى يا صحابي    وقائلةٍ تنادى يا شقيقى [١]
وحوراءِ المدامعِ ذاتِ دلٍ    مضمَّخةِ المجاسدِ بالخَلوقِ
تنادى بالشفيقِ فَلا شفيقٍ    وقَد فُقِدَ الشّقيقُ مَعَ الرّفيقِ
وقوم أخرجُوا مِن ظلِّ دُنيا    متاعُهم يباعُ بكلِّ سوقِ
ومغتَربٍ بعيدِ الدّارِ مُلقى    بلا رأسٍ بقارعةِ الطريقِ
توسَّطَ مِن قتالِهم جميعاً    فما يدرونَ مِن أىِّ الفريقِ
فلا ولدٌ يقيمُ عَلَى أبيه    وقَد هربَ الصّديقُ مِن الصّديقِ
ومهما أنسَ مِن شىءٍ تولَّى    فإنِّى ذاكرٌ دارَ الرّقيقِ

## التعاون مَعَ الأعداء

قالَ آخر فى إرسال ابن العلقمى وزير الخليفة المستعصم أخاه إلى التتار ليأتى بهم :

[الخفيف]

وأتى الخائنُ الخبيثُ بمغلٍ    طبَّقَ الأرضَ بغيُهم تطبيقا [٢]
هكذا ينصرُ الجهولُ أخاهُ    ومِن البرِّ مَا يكونُ عقوقا

## جسر على نهر دجلة

قالَ آخر :

[الطويل]

يا حبذا جسرٌ عَلَى متنِ دِجلَةٍ    بإتقانِ تأسيسٍ وحسنٍ ورونقِ [٣]

(١) فى مروج الذهب للمسعودى « يا صحابى » .

(٢) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ص ١٦٥ ، والمغل : المغول .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ١٤١ .

تـراهُ إذا مَـا جئـتَـه مـتـأمـلاً  كسطرِ عبيرٍ خُطَّ فى وسطِ مُهرَقِ
أو العاجُ فيه الآبنوسُ مرقشٌ  مثالَ فيولٍ تحتَها أرضُ زئبقِ
جمالٌ وحسنٌ للعراقِ ونزهةٌ  وسلوةُ مِن أضناهُ فرطُ التّشوُّقِ

## ثقة بالله

أبو الحسن عمر بن أبى عمر السجزى النوقانى يقول :

[الطويل]

غلا السّعرُ فى بَغْدادَ مِن بعدِ رخصِهِ  وإنِّى فى الحالينِ باللهِ واثقُ
فلَسْتُ أخافُ الضّيقَ واللهِ واسعٌ  غناهُ ولا الحرمانَ واللهِ رازقُ (1)

## الشرق ينبض عرقه

قالَ جميل صدقى الزهاوى (2) :

[الطويل]

لقَد جاء يَوْمٌ فيه ينتبهُ الشرقُ  ويرجعُ محمودًا إلى أهلِهِ الحقُّ
إنْ الشرقُ ألقى فى الحياةِ اعتمادَه  عَلَى نفسِهِ يَوْمًا فقَد أفلحَ الشرقُ
وأكبرُ أنصارِ البلادِ رجالُها  وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ هوَ الصدقُ
وإنَّ دعائمَ الحذقِ خلقٌ يقيمُهُ  فإنَّ لم يَكُنْ خلقٌ فلا ينفعُ الحذقُ
وفى بعضِ مَنْ عاشرتَ شىءٌ تجلُّهُ  فذَلكَ لو فتشتَ عنه هوَ الخُلقُ
جرَى الشرقُ شوطًا فى الرهانِ وبعدَه  جرى الغربُ حثحاثًا فكانَ لَهُ السبقُ
يُقاسى القيودَ الشرقُ والغربُ مطلقٌ  فبينَ كلا القسمينِ هَذا هوَ الفرقُ
إنْ الشرقُ بعدَ اليَوْمِ لم يرعَ نفسَهُ  ألمت بِهِ الجُلّى وعاجلَه المحقُ

---

(1) قرى الضيف ج ٤ ص ٣٩٢ .

(2) النص من كتاب « سحر الشعر » لرفائيل بطى ، ص ٥٤ - ٥٦ ، وفى الأدب العصرى فى العراق العربى للمؤلف نفسه ص ٣٩ - ٤٠ .

ألا فليرقِّعْ ثوبَه كلُّ مَنْ له   يدٌ قبلما فى الثوبِ يتسعُ الخرقُ
فد انطفأت تلكَ النُّهى منذُ أعصُرٍ   وتومضُ أحيانًا كما يُومِضُ البرقُ
أحسُّ بأنَّ الشرقَ ينبضُ عرقُه   فلو لم يَكُنْ حيًّا لما نبضَ العرقُ
يريدُ ليحيا الشرقُ حرًّا كغيرِهِ   وأكبرُ أرزاءِ الشعوبِ هوَ الرقُّ
متى أيُّها الصبحُ الجميلُ تبينُ لى   فيبيضُ فى ليلِ الهمومِ بكَ الأفقُ
أتعلمُ ليلى أنَّ فى الحىِّ مغرمًا   بِها لفؤادٍ باتَ يحمِلُهُ خفقُ
قسمتُ فؤادى بينَ ليلى وموطنى   فهذى لها شقٌّ وهَذَا لَهُ شقُّ
إذا لم يَكُنْ سيرُ السياسةِ راشدًا   فما أنْ يفيدَ العنفُ فيها ولا الرفقُ
يحاولُ ناسٌ خوضَ دِجلَةَ جهدَهم   وتمنعُهم منه الزوابعُ والعمقُ
إذا جئتنى ليلاً فدعنى راقدًا   وفى الصبحِ أيقظنى متى غنَّتِ الورقُ
هوَ الصبحُ أى واللهِ قَد سلَّ سيفَهُ   وإنَّ إهابَ الليلِ منه سَينشقُّ
وإنَّ الذى يسعَى لتحريرِ أمَّةٍ   يهونُ عليه النفىُ والسجنُ والشنقُ
متى مَا اطمأنَّ القلبُ بالنفعِ فى الحيا   فقد لا يروعُ الليلُ والرعدُ والبرقُ
إذا رُمتَ عَنْ دارِ المذَلَّةِ رحلةً   فسر قبلَ أنْ تنسدَّ فى وجهكَ الطرقُ
سأرحلُ عَنْ بَغْدادَ يَوْمًا مخلِّفاً   بِها الشعرَ إنَّ الشعرَ منِّى مشتقُّ

## ساسة الغرب تدعى

قال الرصافى :

[الطويل]

أرى الحقَّ لم يغشَ البلادَ وإنَّما   مشى ضارباً فى الأرضِ تلفظُهُ الطرْقُ [1]
فيُصبحُ فى أرضٍ ويُمسى بغيرِها   وحيداً فما يؤويه غربٌ ولا شرقُ
توطنَ قفرَ الأرضِ مبتعداً بها   إلى حَيْثُ لا إنسٌ ولا طائرٌ يزقُو
وقد يهبطُ الأمصارَ وهوَ محجَّبٌ   ويظهرُ أحياناً كما أومَضَ البرقُ
ومن عجبٍ أنَّ الوَرَى يدَّعونَه   وهُمْ من قديمِ الدّهرِ أعداؤهُ الزُرقُ

---

(١) ديوانه ص ٤١٣ .

أعدُّوا له فى البرِّ والبحر قوةً   إذا ظهرتْ ينسدُّ من دونِها الأفقُ
وطاروا بطيَّاراتهم يُمطرونه   قذائفَ من نارٍ كما أمطرَ الودقُ
يقولونَ إنَّ الحقَّ فى الخلقِ قوةٌ   تذل لها الأعناقُ قهراً وتندقُ
فما باله يُمسى ويصبحُ شاكياً   ولا يتحاشى عَن ظلامتِهِ الخلقُ
إلى الله نشكو الأمرَ من مدنيَّةٍ   تعارَضَ فى أوصافِها الكذبُ والصدقُ
وكَمْ قد سمعنا ساسةَ الغربِ تدَّعى   بأشياءَ من بطلانِها ضَحكَ الحقُ
فهم منعوا رقَّ الأسيرِ وإنَّما   أجازوا لهم أنْ يشملَ الأممَ الرقُ
ألم ترَ فى القطرِ العراقى أمةً   من الأسرِ مشدوداً بأعناقِها ربقُ
قد اختطَّ فيه السَّيفُ للقومِ خطَّةً   من العنفِ لم يمرر بساحتِها رفقُ
وأوجرَهم سمًّا من الذلِّ ناقعاً   بكأسٍ من العُدوانِ ليسَ لها مَذقُ
فدجلةُ من وقعِ الشوائبِ أصبحَتْ   تُعافُ ، لأنَّ الماءَ فى حوضِها رَنقُ
وإنَّ الفراتَ الغمرَ أمسى وماؤه   من الضيمِ غَوْر ما لأوشالِهِ عُمقُ[1]
رَعَى الله بينَ الواديينِ مَواطناً   إذا ذكرتَ يهتزُّ بى نحوَها عشقُ
قضيتُ بها عصرَ الشبابِ فلى بها   خواطرُ لم يسمحْ بإفشائها النطقُ
فلا تعجبوا من أنَّنى عندَ ذكرِها   أنوحُ عليها مثلما ناحَتْ الوُرْقُ
وأنَّى إذا أبصرتُها مستضامةً   يكادُ لها قلبى من الحزنِ ينشقُ
ألم ترَها قد أصبحَتْ من إسارِها   تُليحُ بطرفٍ فى لواحظِهِ العتقُ
تجرُّ قيودَ الذلِّ راسفةً إلى   تكاليفِ حكم فى سياستِهِ المحقُ
ويحلُبُ شطريها العدوُّ ضرائباً   ويمخضُها درًّا كما يُمخَضُ الزقُ
سلامٌ عَلَى وادى السّلام الذى به   تفاقمَ هولُ الخطبِ واتَّسعَ الخرقُ
سنَفديه حتَّى لا حياةٌ عزيزةٌ   ونبذلُ حتَّى لا نفيسٌ ولا عِلقُ
وندركُ فيه ثأرَنا بكتائبٍ   لها نسبٌ من صلبِ يعربَ مشتقُ
وإنَّ الليالى بالخطوبِ حواملٌ   ولابدَّ يَوْماً أنْ سيأخذَها الطَّلْقُ

(١) فى اللسان « الوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلا قليلا لا يتصل قطره ، وقيل لا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل ، وقيل هو ماء يخرج من بين الصخر قليلا قليلا ، والجمع أوشال . ووشل يشل وشلا ووشلانا سال أو قطر . وجبل واشل يقطر منه الماء » .

فتنتجُ حرباً ما يبوخُ سعيرُها وتستنُّ فى ميدانِها الدُّهمُ والبُلْقُ
بكلِّ أخى عزم كأنَّ مَضاءَه مشَطَّبةٌ بيضٌ ومسنونةٌ زُرقُ
تلقَّفَ راياتِ العُلى بسواعدٍ لهنَّ بتصريفِ القنا فى الوغى حِذقُ
فإمَّا منايا نستطبُّ بِطبِّها وإما مُنى فيها يتمُّ لَنا السَّبقُ
إذا نَحنُ لم نملكْ عَلَى الدّهرِ أمرَهُ فلا دامَ فينا نابضاً للعلى عِرقُ

# قافية الكاف

## فى واقعة بغداد

قالَ شمس الدينِ محمد بن عبيد الله الكوفى الواعظ [1] :

[البسيط]

بانُوا ولى أدمعٌ فى الخدِّ تشتبكُ ... ولوعةٌ فى مجالِ الصدرِ تعتركُ
بالرغم لا بالرضا مِنى فراقُهمُ ... سارُوا ولم أدرِ أىَ الأرضِ قَد سلكُوا
يا صاحبى مَا احتيالى اليوم بعدَهم ... أشرْ عَلَىَّ فإنَّ الرأىَ مشتركُ
عزَّ اللقاءُ وضاقَت دونَه حيلى ... فالقلبُ فى أمرِهِ حيرانُ مرتبكُ
يعوقُنى عَنْ مُرادى مَا بُليتُ به ... كما يعوقُ جناحى طائرٍ شركُ
أرومُ صبرًا وقلبى لا يطاوعنى ... وكيفَ ينهضُ مَنْ قَد خانَه الوركُ
إنْ كُنتَ فاقدَ إلفٍ نُحْ عليه معى ... فإنَّنا كُلُّنا فى ذَاكَ نشتركُ
يا نكبةً مَا نجا مِن صرفِها أحدٌ ... مِن الورَى فاستوى المملوكُ والملكُ
تمكَّنتْ بعدَ عزٍّ فى أحبَّتِنا ... أيدى الأعادى فما أبقُوا ولا تركُوا
لو أنَّ مَا نالَهم يُفدَى فديتُهم ... بمهجتى وبما أصبحتُ أمتلكُ
ربعُ الهدايةِ أضحى بعدَ بُعدِهم ... معطَّلاً ودمُ الإسلام منسفكُ
أينَ الذينَ عَلَى كُلِّ الورى حكموا ... أينَ الذينَ اقتنُوا أينَ الألى ملكُوا
وقفتُ مِن بعدِهم فى الدارِ أسألُها ... عنهم وعما حووا فيها وما ملكُوا
أجابنى الطللُ البالى وربعُهم الـ ... ـخالى : نعم هاهنا كانوا وقَد هلكُوا
لا تحسبُوا الدمعُ ماءً فى الخدودِ جرى ... وإنَّما هى روحُ الصبِّ تنسبكُ

---

(1) ابن الفوطى : « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » ص٣٣٤ ، ٣٣٥ .

## قافية اللام

### محلة عبّادان

قال أبو العتاهية [1] في وصف عبادان [2] :

[الطويل]

سَقَى اللهُ عَبّادانَ غَيثاً مُجَلِّلا ... فإنّ لها فَضْلاً جَديداً ، وَأَوّلا [3]

وَثَبّتَ مَنْ فيها مُقيماً ، مُرابِطاً ... فَما إنْ أرَى عَنْها لَهُ مُتَحَوَّلا

إذا جِئْتَها لم تَلْقَ إلاّ مُكَبِّراً ... تَخَلّى عَنِ الدّنْيا ، وَإلاّ مُهَلِّلا

فأكرِمْ بمَنْ فيها ، عَلَى الله ، نازِلاً ... وأكْرِمْ بعَبّادانَ داراً ، وَمَنزِلا

### متنزهات بغداد

قالَ الشاعر :

[الطويل]

سَقَى الله بابَ الكرخِ مِن متنزهٍ ... إلى قصرِ وضّاحٍ وبركةِ نازلِ [4]

منازلُ لا تستبشعُ الغَيثَ حلَّها ... ولا أوجهُ اللّذّاتِ عنها بمعزلِ

منازلُ لو أنَّ امرأ القيسِ حلَّها ... لأقصرَ عَنْ ذكرِ «الدّخول فحوملِ»

إذا اللّيلُ أدنى مضجعى منه لم أقل ... «عقرتَ بعيرى يا امرأَ القيسِ فانزلِ»

---

(١) أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويد العينى ، العَنَزي (من قبيلة عنزة) بالولاء (١٣٠- ٢١١هـ) ولد فى (عين التمر) بقرب الكوفة ، ونشأ في الكوفة ، وسكن بغداد . وكان في بدء أمره يبيع الجرار فقيل له (الجرّار) ثم اتصل بالخلفاء ، وصار من كبار الشعراء .

(٢) مدينة على مصب دجلة فى بحر فارس ، وهى من البصرة مرحلة ونصف ، وكان فيها قوم مقيمون للعبادة والانقطاع .

(٣) ديوانه ص ٣٥٣ .

(٤) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام» ص ٢٨ .

## قدم الخيانة فى الأعوان

وقالَ آخر :

[البسيط]

وخانَه الفاجرُ ابنُ العلقمى إلى ... أن بدَّلَ الدّولةَ الغراءَ تبديلا
وكانَ مَا كانَ مما لَسْتُ أذكرُه ... ليقضىَ الله أمرًا كانَ مفعولا [1]

## نخل دجلة

قال كشاجم [2] :

[الرجز]

لَنَا عَلَى دِجْلَةَ نخلٌ مُنتَخَلْ ... نُسلِفُهُ ماءً ويسقينا عَسَلْ [3]
مسطرٌ عَلَى قوامٍ معتدِلْ ... لم يَنْتَ عنْ سطرِهِ ولم يَمِلْ
ذُو قَدَرٍ فما عَلا ولا سَفَلْ ... يُسْقَى بماءٍ وهوَ شتَّى فى الأكلْ
كأنَّما أعذاقُهُ إذا حَمَلْ ... غدائر من شَعَرٍ وخُفِ رَجِلْ
وفيهِ عُمْرِى كعمرٍ متَّصِلْ ... فى لونِ داءِ العشقِ لا داءِ العِلَلْ
كالذَّهبِ الإبريز لوناً ومَحَل ... يحمّسُ الجودَ بهِ الصبُّ الغَزِلْ
لو نظَمَتْهُ البكرُ عقداً لا حتَمَلْ ... وفاقَ عَقْدَ الدُّرِّ لوناً وفَضَلْ
يملُّ إدراكَ المنى ولا يملّ ... حسبُكَ أنّ طعمَهُ يشفى العِلَلْ
كأنَّهُ أطرافُ رَبَّاتِ الكِلَلْ ... لم يندرسْ خِضَابُها ولا نَصَلْ

---

(١) ياسين العمرى الموصلى : « غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام » ص ١٦٢ . والضمير فى البيت الأول عائد على الخليفة المستعصم آخر خلفاء بنى العباس بالعراق .

(٢) محمود بن الحسين (أو بن محمد بن الحسين) ابن السندى بن شاهك ، أبو الفتح الرملى ، المعروف بـ كشاجم (ت ٣٦٠ هـ) ، كان طباخا لسيف الدولة فى أول أمره ثم اشتهر بالكتابة والشعر . ويتكون لقبه من الحروف الدالة على الحرف التى أجادها فالكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للإنشاء ، والجيم للجدل ، والميم للمنطق .

(٣) ديوانه ص ٢٦٩

يُومِينَ بالتّسليم إيماءَ بَدَلْ كأَنَّ فى أغداقِهِ مثلَ العَسَلْ
ما زالَ فى الأفياءِ يغدُو ويملْ بالشمسِ أحياناً وأحياناً بِظِلّ
ويُكْتَسى من صَنْعَةِ البدرِ حُلَلْ كأنّه فى الخدّ ألوانُ الخَجَلْ
وعَظُمَ الأردافُ فيهِ ونبَلْ مثلُ أَنابيبِ قنَا الخطِّ الذّبُلْ
لولا النّوى يمسكُ منهُ لَهَطَلْ تعاقَبَتْهُ غَدَوَاتٌ وأُصُلْ
وجاده ماءُ معينٍ وَسَبَلْ حتّى إذا قِيلَ تَنَاهى وكَمُلْ
جاءَ بِهِ القاطفُ مَسروراً جَزِلْ محتفلاً أحبِبْ لهُ من مُحتَفِلْ
فى ساعةٍ أطْيَبَ منْ نيلِ الأملْ لمّا مَضَى جيشُ الظلام فَرَحَلْ
وأقبلَ الصبّحُ منيراً فنزَلْ فأيُّمَا ضَيْفٌ رَجَا ولَم يَنَلْ
منهُ فكانَ الزّادُ عندى مبتذَلْ فأمتَعَ الأفواهَ مِنهُ والمُقَلْ
. . . . . . . . . . . . . . . فى هذهِ لَذٌّ وفى هاتيكَ جلَ

## لأخلائى ببغداد

قال الأبيوردى :

[الطويل]

أَضاءَ بُرَيْقٌ بِالعُذَيْبِ كَليلُ فَثِنْى نِجادى لِلدُّموعِ مَسيلُ [1]
تَناعَسَ فى حِضْنِ الغَمام كَأَنَّهُ حُسامٌ رَميضُ الشَّفْرَتيْنِ صَقيلُ
يُنيرُ سَناهُ مَنْزِلَ الحَى بِاللِّوى وَيُسْديهِ مِرْزامُ العَشِى هطولُ
وَأَلْحَظُهُ شَزْراً بِمُقْلَةِ أَجْدَلٍ لَهُ نَظَراتٌ كُلُّهُنَّ عَجولُ
يُراعِى أَساريبَ القَطا عَصَفَتْ بِها مِنَ الرِّيحِ هَوْجاءُ الهُبوبِ بَليلُ
فَأَهْوَى إليها ، وَهْوَ طاوٍ وَعِنْدَهُ أُزَيْغِبُ مُصْفَرُّ الشَّكيرِ ضَئيلُ
بِأَقْنى عَلَى أَزْجائِهِ الدَّمُ مائِرٌ وَحُجْنٍ حَكَتْ أَطْرافَهُنَّ نُصولُ
فَرُحْنَ وَما مِنْهُنَّ إلاّ مُطَرَّحٌ جريحٌ وَمَنْزوفُ الحَياةِ قَتيلُ
فَآهاً مِنَ البَرْقِ الذى بَزَّ ناظِري كَراهُ ، وَأَسْرابُ الدُّموعِ هُمولُ

---

(١) ديوانه ص ٥٦٧ .

تَـأَلَّـقَ نَـجْـدِيـاً فَـحَـنَّـتْ نُـوَيْـقَـةٌ يُـجاذِبُـها فَـضْـلُ الـمِـراحِ جَـديـلُ
وَبى ما بِها مِنْ لَوْعَةٍ وَصَبابَةٍ وَلكنَّ صَبْرَ العَبْشَمِى جَميلُ (١)
وَما لِى إلاَّ البَرْقُ يَسْرِى أوِ الصَّبا إلى حَيثُ يَسْتَنُّ الفُراتُ ، رَسولُ
تَحِنُّ إلى ماءِ الصَّراةِ رَكائِبي وَصَحْبى بِشَطَّى زَرْنَروذَ حُلولُ
أَشَـوْقـاً وَأَجْـوازُ الـمَـهـامِهِ بَـيْـنَـنـا يَـطـيـحُ وَجـيـفٌ دُونَـهـا وَذَمـيـلُ
ألا ليْتَ شِعْرى هل أرانى بغبطةٍ أَبِـيـتُ عَـلَـى أَرْجـائِـهـا وَأَقـيـلُ
هَواءٌ كَأَيَّام الهَوى ، لا يُغِبُّهُ نَسيمٌ ، كَلَحْظِ الغانِياتِ ، عَليلُ
وَعَصْرٌ رَقيقُ الطُّرَّتَيْنِ تَدَرَّجَتْ عَلَى صَفْحَتَيْهِ نَضْرَةٌ وَقَبُولُ
وَأَرضٌ حَصاها لُؤْلُؤٌ وَتُرابُها نَضَوَّعَ مِسْكاً ، وَالمِياهُ شَمولُ
بِها العَيْشُ غَضٌّ ، والحياةُ شَهِيَّةٌ وَلَيْلى قَصيرٌ ، وَالهَجيرُ أَصيلُ
فَقُلْ لأَخِلاَّئِى بِبَغْدادَ هَلْ بِكُمْ سُلُوٌّ ، فَعِنْدى رَنَّةٌ وَعَويلُ
تُـرَنِّـحُـنـى ذِكْـراكُـمْ فَـكَـأَنَّـمـا تَميلُ بِى الصَّهْباءُ حِينَ أَميلُ
لَئِنْ قَصُرَتْ أيامُ أُنْسى بِقُرْبِكُمْ فَلَيْلى عَلى نَأْى المَزارِ طَويلُ
وَحَولى قَوْمٌ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّني بهمْ - وَهُمْ بى يَكْثُرونَ- قَليلُ
إذا فَتَّشَ التجْريبُ عَنْهُمْ تَشابَهَتْ سَجايا كَأَطْرافِ الرِّماحِ ، شُكولُ
وَلَوْ لَمْ نَرِمْ بَطْحاءَ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بِها غرَرٌ مِنْ مَجْدِنا وَحُجولُ
إذا ذُكِرَتْ آلُ ابنِ عَفَّانَ أَجْهَشَتْ حُزونٌ ، وَرَنَّتْ بِالحِجازِ سُهولُ
بِرَغْمِ العُلا تُمْسى وَتُصْبِحُ دُورُهُمْ وَهُـنَّ رُسـومٌ رَثَّـةٌ وَطُـلـولُ
تُرَشِّحُ أُمُّ الخِشْفِ أَطْلاءَها بِها وَتَسْحَبُ فيها لِلرِّياحِ ذُيولُ (٢)
أثِرْها أَبا حَسَّانَ حُذْباً كَأَنَّها نُسوعٌ عَلَى أَوْساطِهِنَّ تَجولُ

---

(١) فى لسان العرب : « يقال : هم عب الشمس ، ورأيت عب الشمس ، ومررت بعب الشمس ، يريدون عبد شمس ، وأكثر كلامهم رأيت عبد شمس ، . . . ومنهم من يقول : عبّ شمس بتشديد الباء يريد عبد شمس ، وقال ابن سيده : عب شمس قبيلة من تميم والنسب إلى جميع ذلك عبشمى » .

(٢) فى لسان العرب « الخشف : الظبى بعد أن يكون جداية ، وقيل : هو خشف أول ما يولد ، وقيل : هو خشف أول مشيه ، والجمع خِشفة ، والأنثى بالهاء . وقال الأصمعى : أول ما يولد الظبى فهو طلا . وقال غير واحد من الأعراب : هو طلا ثم خشف » . والأطلاء : جمع طلا ، والطلا من أولاد الناس والبهائم والوحش من حين يولد إلى أن يتشدد . والجمع أطلاء وطلى وطليان وطليان .

فقد أنْكَرَ الْياسُ النزارِى مُكْثَنا وَخِنْدِفُ بِنْتُ الحِمْيَرِى عَذولُ
إذا لَمْ تُنَوِّهْ بِالمَكارِمِ هِمَّتى نَشَبَّتْ بى - حاشا عُلايَ - خُمولُ
تُعَيِّرُنى بِنْتُ المُعاوِى غُرْبَتى وَكُلُّ طُلوعٍ يَقْتَفيهِ أُفولُ
وَتَعْجَبُ أنِّى مِنْ مُمارَسَةِ النَّوى نَحيفٌ ، وفى مَتْنِ القَناةِ ذُبولُ
لَئِنْ أنْكَرَتْ مِنِّى نُحولاً فَصارِمي يُغازِلُهُ فى مَضْرِبَيْهِ نُحولُ
وَلَمْ تُبْدِعِ الأيَّامُ فِى بِنَكْبَةٍ فَبَيْنى وَبَيْنَ النائِباتِ ذُحولُ

## إخواننا بينَ الفراتِ وجلق

قالَ أبو العلاء :

[الطويل]

طَرِبْنَ لِضَوْءِ البَارِقِ المُتَعالى بِبَغْداد ، وَهْناً ، مَا لَهُنَّ وما لى [1]
سمَتْ نحوَهُ الأبْصار حتَّى كأنَّها بنارَيْه مِن هَنَّا وثَمّ ، صَوالى
إذا طالَ عنها سَرّهَا لو رُؤوسُها تُمَدّ إليه فى رُؤوسِ عَوالِ
تمنَّتْ قُوَيْقاً ، والصَّرَاةُ حِيالَها تُرابٌ لها ، مِن أيْنُقٍ وجِمالِ [2]
إذا لاحَ إيماضٌ سَتَرْتُ وُجوهَها كأنِّى عَمْرٌو ، والمَطِى سَعالى
وكَمْ هَمّ نِضْوٌ أنْ يَطيرَ مَعَ الصَّبا إلى الشّأم ، لَولا حَبْسُهُ بِعِقالِ
ولَولا حِفاظى ، قلتُ للمَرْءِ صاحبي بسَيْفِكَ قَيِّدْها ، فلستُ أُبالى
أأبغى لها شَرًّا ، ولم أرَ مِثْلَها سَفَايِرَ لَيلٍ أوْ سَفائِنَ آلِ
وهُنَّ مُنِيفاتٌ ، إذا جُبْنَ وادياً تَوَهَّمْنَنا ، منهُنّ ، فوْقَ جِبالِ
لقَد زارنى طَيْفُ الخَيالِ فهَاجَني فهَل زارَ هذى الإبلَ طَيْفُ خَيالِ؟
لعَلَّ كَراهَا قَد أراها جِذَابَها ذَوائبَ طَلْحٍ ، بالعَقيقِ ، وضَالِ
وَمَسْرحَها فى ظِلّ أحْوَى ، كأنَّها إذا أظْهَرَتْ فيه ، ذَواتُ حِجالِ

---

(۱) سقط الزند ص ٢٤٤

(۲) القُوَيق : نهر بحلب يفيض شتاء ، وينضب فى الصيف . والصراة أحد أنهار بغداد وقد سبق تعريفه .

حَلُمْنا بأسْنانِ الكُهُولِ ، وهَذِهِ    شَـوارِفُ تَـزهـاهـا حُـلـومُ إفـالِ
ترى العَودَ منها باكياً ، فكأنَّه    فَصِيلٌ ، حَماهُ الخِلْفَ رَبُّ عِيالِ
فآبكَ ، هَذَا أخضرُ الحال ، مُعْرِضاً    وأزْرَقُ ، فاشرَبْ وارْعَ ناعِمَ بالِ
ستَنْسَى مِياهاً ، بالفَلاةِ ، نَمِيرَةً    كـنِـشْـيـانـهـا وِرْداً بـعَـيْـنِ أثـالِ
وإنْ ذَهَلَتْ عمّا أجِنّ ، صُدورُها    فقَد ألْهَبَتْ وَجْداً نُفوسَ رِجالِ
ولو وَضَعَتْ فى دِجْلَةَ الهامَ لم تُفِقْ    مِن الجَزْعِ ، إلاّ والقُلوبُ خَوالِى
تذَكّرْنَ مُرّاً ، بالمَناظِرِ ، آجِناً    عليه ، مِن الأرْطَى ، فُرُوعُ هَدالِ
وأعْجَبَها خَرْقُ العِضَاهِ أُنوفَها    بمِثْلِ إبَارٍ ، حُدّدتْ ، ونِصَالِ
تَلَوْنَ زَبوراً فى الحَنِينِ ، مُنَزَّلاً    عليهِنّ فيه الصَّبرُ غيرُ حَلالِ
وأنْشَدْنَ مِن شِعْرِ المَطايا قصِيدةً    وأوْدَعْنها ، فى الشوْقِ ، كلَّ مَقالِ
أمِـنْ قِـيـلِ عـوْدٍ أمْ رِوايَـةِ    أتَـتْـهُـنّ عَـنْ عَـمٍّ لـهُـنّ وَخـالِ؟ (1)
كأنّ المَثانى والمثالِثَ ، بالضّحَى    تَجاوَبُ فى غِيدٍ ، رُفِعْنَ ، طوالِ
كـأنّ ثـقِـيـلاً أوّلاً تـزدَهِـى بـه    ضَمائِرُ قوْمٍ ، فى الخطوبِ ، ثِقالِ
بكى سامِرى الجَفْنِ إنْ لامسَ الكَرَى    له هُدبُ جَفْنٍ ، مَسُّهُ بسِجالِ
فليْتَ سَنيراً بانَ منه ، لصُحْبَتي    برَوْقَى غَزالٍ ، مِثْلُ رَوْقِ غَزالِ
ومَنْ لى بأنّى فى جَناحِ غَمامةٍ    تُشَبّهُها ، فى الجُنْحِ ، أُمَّ رِئالِ
تَهادانى الأرْواحُ ، حتّى تَحُطّني    عَلَى يَدِ رِيحٍ ، بالفُراتِ ، شِمالِ
فيا بَرْقُ! لَيسَ الكَرْخُ دارى وإنّما    رَمانى إليهِ الدّهرُ مُنْذُ لَيالِ
فهَل فيكَ ، مِن ماء المَعَرّةِ ، قَطْرَةٌ    تُغِيث بِها ظَمْآنَ ، ليسَ بسالِ؟
دعا رَجَبٌ جَيْشَ الغَرام فأقبلَتْ    رِعالٌ ، تَرُودُ الهَمَّ ، بَعْدَ رِعالِ
يُغِرْنَ علَى ، اللّيلَ ، إذْ كلُّ غارَةٍ    يَكونُ لها ، عندَ الصّباحِ ، تَوَالِ
ولاحَ هِلالٌ مِثْلُ نُونٍ ، أجادَها    بجارِى النُّضارِ ، الكاتبُ ابنُ هِلالِ
فذَكّرَنى بَدْرَ السّماوَةِ ، بادِناً    شَفا لاحَ مِن بَدرِ السّماءةِ ، بالِ
وقَد دَمِيَتْ خَمْسٌ لها عَنَمِيّةٌ    بإدْمانِها ، فى الأزْمِ ، شوْكَ سِيالِ
تقولُ ظِباءُ الحَزْمِ والدّمْعُ ناظِمٌ    عَلَى عِقَدِ الوَعْساءِ ، عِقْدَ ضَلالِ

(1) كذا فى الأصل . والشطر الأول غير مستقيم الوزن وغير واضح الدلالة .

لقَد حَرَمْتِنا أثقَلَ الحَلْى أُخْتُنا    فما وَهَبَتْ إلاّ سُموطَ لآلي
فإنْ صَلَحَتْ ، للناظمينَ ، دُموعُنا    فأنْتُنّ ، منها ، والكَثيبُ حَوالِ
جَهِلْتُنّ أنّ اللّؤلؤ الذّوْبَ عندنا    رَخيصٌ ، وأنّ الجامِداتِ غَوالِ
ولو كانَ حقّاً مَا ظَنَنْتُنّ ، لاغْتدَتْ    مَسافةُ هَذا البَرّ سِيفَ أوَالِ
أإخْوانَنا ، بينَ الفُراتِ وجِلّقٍ    يدَ اللّهِ ، لا خَبّرْتُكمْ بمُحالِ
أُنَبّئُكمْ أنّى ، عَلَى العَهْدِ ، سالمٌ    وَوَجْهِى لَمّا يُبْتَذَلْ بسُؤالِ
وأنّى تيَمّمْتُ العِراقَ لغَيرِ ما    تيَمّمَهُ غَيْلانُ ، عِندَ بِلالِ
فأصْبَحْتُ محموداً بفَضْلى وَحْدَه    عَلَى بُعْدِ أنصارى وقِلّةِ مالى
نَدِمْتُ عَلَى أرضِ العواصِمِ ، بعدَما    غدَوْتُ بها ، فى السّوْمِ ، غيرَ مُغالِ
ومِن دونِها يوْمٌ مِن الشّمسِ عاطِلٌ    ولَيْلٌ ، بأطرافِ الأَسِنّةِ ، حالِ
وشُعْثٌ ، مَدارِيها الصّوارِمُ والقَنا    ولَيسَ لها إلاّ الكُماةَ فَوالِ
أرُوحُ ، فلا أخشى المَنايا ، وأتّقي    تَدَنُّسَ عِرْضٍ ، أوْ ذَميمَ فِعالِ
إذا مَا حِبالٌ ، مِن خليلٍ ، تصرّمَتْ    عَلِقْتُ بخِلٍّ غَيْرِهِ بحِبالِ
ولو أنّنى ، فى هالةِ البَدرِ ، قاعِدٌ    لَمَا هابَ يوْمى رِفْعَتى وجَلالى

## سؤالى عن أهل بغداد

قال أبو العلاء :

[الطويل]

مَغانى اللّوَى مِن شخصِكِ اليوْمَ أطلالُ    وفى النّوْم مَغْنًى مِن خيالِكِ مِحلالُ (1)
مَعانِيكِ شَتّى ، والعبارَةُ واحِدٌ    فطَرْفُكِ مُغْتالٌ ، وزَنْدُكِ مُغْتالُ
وأبغضْتُ فيكِ النّخْلَ ، والنخلُ يانعٌ    وأعْجَبَنى مِن حُبّكِ الطلْحُ والضّالُ
وأهْوى ، لجَرّاكِ ، السّماوَةَ والقَطا    ولو أنّ صِنفَيْهِ وشاة وعُذّالُ
حملْتِ مِن الشّامَينِ ، أطْيَبَ جُرْعة    وأنْزَرَها ، والقَوْمُ بالقَفْرِ ضُلالُ
يلُوذُ بأقطارِ الزّجاجةِ ، بَعْدَما    أُرِيقَتْ ، لِما أهْدَيتِ فى الكُثرِ ، أمثالُ

(1) سقط الزند ص ٢٢٨ .

فسَقْياً لكاسٍ مِنْ فمٍ مِثْلِ خاتِمٍ      مِن الدُّرّ ، لم يَهْمُمْ ، بتقبيله ، خالُ
صَحِبْتِ كَرَانا ، والرِّكابُ سَفائِنٌ      كعادِكِ فِينا ، والركائِبُ أجْمالُ
عُمْتِ إلينا أمْ فِعالَ ابنِ مَرْيمٍ      فعَلْتِ ، وهلْ يُعْطى النبُوّةَ مِكْسالُ؟
كأنّ الخُزامى جمّعَتْ لكِ حُلّةً      عليكِ بها فى اللّوْنِ والطِّيبِ سِرْبالُ
عجِبْتُ ، وقد جُزْتِ الصَّراةَ ، رِفِلّةً ،      وما خَضِلَتْ ، مما تَسَرْبلْتِ ، أذْيالُ
متى يَنْزِلُ الحَى الكِلابى بالِساً      يُحَيّيكِ عنّى ظاعِنونَ وقُفّالُ؟
تَحِيّةَ وُدٍّ ، مَا الفُراتُ وماؤه      بأعْذَبَ منها ، وهوَ أزْرَقُ سَلْسالُ
فإنْ زَعَمُوا أنّ الهَجِيرَ اسْتَشَفّهُمْ      إليها ، فمِنْها فى المَزايِدِ أسْمالُ
أتَعْلَمُ ذاتُ القُرْطِ والشُّنْفِ أنّنى      يشنقنى ، بالزّأرِ ، أغْلَبُ رِئْبالُ؟
فيا دارَها بالحَزْنِ إنّ مَزارَها      قريبٌ ، ولكنْ دونَ ذلكَ أهْوالُ
إذا نحْنُ أهْلَلْنا بنُؤيكِ ساءنا      فهَلاً ، بوَجْهِ المالِكِيّةِ ، إهْلالُ
تُصاحِبُ ، فى البيْداءِ ، ذِئْباً وذابِلاً      كِلا صَاحِبيْها ، فى التُّنوفةِ ، عَسّالُ
إذا أغْرَبَ الرُّعْيانُ عنها سَوامَها      أُريحَ عليها ، اللّيلَ ، هَيْقٌ وَذَيّالُ
تُسيءُ بِنا يَقْظى ، فأمّا إذا سَرَت      رُقاداً ، فإحْسانٌ إلينا ، وإجْمالُ
بكَتْ ، فكأنّ العِقْدَ نادى فريدَهُ :      هَلِمّ لعَقْدِ الحِلْفِ ، قُلْبٌ تَنْهالُ ؟
وهَل يَحْزُنُ الدّمْعَ الغريبَ قُدومُهُ      عَلَى قَدَم ، كادَتْ مِن اللّينِ تَنْهالُ؟
تَحلّى النّقا دُرّيْنِ : دَمْعاً ولُؤلُؤاً      وَوَلّتْ أصِيلاً وهْى كالشمسِ مِعْطالُ
بأشْنَبَ مِعْطارِ الغَريزَةِ ، مُقْسِمٍ      لسائِفه ، أنّ القَسِيمَةَ مِتْفالُ
فلا أخْلَفَ الدّمْعَ ، الذى فاضَ ، شأنُها      دُعاءً لها ، بَلْ أخْلَفَ النّظْمَ لأّالُ
وغَنّتْ لنا ، فى دارِ سابُورَ ، قَيْنَةٌ      مِن الوُرْقِ ، مِطرابُ الأصَائِلِ ، ميهالُ
رأتْ زَهَراً غضّاً ، فهاجَتْ بمِزْهَرٍ      مَثانِيهِ أحْشاءٌ لُطِفْنَ ، وأوْصالُ
فقُلتُ : تَغَنّى ، كيفَ شِئْتِ ، فإنّما      غِناؤكِ عِندى ، يا حَمامَةُ ، إعْوالُ
وتَحْسُدُكِ البِيضُ الحَوالى قلادَةً      بجِيدِكِ فيها مِن شذا المِسْكِ تِمْثالُ
ظَلَمْنَ وبَيْتِ الله ، كمْ مِنْ قلائد      تُؤازِرُها سُورٌ لهُنّ ، وأحْجال
فآلَيْتُ مَا تَدْرى الحَمائمُ بالضّحى      أأطواقُ حُسْنٍ ، تلكَ ، أم هُنّ أغلالُ
بدَتْ حَيّةٌ قَصْراً ، فقلتُ لصاحبى :      حياةٌ وشَرٌّ ، بِئْسَ مَا زَعَمَ الفالُ!
أتُبْصِرُ ناراً أُوقِدَتْ لخُوَيْلِد      ودونَ سَناها ، للنجائبِ ، إرْقالُ

وأقْتالُ حَرْبٍ يفْقدُ السَّلْمُ فيهِم   عَلَى غيرِهمْ أمْضَى القَضاءِ وإقْتالُ
وعَرضُ فَلاةٍ يُحرِمُ السَّيْفُ وَسْطَها   ألا إنّ إحْرَامَ الصَّوارِمِ إحْلالُ
إذا قُدِحَتْ ، فالمَشْرَفِى زِنادُها   وإنْ هى حُشَّتْ ، فالعوامِلُ أجذالُ
تمَنَّيْتُ أنَّ الخَمْرَ حَلَّتْ لنَشْوَةٍ   تُجَهِّلُنى ، كيفَ اطمَأنَّتْ بى الحالُ
فأذْهَلُ أنى بالعِراقِ عَلَى شَفَا   رزِى الأمانى ، لا أنِيسٌ ولا مالُ
مُقِلٌّ منَ الأهْلَينِ : يُسْرٍ وأُسْرَة   كَفى حَزَناً بَيْنٌ مُشِتٌّ وإقْلالُ
طَوَيْتُ الصِّبَى طَيَّ السِّجِلِّ ، وزارَنى   زَمانٌ له ، بالشيْبِ ، حُكْمٌ وإسجالُ
متى سألَتْ بَغدادُ ، عنّى ، وأهْلُها   فإنّى ، عَنْ أهلِ العَواصِمِ ، سَآلُ
إذا جَنّ لَيْلى جُنّ لُبّى ، وزائِدٌ   خُفُوقُ فُؤادى ، كلّما خَفَقَ الالُ
وماءُ بلادى كانَ أنْجَعَ مَشْرَبا   ولو أنّ ماءَ الكَرْخِ صَهْباءُ جِرْيالُ
حُروفُ سُرىً ، جاءَتْ لمعْنىً أرَدتُه   بَرَتْنِى أسْماءٌ لهُنّ وأفْعالُ
يُحاذِرْنَ مِن لدغ الأزِمّةِ ، لا اهتَدى   مُخَبِّرُها أنّ الأزِمّةَ أصْلالُ
فيا وَطَني! إنْ فاتَنى بكَ سابِقٌ   مِن الدّهرِ ، فلْيَنْعِمْ لساكِنِك البالُ
فإنْ أسْتَطِعْ فى الحَشْرِ آتِكَ زائرا   وهَيْهاتَ لى يوْمَ القِيامَةِ أشْغالُ
وكَمْ ماجِدٍ فى سِيفِ دِجْلَةَ لم أشِم   له بارِقاً ، والمَرْءُ كالمُزْنِ هَطّالُ
مِن الغُرّ ، تَرّاكُ الهَواجِرِ ، مُعْرِضٌ   عنِ الجَهْلِ ، قذّافُ الجواهِرِ ، مِفْضَالُ
سيَطْلُبُنى رِزْقى ، الذى لو طَلَبْتُهُ   لمَا زادَ ، والدنيا حُظوظٌ وإقْبالُ
إذا صَدَقَ الجَدُّ افترى العَمُّ للفتى   مكارِمَ لا تُكرى ، وإنْ كذَبَ الخالُ

## أتمنى العراق

وقال صفى الدين الحِلِّى [1] :

[الخفيف]

أتُرى البارقَ ، الذى لاحَ ليلا   مَرّ بالحَى من مَرابعِ لَيلَى
وتُرى السُّحبَ مُذ نشأنَ ثِقالاً   سَحَبتْ فى رُبوعِ بابَلَ ذَيلا

(١) ديوانه ص ٢٨٩ .

ما أضا البارقُ العِراقىّ ، إلاّ أرسلَتْ مُقلَتى من الدّمعِ سيَلا
وتَـذَكَـرْتُ جِـيـرَةً بـمـغـانيـهِ ونَدباً من آلِ سنبسَ قَيلا
عمَّنا بالوَدادِ فى حالَةِ القُرْبِ ، وأهدى لَنا عَلَى البُعدِ نَيلا
وحَمَلنا بضاعة الشكرِ مُزجاةً ، فأوفَى لَنا من الوُدّ كَيلا
كيفَ أنسَى تلكَ الدّيارَ ومغنًى عامراً قد رَبيتُ فيهِ طُفَيلا
أتَمَنّى العراقَ فى أرضِ حرّانَ ، وهل تُدرِكُ الثرَيّا سُهَيلا
يا ديارَ الأحبابِ ما كانَ أهنى بمغانيك ، عيشنا ، وأُحَيلى
كَمْ جلَونا بأفقِكِ البدرَ صُبحاً واجتَلَينا بجَوّكِ الشَمسَ لَيلا
وأمـنـا الأعـداءَ لـمّـا جَعَـلـنـا سُورَ تلكَ الدّيارِ رَجْلا وخَيلا
أنتدى فى حِماكِ كَعباً ، ومغنّى وإذا شئتُ سنبساً وعُقَيلا
أُورِدُ العِيسَ نهرَ عيسى وطوراً أُورِدُ الخَيلَ دِجلة ودجيلا
إنْ ورَدتَ الهيجاءَ يا سائقَ العيسِ ، وشارَفتَ دوحَها والنَخيلا
ورأيتَ البدورَ فى مَشهَدِ الشمسِ بـفـتـيـانِ بـانَـةٍ والأثـيـلا
مِلْ إليها واحبِسْ قليلاً عليها إنّ لى نحوَ ذلكَ الحَى مَيلا
وأبلـغ الرّمـلَةَ الأنيـقَةَ وابلـغْ مَعشَراً لى برَبعِها وأُهَيلا :
كنتُ جَلْداً ، فلم يدَعْ بينُكم للجسم حَوْلاً ولا لقَلبى حَيلا
قد ذَمَمنا بُعَيْدَ بُعدِكُم العَيشَ ، فَليتَ الحِمامَ كانَ قُبَيلا

## يا رعى الله عهد بغداد

قالَ عبد الغفار الأخرس [1] :

[الطويل]

عليكَ دُموعُ العَينِ لا زال تَنْهَلُّ وَوَجْدى بكم وَجْدُ المفارقِ لا يَسْلو
وها أنا مِن فقدانكم مَا دَجا ليل (أبيتُ ولى وَجْدٌ حرارته تعلو)
(ودمع لَهُ فى عارضى عارض هطلُ)

شُغِلْتُ بهَذَا الوجد قلباً مجّذذاً ولم أر لى مِن شاغل الدّمع منقذا
إلامَ أُعانى مَا أعانيه مِن أذى وأطوى عَلَى جمرٍ وأُغْضى عَلَى قذى
(وأشغلَ أعضائى وقلبى لَهُ شغلُ)

أُقضى نهارى فى عَسَى ولرُبَّما وأبكى عليكم كلَّ آونةٍ دَما
وإنّى وعيشٍ فيكم قَد تصرَّما (إذااللّيل وافى ضِقْتُ ذرعاً إلى الحِمَى
(وفاضت شؤون لَيسَ يعقِلُها عَقْلُ)

شَجانى حَديثٌ بالبَوار مُصَرِّحُ وأوَضَحَ لى حالَ الرُّصافةِ مُوضحُ
فمِن ثَمَّ إنْ يُفضِح وللشوقِ مفصحُ (حَدانى إلى الزّوراء شوق مبرِّح)
(فماذا الذى حُدِّثتُ عَنْ حالها سهلُ)

وقالوا نَبَتْ لكنْ بأرباب فضلها وجارَتْ عَلَى أشرافِها بعدَ عدلِها
فقلتُ ولا مأوىً إلى غير ظلها (إذا مَا نبت دارُ السّلام بأهلها)
(فلا جبلٌ يؤوى الكرامَ ولا سهلُ)

---

(١) عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب (١٢٢٥ - ١٢٩٠هـ = ١٨١٠ - ١٨٧٣م) : شاعر من فحول المتأخرين . ولد فى الموصل ، ونشأ ببغداد ، وتوفى فى البصرة . ذاعت شهرته ، وتناقل الناس شعره . ولقب بـ « الأخرس » لحبسة كانت في لسانه . له ديوان سمى (الطراز الأنفس فى شعر الأخرس) والقصيدة تخميس لأبيات العلامة أبي الثناء الآلوسى التي أرسلها من الآستانة إلى بغداد ، بثَّ فيها شوقه وحنينه . وهى من ديوانه ص ٣٧١ .

عَلَى مَا أُصيبَت مِن عظيم مصابها وما آذَنَتْ أحداثها بخرابها
فلا ظِلَّ إلاَّ فى فسيح رحابها (وإنْ قَلَصَ الظلّ الذى فى جنابها)
(فأينَ مِن الرّمضاء فى غيرها ظلّ)

أيُعرفُ خفضُ العيش إلاّ بخفضها وفيض النّمير العذب إلاّ بفيضها
لئن أجدَبَتْ يَوْماً فهَل مِثْل روضها (وإنْ نَضَبَ الماء النّمير بأرضها)
(فأىُّ شرابٍ فى سواها لَنا يحلو)

رعى الله ماضى عَهدى المتقادمِ ببَغْدادَ فى رغدٍ منَ العَيْش ناعم
وفى الكرخِ جادالكرخَ صوبُ الغمائمِ (ديارٌ بِها نيطَتْ عَلَى تمائمى)
(قديماً ولى فيهاَ نما الفرعُ والأصلُ)

يكلِّفُنى عنها النّوى فوقَ طاقتي فسُكرى بتذكارى بِها وإفاقتي
منازلُ أحبابى ومنشا علاقتي (بِهاسَكنى، فى رَبعهاالخصبناقتى)
(بِها جَملى يرغو ، بِها قِيمتى تغلو)

تَذكَّرتُ أحباباً لأيامِ جَمعها ولم يَصْدَعِ البينُ المشتُّ بصَدْعها
فآهاً عَلَى وصلى لها بعد قطعها (ألا لَيْتَ شَعرى هَل أرانى بربعها)
(مقيماً وبالأحباب يجتمع الشّمل)

عفا ربعها مِن رَسْمِه وطلوله وأضحى هشيماً روضها بمحوله
فيا هلْ يروّيها الحيا بهموله (وهَل روضها يخضرُّ بعد ذبوله)
(ويهمى عَلَى أوراقه الوبل والطل)

لقَد شاقنى منها كرامٌ أماجدُ مشاهِدُهم للعالمينَ مقَاصِدُ
فهلْ أَنا فى تلكَ المقاعد قاعد (وهَل أَنا فى يَوْم العروبة قاصد)
(لحضرة بازٍ شأنها الفصلُ والوصلُ)

وهَل أَنا يَوْماً ظافرٌ بمقاصِدى فمكرمُ أحبابى ومكبتُ حاسِدي
وأجرى مَعَ الإخوانِ مجرى عوائدى (وهلْ كلّ يَوْم لاثم كفَّ والدي)
(أبى مصطفى ذى همة أبداً تعلو)

وهَلْ علماءٌ طبَّقَ الأَرض علمُهُمْ وخَيَّر أفهامَ البريّةِ فَهْمُهُمْ
تَقَرّ بهم عَينى وينجاب غمّهم (وهَل أدباء الجانبينِ يضمّهم)
(وإيّاى طاقٌ نَقله الأدب الجزلُ)

فأغدو ولا كانَ التّفرُّق لاقيا وجُوها عليها قَد بَلَلْتُ المآقيا
بطاقِ رقى فيمَنْ حواهُ المراقيا (وذَلكَ طاقُ الشّهم لا زال باقيا)
(له العَقْد فى أرجائه وله الحلُّ)

وهلْ يُرينى مُصبحاً كلّ منجب وخوّاض أغمارِ الخطوب مجرب
وكلّ فتىً عذب الكلام مهذّب (وهَل يريّنى ذاهباً بعد مغرب)
(لتكية شيخِ العصر مَن جَوْرُه العَدل)

بناها لأشياخ قراره عِزّهم وَصَدَّرَهم فيها ولاذَ بحرزهم
وإنْ كانَ لم يفقه إشارة رمزهم (ففيها صدورٌ لازموه لعجزهم)
(وما ظعنُوا بالسير عنه وقَد كلّوا)

بَلَوْنا سراها بعد إصرام حبلها فكانَ مِن البلوى تعذُّرُ مِثْلها
ديارٌ عَرَفْنا بعدها كنه فضلها (سلام عَلَى تلكَ الدّيار وأهلها)
(فهم فى فؤادى دائماً أينما حلّوا)

يَروقُ لعَيْنى أنْ تكونَ جلاءَها وتشتاقُ نفسى أرضَها وسماءَها
ومَن قالَ أسلو ماءَها وهواءَها (فوالله لا أسلو هواها وماءها)
(إذا كانَ قلبى عندها فمتى أسلو)

أحبَّتَنا مِنّى السّلامُ عليكمُ     إذا نُشِرَتْ صحفُ الغرام لديكمُ
أحبَّتنا والدهرُ أبعد عنكمُ     (أحِبَّتنا هلْ مِن وُصولٍ إليكمُ)
(فقَد تعبت بينى وبينكم الرّسل)

تناءَيت عنكم والهوى فيكم معى     كأنْ لم أكُن منكم بمرأى ومسمع
وقَد طالَ بُعدى عَنْ ديارى وأربعي     (ألا هِمَّةٌ تُرجى ووصلٌ مُرجعي)
(لديكم إذا شئتم بِهِ اتصل الحبل)
أَحِبَّتَنا أصبو إلى حسن قولكم     وإنْ ذُقْتُ فيه المُرَّ مِن حُلو عذلكم
أجِنُّ لمغناكم وسامى محلكم     (وإنّى بناديكم عَلَى سُوء فعلكم)
(أرى أبداً عندى مرارته تحلو)

سألتُ إلهاً لم أَخِبْ بسؤاله     بلوغَ المنى مِن فضله ونواله
وأدعو دعاءَ العبدِ عندَ ابتهاله     (وأسأل ربى بالنبى وآله)
(يسهّل عَودى نحوكم وله الفضل)

## قمر بالموصل

وفى دير الموصل من ديوان الخالديين :

[الكامل]

قمرٌ بديرِ الموصلِ الأعلى     أَنا عبدُهُ وهواهُ لى مَولى [1]
لثمَ الصّليبَ فقلتُ مِن حسدٍ     قُبَلُ الحبيبِ فمى بِها أولى
جُدْ لى بإحداهنَّ تحويها     قلبى محبتُه عَلَى المقلى
فاحمرَّ مِن خجلٍ وكَمْ قطفَتْ     عينى شقائقَ وجنةٍ خجلى
وثكلتُ صبرى عندَ فُرقتِهِ     فعرفتُ كيفَ مصيبةُ الثّكلى

---

(١) معجم البلدان ج٢ ص ٤٩٩ .

## ليلة على جسر مود

وقال الرصافى يصف ليلة مقمرة وهو على «جسر مود» ببغداد :

[الكامل]

لا تبكِ أربعَهم ولا الأطلالا   واربأْ بحبِّك أنْ يكونَ خيالا [1]
واتركْ سؤالَكَ للرسوم فإنَّها   مما يزيدُكَ بالسّؤالِ ضلالا
وانظرْ إلى حسنِ الطبيعةِ إنَّه   حُسنٌ يفيدُكَ فى الحياةِ كمالا
حسنٌ يقيدُ من رآهُ بحبِّه   ويَفكُّ من أفكارِهِ الأغلالا
ويطيرُ فى جوِّ السّرورِ مُرَفرفاً   بالمشتكينَ كآبةً وملالا
أوَ ما تَرى البدْرَ المنيرَ إذا بدا   يكسو الدُّجى من نورِهِ سربالا
ولقد وقفتُ بجسرِ مُودَ عشيةً   والبدرُ فى أفقِ العُلى يتلالا
والليلُ يلبسُ من سَناهُ مطارِفاً   منها يجرُّ بدجلةٍ أذيالا
أمَّا النسيمُ فقد جرى متعطراً   وحكى بطيبِ هُبوبِهِ الآمالا
وجبينُ دجلةَ قد صفا متألقاً   فحكى السّماءَ محاسناً وجمالا
فحسبتُ نفسى فى السّماءِ مُشاهداً   تحتى بدجلةَ للسماءِ مثالا
ورأيتُ من فوقِ السّماءِ حقيقةً   ورأيتُ من تحتى السّماءَ خيالا
فكأنَّما الجسرُ الذى أنا فوقَه   قد مدَّ فى جوِّ السّماءِ مشالا
وكأنَّما أنا فى السّماءِ محلقٌ   طَوراً أسفُّ وتارةً أتعالى
للهِ ما شاهدتهُ من مَنظرٍ   يدعُ الكئيبَ كشاربٍ جِريالا [2]
حُفَّتْ جوانبُه بكلِّ بديعةٍ   فزها جمالاً واستقلَّ جلالا
حتَّى نخيلُ الجانبينِ جميعُها   قامَت له بحفاوةٍ إجلالا

---

(١) ديوانه ص ٢٦٦ .

(٢) الجريال : الخمر الشديدة الحمرة .

## سنأخذ هَذَا الحق

إبراهيم أدهم الزهاوى :

[الطويل]

أعيدُوا إليها روعةَ الزمنِ البالى وزيدُوا عَلَى مَا كانَ فى العصرِ الخالى [1]

ولا تأملُوا مِن غيرِكم أنْ يمدَّها فلستم بآلى إنْ ركنْتم إلى آلِ

عليكم لها حقٌّ صريحٌ فإنَّها كـثـيـرةُ آلاءِ قـلـيـلـةُ أمـثـالِ

وأقسمُ لو أنّى عرفتُ فراقَها لحالَ فؤادى بينَ حلٍّ وترحالى

أصرمٌ حبالُ العامريةِ هَل أرى بـأمـثـالِـهـا إلاَّ زخـارفَ مـثـالِ

بـنـاءٌ فـإعـلاءٌ ولَـيـسَ وراءَه يدُ اللَّهِ تجلو عَنْ سوابقِ أفضالِ

وما فاتها تلكَ الفروقُ وإنَّما صروفُ الليالى لا تُقرُّ عَلَى حال

فعادَ القصورُ العامراتُ دَوَارسًا وصارَ الرياضُ الناضراتُ لأدغال

وظلَّ بِها حسنُ الطبيعةِ قاتمًا كما ظلَّ فى خودٍ مِن الحَلْى معطالِ

أيا بنتَ هاتيكَ العزائمِ عودةً إلى ذَلكَ المجرى ، إلى الشرفِ الغالى

إلى نشركَ العلمِ العزيزِ علىَ الورى إلى كلِّ إحسانٍ إلى كلِّ إجمالِ

ويَوْم سلكناهُ سلكْنا بِهِ الردى بأبيضَ هزهازٍ وأسمرَ عسَّالِ

أتدرينَ مَنْ كُنَّا نجالد فيهِمُ أولى الجحفلِ الجرارِ والمدفعِ العالى

لهم فى السماءِ!! الطائراتُ كأنَّها عفاريتُ لكن لا تجنُّ عَلَى الحالى

إذا مَا رمَت مِن فوقِنا جاءَ وابلٌ مِن النارِ مِن سحبٍ شتيتةِ أوصالِ

وتسعى لهم فى الأرضِ كلُّ بليةٍ تسلقُ أجبالاً وتمشى بأوحالِ

صبرْنا عَلَى نيرانِهم بيدَ أنَّهم كذاتِ مخاضٍ والظبا بضعُ أميالِ

وما ثبتُوا إلاَّ وهم فى رعايةٍ مِن الجوّ تكفيهم عواقبَ أنذال

فهلا انبرُوا وجهًا لوجهٍ وشيمةٌ لئيميةٌ ، حربٌ ولا خوضَ أهوالِ

عَلَى أنّنا فزْنا بهم غيرَ مرَّةٍ فكانوا وكُنَّا مِثْلَ ضبعٍ ورئبالِ

قضَت منهم البيضُ المواضى حقوقَها ولم تترُكْ منهم معدًاً لإرسالِ

---

(1) ديوانه ص ١٤٤ .

بذلْنا الدماءَ الغالياتِ ولم ينلْ    فسيّانِ موتٌ أو حياةٌ بأغلالِ

وما ذَاكَ إلاَّ فى سبيلِك فاشهدى    فدينـاك إنَّا مِن سلالةِ أبطالِ

واسلم منا فى الصدورِ حفائظٌ    نـزاريـةٌ تُـبـدى خـوارقَ أفـعـالِ

فمنا الذى رجَّ الأنامَ بصوتِهِ    إذْ الأمرُ مقصورٌ عَلَى نصبِ(تمثالِ)

إذْ الناسُ فوضى لا كتابَ ولا هُدى    إذْ الحكمُ موكولٌ إلى كلِّ مختالِ

فسفَّه أحلامًا وعابَ عوائدًا    وأبطلَ أربابًا بأفصحِ أقوالِ

وأثبَتَ رجلاً لا تزحزحُ مكانها    إلى أنْ ثنى الدنيا إلى خيرِ أحوالِ

ومنا الأُلى قادُوا الجموعَ إلى الوغى    إلى الدولِ الكبرى أُولى الحولِ والمالِ

فدارتْ رُحاها فانجلَت عَنْ هزيمةٍ    وفتحٍ مبينٍ لم يعنَّ عَلَى بالِ

وصارَت إلى العربِ البلادُ وحكمُهم    مسيرَةَ عام مشىَ وجناءَ شملالِ

ومنا الأُلى خاضُوا البحارَ وحرّقوا    عَلَى الساحلِ الأُسطولَ خشيةَ إجفالِ

فكانَ لهم فى أرضِ (أندلس) يدٌ    صناعٌ وعيشٌ طيِّبُ الذِّكرِ والحالِ

ومنا الأُلى بثُّوا العلومَ وأشربوا    عِطَاشى النّهى مِن خالصِ الوردِ سلسالِ

أعادُوا (ارسطاليسَ) مِن بعدِ حينِهِ    وجاؤا (بأفلاطون) مِن عمقِ أجيالِ

وأنشِرَ (سقراط) فجاءَ إلى الورى    بأقوم أحكام وأعذب أمثال

كذا القدماءُ الغرُّ مِن فتحِ فاتحٍ    إلى فنِّ فنّانٍ إلى فضلِ مِفْضَالِ

ومَنْ تلكُ هاتيكَ الشُّموسُ جدودَهُ    فأعظمُ مِن أنْ يستنيمَ لإذلالِ

سنأخذُ هَذَا الحقَّ بالغَ وزنُه    ولا نعتفى منهم ولا نصفَ مثقالِ

أبينَا بأن يشرى العدوُّ بلادَنا    كما يشترى الأسمالَ مِن كفِّ دلاَّلِ

ممنّعةٌ أرواحُنا مَنْ يَسُومُها    حياةَ العبدَّى مستعزٌ بأموالِ

وكيفَ حياةٌ يعذبُ الموتُ دونَها    ولسْنا بنسوانٍ ، ولسْنا بأنذالِ

فلا ضعفَ هذى مِن متينِ طباعِنا    وجلَّ نزارٌ عَنْ أسافلِ أنسالِ

لَنا أملٌ باللّهِ جلَّ جلالُهُ    وبالزعماءِ الثابتينَ كأجبالِ

لقَد وفَّوا الحقَّ الذى فى رقابِهم    وما قصرُوا فى كشفِ بغيٍ وتضلالِ

وما تغلبُ الشّعبَ العظيمَ عصابةٌ    ولكنَّ حكمَ الدهرِ فى كفِّ آجالِ

ولا تسألن كيفَ استحالُوا شجاعة    فأنتَ عليهم يا مشجعهم جالى

# قافية الميم

## يا ديار السرور

قال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز : [الخفيف]

يا نسيمَ الجنوبِ بالله بلغْ ما يقولُ المتيَّمُ المستهامُ [1]
قلْ لأحبابِهِ فداكُم فؤادٌ ليسَ يسلو ومقلةٌ لا تنامُ
بِنتُمُ فالسهادُ عندى مقيمٌ مُذْ نأيتُم والعيشُ عندى حمامُ
فعلى الكرخِ فالقطيعةَ فالشطِّ فبابِ الشعيرِ منى السلامُ
يا ديارَ السرورِ لا زالَ يبكى بكِ فى مضحكِ الرياضِ غمامُ
رُبَّ عيشٍ صحبتُهُ فيكِ غضٌّ وجفونُ الخطوبِ عنَّا نيامُ
فى ليالٍ كأنَّهنَّ أمانٍ من زمانٍ كأنَّه أحلامُ
وكأنَّ الأوقاتَ فيها كؤوسٌ دائراتٌ وأنسهنَّ مدامُ
زمنٌ مسعدٌ وإلفٌ وَصولٌ ومنى تستلذُّها الأوهامُ
كلُّ أنسٍ ولذَّةٍ وسرورٍ قبلَ لُقياكُم علىَّ حرامُ

## استغاثة البصرة

قالَ البحترى [2] :

[الخفيف]

هَذِهِ البَصْرَةُ استَغاثَتْ إلى ذَبِّـ ـكَ عَنْها ، وَسَيْبِكَ المَقْسُومِ [3]
قُمْتَ فيها مَقامَ مُسْتَعْذَبِ المَا ءِ ، مَصيفاً ، وَمُسترَقِّ النَّسيمِ

(١) قرى الضيف ج ٤ ص ١٣ .

(٢) أبو عبادة ، الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائى البحترى المنبجى ، مات بمنبج ، وقيل : بحلب ، سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائتين

(٣) ديوانه ٢٢١ ، وهو يوجه قصيدته هذه لإبراهيم بن المدبر .

وَدَفَعْتَ العَظيمَ عَنْهَا وَلا يَدْ فَعُ كُرْهَ العَظيمِ غَيرُ العَظيمِ
نَازِلاً فى بَنى المُهَلَّبِ وَالفِتْ نَةُ تَسْطُو عَلى سَوَامِ المُسيمِ
كُنتَ فيهِمْ ، فكُنتَ أَوْفرَ حَظٍّ خُصّتِ الأَزْدُ فيهِ ، دونَ تميمِ

## فاجعة البصرة

قالَ ابن الرومى يرثى أهل البصرة ويذكر مَا نالهم من الورزينى صاحب الزَّنج
[الخفيف]

ذادَ عَنْ مُقْلِتى لذيذَ المنامِ شُغلها عنهُ بالدموعِ السجامِ [1]
أى نومٍ مِن بعد مَا حل بالبصْـ ـرَةِ مِن تلكمُ الهناتِ العظامِ؟
أى نومٍ مِن بعد مَا انتهك الزَّنْـ ـجُ جهارا محارم الإسلامَ؟
إنَّ هَـٰذَا مِـن الأمورِ لأمْرٌ كاد أنْ لا يقومَ فى الأوهامَ
لرأيْنا مُسْتَيْقظينَ أموراً حسبُنا أنْ تكونَ رُؤيا منامَ
أقدم الخائنُ اللعينُ عليها وعلى الله أيَّما إقدامَ
وتسمى بغير حقٍّ إماماً لا هدى اللّهُ سعيه مِن إمامَ
لهفَ نفسى عليكِ أيَّتُها البصـ ـرةُ لهفاً كمِثْل لهْبِ الضِّرامَ
لهفَ نفسى عليك يا معدن الخيـ ـراتِ لهْفاً يعضُّنى إبهامِي
لهفَ نفسى عليكِ يا قُبَّةَ الإسـ ـلامِ لهفاً يطولُ منه غرامِي
لهفَ نفسى عليكِ يا فُرضةَ البلـ ـدانِ لهفاً يبْقى عَلَى الأعوامَ
لهفَ نفسى لجمعكِ المتفاني لهف نفسى لِعِزكِ المُستضامَ
بينما أهلُها بأحسنِ حالٍ إذْ رماهمْ عبيدُهمْ باصطلامَ
دخلوها كأنَّهم قِطعُ اللّيـ ـلِ إذا راحَ مُدْلَهِمَّ الظلامَ
طلعُوا بالمُهَنّداتِ جَهْراً فألقتْ حملَها الحامِلاتُ قبلَ التَّمامَ
وحقيقٌ بأنْ يُراعَ أناسٌ غومضُوا مِن عدوِّهم باقتحامَ
أى هَوْل رأوا بهمْ أى هَوْلٍ حُقَّ منه تشيبُ رأسُ الغلامَ

---

(١) ديوانه ص ٣٣١ .

إذْ رموْهُمْ بنارهم مِن يمينٍ وشِمال وخلفِهم وأمامِ
كَمْ أغصُّوا مِن شاربٍ بشرابٍ كَمْ أغصُّوا مِن طاعم بطعامِ
كَمْ ضنينٍ بنفسِهِ رامَ مَنْجَى فتلقُّوا جبينه بالحسامِ
كَمْ أخٍ قَد رأى أخاهُ صريعاً تَرِبَ الخَدِّ بينَ صَرْعى كرامَ
كَمْ أبٍ قَد رأى عزيزَ بنيه وهْوَ يعلَى بصارمٍ صمصامَ
كَمْ مُفَدًى فى أهلهِ أسْلمُوه حينَ لم يحْمِه هنالَكَ حامِي؟
كَمْ رضيعٍ هناكَ قَد فطموه بشبا السيف قبلَ حينِ الفطامَ
كَمْ فتاةٍ بخاتمِ الله بكرٌ فضحوها جهراً بغيرِ اكتتامَ
كَمْ فتاةٍ مصونةَ قَد سبوْها بارزاً وجهها بغير لثام؟
صبحوهُمْ فكابدَ القومُ منهم طولَ يَوْم كأنَّه ألفُ عامِ
ألفُ ألفٍ فى ساعةٍ قتلُوْهم ثم ساقُواْ السِّباءَ كالأغنامَ
مَنْ رآهُنَّ فى المساقِ سبايا دامِياتِ الوجوهِ للأقدامَ
مَنْ رآهنَّ فى المقاسمِ وسْطَ الزْ نج يُقَسَّمْنَ بينهمُ بالسُّهامَ
مَنْ رآهُنَّ يتخذن إماء بعد ملْكِ الإماء والخُدَّامَ
ما تذكرتُ مَا أتى الزنج إلاَّ أُضرم القلب أيّما إضرامَ
ما تذكرتُ مَا أتى الزنج إلاَّ أوجعتني مرارةُ الإرغامَ
رُبَّ بيعٍ هناك قَد أرخصُوهُ طال مَا قدْ غلا عَلَى السُّوَّامَ
رُبَّ بيتٍ هناك قَد أخربُوهُ كانَ مأوى الضِّعافِ والأيتامَ
رُبَّ قصْرٍ هناك قدْ دخلوه كانَ مِن قبلِ ذَاكَ صَعْبَ المرامَ
رُبَّ ذى نعمةٍ هناك ومالٍ تركوهُ مُحالفَ الإعدامَ
رب قوم باتُوا بأجمعِ شَمْلٍ تركُوا شملَهُمْ بغير نظامَ
عرِّجا صاحبى بالبصرةِ الزَّهْراءِ تعريجَ مُدنفٍ ذى سقامَ
فاسْألاها ولا جوابَ لديها لسؤال ومَنْ لها بالكلامَ
أينَ ضوضاءُ ذَلكَ الخلقِ فيها أينَ أسواقُها ذواتُ الزِّحامَ
أينَ فُلْكٌ فيها وفُلْكٌ إليها مُنشآتٌ فى البحر كالأعلامَ
أينَ تلكَ القصورُ والدرزُ فيها أينَ ذاكَ البنيانُ ذو الإحكامَ
بدِّلَتْ تِلكُمُ القصورِ تِلال مِن رمادٍ ومِن تُراب رُكاماَ

سُلِّطَ البَثْقُ والحريقُ عليهم    فتداعت أركانُها بانهدام
وخلَتْ مِن حُلولها فهى قَفْرٌ    لا ترى العين بينَ تلكَ الأكامَ
غير أيْدٍ وأرْجُلٍ بائناتٍ    نُبِذَتْ بينهنَّ أفلاقُ هامَ
ووجوهٍ قَد رمَّلَتها دماءٌ    بأبى تلكُمُ الوجوه الدوامِي
وُطِئَتْ بالهوانِ والذُّلِّ قسراً    بعد طولِ التبجيلِ والإعظام
فتراها تَسْفى الرياحُ عليها    جارياتٍ بهبوة وقتامَ
خاشعاتٍ كأنَّها باكياتٌ    بادياتِ الثغور لا لابتسامَ
بل ألِمَّا بساحةِ المسجدِ الجا    مع إنْ كُنتُما ذَوَى إلمامَ
فاسألاهُ ولا جوابَ لديهِ    أينَ عُبَّادهُ الطوالُ القيامَ
أينَ عُمَّاره الألى عمَروهُ    دَهْرهُمْ فى تلاوة وصيامَ
أينَ فِتيانه الحِسانُ وجُوهاً    أينَ أشياخُهُ أولو الأحلامَ
أى خَطْبٍ وأى رُزْء جليلِ    نالَنا فى أولئكَ الأعمامَ
كَمْ خذلْنا مِن ناسكٍ ذى اجتهادٍ    وفقيهٍ فى دينهِ علامَ
وا نِدَامِى عَلَى التَّخلُّفِ عنهمْ    وقليل عنهُم غناء نِدامِي
واحيائى منهُمْ إذا مَا التقينا    وهُمُ عندَ حاكم الحُكَّام
أى عُذْرٍ لَنا وأى جوابٍ    حينَ نُدْعَى عَلَى رؤوسِ الأنامَ
يا عبادى : أما غَضِبْتُم لوجهى    ذى الجلال العظيم والإكرامَ
أخذلتُم إخوانكَمُ وقعدْتُمْ    عنهُمُ - ويحْكم - قُعودَ اللئامَ
كيفَ لم تعطفُوا عَلَى أخواتٍ    فى حِبال العبيدِ مِن آل حامَ
لم تغارُوا لغيرتى فتركتُم    حُرُماتى لمَنْ أحلَّ حرامِىَ
إنَّ مَنْ لم يَغَرْ عَلَى حُرُماتي    غيرُ كُفْءٍ لقاصراتِ الخيام
كيفَ ترضى الحَوراءُ بالمرءِ بَعْلاً    وهوَ مِن دونِ حُرمة لا يُحامِى
واحيائى مِن النَّبىِّ إذا ما    لامنى فيهم أشدَّ الملامَ
وانقطاعى إذا هُمُ خاصموني    وتولَّى النبى عنهُمْ خصامِى
مثِّلُوا قولهُ لكُمْ أيُّها النَّا    سُ إذا لامكُمْ مَعَ اللُّوامِ
أُمَّتى أينَ كُنتُم إذْ دَعتْني    حُرَّةٌ مِن كرائم الأقوامَ
صرختْ : يامُحمَّداهُ فهلاَّ    قامَ فيها رعاةُ حقِّى مقامِى

لم أجبْها إذْ كنتُ مَيتاً فلولا كانَ حيٌّ أجابَها عَنْ عِظامِي
بأبى تلكُمُ العِظامُ عظاماً وسقَتْها السماءُ صوْبَ الغمام
وعليها مِن المليكِ صلاةٌ وسلامٌ مؤكَّدٌ بسلامِ
انفرُوا أيُّها الكرامُ خفافاً وثقالاً إلى العبيدِ الطغامِ
أبْرَمُوا أمرَهُمْ وأنتُمْ نِيامٌ سوءةً سوءةً لنوْمِ النيامِ
صدِّقُوا ظنَّ إخوة أمَّلوكم ورجوْكُمْ لنبوةِ الأيامِ
أدرِكُوا ثأرَهُمْ فذَاكَ لديْهِم مِثْلُ ردِّ الأرواحِ فى الأجسامِ
لم تُقِرُّوا العيونَ منهم بِنَصْرٍ فأقِرُّوا عيونَهمْ بانتقامِ
أنقِذُوا سَبْيَهُمْ وقلَّ لهُمْ ذا ك حفاظاً ورعْيَةً للذِّمامِ
عارُهُمْ لازمٌ لكُمْ أيُّها النَّا سُ لأنَّ الأديانَ كالأرحامِ
إنْ قعدتُمْ عَن اللعينِ فأنْتُمْ شركاءُ اللَّعينِ فى الآثامِ
بادروهُ قبلَ الروِيَّةِ بالعَزْ م وقبل الإسراج بالإلجامِ
مَنْ غدا سرجُهُ عَلَى ظهرِ طِرف فحرامٌ عليه شدُّ الحزامِ
لا تطيلُوا المقام عَنْ جنَّة الخلـ ـدِ فأنتمْ فى غير دار مُقامِ
فاشترُوا الباقياتِ بالعرضِ الأد نى وبِيعُوا انقطاعَه بالدَّوامِ

## عودة إلى بغداد

قالَ ابن الرومى فى قدوم المعتضد [(١)] إلى بغداد :

[الطويل]

قدمتَ قدومَ البُرءِ بعدَ سقامِ عَلَى دارِ إسلام ودارِ سلامِ [(٢)]
مدينةِ بَغْدادَ التى كانَ جَدُّكمْ تخيَّرَها للمُلْكِ دارَ مُقامِ
يبشِّرُنا النصرُ الذى قَد مُنِحتَهُ بأنَّكَ عندَ الله خيرُ إمامِ

---

(١) هو الخليفة أبو العباس، أحمد بن الموفق بالله . ولد فى أيام جده سنة ٢٤٢هـ ، وكان يسمى السفاح الثانى، أحيا رميم الخلافة التي ضعفت منذ مقتل المتوكل وتوفى عام ٣٠٧هـ .

(٢) ديوانه ص ٢٥٦ .

ظفرتَ بما تبغى وسيفُكَ مُغمَدٌ وما كانَ لو جرَّدتَهُ بكَهامِ

## صحبة العلماء ببغداد

ومن تاريخ بغداد « أنشدنا القَاضِى أَبُو القَاسِم على بن المحسن التَّنُوخِى قالَ : أنشدنا أَبُو على الهايم قال : أنشدنا السرى بن أَحْمَد الرّفاء المَوْصِلِى لنفسه من أبيات :

[المنسرح]

إذا سَقَى الله منزلاً فسَقَى بَغْدادَ مَا حاولتَ مِن الدّيم
يا حبَّذا صحبةُ العلومِ بها والعيشُ بينَ اليسارِ والعدَمِ [١]

## كيفَ تبدلت الأحوال

قالَ شمس الدينِ محمد بن عبيد الله الكوفى الواعظ [٢] :

[الكامل]

يا عصبةَ الإسلام نوحى واندبى حزنًا عَلَى مَا تمَّ للمستعصم
دستُ الوزارةِ كَانَ يزهو قبلَه لابنِ الفُرَاتِ فصارَ لابنِ العلقمى [٣]

---

(١) تاريخ بغداد ج١ ص ٥١ .

(٢) ابن الفوطى : « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » ص ٣٣٥

(٣) راجع شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧١ . وأورد ابن حجة الحموى البيتين فى خزانته معلقا عليها فى باب الاتفاق قائلا : « وأبدع مَا اتفق للشيخ شمس الدين الكوفى الواعظ فى الوزير مؤيد الدين العلقمى وابن الفرات فاتفق أنَّ المذكورين كانا وزيرين وأن المورى بهما الفرات والعلقمى نهران معروفان » ج ٢ ص ٢٨٨ . وابن الفرات المذكور هو أبو الحسن ، علي بن أبي جعفر محمد بن موسى بن الحسن ابن الفرات العاقولى الكاتب ، كان ابن الفرات يتولى أمر الدواوين زمن المكتفي ، فلما ولى المقتدر ووزر له العباس بن الحسن ، بقي ابن الفرات على ولايته ، فجرت فتنة ابن المعتز ، وقُتل العباس الوزير ، فوزر ابن الفرات سنة ست وتسعين ، قتل ثالث عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وثلاث مائة . وابن العلقمى كان وزير المستعصم الذى وقعت المأساة فى عهده على يد المغول ، وقد تآمر هذا الوزير مع المغول لإخراج الخليفة من بغداد حيث تم قتله .

## رثاء الخلافة

قالَ آخر بيتًا مفردا :

[الكامل]

خلت المنابرُ والأسرَّةُ منهمُ    فعليهمُ حتَّى المماتِ سلامُ [1]

## شوق إلى صبا بغداد

قالَ أبو الحسن البغدادى فى المعتمد [2] :

[الطويل]

أبا القاسمِ الملكَ المعظَّمَ قدرُهُ    سواكَ مِن الأملاكِ لَيسَ يعظَّمُ
لقَد أصبحَتْ حمصٌ بعدلِكَ جنَّةٌ    وقَد أُبعدَت عَنْ ساكنيها جهنمُ
ولى حيَّاكَ الرّيعُ عامًا وأشهرٌ    أزخرفُ أعلامَ الثّناءِ وأرقمُ
وأنفقتُ مَا أعطيتَنى ثقةً بما    أؤمِّلُ فالدينارُ عندى درهمُ
وقلبى إلى بَغْدادَ يصبو وإنَّنى    لنشرِ صباها دائمًا أتنسَّمُ [3]

## فراق المضطر

وقالَ أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشى العامرى :

[المتقارب]

أفارقُ بَغدادَ لا عَنْ قلى    وأسرى إلى البينِ لا عَنْ كرمْ [4]

---

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٣ .

(٢) ورد فى « نفح الطيب » :ومن الوافدين على الأندلس من المشرق ، أبو الحسن البغدادى الفكيك ، وهو مذكور فى الذخيرة وكان حلو الجواب مليح التندر يضحك من حضر ولا يضحك هو إذا ندر وكان قصيرا دميما ، وأنشد لَهُ فى المعتمد » .

(٣) نفح الطيب ٣ ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) قرى الضيف ج٢ ص ٥٠١ .

أروحُ وأغدو ولى قائدا ... نِ : عزُّ الإباءِ ، وذلُّ العدمْ
وأرجو فتىً مُكرماً للنَّدَى ... كما رجت الأرضُ صوبَ الدّيمْ

## الذى لم تعجبه بغداد

وقالَ بعض الأعراب :

[الخفيف]

كيفَ نومى وقَد حللتُ ببغ ... دادَ مقيمًا فى أرضِها لا أريمُ
ببلادٍ فيها الرّكايا عليـ ... ـهنَّ أكاليلٌ مِن بعوضٍ تحومُ
جوُّها فى الشّتاءِ والصيفِ دُخا ... نٌ كثيفٌ وماؤها محمومُ
ويحَ دارِ الملكِ التى تنفحُ المسـ ... ـكَ إذا مَا جرى عليه النّسيمُ
كيفَ قَد أقفرَت وحاربَها الدّهـ ... ـرُ وعاينَ الحياةَ فيها البومُ
نحنُ كُنَّا سُكانَها فانقضى ذا ... لكَ عنّا وأىُّ شىءٍ يدومُ

## ألم لفراق بغداد

وقالَ شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفى الواعظ يرثى بغداد بعد وقعة التتار[1] :

[البسيط]

عندى لأجلِ فراقكم آلامُ ... فإلامَ أُعذلُ فيكم وألامُ
مَنْ كانَ مِثْلى للحبيبِ مفارقاً ... لا تعذلوه فللكلامُ كِلامُ
نعمَ المساعدُ دمعى الجارى عَلَى ... خدِّى إلاَّ أنَّه نمامُ
ويذيبُ رُوحى نوحُ كلِّ حمامةٍ ... فكأنّما نوحُ الحمامِ حِمامُ
إنْ كنتَ مِثْلى للأحبةِ فاقداً ... أو فى فؤادِكَ لوعةٌ وغرامُ
قف فى ديارِ الظاعنينَ ونادها ... «يا دارُ مَا صنعت بك الأيامُ»

---

(١) ابن شاكر الكتبى : « فوات الوفيات » ج ٢ ص ٢٣٢ .

أعرضت عنكَ لأنَّهم مُذ أعرضوا «لم يبقَ فيكِ بشاشةٌ تُستامُ»
يا دارُ أينَ الساكنونَ وأينَ ذيَّـ ـاكَ البهاءُ وذَلكَ الإعظامُ
يا دارُ أينَ زمانُ ربعِكَ مونقاً وشعارُكَ الإجلالُ والإكرامُ
يا دارُ مُذ أفلَتْ نجومُكَ عمَّنا والله مِن بعدِ الضياءِ ظلامُ
فلبعدِهم قربُ الردَى ولفقدِهم فُقِدَ الهُدى وتزلزلَ الإسلامُ
فمتى قبلتِ مِن الأعادى ساكناً بعدَ الأحبةِ لا سقاكِ غمامُ
يا سادتى ، أمَّا الفؤادُ فشيِّقٌ قلقٌ ، وأمَّا أدمعى فسجامُ
والدارُ مُذ عدمتْ جمالَ وجوهِكم لم يبقَ فى ذَاكَ المقامِ مقامُ
لا حظَّ فيها للعيونِ ولَيسَ للـ أقدامِ فى عُرصاتِها إقدامُ
وحياتِكم إنِّى عَلَى عهدِ الهوَى باقٍ ، ولم يُخفَرْ لدىَّ ذمامُ
فدمى حلالٌ إنْ أردتُ سواكُم والعيشُ بعدَكم عَلَىَّ حرامُ
يا غائبينَ وفى الفؤادِ لبعدِهم نارٌ لها بينَ الضلوعِ ضرامُ
لا كتبُكم تأتى ولا أخبارُكم تُروى ولا تُدنيكم الأحلامُ
نغَّصتُم الدنيا عَلَىَّ وكلَّما جدَّ النوى لعبَت بى الأسقامُ
ولقيتُ مِن صرفِ الزمانِ وجورِهِ ما لم تخيَّلُه لى الأوهامُ
يا لَيْتَ شعرى! كيفَ حالُ أحبَّتى وبأىِّ أرضٍ خيَّمُوا وأقامُوا
ما لى أنيسٌ غيرُ بيتٍ قالَه صبٌّ رمَته مِن الفراقِ سهامُ
«والله مَا اخترتُ الفراقَ وإنَّما حكمَت عَلَىَّ بذَلكَ الأيامُ»

## الكلام محرم

قال الرصافى [1] :

[الكامل]

يا قومُ لا تتكلموا إنَّ الكلامَ محرَّمُ
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُّوَّم

(١) ديوان الرصافى ص ٤٤٨ .

وتأخروا عن كل ما يقضي بأن تتقدّموا
ودَعوا التفهم جانبا فالخيرُ ألاّ تفهموا
وتثبتوا فى جهلكم فالشرُ أنْ تتعلموا
أما السياسة فاتركوا أبداً وإلا تندموا
إن السياسة سرها لو تعلمون مُطلسم
وإذا أفضتم في المبا ح من الحديث فجمجموا
والعدلَ لا تتوسموا والظلَمَ لا تتجهموا
من شاء منكم أنْ يعيـ ش اليومَ وهو مكرّم
فليمسِ لا سمعٌ ولا بصر لديه ولا فم
لا يستحق كرامة إلا الأصم الأبكم
ودعوا السعادة إنما هى فى الحياة توهم
فالعيشُ وهو منعم كالعيشِ وهو مذمم
فارضَوا بحكم الدهر مهـ ما كان فيه تحكم
وإذا ظُلمتم فاضحكوا طرباً ولا تتظلموا
وإذا أُهنتم فاشكروا وإذا لطُمتم فابسِموا
إن قيلَ هذا شهدُكُم مُرٌّ ، فقولوا : علقم
أو قيل إنَّ نهاركم ليل ، فقولوا : مظلم
أو قيل إنَّ ثِمادكم سيل ، فقولوا : مُفعِم [(١)]
أو قيل إنَّ بلادكم يا قوم سوف تقسم
فتحمدوا ، وتشكروا وترنحوا ، وترنموا

---

(١) فى لسان العرب « الثمد : الماء القليل الذي لا ماد له ، وقيل : هو القليل يبقى في الجلد ، وقيل : هو الذى يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف ، . . . والجمع أثماد والثماد : كالثمد » .

## قافية النون

### جَمال بغداد

قالَ مَنْصُور النمرى [1] :

[البسيط]

ماذا ببَغْدادَ مِن طيبِ الأفانينِ ... ومِن منازةَ للدُّنيا وللدينِ [2]

تحيى الرّياحُ بِها المرضى إذا نَسمت ... ،جوَّشَتْ بينَ أغصانِ الرّياحين

### معدن كل طيب

قالَ أَبُو مُحَمَّد البافى :

[الوافر]

عَلَى بَغْدادَ معدنِ كلِّ طيبِ ... ومغنى نزهةِ المتنزهينا [3]

سلامٌ كلَّما جرَحت بلحظٍ ... عيونُ المشتهينَ المشتهينا

دخلْنا كارهينَ لها فلمَّا ... ألفناها خرجْنا مُكرهينا

وما حبُّ الدّيارِ بِنا ولكن ... أمرَّ العيشَ فرقةُ مَنْ هَوينا

---

(1) هو منصور بن سلمة بن الزبرقان النمرى . ذكر ياقوت : أنه كان من أهل رأس العين ، كنيته أبو الفضل . نادم هارون الرشيد فترة ، ثم قتله الرشيد لما تبين ولاءه للعلويين ومناصرته لهم فى شعره ، وذلك عام (١٩٠ هـ) . ولأبي المفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور المروذى البغدادى (٢٠٤ - ٢٨٠هـ) مختارات من شعره بعنوان « اختيار شعر منصور النمرى » . راجع أعلام الزركلي ٧ : ٢٩٩ .

(2) فى تاريخ بغداد ج ١ ص ٥٠ - ٥٣ : « وقد طلبت السيدة زبيدة من المَنْصُور النمرى : أنْ يقول شعرًا يحبب فيه بغداد إلى أمير المؤمنين الرّشيد ، فقد اختار عليها الرافقة فقال هذه الأبيات . فأعطته ألفى دِينَار » .

(3) تاريخ بغداد ج ١ ص ٥١ .

## تفجع على بغداد

وقالَ آخر :

[البسيط]

مَنْ ذا أصابَكِ يا بَغْدادُ بالعينِ    ألم تكونى زمانًا قرة العينِ [1]
ألم يَكُنْ فيكِ قومٌ كانَ مسكنُهم    وكانَ قربهم زيْنًا مِن الزّينِ
صاحَ الغرابُ بهم بالبينِ فافترقوا    ماذا لقيتُ بهم مِن لوعةِ البينِ
أستودعُ الله قومًا مَا ذكرتُهم    إلاَّ تحدَّرَ ماءُ العينِ مِن عينى
كانوا ففرَّقهم دهرٌ وصدعَهم    والدهرُ يصدعُ مَا بينَ الفريقينِ

## العدل المفقود

قالَ أبو العلاء :

[البسيط]

يكفيكَ حُزناً ، ذَهابُ الصّالحينَ معاً    ونحنُ بعدَهمُ ، فى الأرضِ ، قُطّانُ [2]
إنّ العراقَ وإنّ الشّامَ ، مذْ زَمَنٍ    صِفرانِ ، مَا بهما للمُلكِ سلطان
ساسَ الأنامَ شَياطِينٌ مُسَلَّطَةٌ    فى كلّ مِصرٍ ، مِن الوالينَ ، شَيطان
مَنْ ليسَ يَحفِلُ خَمصَ النّاس كلُّهمُ    إنْ باتَ يَشرَبُ خَمراً ، وهوَ مِبطان
تَشابَه النّجرُ : فالرّومى مَنطِقُهُ    كمَنطِقِ العُرْبِ ، والطائى مِرْطان
أمّا كِلابٌ ، فأغنى مِن ثَعالِبِهِمْ    كأنّ أرماحَهم ، فى الحربِ ، أشطان
متى يَقومُ إمامٌ يَتَقيدُ لَنا    فتعرِفُ العَدْلَ أجبالٌ وغِيطان؟
صلُّوا بحيثُ أردتُمْ ، فالبلادُ أذًى    كأنّما كلُّها ، للإبلِ ، أعطان

---

(١) ورد فى تاريخ الطبرى ج٨ ص ٤٤٧ ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ١٠ ص ٣٣٧ .
(٢) ديوان اللزوميات ص ٥٠٢ .

# أحسن البلدان

قالَ ابن منقذ [1] :

[الخفيف]

وصَفُوا لى بَغْدادَ حيناً ، فلمّا جئتُها ، جئتُ أحسنَ البُلدانِ [2]
منظرٌ مبهِجٌ ، وقومٌ سَراةٌ قَد تَحلّوا بالحُسنِ والإحسَانِ
وهى جِنيّةٌ كأقبح مَا شـ ـوَّهَهُ ربُّنَا مِن الغِيلانِ
إنَّ فيها مِن الصَّبايا شُموساً فى غُصونٍ تهتزُّ فى كُثبانِ
شغَلْتَنَا السّبعونَ والحجُّ عنهـ ـنَّ ، فقلنَا بالسَّمع دُونَ العيانِ

# الأوجه الحسان

يروى أنَّ أبا نواس لمَّا دخل مصر مادحا للخصيب جلس يَوْما فى رهط من الأدباء وتذكروا منازه بغداد فأنشد مرتجلا :

[الخفيف]

ذكرَ الكرخَ نازحُ الأوطانِ فصبا صبوة ولاتَ أوانِ [3]
لَيسَ لى مسعِدٌ بمِصرَ عَلَى الشَوْ قِ إلى أوْجُهٍ هناكَ حِسانِ
نازِلاتٍ مِنَ السَّراةِ فكرْخا يا إلى الشّطّ ذى القُصُورِ الدّواني
إذْ لِبابِ الأميرِ صَدْرُ نَهاري ورَواحى إلى بُيُوتِ القِيانِ
واغْتِفالى المولى لأخْتَلِسَ الغَمْـ ـزَةِ مِمّنْ أحبّهُ بالبَنانِ
واعتمالى الكؤوسَ فى الشَّرْبِ تسعى مُترَعاتٍ كخالِصِ الزّعفرانِ
يا ابنَتى أبْشِرى بمِيرَةِ مِصرٍ وتَمَنّى ، وأسْرِفى فى الأمانى

---

(1) أبو المظفر ، مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقد الكناني الشيزرى (٤٨٨ - ٥٨٤هـ) ، من مؤلفاته (لب الأداب) و(البديع فى نقد الشعر) و(المنازل والديار) و(النوم والأحلام) و(القلاع والحصون) و(أخبار النساء) و(العصا) .

(2) ديوانه ص ٢١١ .

(3) المثل السائر ج ١ص ٣٩٢ .

أنا فى ذِمّةِ الْخَصيبِ مُقيمٌ  حَيثُ لا تَعتَدى صُرُوف الزّمانِ
كَيفَ أخشَى عَلَى غُولَ اللّيالي  ومكانى منَ الْخَصيبِ مَكاني
قَد عَلِقْنا منَ الْخَصيبِ حِبالاً  أمّنتْنا طَوارِقَ الحِدْثانِ
سطَواتُ الْخَصيبِ إحدَى الْمَنايا  ونَداهُ سُلالَةُ الحَيَوانِ
كلَّ يَوم عَلَى منهُ سَماءُ  ثَرّةٌ ، تَسْتَهِلّ بالعِقْيانِ
حَيّةٌ تَصرَعُ الرّجالَ ، إذا ما  أوْحَدِى العِنانِ ، يوْمَ الرّهانِ
وإذا مَا جَرَى الجِيادُ طَواها  صارَعُوا رأيَهُ ، عَلَى الأذْقانِ
وإذا هَزّهُ الْخَليفَةُ للجُلّى  مَضاها كالصّارِمِ الْهُنْدواني
قادَنى نحوَهُ الرّجاءُ فصَدّقْ--  -تُ رَجائى ، واختَرْتُ حَمدَ لساني
إنّما يَشتَرى الْمَحامِدَ حُرٌّ  طابَ نَفْساً لَهُنّ بالأثْمانِ

## بكاء بغداد

قالَ شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفى الواعظ يرثى بغداد بعد وقعة التتار :
[الكامل]

إنْ لم تقرّح أدمُعى أجفانى  مِن بعدِ بُعدِكم فما أجفانى [1]
إنسانُ عينى مُذْ نأتْ عَنْ ديارِكم  ما راقَه نظرٌ إلى إنسانِ
يا ليتنى قَد متُّ قبلَ فراقِكم  ولساعةِ التوديعِ لا أحيانى
مالى وللأيام شتَّتَ صرفُها  حالى وخلاّنى بلا خلاّنى
ما للمنازلِ أصبحَت لا أهلُها  أهلى ولا جيرانُها جيرانى
وحياتِكم مَا حلَّها مِن بعدِكم  غيرُ البلى والهدم والنيرانِ
ولقَد قصدتُ الدارَ بعدَ رحيلِكم  ووقفتُ فيها وقفةَ الحيرانِ
وسألتُها لكن بغيرِ تكلُّم  فتكلَّمَت ، لكن بغيرِ لسانِ
ناديتُها : يا دارُ ، مَا صنعَ الألىَ  كانوا هوى الأوطارِ والأوطانِ

---

(١) ابن شاكر الكتبى : « فوات الوفيات » ج ٢ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

أينَ الذينَ عهدتُهم ولعزِّهم ذلاً ، تخرُّ معاقدُ التيجانِ
كانوا نجومَ مَنْ اهتدى فعليهم يبكى الهدى وشعائرُ الإيمانِ
قالتْ : غدُوا لمَّا تبدَّدَ شملُهم وتبدلُوا مِن عزِّهم بهوانِ
أفنتهم غِيَرُ الحوادثِ مِثْلما أفنت قديمًا صاحبُ الإيوانِ
لمَّا رأيتُ الدارَ بعدَ فراقِهم أضحت معطَّلةً مِن السكانِ
ما زلتُ أبكيهم وألثمُ وحشةً لجمالِهم متهدِّمَ الأركانِ
حتَّى رثَى لى كلُّ مَنْ لا وجدُهُ وجدى ولا أشجانُهُ أشجانى
أترى تعودُ الدارُ تجمعُنا كما كُنَّا بكلِّ مسرَّةٍ وتهانى
إذْ نحنُ نغتنمُ الزمانَ ونجتنى بيدِ الأمانِ قطوفَ كلِّ أمانى
والدهرُ تخدمُنا جميعُ صروفِه والوقتُ يُعدينا عَلَى العدوانِ
والعيشُ غضٌّ والدنوُ ممزِّقٌ طرقَ المزارِ طوارقُ الحدثانِ
هيهاتَ! قَد عزَّ اللقاءُ وسَدَّدَتْ بيدِ الوصالِ ملابسَ الهجرانِ
مالى أُردِّدُ ناظرىَّ ولا أرى الـ أحبابَ بينَ جماعةِ الإخوانِ
والهفتى! واوحدتى! واحيرتى واوحشتى واحرَ قلبى العانى
سرتُم فلا سرَت النسيمُ ولا زها زهرٌ ولا ماسَت غصونُ البانِ
ما لى أنيسٌ بعدَكم غيرُ البكا والنوحِ والحسراتِ والأحزانِ
يا لَيتَ شعرى! أينَ سارَت عيسُكم أم أينَ موطنِكم مِن البلدانِ

## معالم بغداد الجميلة

قالَ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

[البسيط]

ما مِثْل بَغْدادَ فى الدّنيا ولا الدّينِ عَلَى تقلبِها فى كلِّ مَا حينِ [1]
ما بينَ قُطربُلٍ فالكرخِ نرجسةٌ تندى ومنبتُ خِيرِىِّ ونسرينِ
تحيا النّفوس برياها إذَا نفحت وخرَّشت بينَ أوراقِ الرّياحينِ

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٤٦٢ .

سقيا لتلك القصور الشاهقاتِ وما تخفى مِن البقرِ الإنسيةِ العِينِ
تستنُّ دِجلَةَ فيما بينها فترى دُهْمَ السّفينِ تعالى كالبراذينِ
مناظرٌ ذاتُ أبوابٍ مفتَّحةٍ أنيقةً بزخاريفِ وتزيينِ
فيها القصورُ التى تهوى بأجنحةٍ بالزائرينَ إلى القوم المزورينِ
مِن كلِّ حرَّاقةٍ يعلو فقارتَها قصرٌ مِن السّاجِ عالٍ ذو أساطينِ

## الفراق القاتل

وقالَ شمس الدين الكوفى :

[البسيط]

ملابسُ الصّبرِ نُبليها وتُبلينا ومدةُ الهجرِ نُفنيها وتفنينا
شوقاً إلى أوجهٍ مُتنا بفُرقتِها حزناً وكانَت تُحيِّنا فتُحْيينا
أحزانُنا بهم لا تنقضى ولنا شوقٌ إلى ساكنى (يبرين) يُبرينا [1]
يا دهرُ قَد مسَّنا مِن بعدِهم حُرَقٌ مِن الفراقِ إلى التّكفينِ يكفينا
وعدتنا بالتلاقى ثُمَّ تُخلفُنا فكَمْ نرى منكَ تلويناً وتلوينا
ديارُهم درَست مِن بعدِ مَا دُرسَتْ نفسى بها مِن تلافينا تلاقينا
مُتِّعتُ فيها إلى حينٍ فواأسفا إذْ عشتُ حتَّى رأيتُ الحَيْنَ والحِينا
كُنَّا جميعًا وكانَ الدّهرُ يسعدُنا والكائناتُ بكأسِ الأمنِ تسقينا
فالآنَ قرَّت عيونُ الحاسدينَ بنا بما جرَى واشتفَت منا أعادينا
فصارَ يرحمُنا مَنْ كانَ يأملُنا وعادَ يُبعدنا مَنْ كانَ يُدنينا
وباتَ يخذلُنا مَنْ كانَ ينصرُنا وصارَ يُرخصُنا مَنْ كانَ يُغلينا
واليَوْمَ ألطفُ كلِّ العالمينَ بنا نَ عَنْ أحبَّتنا أضحى يُعزِّينا
لَيْتَ العذولَ يرى مَنْ فيه يَعذلُنا لعلَّه إذْ يرى عِيناً يراعينا
إلى متى نحملُ البلوى وعاذلُنا بغيرِ مَا هوَ يَعْنينا يُعنِّينا

(١) فى معجم ما استعجم للبكرى « يبرين ويقال يبرون . رمل معروف فى ديار بنى سعد من تميم » .

ما ضرَّ عذَّالَنا لو أنَّهم رفقوا    فعذلُهم لَيسَ يُسلينا ويَسلينا
حمائمُ الدَّوحِ فى الأغصانِ نائحةٌ    كما ننوحُ فنحكيها وتحكينا
تشجو وتندبُ مِن شوقٍ لمَنْ فقدَت    ومَنْ فقدنا فنشجيها وتشجينا
قَد نَسَرَت يا أحبَّانا جرائِحُنا    وما لَنا غيرُ لقياكم يداوينا
أمراضُنا مِن كلام الشَّامتينَ بنا    فهَل زمانٌ يُشفينا ويَشفينا
إنَّا عطاشٌ إلى أخبارِكم فمتى    يأتى رسولٌ يروِّينا ويَروينا
بِنا إلى عزِّكم فقرٌ ومسكنةٌ    فهَل بشيرٌ يغنِّينا فيُغنينا؟

## أحب بلاد الله

قالَ ابن عربى :

[الطويل]

أَحَبُّ بِلادِ الله لى ، بعدَ طَيبةٍ    ومكّةَ والأقصَى ، مدينةُ بَغدانِ [1]
وَمَا لى لا أهوَى السّلامَ ، ولى بِها    إمامُ هُدَى دِينى وعَقدى وإيمانى
وقَدْ سكَنَتها مِن بُنيّاتِ فارس    فَجاءَت بحُسنى بعد حُسنٍ وإحسانِ
تُحيِّى فتُحيِى مَن أماتَت بلَحظِها    لَطِيفَةُ إيماءِ مَرِيضَةُ أجفانِ

## عتاب الوطن

قال الرصافى [2] :

[البسيط]

هِى المواطنُ أدنيها وتقصينى    مثلُ الحوادثِ أبلوها وتبلينى [3]
قد طالَ شكواى من دهرٍ أكابِدُهُ    أما أصادِفُ حُرًّا فيه يُشكينى

---

(١) من ديوانه « ترجمان الأشواق » .

(٢) قالها فى بيروت سنة ١٩٢٢م ، وكان قد خرج من بغداد على ألا يعود إلى العراق .

(٣) ديوانه ص ٤٢٦ .

كأنّني فى بلادى إنْ نزلتُ بها نزلتُ منها ببيتٍ غيرِ مسكونِ
حتَّى متى أنا فى البُلدانِ مغتربٌ نوائبُ الدّهرِ بالأنيابِ تُدمينى
تارةً فى المواصى فوقَ مُوقَرَة وتارةً فى الطوامى فوقَ مشحونِ
كَمْ أغرقتنى الليالى فى مصائبِها فعَمتُ فيهن من صبرى بدُلفينِ
أَنا ابنُ دجلةَ معروفًا بها أدبى وإنْ يكُ الماءُ منها ليسَ يُروينى
قد كنتُ بُلبلَهَا الغرِّيدَ أُنشِدُها أشجى الأناشيدِ فى أشجى التلاحينِ
حيثُ الغصونُ أقلَّتنى مُكلَّلةً بالوردِ ما بينَ أزهارِ البساتينِ
فبينما كنتُ فيها صادحاً طَرباً أستنشقُ الطيبَ من نفحِ الرياحينِ
إذ حلَّ فيها غُرابٌ كانَ يُوحِشنى وكانَ تنعابُه بالبينِ يؤذينى
حتَّى غدوتُ طريداً للغرابِ بها وما غدوتُ طريداً للشواهينِ
فطرتُ غيرَ مبالٍ عندَ ذاكَ بما تركتُ من نرجسٍ فيها ونسرينِ
ويل لبغدادَ ممَّا سوفَ تذكرُهُ عنى وعنها الليالى فى الدّواوينِ
لقد سَقيتُ بفيضِ الدّمعِ أربعُها عَلَى جوانبِ ودٌ ليسَ يَسقيني
ما كنتُ أحسبُ أَنِّى مُذ بَكيتُ بها قومى بكيتُ عَلَى من سوفَ يُبكينى
أفى المروءةِ أنْ يَعتزّ جاهلُها وأن أكونَ بها فى قبضةِ الهُونِ
وأن يعيشَ بها الطُّرطورُ ذا شمم وأن أسامَ بعيشى جَدْعَ عِرَنينى (١)
تالله ما كانَ هذا قطُّ من شيمى ولا الحياةُ عَلَى النكراءِ من دينى
ولستُ أبذلُ عرضى كى أعيشَ به ولو تأدمتُ زَقُوماً بِغسْلِينِ
أغنت خشونةُ عيشى فى ذرَى شرفى عما أرى بخسيس العيشِ من لينِ
عاهدتُ نفسى والأيامُ شاهدةٌ ألا أقِرَّ عَلَى جَوْرِ السّلاطينِ
ولا أصادقَ كذاباً ولو مَلكاً ولا أخالِطُ إخوانَ الشياطينِ
أما الحياةُ فشيء لا قرارَ له يحيا بها المرء موقوتاً إلى حين
سيَّانِ عندى أجاءَ الموتُ مخترماً من قبل عشرينَ أم من بعد تسعينِ
ما بالسّنينَ يُقاسُ العمرُ عندى بَل بما له فى المعالى من تحاسينِ

(١) فى لسان العرب « الطرطور : الوغد الضعيف من الرجال ، والجمع الطراطير » .

لو عشتُ ستينَ عاماً لاستعضتُ بها ستينَ مكرمةً بل دونَ ستينِ

فإنَّما أطولُ الأعمارِ أجمعُها للمكرماتِ من الأبكارِ والعونِ

إنَّ اللئيمَ دفينٌ قبلَ مِيتته وما الكريمُ وإنْ أودى بمدفونِ

ما كنتُ أحسبُ بغدادا تُحَلِّئُني عن ماءِ دجلتِها يَوْماً وتظمينى

حتَّى تقلَّدَ فيها الأمرَ زِعنفةٌ من الأناسِ بأخلاقِ السّراحين (١)

ما ضرَّنى غيرُ أنّى اليَوْم من عَربٍ لا يغضبونَ لأمرٍ ليسَ يرضينى

تالله ما ضاعَ حقّى هكذا أبداً لو كنتُ من عَجَمٍ صُهبِ العثانينِ

علامَ أمكثُ فى بغدادَ مُضطبراً عَلَى الضراعةِ فىَّ بُحبوحةِ الهُونِ

لأجعلنَّ إلى بيروتَ مُنْتسبى لعلَّ بيروتَ بعدَ اليَوْم تؤوينى

خابَتْ ببغدادَ آمالٌ أؤمِّلُها فهل تخيبُ إذا استذرت بصنِّينِ

فليتَ سوريةَ الوطْفاءَ مُزنتُها عن العراقِ وعن واديه تغنينى

قد كانَ فى الشام للأيام مُذْ زَمنٍ ذنبٌ محتْهُ الليالى فى فلسْطينِ

إذ كانَ فيها النَّشاشيبىَ يُسعفنى وكنتُ فيها خليلاً للسكاكينى

وكانَ فيها ابنَ جبْر لا يقصِّر فى جَبر انكسارِ غريبِ الدّار محزون

إنْ كانَ فى القدسِ لى صَحْب غطارفة فكمْ ببيروتَ من غر مَيامين (٢)

---

(١) السراحين : جمع سرحان وهو الذئب .

(٢) فى لسان العرب « الغطريف السيد ، وجمعه الغطاريف . وقيل : الغطريف الفتى الجميل ، وقيل هو السخى السرى الشاب . والغطريف والغطراف البازى الذى أخذ من وكره ، والغطريف فرخ البازى » .

# ملاعب الغزلان

قال الشريف الرضى لما خرج لزيارة مشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه وطاف بالحيرة ، فرأى الظباء ترتع فى عراصها :

[الكامل]

ما زِلْتُ أطْرقُ المَنازِلَ بالنّوَى ... حَتّى نَزَلْتُ مَنَازِلَ النُّعمانِ [1]
بالحِيرَةِ البَيضَاءِ حَيثُ تَقابَلَتْ ... شُمّ العِمَادِ ، عَرِيضَةُ الأعطَانِ
شَهِدَتْ بفضْلِ الرّافِعِينَ قِبابَها ... وَتُبِينُ بالبُنْيَانِ فَضْلَ البَانى
مَا يَنفعُ المَاضِينَ إنْ بَقِيَتْ لهمْ ... خُطَطٌ مُعَمَّرَةٌ بِعُمْرِ فانِ
وَرَأيْتُ عَجماءَ الطّلولِ ، من البِلى ... عَن مَنطِقٍ ، عَرَبيّةَ التّبيَانِ
باقٍ بهَا حَظُّ العُيُونِ ، وَإنّمَا ... لا حَظَّ فيهَا ، اليَوْمَ ، للآذانِ
وَعَرَفتُ بينَ بُيوتِ آلِ مُحرِّقٍ ... مأوَى القِرَى وَمَوَاقِدَ النّيرَانِ
وَمَناطَ ما اعتقلوا من البِيضِ الظُّبى ... وَمَجَرَّ مَا سَحَبُوا مِنَ المُرّان
وَرَأيتُ مُرْتَبطَ السّوَابقِ للمَهَا ... وَمَعاقِلَ الآسَادِ للذُّؤبَانِ
الهَاجِمِينَ عَلى المُلُوكِ قِبَابَهُم ... وَالضّارِبِينَ مَعَاقِدَ التّيجَانِ
وَكَأنّ يَوْمَ الإذْنِ يَبرُزُ مِنهُمُ ... أسْدَ الشّرَى وَأساوِدَ الغِيطانِ
وَلَقَدْ رَأيتُ بدَيْرِ هِنْدٍ مَنزِلاً ... ألِماً مِنَ الضّرّاءِ وَالحِدْثَانِ
أغضَى كمُستَمعِ الهَوَانِ تَغَيّبَتْ ... أنصَارُهُ ، وَخَلا مِنَ الأعْوَانِ
بَالى المَعالِمِ أطرَقَتْ شُرُفَاتُهُ ... إطرَاقَ مُنجَذِبِ القَرِينَةِ عَانِ
أوْ كَالوُفُودِ رَأوْا سِمَاطَ خَليفَةٍ ... فَرَمَوْا عَلى الأعْنَاقِ بالأذْقَانِ
وَذَكَرْتُ مَسحَبَها الرّياطَ بجَوّهِ ... مِنْ قَبلِ بَيعِ زَمانِها بزَمَانِ
وَبِمَا تَرُدّ عَلى المُغِيرَةِ دَهْيَهُ ... نَزْعَ النّوَارِ بَطيئَةَ الإذْعَانِ
أمَقاصِرَ الغِزْلانِ غيَّرَكِ البِلَى ... حَتّى غَدَوْتِ مَرَابِضَ الغِزْلانِ
وَملاعبَ الإنسِ الجميعِ طوَى الرّدى ... منهُم ، فصِرْتِ مَلاعبَ الجِنّانِ
مِنْ كُلّ دارٍ تَستَظِلُّ رِوَاقَهَا ... أدمَاءُ ، غَانِيَةٌ عَنِ الجِيرَانِ

(١) ديوانه ص ٤٦٨

وَلَقَدْ تَكُونُ مَحَلَّةً وَقَرَارَةً  لأغرّ من وَلَدِ المُلُوكِ هِجَانِ
يَطَأُ الفُرَاتُ فِنَاءَها بِعُبَابِهِ  وَلَهَا السُّلافَةُ مِنْهُ وَالرَّوْقانِ
وَوَقَفتُ أسألُ بَعضَها عَن بَعضِها  تُجيبُني عِبَرٌ بِغَيرِ لِسَانِ
قدحتْ زَفيري فاعتصرتُ مدامعي  لَوْ لَمْ يَؤلْ جَزَعي إلى السُّلوَانِ
ترْقى الدّموعُ وَيرْعوي جزَعُ الفتى  وَيَنَامُ بَعْدَ تَفَرّقِ الأقْرَانِ
مِسكيّةُ النفَحاتِ تَحسَبُ تُربها  بُرْدَ الخَليعِ مُعَطَّرَ الأرْدانِ
وَكَأنّمَا نَشَرَ التِّجَارُ لَطِيمَةً  جَرَتِ الرّيَاحُ بهَا عَلى العِقْيَانِ
ماءٌ كجيبِ الدّرْعِ تَصْقُلُه الصَّبا  وَنَقاً يُدَرّجُهُ النّسِيمُ الوَانى
حلَلُ المُلوكِ رَمَى جَذيمةَ بينَها  وَالمُنذِرَينِ ، تَغايُرُ الأزْمَانِ
طَرْداً ، كدأبِ الدّهرِ فى طرْد الأُلى  وَالَى الحَفائِظَ فى بَنى الدّيّانِ
نَعَقَ الزّمانُ بجَمعِهِمْ عَن لَعلَعٍ  أَقْضّ مَنزِلَهُمْ عَلى نَجرَانِ
وَكَآلِ جفنَةَ أزْعَجَتهُمْ نَبوَةٌ  نَقَلَتْ قِبابَهُمُ عَنِ الجَوْلانِ
وَعَلى المَدائنِ جَلجَلَتْ برعادِها  عَركاً لكَلكَلِها عَلى الإيوَانِ
وَإلى ابنِ ذى يزَنٍ غدَتْ مَرْحُولَةً  نَفَضَتْ حَوِيّتَها عَلى غُمدانِ
قصَفَتْ قَنا جَدَلِ الطّعانِ وَثوّرَت  بَعدَ الأمَانِ بِعَامِرِ الضَّحْيَانِ
زَفَرَ الزّمَانُ عَلَيهِمُ ، فتَفَرّقوا  وَجَلَوْا عَنِ الأوْطارِ وَالأوْطانِ

## قافية الهاء

### ظباء بغداد

قال أبو نواس :

[السريع]

يا بِأبي ظَبْيٌ بِهِ مَسْحَةٌ قد شَبَّ في بَغدادَ مأواهُ [1]
رُبّي بقَصرِ الخُلدِ في نعمةٍ حَيّاهُ بالنِّعمَةِ مَولاهُ
أغفَلَهُ البوّابُ ، من شِقوَتي فجاءَني يَضحَكُ عِطفاهُ
ومَرَّ للحَيْنِ بنا ضَحْوَةً فصادَ مِنّي القَلبَ عَيناهُ
أسقَمَ جسمي ، وبرَى مُهجتي وسَلَّ مني الرّوحَ صُدْغاهُ
فصِرْتُ للشّقوَةِ في فَخِّهِ كَطائِرٍ قُصّ جناحاهُ

### دار الملوك

قالَ دعبل [2] :

[مخلع البسيط]

بَغدادُ دَارَ المُلوكِ كَانَتْ حَتّى دَهاها الذي دَهاها [3]
مَا غابَ عَنها سُرُورُ مُلْكٍ عادَ إِلَى بَلْدَةٍ سِواها
ليسَ سُرورٌ بُسُرٌ مَنْ را بَلْ هي بُؤسٌ لِمنْ يَراها
عَجّل رَبّي لَها خَراباً بِرَغْمِ أنفِ الذي ابتَناها [4]

---

(١) ديوانه ص ٦٧٩ .

(٢) أبو على ، دعبل بن على بن رزين الخزاعى(١٤٨ - ٢٤٦هـ = ٧٦٥ - ٨٦٠م) ، شاعر هجاء . أصله من الكوفة ، أقام ببغداد ، صنف كتاباً فى (طبقات الشعراء) . توفى ببلدة تدعى الطيب (بين واسط وخوزستان) ، وله (ديوان شعر) جمع فيه بعض الأدباء مَا بقى متفرقاً من شعره .

(٣) ديوانه ص ١٣٩

(٤) كان دعبل قد خرج عن المعتصم مغاضبا ، فأرسل له هذه الأبيات .

## قافية الياء

### جامعة المحاسن

قال أبو نواس :

[السريع]

أبـصـرْتُ فـى بَـغـدادَ رُومـيَّـهْ تَـقـصُـرُ عَـنـهـا كُـلُّ أمْـنِـيّـهْ [1]
قَصرِيّةُ الطَّرْفِ ، شآميّةُ الـ خَلوَةِ ، فى نكْهَةٍ زَنجِيّهْ
صُغديّةُ السّاقينِ ، تُرْكيّةُ الـ سّاعِدِ ، فى قدِّ طُخارِيّهْ
هِندِيّةُ الحاجبِ ، نُوبيّةُ الـ فَخذَينِ ، فى زَهْوِ عِبادِيّهْ
حِيرِيّةُ الحسنِ ، كِيانِيّةُ الـ أرْدافِ ، فى ألْيَة عاجِيّهْ

### على أطلال بغداد

قال أبو تمام [2] :

[البسيط]

لقَدْ أقامَ عَلَى بَغْداذ ناعِيها فَلْيَبْكِها لِخَرابِ الدَّهْرِ باكِيها [3]
كانَتْ عَلَى مَا بِها والحَرْبُ مُوقَدَةٌ والنّارُ تُطْفِئُ حُسْناً فى نَوَاحِيها
تُرْجَى لها عَوْدَةٌ فى الدَّهْرِ صالِحة فالآنَ أضمَرَ منها اليأسَ رَاجِيها
مِثْلَ العَجُوزِ التى وَلَّتْ شَبِيبَتُها وبانَ عنهَا كَمالٌ كانَ يُحظِيها
لَزَّتْ بِها ضَرَّةٌ زَهْراءُ واضِحةٌ كالشَّمسِ أحسَنُ مِنها عندَ رَائِيها

---

(١) ديوانه ص ٦٩٤ .

(٢) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائى (١٨٨ - ٢٣١هـ) ، ولد فى جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازه وقدمه على شعراء وقته ، فأقام فى العراق . ثم ولّى بريد الموصل ، فلم يتم سنتين حتّى توفى بها . له تصانيف منها : (ديوان الحماسة) و(مختار أشعار القبائل) وهو أصغر من ديوان الحماسة . و(الوحشيات) وهو ديوان الحماسة الصغرى ، و(ديوان شعره) .

(٣) ديوانه ص ٥٣ .

## الكل فداء بغداد

قالَ محمد بن خلف :

[الطويل]

فدى لك يا بَغْدادُ كلُّ مدينةٍ مِن الأرضِ حتَّى خُطتى وديارِيا [1]
وقَد طفتُ فى شرقِ البلادِ وغربِها وسيَّرت خيلى بينها وركابيا
فلم أرَ فيها مِثْلَ بَغْدادَ منزلاً ولم أرَ فيها مِثْل دِجلَةَ واديا
ولا مِثْلَ أهليها أرقَّ شمائلاً وأعذبُ ألفاظًا وأحلى معانيا
وقائلةٍ لو كانَ ودُّكَ صادقًا لبَغْدادَ لمْ ترحلْ فقلتُ جوابيا
يقيمُ الرّجالُ الموسرونَ بأرضِهم وترمى النّوى بالمقترينَ المراميا

## فراقها الموت

قالَ أبو العلاء :

[الوافر]

إذا نأتِ ، العِراقَ ، بِنا المَطايا فلا كُنّا ، ولا كانَ المَطِىّ [2]
عَلَى الدّنيا السّلامُ ، فما حياةٌ إذا فارَقْتُكمْ إلاّ نَعِىّ
وشِيدُوا بيْتَ مَكْرُمَةٍ وعِزٍّ له بمُحَمّدٍ مَغْنىً خَبِىّ [3]

(1) تاريخ بغداد ج ١ ص ٥١ .
(2) سقط الزند ص ١٥٧ .
(3) يقصد أبا القاسم بن القاضى التنوخى .

## فتن العراق

قالَ أبو العلاء :

[البسيط]

حاشَيتُ غَيرى ، ونَفسى مَا أُحاشيها خشّيتُها ، وحَليفُ اللُّبِّ خاشيها [1]
واستَجهلتنى رِجالٌ ، لم تَزلْ جُهلاً إنّ الأوابىَ هاجَتها عَواشيها [2]
أمّا العِراقُ ، فعَمّتْ أرضَهُ فِتَنٌ مِثْلُ القِيامَةِ ، غَشّتها غَواشيها
والشّامُ أصلَحُ ، إلاّ أنّ هامَتَهُ فضُتْ ، وأسرى عَلَى النّيرانِ عاشيها
والقومُ يُرْدُونَ مَنْ لاقَوْا بأرديةٍ أعلامُها الدّمُ ، لم تُكْفَفْ حواشيها
ذواتُ قَرٍّ يُظَنُّوا دارِجاتِ قِرًى مضَتْ عليها ، ولم تَقْفُلْ مَواشيها
أنسَتْكَ ، هنداً ، سيوفُ الهِندِ ، ماحيةً ما قالَ عاذِلُها ، أو قالَ واشيها
وللزّمانِ عَلَى أبنائِهِ ، أبَداً حكومةٌ ، لا يرُدُّ الحكمَ راشِيها

## أمل

وجد على بعض الأميال بطريق مكة مكتوبا [3]

[الوافر]

أيا بَغدادُ يا أسفى عليكِ متى يُقضَى الرجوعُ لنا إليكِ
قنعنا سالمينَ بكلِّ خيرٍ وينعمُ عيشُنا فى جانبيكِ

---

(1) ديوان اللزوميات ص ٦١٥ .

(2) الأوابى : جمع آبية وهى أن ترد الإبل الماء كل ليلة . والعواشى : جمع عاشية وهى الإبل والغنم التى ترعى ليلا .

(3) معجم البلدان ج ١ ص ٤٦ .

# فهرس أشعار الديوان

# فهرس القوافى

# مصادر أشعار الديوان


الأبشيهى ، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد ، المستطرف من كل فن مستظرف . ط بيروت .

ابن الأثير ، أبو السعادات مبارك بن أبى الكريم محمد الجزرى (ت٦٠٦هـ) ، النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمّد الطناحى ، ط٢دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩م

ابن الأثير ، ضياء الدين والشاعر ،نصر الله بن محمد ، المثل السائر فى أدب الكاتب ، (ت٦٣٧هـ) ، تحقيق د. أحمد الحوفى ود. عبده طبانه ، طبع مكتبة نهضة مصر

ابن الأثير ، على بن أحمد ابن أبى الكرم (٦٣٠هـ) ، الكامل فى التاريخ ، ط دار صادر بيروت ١٩٦٥م

ابن الرومى ، على بن العباس ، (٢٨٣هـ) ، ديوانه ، تحقيق د. حسين نصار - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤م

ابن العماد الحنبلى ، أبو الفلاح ، عبد الحى بن أحمد بن محمد الصالحى (ت١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب دار إحياء التراث العربى - بيروت .

ابن الفوطى ، كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن ، محمد البغدادى (ت٧٢٣هـ) ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، المكتبة العربية بغداد - العراق ، ١٩٣٢م .

ابن المعتز ، أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسى ، ديوانه ، ط دار صادر ، بيروت .

ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة ، ط دار الكتب المصرية ١٩٥٠م

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحرانى أبو العباس (ت٧٢٨هـ) ، منهاج السنة النبوية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، ط١ مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ

ابن حجة ، تقى الدين أبو بكر على بن محمد الحموى (ت) ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، ط مصر ، ١٢٩١هـ

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم(ت٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط القاهرة ١٩٤٨م

ابن شاكر الكتبى محمد بن أحمد (ت٧٦٤هـ) فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٣م

ابن عربى ، محيى الدين أبو بكر محمد بن على ، (ت٦٣٨هـ) ، ديوانه المشروح باسم « ذخائر الأعلاق فى شرح ترجمان الأشواق » ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٥

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله (ت٢٧٦هـ) ، أدب الكاتب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٦٣م

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشى (٧٧٤هـ) ،البداية والنهاية فى التاريخ ، دار إحياء التراث العربى - بيروت .

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الإفريقى (ت) ، لسان العرب ، ط بولاق ١٣٠٧هـ .

ابن منقذ ، أبو المظفر أسامة بن مرشد الشيزرى (ت٥٨٤هـ) ، ديوانه ، نشر د .أحمد أحمد بدوى ، وحامد عبد المجيد ، المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٥٣ م .

أبو العتاهية ، أبو إسحق إسماعيل بن القاسم ، (ت٢١١هـ) ، الأنوار الزاهية فى أشعار أبى العتاهية ، جمع لويس شيخو ، بيروت ، ١٩١٤م .

أبو العلاء ، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى (ت٤٤٩هـ) ، - اللزوميات ، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، دون تاريخ .
- سقط الزند ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥م

أبو الفرج الأصفهانى ، على بن الحسين(٣٥٦هـ) ، ديوانه ، شرح الخطيب التبريزى ، تحقيق محمد عبده عزام . الأغانى ط دار الكتب المصرية .

أبو تمام ، ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م

أبو نواس ، ديوانه ، تحقيق غريغور شولر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة .

الأبيوردى ، ديوانه ، تحقيق عمر أسعد ، بيروت .

أحمد شوقى ، الشوقيات ، ط المكتبة التجارية ، القاهرة ،١٩٦١

أوس بن حجر ، ديوانه ، تحقيق د. محمد يوسف نجم . ط٢ ، بيروت : دار صادر ١٩٦٧م

البحترى ، (ت٢٨٤هـ) ، ديوانه ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

البكرى ، أبو عبيد عبد الله ابن عبد العزيز بن أبى مصعب (ت٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٧م

التلمسانى ، أحمد بن محمد المقرى (ت١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، نشر محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٤٩م

الثعالبى ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى

(٣٥٠ - ٤٢٩هـ) ، « ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعارف ١٩٨٥

حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى القسطنطينى (ت١٠٦٧هـ) ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، المطبعة البهية ، تركيا ، ١٩٤٣م

الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت (٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ، ط دار الكتب العلمية - بيروت / ١٩٩٧م

دعبل بن على الخزاعى ، ديوانه ، جمع وتحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلى ، ط النجف ١٩٦٢م

الذهبى ، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة - بيروت / ١٩٩٠م

رفائيل بطى ، الأدب العصرى فى العراق العربى ، المطبعة السلفية بمصر ، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م

الزركلى الأعلام ، دار العلم للملايين - بيروت / ١٩٨٤م

سبط ابن التعاويذى ، ديوانه ، دار صادر بيروت .

السرى الرفاء ، ديوانه ، دار صادر بيروت .

السيد حيدر الحلى ، ديوانه ، تحقيق على الخاقانى ، بغداد

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ، المزهر فى علوم اللغة ، ط بولاق ، ١٢٨٢هـ

الشابشتى ، أبو الحسن على ابن محمد (ت٣٨٨هـ) ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ط٢ مكتبة المتنبى ، بغداد ، ١٩٦٦م

الشريف الرضى ، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوى البغدادى (ت٤٠٦هـ) ، ديوانه ، ط القاهرة ، ١٣٠٦هـ

الشريف المرتضى ، ديوانه ، تحقيق الصفار ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٥٩م

الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤هـ) ، الوافى بالوفيات ، نشر هلموت ريتر ، طبع فيسبادن ، ١٩٦٤م

صفى الدين الحلى ، ديوانه ، شرح: الدكتور عمر الطباع ، بيروت .

الطبرى ، أبو جعفر محمد ابن جرير (ت٣١٠هـ) العباس بن الأحنف ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف مصر ديوانه ، تحقيق كرم الشبانى ، ط دار صادر بيروت ١٩٦٥م .

العسكرى ، أبو هلال حسن ابن عبد الله (ت٣٩٥) ، جمهرة الأمثال نشرة دار الكتب العربية .

على الجارم ، ديوانه ، تقديم عباس العقاد ، ط بيروت .

على بن أبى طالب (أمير المؤمنين) : الديوان المنسوب إليه ، تصحيح مصطفى صافى ، القاهرة. (د.ت)

الفيروزابادى ، أبو طاهر مجد الدين بن محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط ط.٢ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٧م

القلقشندى ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على (ت٨٢١هـ) ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ط دار الكتب المصرية .

كشاجم ، أبو الفتح محمود ابن الحسين بن السندى بن شاهك (٣٦٠هـ) ، ديوانه ، تحقيق ، د. النبوى عبد الواحد شعلان القاهرة ، (د.ت) .

محمد رجب النجار ، حكايات العيارين والشطار فى التراث العربى» سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨١ .

المسعودى ، أبو الحسن على ابن الحسين بن على (ت٣٤٥هـ) ، مروج

الذهب ، ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، ط٢ دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٧٣م .

معروف عبد الغنى الرصافى ، ديوانه ، دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٥٧م

مهيار الديلمى ، ديوانه ، ط دار الكتب المصرية ، ١٩٣١م

الميدانى ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى (ت ٥١٨هـ) ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط٣ دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٢

ياسين العمرى الموصلى ، غاية المرام فى تأريخ بغداد دار السلام ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٦٨م

ياقوت الحموى ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومى ، معجم الأدباء ،ط دار المأمون ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، معجم البلدان ، القاهرة ١٣٢٣هـ

## الفهرس



## حديث الوثائق



## ديوان بغداد

## صدر من هذه السلسلة

٧٠، ٧١ - نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون ( فى مجلدين )
٧٢، ٧٣ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام ( فى مجلدين )
٧٤-٨٠ - الحيوان ( فى سبعة مجلدات )
٨١ - الأشباه والنظائر للخالديين ( جزءين فى مجلد واحد )
٨٢ - سيرة صلاح الدين لابن شداد
٨٣ - الإمتاع والمؤانسة ( ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد )
٨٤ - ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى
٨٥-٨٨ - البيان والتبيين ( فى أربعة مجلدات )
٨٩ - المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد الأندلسى ( القسم الخاص بالفسطاط )
٩٠ - الفتح القسى فى الفتح القدسى للعماد الأصفهانى
٩١ - ديوان ابن سناء الملك
٩٢ - السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد
٩٣ - معجم الشعراء للمرزبانى
٩٤ - فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء



الذخائر

سلسلة نصف شهرية



## هذا الكتاب

يضمّ هذا الكتاب (أوراق بغداد) نوعين من النصوص ، أحدهما : نصوص تاريخيّة والآخر نصوص إبداعيّة ، أطلقنا على نصوص النوع الأول (حديث الوثائق) وعلى نصوص النوع الآخر (ديوان بغداد) بعض نصوص النوع الأول يتناول وَصْف العراق وأهمّ معالمه ومدنه خاصة بغداد ، وبقيتها نصوص تاريخيّة يدور معظمها حول المحن والكوارث التى حاقت ببغداد عَبْر تاريخها ، خاصّة بفعل جيش المغول سنة ٦٥٦ هـ . النصوص الشعريّة هى الأخرى تدور حول بغداد ومعالمها وبعض مدن العراق ومعالمه ، مع تسليط الضوء على ماقيل فى نكبة بغداد على أيدى المغول . مصادرنا فى التاريخ والوصف هى كتب التاريخ القديمة وكتب البلدان ، أما فى الشعر فكتب التاريخ ودواوين الشعراء وكتب المعارف العامة - الشعراء معظمهم من القدماء ، ولكن بعضهم من المحدَثين الذين عاشوا فترة الكفاح ضدّ المدّ الاحتلالى فى أواخر ق ١٩ والنصف الأول من القرن العشرين . نصوص التاريخ ونصوص الشعر تقول إنّ فلسفة القوة والعدوان هى التى تحكم العالم ، وإن حديث (التعاون) و (الصداقة) و (السلام) هو المخدِّر الذى يرشّه القاتل ليسهّل لنفسه الإجهاز على ضحيته .




الشركة الدولية للطباعة

السعر : ٦ جنيهات